

حَقِيقَةُ الدُّلُوفِ وَالْمَرْحَلَةِ

فِي وَطَائِفِ شَهْرِ رَجَاءٍ

تَأَلَّفَتْ

الرَّحْمَةُ الْقَاضِيَةُ وَالرَّحْمَةُ الْقَاضِيَةُ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكِيمِ
مِنْ مِلَّةِ الْقَصِيدِ

شَرَكَةُ الزَّيَّاعِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

حَقُّوْهُ اللّٰهُ وَلِلْمَرْحَمَةِ

فِي

وَظَائِفَ شَهْرِ رَمَضَانَ

تَأليف

الأستاذ الفاضل والمربي الكاظم فضلته الشريفة

إبراهيم بن عبد الله المحسن

من علماء القصيم

شركة الرياض للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَحْثُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ النَّاسِخَةُ

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

هو الشيخ إبراهيم بن عبيد العبد المحسن العبيد، من أهالي بريدة في القصيم، ومن خيرة تلامذة الشيخ العالم عمر بن محمد سليم. ولد المؤلف في ١٥ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ، ونشأ في طلب العلم والسعي في نيله وجدّ ونافس فيه حتى نال من مشايخه الإعجاب بسعيه وطلبه وتفرسوا فيه النجاح، فكان مولعًا في كتب أهل السنّة والحديث، مكبًا على المطالعة فيها، بصيرًا بالرجال، محبًا لأهل الدين.

ولما بلغ من العمر سبع سنين، قدمه والده إلى المؤدب في بريدة، واستمر في دراسته سبع سنوات حتى أجاد القراءة عن ظهر قلب وتعلم الكتابة، ثم إنه لازم الشيخ عمر بن محمد بن سليم.

أما مشائخه الذين أخذ عنهم، فهم عبد الله بن محمد بن سليم، وعمر بن محمد بن سليم، وعبد العزيز بن إبراهيم العبادي، فاستمر في دراسة العلم حديثًا وفقهًا ونحوًا وصرفًا وأخذ الفرائض عن الآخرين حتى ظهر في العلوم مظهرًا حسنًا. وقد ساعدته الظروف بتأمين معيشته في ظل والده، قدس الله روحه، ولما بلغ من العمر الثانية والعشرين جلس للتعليم، فهدب على يديه طلاب كثيرون، وكان يحب الخمول ويؤثر عدم الرياسة، وقد راودوه على القضاء مرارًا فأبى حبًا للعافية، وإيثارًا للسلامة في دينه. ثم إنه التحق في المدرسة الكبرى في بريدة يعلم العلوم الدينية الراقية فيها، ويؤم في أحد مساجدها وذلك خدمة لوطنه وحبًا لنشر العلم وتأمينًا لمعيشته.

أما مؤلفاته فمنها كتاب عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر

رمضان. وهو هذا، ومنها التاريخ المسمى تذكرة أولي النهى والعرفان يقع في أربعة أجزاء لم يطبع، ورسالة في تحريم تبرج النساء، ورسالة في وجوب الطاعة ولزوم الجماعة، وله قصائد كثيرة تقع في ديوان، وموضوعها في النصيحة والتحريض على طلب العلم وإرشاد الأئمة الأعلام الذين توفاهم الله، وأدركهم وقته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ شَهْرَ رَمَضَانَ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ، اخْتِصَاصًا لَهُ وَتَفْضِيلًا، وَضَاعَفَ فِيهِ الْأَجُورَ، وَأَنَالَ الْعَامِلِينَ لَهُ حَظًّا جَزِيلًا. فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ، وَحَضَّرَ عِبَادَهُ عَلَى دُعَائِهِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ، وَلَمْ يَزَلْ مُتَفَضِّلًا عَلَى الْمَخْلُوقِينَ، مُقْتَدِرًا جَلِيلًا، دَعَا عِبَادَهُ إِلَى طَرِيقِ جَنَّتِهِ، وَعَمَّ بِالدَّعْوَةِ جَمِيعَ بَرِيَّتِهِ، وَأَوْضَحَ طَرِيقَهَا بِإِظْهَارِ مَحَجَّتِهِ، فَشَمَّرَ إِلَيْهَا أَهْلُ تَوْحِيدِهِ وَخِدْمَتِهِ، وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ إِلَيْهَا سَبِيلًا، وَجَعَلُوا هَذِي الرُّسُولَ إِلَى تِلْكَ السَّبِيلِ دَلِيلًا، وَتَخَلَّفَ عَنْ نِدَائِهِ وَإِجَابَتِهِ مَنْ كَانَ حَظُّهُ حُطَامَ عَاجِلَتِهِ، مُسْتَبَدِّلًا بِالْفُوزِ الْعَظِيمِ الدَّائِمِ مَتَاعًا قَلِيلًا.

فُسَبِّحَانَ مَنْ اخْتَارَ مِنْ عِبَادِهِ أَقْوَامًا لِلطَّاعَاتِ وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَهَا، وَوَفَّقَهُمْ لِلْخَيْرَاتِ وَسَهَّلَ لَهُمْ أَسْبَابَهَا، وَقَبِلَ عَمَلَ الْمُخْلِصِينَ وَلَوْ كَانَ قَلِيلًا. وَسُبِّحَانَ مَنْ أَيْقَظَ بِالتَّذْكِيرِ هِمَمَ الْعَارِفِينَ، وَجَعَلَ الْمَوَاعِظَ سِيَاطًا لِقُلُوبِ الْمُتَّقِينَ، فَقَامُوا لِلْإِسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الدِّينِ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، وَانْبَعَثَتْ جَوَارِحُهُمْ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ صِيَامًا وَقِيَامًا وَتَسْبِيحًا وَتَكْبِيرًا وَتَهْلِيلًا.

أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ وَأَتَبَتَّلُ إِلَيْهِ تَبَتُّلًا، وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبٍ تَرَكْتُ الْقَلْبَ عَلِيلًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهُ رَضِيتُ بِهِ رَبًّا وَاتَّخَذْتُهُ وَكِيلًا، وَعَوَّلْتُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تَعْوِيلًا. شَهَادَةٌ مِنْ رَضِيِّ بِاللَّهِ

رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا. شَهَادَةٌ ظَهَرَ نُورُهَا وَلَاخَ، وَأَشْرَقَ هَذَا فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ. أَسْتَفْتِيحُ بِهَا بَابَ الْجَنَّةِ فَإِنَّهَا لِنِعَمِ الْمِفْتَاحِ. وَأَرْجُو بِهَا مِنَ اللَّهِ الْعَفْوَ وَالسَّمَاحَ. شَهَادَةٌ أَذْخَرُهَا لِيَوْمٍ كَانَ عَلَى النَّفُوسِ ثَقِيلًا. وَأَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنْ نَارِ سَاءَتْ لِسَاكِنِيهَا مُسْتَقَرًّا وَمَقِيلًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ السَّادَاتِ. وَخَلِيلُ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ. وَالِدَاعِي إِلَى سُبُلِ الْخَيْرَاتِ. وَالْمُحَذِّرُ عَنْ طُرُقِ الْهَلَكَاتِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ نُجُومِ الْهُدَى فِي اللَّيَالِي الْحَالِكَاتِ، وَأَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْكَرَامَاتِ. صَلَاةٌ مُتَوَاتِرَةٌ عَلَى مَمَرِ الزَّمَانِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا، وَإِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ سَأَلَنِي بَعْضُ الْإِخْوَانِ وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَدَاهُمْ، وَأَسْعَدَهُمْ وَلَا أَشْقَاهُمْ، وَمِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَعْظَاهُمْ: أَنْ أَوْلَفَ كِتَابًا فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ. فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِمْ بِتَكْدِيرِ الْبَالِ، وَكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ وَمُخَالَفَةِ الْأَعْمَالِ لِلْأَقْوَالِ، وَلَكِنَّهُمْ أَجَابُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ شَيْئًا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ. فَلَمَّا رَأَيْتُ تَعَطُّشَهُمْ إِلَى هَذَا الْمَوْرِدِ، وَأَنَّ أَهْلَ الزَّمَانِ إِلَيْهِ مُحْتَاجُونَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْبَابِ مُصَنَّفٌ عَلَيْهِ يُعَوَّلُونَ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ عُذْرًا، جَعَلْتُ إِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَوَّلَ رَجُلًا وَأَوَّلَ أُخْرَى. لَا سِيَّمَا وَقَدْ جَالَ ذَلِكَ فِي الصَّدْرِ، وَخَطَرَ قَبْلَ السُّؤَالِ فِي الْفِكْرِ. وَلَكِنِّي مُسْتَضْعِبٌ لِهَذَا الْأَمْرِ. فَاسْتَعْنْتُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَمْدِنِي بِذَارِفٍ لُطْفِهِ، وَوَافِرٍ عَظْفِهِ. فَإِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ. فَقُمْتُ عَنْ سَاقِ الْجِدِّ وَالْأَجْتِهَادِ، وَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِ الْفُتُورِ وَالرُّقَادِ. فَوَضَعْتُ كِتَابًا جَامِعًا شَامِلًا فِي فَضْلِ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ فِيهِ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ، وَمَا وَرَدَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَوْدَعْتُهُ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَأَحَادِيثَ مِنْ سُنَّةِ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانَ، وَأَنَارًا عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَهْلِ الزُّهْدِ وَالْعِرْفَانِ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ.

فصل

وَقَدْ قَسَمْتُ الْكِتَابَ ثَلَاثِينَ بَابًا عَلَى لَيَالِي الشَّهْرِ، وَجَعَلْتُ فِي أَوَّلِ كُلِّ بَابٍ خُطْبَةً لَا ثِقَّةَ، وَخَتَمْتُ كُلَّ بَابٍ بِدُعَاءِ أَرْجُو مِنَ الْإِلَهِ قَبُولَهُ، فَهُوَ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَمُقِيلُ الْعَثَرَاتِ، وَجَعَلْتُ فِي ضَمَنِ كُلِّ بَابٍ فَضْلًا أَذْكُرُ فِيهِ أَنْمُودَجًا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ دَارِ الْمُتَّقِينَ وَالْأَبْرَارِ، وَرَبَّمَا ذَكَرْتُ فِيهِ أَنْمُودَجًا مِنْ ذِكْرِ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ وَالْبَوَارِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقَامُ لَا يَفْتَضِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ اسْتِيْلَاءِ الْغَفْلَةِ عَلَى أَكْثَرِ الْقُلُوبِ، وَإِقْدَامِ النَّفُوسِ عَلَى مَا يُسْخِطُ عَلَّامَ الْغُيُوبِ، وَرَبَّمَا كَانَ هَذَا الْفَضْلُ مُتَعَلِّقًا بِمَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكَلَامِ.

فَلَمَّا أَنْ وَصَلْتُ الْبَابَ الْحَادِيَ وَالْعِشْرِينَ تَعَيَّنَ لِفُصُولِ قِيَامِ اللَّيْلِ تَذَكِيرٌ فَوَجَدْتُ فُصُولًا لِبَعْضِ الْمُصَنِّفِينَ، وَلَكِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ رَكَائَةِ الْأَلْفَاظِ وَعَدَمِ التَّرْتِيبِ، وَحُسْنِ التَّرَكِيبِ - أَثَابَ اللَّهُ جَامِعَهَا - فَهَذَّبْتُهَا وَنَقَّحْتُهَا وَزِدْتُ فِيهَا عَلَى مَا يَفْتَضِيهِ الْحَالُ، وَحَذَفْتُ مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَغْنَى عَنْهُ، وَمَزَجْتُهَا فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْعَشْرَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ كِتَابِنَا. وَجَعَلْتُ لِكُلِّ لَيْلَةٍ حَقَّهَا مِنَ الْقِرَاءَةِ وَخَتَمْتُ الْكِتَابَ بِوَدَائِعِ نَفِيسَةِ لَشَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ خَتَمْتُهُ أَيْضًا بِمَجْلِسٍ فِي لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْقَبُولَ وَالْإِثَابَةَ. إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

فصل

وَقَدْ جَمَعْتُهُ مِنْ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ. وَأَوْدَعْتُهُ بُحُونًا غَزِيرَةً. وَحَذَفْتُ غَالِبَ الْأَسَانِيدِ لِأَنَّهَا شَهِيرَةٌ، وَحَرَصْتُ عَلَى الْأَخْتِصَارِ لِذِكْرِ الرُّوَاةِ لِأَنَّ الْحَالَ يَفْتَضِي ذَلِكَ. وَضَرَبْتُ صَفْحًا عَنِ الْعَزْوِ إِلَى كُلِّ كِتَابٍ، وَذَلِكَ خَشْيَةً الْإِطَالَةِ وَالْإِسْهَابِ. فَجَاءَ الْكِتَابُ دُرَّةً مَفْقُودَةً، وَضَالَّةً مَنشُودَةً - وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ - فَهُوَ دُرَّةٌ يَتِيْمَةٌ، وَمِنْحَةٌ جَسِيمَةٌ، وَهَدِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا قِيَمَةٌ، شَحْنَتُهُ فِي فَضَائِلِ

رَمَضَانَ وَبَرَكَاتِهِ، وَفَضْلِ الصَّيَامِ وَأَدَابِهِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِ آيَاتِهِ، وَالْحَثِّ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي الْقِيَامِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ فِي دَارِ السَّلَامِ، وَوَشَّحْتُهُ بِذِكْرِ حَالِ السَّلَفِ الْكَرَامِ، وَخِيَارِ الْخَلْقِ مِنَ الْأَنْامِ، وَمَا لَهُمْ مِنَ الاجْتِهَادِ فِي الصَّيَامِ وَالْقِيَامِ.

فصل

فَدُونَكَ كِتَابًا اجْتَهَدْتُ فِي جَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ، وَتَفْصِيلِهِ وَتَبْوِيهِ، وَتَسْهِيلِهِ وَتَقْرِيبِهِ، وَسَمَّيْتُهُ: «عُقُودُ اللُّلُؤِ وَالْمَرْجَانِ فِي وَطَائِفِ شَهْرِ رَمَضَانَ» فَإِنَّهُ اسْمٌ وَافِقٌ مُسَمَّاهُ، وَلَقِظَ طَابَقَ مَعْنَاهُ، فَهُوَ مُحَرَّكٌ لِلْقُلُوبِ إِلَى أَجَلٍ مَطْلُوبٍ، وَحَادٍ لِلنَّفُوسِ إِلَى مَجَاوِرَةِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ. وَبَاعَثَ لِلْهَمِّ الْعَلِيَّاتِ إِلَى الْحُلُولِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، مُشْتَمِلٌ مِنْ بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ، وَفَرَائِدِ الْقَلَائِدِ، مَا هُوَ حَقِيقٌ أَنْ يُعْضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَتُسْنَى عَلَيْهَا الْخَنَاصِرُ. مُنْتَمِعٌ لِقَارِيهِ، مُشَوِّقٌ لِلنَّاطِرِ فِيهِ. أَوْدَعْتُهُ آيَاتِ فُرْأَنِيَّةٍ، وَأَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ، وَأَنَارًا إِلَهِيَّةً، وَأَقْوَالَ سَلَفِيَّةٍ، وَأَبْيَاتًا شِعْرِيَّةً، وَمَوَاعِظَ لَوْ خُوطِبَ بِهَا الْحَدِيدُ لَكَادَ يَمِيدُ، وَزَجَرَ وَتَهْدِيدًا يُذِيبُ الْجَلَامِيدَ.

فَهَاكَ كِتَابًا جَمَعَ فَأَوْعَى، وَسَفَرًا حَوَى مِنَ الْعُلُومِ فَضْلًا وَنَوْعًا، وَقَدْ جَلَبْتُ إِلَيْكَ فِيهِ نَفَائِسَ فِي مِثْلِهَا يَتَنَافَسُ الْمُتَنَافِسُونَ، وَجَلَوْتُ فِيهِ عَرَائِسَ إِلَى مِثْلِهَا يُبَادِرُ الْخَاطِبُونَ. وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ بَدَلْتُ مَجْهُودِي فِي تَهْذِيبِ دَلَالِيلِهِ، وَجَمَعْتُ مَوَاعِظِهِ وَفَوَائِدِهِ وَمَسَائِلِهِ. فَإِنْ شِئْتَ اقْتَبَسْتَ مِنْهُ آدَابًا شَرْعِيَّةً، وَإِنْ أَحْبَبْتَ تَنَاولْتَ مِنْهُ آثَارًا نَبَوِيَّةً، وَإِنْ شِئْتَ وَجَدْتَ فِيهِ نِكَاتٍ أَدَبِيَّةً. وَإِنْ رُمْتَ الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ وَجَدْتَ فِيهِ أُمُورًا وَفِيَّةً. إِذَا نَظَرَ فِيهِ النَّاطِرُ زَادَهُ إِيمَانًا، وَإِنْ رَامَ صِفَةَ الْجَنَّةِ جَلَّاهَا عَلَيْهِ فَكَأَنَّهُ يُشَاهِدُهَا عَيْنًا، أَوْ صِفَةَ النَّارِ فَإِنَّ فِيهِ مِنْ ذِكْرِهَا بَيَانًا. يُنْهَضُ الْقَاعِدَ إِلَى الْمَسِيرِ، وَيُخَضُّ الْمُتَوَانِي عَلَى التَّشْمِيرِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ جُهْدُ الْمُقِلِّ وَقُدْرَةُ الْمُفْلِسِ. حَذَرَ فِيهِ مِنَ الدَّاءِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ،

وَوَصَفَ فِيهِ الدَّوَاءَ وَإِنْ لَمْ يَضْبِرْ عَلَى تَنَاوُلِهِ - لِظُلْمِهِ وَجَهْلِهِ - وَهُوَ يَرْجُو أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْ يَغْفُو عَنْهُ بِنَصِيحَتِهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا قَصَدْتُ، وَمَا بِجَمْعِهِ وَتَأْلِيْفِهِ أَرَدْتُ. فَهُوَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ وَقَلْبِهِ، وَهُوَ الْمُطَّلِعُ عَلَى نِيَّتِهِ وَكَسْبِهِ.

فَيَا أَيُّهَا النَّاطِرُ فِيهِ لَكَ غُنْمُهُ، وَعَلَى مُؤَلِّفِهِ غُرْمُهُ. لَكَ صَفْوُهُ وَعَلَيْهِ كَدْرُهُ. فَهَذِهِ بِضَاعَتُهُ الْمُزْجَاهُ تُعْرَضُ عَلَيْكَ، وَمَوْلِيَّتُهُ الْكَرِيمَةُ تُسَاقُ إِلَيْكَ. فَإِنْ صَادَقَتْ كُفُؤًا كَرِيمًا لَمْ تَعْدِمِ مِنْهُ إِمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحًا بِإِحْسَانٍ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَاللَّهُ الْمُطَّلِعُ عَلَى حَرَكَاتِ اللِّسَانِ وَخَطَرَاتِ الْجَنَانِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ.

فَيَا أَيُّهَا الْمُطَّلِعُ عَلَيْهِ وَالنَّاطِرُ إِلَيْهِ، إِنْ رَأَيْتَ حَقًّا فَاقْبَلْهُ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَانْظُرْ إِلَى مَقَالِهِ، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ: اقْبَلِ الْحَقَّ مِمَّنْ قَالَهُ، وَإِنْ كَانَ بَغِيضًا، وَرَدَّ الْبَاطِلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ، وَإِنْ كَانَ حَبِيبًا، فَكُنْ لِلْحَقِّ عَوْنًا وَنَاصِرًا، وَلَا تَرُدَّهُ فَتَكُونَ خَائِبًا وَخَاسِرًا، وَإِنْ رَأَيْتَ سِوَى ذَلِكَ فَالْمُؤْمِنُ مِرَاةَ أَخِيهِ، وَالْإِنْسَانُ مَحَلُّ النِّسْيَانِ - وَادْرَأْ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ - وَيَأْبَى اللَّهُ الْعِصْمَةَ إِلَّا لِكِتَابِهِ، وَالْكَرِيمُ مَنْ عُدَّتْ هَفَوَاتُهُ فِي جَنْبِ صَوَابِهِ، وَقَدْ رَضِيَ سَائِقُ هَذِهِ الْمَوْلِيَّةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ مَهْرَهَا بِدَعْوَةِ صَالِحَةٍ يَفُوزُ بِهَا يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَيَأْمَنُ بِهَا مِنْ فَرَعِ يَوْمِ الْمَعَادِ.

هَذَا وَأَعُوذُ بِاللَّهِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ، مِنْ شَرِّ حَقُودٍ وَحَسُودٍ. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿٢٤٦﴾ وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْمَنَّانَ، ذَا الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْفَضْلِ وَالِامْتِنَانِ، أَنْ يَجْعَلَهُ عَمَلًا خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسَبَبًا لِلْفَوْزِ لَدَيْهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَنْ يَعْصِمَنِي وَقَارَتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، رَعُوفٌ رَحِيمٌ.

وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْأَبْوَابِ، وَاللَّهُ الْفَاتِحُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّ بَابٍ.

البَابُ الْأَوَّلُ

فِي الْبِشَارَةِ فِي دُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَالتَّهْنِئَةِ فِيهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ الْعَامِلِينَ لِمَطَاعَتِهِ، فَوَجَدُوا سَعْيَهُمْ مَشْكُورًا، وَحَقَّقَ
أَمَالَ الْآمِلِينَ بِرَحْمَتِهِ، فَمَنَحَهُمْ عَطَاءَ مَوْفُورًا، وَبَسَطَ بِسَاطَ كَرَمِهِ عَلَى التَّائِبِينَ
فَأَصْبَحَ وَزْرُهُمْ مَغْفُورًا. وَأَسْبَلَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى الطَّالِبِينَ وَابِلًا غَزِيرًا، وَلَمْ تَزَلْ
أَبْوَابُ جُودِهِ لِلرَّاغِبِينَ مَفْتُوحَةً، الْوَاحِدِ الَّذِي مَنْ قَصَدَ غَيْرَهُ ضَلَّ، الْعَزِيزِ الَّذِي
مَنْ اغْتَرَّ بِغَيْرِهِ ذَلَّ، الْكَبِيرِ الَّذِي مَنْ نَازَعَهُ فِي كِبَرِيَّائِهِ قُصِمَ وَذَلَّ، الْعَظِيمِ
الَّذِي تَفَرَّدَ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَتَعَالَى وَجَلَّ، وَالْأَفْكَارُ عَنْ إِدْرَاكِ كِبَرِيَّائِهِ مَمْنُوعَةٌ،
وَالْخَيْرَاتُ مِنْ إِعْطَائِهِ مَمْنُوحَةٌ. الْكَرِيمِ الَّذِي يُعْطِي الْفَضْلَ الْجَزِيلَ عَلَى الْعَمَلِ
الْقَلِيلِ، وَيُعْطِي بِفَضْلِهِ الذَّنْبَ الْوَبِيلَ، بِالسَّخَرِ الْجَمِيلِ، وَيَغْفِرُ الْوِزَرَ الثَّقِيلَ،
فَيَقْبَلُ وَيُقْبِلُ، وَيَرَى الْخَاضِعَ الدَّلِيلَ، فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، وَيَسْمَعُ أُنِينَ الْمُذْنِبِينَ
بِالْقُلُوبِ الْحَزِينَةِ، إِذَا وَقَفَ الْمُتَهَجِّدُونَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ، وَتَلَذَّذُوا بِأَطْيَبِ
الْكَلَامِ، وَبَسَطَ التَّائِبُ لِنَفْسِهِ بِسَاطَ الْعُتْبِ وَالْمَلَامِ، وَبَكَى عَلَى تَفْرِيطِهِ فَحَرَّمَ
لَذِيذَ الْمَنَامِ، أَلْحَقَهُ بِالْمُحْسِنِينَ وَغَفَرَ لَهُ الْأَفْعَالَ الْقَبِيحَةَ، مَوَّلَى وَفَّقَ الصَّالِحِينَ
لِخِدْمَتِهِ وَأَنْتَى، وَبَدَأَ الْمُحْسِنِينَ بِرَحْمَتِهِ وَثَنَى، وَاطَّلَعَ عَلَى جَرَائِمِنَا فَلَمْ يَقْطَعْ
فَضْلُهُ عَنَّا، وَجَادَ بِبِرِّهِ وَكَرَمِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنَّا. فَسُبْحَانَهُ مِنْ كَرِيمٍ أَضَحَتْ
رِحَالُنَا بِبَابِ كَرَمِهِ مَطْرُوحَةً، الَّذِي عَمَّ جَمِيعَ بَرِيَّتِهِ بِرَحْمَتِهِ وَعَطَائِهِ، وَخَصَّ
أَهْلَ مَوَدَّتِهِ بِمَعْرِفَتِهِ وَوَلَايَتِهِ، وَرَوَّحَ أَسْرَارَهُمْ عَلَى بِسَاطِ مُنَاجَاتِهِ بِحُسْنِ ثَنَائِهِ،
وَفَتَحَ أَسْرَارَهُمْ، وَغَفَرَ أَوْزَارَهُمْ، فَرْتَعُوا فِي رِيَاضِ قَسِيحَةٍ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوا،
وَوَلَّاهُمْ فَأَنَابُوا، وَوَعَدَهُمْ فَمَا ارْتَابُوا، فَصُدُّورُهُمْ بِالْإِيمَانِ مَشْرُوحَةً، ابْتَهَجَتْ
سَرَائِرُهُمْ بِذِكْرِهِ، وَلَهَجَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِشُكْرِهِ، وَشَغِلَتْ جُمْلَتُهُمْ بِنَهْيِهِ وَأَمْرِهِ،
وَوَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ وَعِيدِهِ وَمَكْرِهِ، فَسَكَنْتِ الْجَوَارِحُ وَقْصُرَتِ الْأَلْسُنُ
الْقَصِيحَةُ.

فَسُبْحَانَ مَنْ وَفَّقَ أَقْوَامًا لِحُدُودِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَهَجَرُوا
لَذِيذَ الْمَنَامِ، وَأَدَامُوا لِرَبِّهِمُ الصِّيَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامَ، فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ
وَقَدْ سَارَتْ قَوَافِلُهُمْ فِي حِنْدِسِ الظَّلَامِ، وَاحِدٌ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْ زَلَّتِهِ، وَآخَرُ
يَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِمَطَاعَتِهِ، وَآخَرُ يَسْتَعِيدُ بِهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَآخَرُ يَرْجُو مِنْهُ جَمِيلَ
مَثُوبَتِهِ، وَآخَرُ يَشْكُو إِلَيْهِ مَا يَجِدُ مِنْ لَوْعَتِهِ، وَآخَرُ شَغْلُهُ ذِكْرُهُ عَنْ مَسْأَلَتِهِ،
فَسُبْحَانَ مَنْ أَيْقَظَهُمُ وَالنَّاسُ نِيَامَ. الْخَلَوَاتُ مَعَ اللَّهِ أَنْسَهُمْ وَمَيَّدَانُهُمْ،
وَالْمَنَاجَاةُ رَوَائِحُهُمْ وَرِيحَانُهُمْ، وَذَكَرَ اللَّهُ نُزْهَتَهُمْ وَيُسْتَانُهُمْ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ
نَعِيمُهُمْ وَغُلُوبَانُهُمْ، وَلَهُمْ فِي الْاِسْتِغَالِ بِهِ عَنْ جَمِيعِ الْأَشْغَالِ مَنُذُوحَةٌ،
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَتَبَرَّمُ بِالْحَاحِ الْمُلْحِنِ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ سُؤَالَاتُ السَّائِلِينَ.
وَلَا يَزِيدُ مُلْكُهُ طَاعَةَ الْعَامِلِينَ. وَلَا يَنْقُصُهُ إِغْرَاضُ الْعَصَاةِ وَالْعَافِلِينَ.

أَحْمَدُهُ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ الْوَافِرَةِ الْجِسَامِ. وَأَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ اِمْتَنَّنَ عَلَيْنَا
بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ تَفَرَّدَ
بِالْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، وَتَقَدَّسَ عَنْ مُشَابَهَةِ الْأَنَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، الْمَخْصُوصُ بِالْقُرْبِ وَالتَّمَكِينِ. بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَقُدُوةً
لِلسَّالِكِينَ وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْبَرَّةِ الْكِرَامِ، مَصَابِيحِ الظَّلَامِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

اللَّهُمَّ أَهْلَ عَلَيْنَا شَهْرَ رَمَضَانَ بِالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ. وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ.
وَاعْفِرْ لَنَا كُلَّ قَبِيحٍ سَلَفَ وَكَانَ. وَأَعْتِقْنَا فِيهِ مِنْ لَفَحَاتِ الْجَحِيمِ وَالنَّيْرَانِ،
وَأَعِنَّا عَلَى الْخَيْرِ يَا مَنْ إِذَا اسْتُعِينَ أَعَانَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُجَدَّدُ وَتُزَيَّنَ
مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا كَانَتْ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يُقَالُ لَهَا: الْمُثِيرَةُ، فَتُصَفَّقُ وَرَقٌ أَشْجَارِ
الْجَنَّةِ وَحَلَقٌ الْمَصَارِيحِ، فَيَسْمَعُ لِذَلِكَ طَنِينٌ لَمْ يَسْمَعْ السَّامِعُونَ أَحْسَنَ مِنْهُ،

فَتَشْرِفُ الْحُورُ الْعَيْنُ حَتَّى يَقْفَنَ عَلَى شَجَرِ الْجَنَّةِ فَيُنَادِيَنَّ: هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلَى اللَّهِ ﷻ فَيُزَوِّجُهُ؛ ثُمَّ يَقُلْنَ: يَا رِضْوَانُ مَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ؟ فَيُجِيبُهُنَّ بِالتَّلْيِيَةِ: يَا خَيْرَاتٍ حَسَنًا، هَذِهِ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ، فَتُحَتَّ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ».

وَعَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ». رَوَى هَذِهِ الْأَحَادِيثَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ وَغَيْرُهُمَا.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاذَا يَسْتَقْبِلُكُمْ وَتَسْتَقْبِلُونَهُ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَخِي نَزَلَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: عَدُوٌّ حَضَرَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَاذَا؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لِكُلِّ أَهْلٍ هَذِهِ الْقِبْلَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَيْهَا، فَجَعَلَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْزُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: بَخْ بَخْ!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا فُلَانُ، ضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ ذَكَرْتُ الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْكَافِرُونَ، وَلَيْسَ لِلْكَافِرِينَ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ.

وَأَخْرَجَا أَيْضًا عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - وَأَهْلَ رَمَضَانَ - فَقَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ مَا رَمَضَانُ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ تَكُونَ السَّنَةُ كُلُّهَا رَمَضَانَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ حَدِّثْنَا، فَقَالَ: إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَزِينُ لِرَمَضَانَ مِنْ رَأْسِ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ، فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَصَفَّقَتْ وَرَقُ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، فَتَنْظُرُ الْحُورُ الْعَيْنُ إِلَى ذَلِكَ، فَيَقُلْنَ: يَا رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا مِنْ عِبَادِكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَرْوَاجًا

تَقَرُّ أَعْيُنُنَا بِهِمْ وَتَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ بِنَا، قَالَ: فَمَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ إِلَّا زُوِّجَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فِي خِيَمَةٍ مِنْ دُرَّةٍ، كَمَا نَعَتَ اللَّهُ ﷻ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ سَبْعُونَ حُلَّةً لَيْسَ مِنْهَا حُلَّةٌ عَلَى لَوْنٍ الْآخَرَى. وَيُعْطَى سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ لَيْسَ مِنْهُ لَوْنٌ عَلَى رِيحِ الْآخَرِ، لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ سَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفَةٍ لِحَاجَتِهَا وَسَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفٍ، مَعَ كُلِّ وَصِيفٍ صَحْفَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا لَوْنٌ طَعَامٍ يَجِدُ لِآخِرِ لُقْمَةٍ مِنْهَا لَذَّةٌ لَمْ يَجِدْهَا لِأَوَّلِهِ، وَلِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ سَبْعُونَ سَرِيرًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِرَاشًا بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، فَوْقَ كُلِّ فِرَاشٍ سَبْعُونَ أَرِيكَةً، وَيُعْطَى زَوْجُهَا مِثْلَ ذَلِكَ، عَلَى سَرِيرٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، مُوشَّحًا بِالذَّرِّ، عَلَيْهِ سِوَارَانِ، هَذَا بِكُلِّ يَوْمٍ صَامَهُ مِنْ رَمَضَانَ سِوَى مَا عَمِلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ.

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِبُلُوغِ رَمَضَانَ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلَّغْنَا رَمَضَانَ».

وَقَالَ الْمُعَلَّى بْنُ الْفَضْلِ: كَانَ السَّلَفُ يَدْعُو اللَّهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ، ثُمَّ يَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمْ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: كَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ لِي إِلَى رَمَضَانَ، وَتَسَلِّمْهُ مِنِّي مُتَقَبَّلًا.

شِعْر:

مَنْ نَالَهُ دَاءٌ دَوَّ بِذُنُوبِهِ فَلْيَأْتِ مِنْ رَمَضَانَ بَابَ طَبِيبِهِ
فَخَلُوفُ هَذَا الصَّوْمِ يَا قَوْمُ اغْلُمُوا أَشْهَى مِنَ الْمِسْكِ السَّحِيقِ وَطَبِيبِهِ
أَوْ لَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلَ مَلِيكَكُمْ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أُجْزِي بِهِ

فَضْلٌ

اَعْلَمُ أَنَّهُ يَجِبُ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إمَّا بِرُؤْيَا هِلَالِهِ، أَوْ

إِكْمَالِ عِدَّةِ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَيَتَّبِعِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَلَقَّى هَذَا الشَّهْرَ الشَّرِيفَ
بِالْقَبُولِ وَالْفَرَحِ وَالْاهْتِمَامِ، بِأَدَاءِ حُقُوقِ الصَّوْمِ فَيَعْمُرُ نَهَارَهُ بِالصَّيَامِ وَلَيْلَهُ
بِالْقِيَامِ. وَبُلُوغِ رَمَضَانَ وَصِيَامَهُ نِعْمَةً عَلَى مَنْ أَقْدَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ
حَدِيثُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ اسْتَشْهَدَ اثْنَانِ مِنْهُمْ، ثُمَّ مَاتَ الثَّلَاثُ عَلَى فِرَاشِهِ بَعْدَهُمَا،
فَرُئِيَ فِي الْمَنَامِ سَابِقًا لَهُمَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَيْسَ صَلَّى بَعْدَهُمَا كَذَا وَكَذَا
صَلَاةً، وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ بَيْنَهُمَا لَأَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرُ مَبَارَكٍ،
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، فِيهِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ،
وَتُغْلَقُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ. فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»
رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا الْحَدِيثُ أَضَلُّ فِي تَهْنِئَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِشَهْرِ
رَمَضَانَ، كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنُ بِفَتْحِ أَبْوَابِ الْجَنَانِ؟ كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْمُذْنِبُ
بِغَلْقِ أَبْوَابِ النَّيرانِ؟ كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْعَاقِلُ بِوَقْتِ يُغْلَقُ فِيهِ الشَّيْطَانُ؟ مِنْ أَيْنَ
يُشَبِّهُ هَذَا الزَّمَانَ زَمَانًا؟ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ سَيِّدُ الشُّهُورِ فَمَرْحَبًا
بِهِ وَأَهْلًا. جَاءَ شَهْرُ الصَّيَامِ بِالْبَرَكَاتِ، فَأَكْرَمَ بِهِ مَنْ زَائِرٍ هُوَ آتٍ».

شعر:

أَتَى رَمَضَانُ مَزْرَعَةَ الْعِبَادِ لِتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنَ الْفَسَادِ
فَأَدَّ حُقُوقَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا وَزَادَكَ فَاتَّخِذَهُ لِمَعَادِ
فَمَنْ زَرَعَ الْحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا تَأَوَّهَ نَادِمًا يَوْمَ الْحَصَادِ

يَا مَنْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنَّا، قَدْ قَرُبَتْ أَيَّامُ الْمُصَالَحَةِ، يَا مَنْ دَامَتْ خَسَارَتُهُ
قَدْ أَقْبَلَتْ أَيَّامُ التَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ، مَنْ لَمْ يَرْبِحْ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَفِي أَيِّ وَقْتٍ

يَرْبَحُ؟ مَنْ لَمْ يَقْرُبْ فِيهِ مِنْ مَوْلَاهُ، فَهُوَ عَلَى بُعْدِهِ لَا يَبْرَحُ، مَنْ رُحِمَ فِي رَمَضَانَ فَهُوَ الْمَرْحُومُ، وَمَنْ حُرِمَ خَيْرُهُ فَهُوَ الْمَحْرُومُ.

شعر:

إِذَا رَمَضَانُ أَتَى مُقْبِلًا فَأَقْبِلْ فَبِالْخَيْرِ يُسْتَقْبَلُ
لَعَلَّكَ تُخْطِئُهُ قَابِلًا وَتَأْتِي بِعُذْرٍ فَلَا يُقْبَلُ

كَمْ يُنَادِي: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ وَأَنْتَ خَاسِرٌ، كَمْ تُدْعَى إِلَى الصَّلَاحِ وَأَنْتَ عَلَى الْفَسَادِ مُثَابِرٌ؟ كَمْ يُدْعَى أَهْلُ الْأَجْتِهَادِ فَيُجِيبُونَ وَأَنْتَ عَنِ الْإِجَابَةِ نَافِرٌ؟ كَمْ وَصَلَ الْأَحْبَابُ إِلَى مَوْلَاهُمْ وَأَنْتَ بِقَدَمِ الْبِطَالَةِ عَاثِرٌ؟ فَجِدَّ أَخِي، هَذِهِ مَوَاسِمُ الْخَيْرَاتِ فَاغْتَنِمَهَا وَيَادِرْ، وَهَذَا إِبَانُ الزَّرْعِ فَهَلْ لِلْخَيْرِ بَاذِرٌ؟

إِخْوَانِي: أَيْنَ مَنْ كَانَ مَعَكُمْ الْعَامَ فِي هَذِهِ اللَّيَالِ، مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، يُنَافِسُونَكُمْ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَيُخَالِطُونَكُمْ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ؟ أَمَا طَحَنْتَهُمْ رَحَى الْمُنُونِ وَلَمْ تَنْفَعِ الْأَمَالُ، وَقُطِعَتْ مِنْهُمْ الْأَعْمَارُ وَالْأَجَالُ، وَحَلُّوا فِي ضَرَائِحِهِمْ بِمَا قَدَّمُوا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَخَذَهُمُ الْمَوْتُ وَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ الْمَالُ وَالْعِيَالُ، وَقَدَّمُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا مِنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ؟ وَهَأَنْتُمْ لَطَرِيقِهِمْ سَالِكُونَ، وَلَمَّا دَخَلْتُمْ دَاخِلُونَ، وَعَلَى سَبِيلِهِمْ مُتَّبِعُونَ، فَبَادِرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَوْفَاتَكُمْ قَبْلَ الْأَرْتِحَالِ، فَيَا سَعَادَةً مَنْ قُبِلَتْ مِنْهُ فِي شَهْرِ الْأَعْمَالِ، وَيَا شَقَاوَةً مَنْ فَرَّطَ فِي صِيَامِهِ بِالْإِهْمَالِ.

إِخْوَانِي: اعْلَمُوا أَنَّهُ نَزَلَ بِسَاحَتِكُمْ شَهْرٌ كَرِيمٌ، وَمَوْسِمٌ عَظِيمٌ، خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِالتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ. وَأَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَالدُّكْرَ الْحَكِيمَ، وَفَرَضَ صِيَامَهُ شُكْرًا عَلَى هَذَا الْإِنْعَامِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ، وَجَعَلَ صِيَامَهُ أَحَدَ مَبَانِي الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا يَقُومُ عَلَى غَيْرِهَا وَلَا يَسْتَقِيمُ، وَسَنَ لَكُمْ قِيَامَهُ نَبِيَّكُمْ الْكَرِيمُ. شَهْرُ الْبَرَكَاتِ وَالْخَيْرَاتِ. شَهْرُ إِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، شَهْرُ إِقَالَةِ الْعَثَرَاتِ. شَهْرُ مُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ. شَهْرُ الْإِفَاضَاتِ وَالنَّفَحَاتِ.

شَهْرُ إِعْتَاقِ الرِّقَابِ الْمُؤَبَّاتِ. شَهْرٌ لَا يُعَدُّ بِهِ سِوَاهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ. الْحَسَنَةُ فِيهِ بِأَلْفِ حَسَنَةٍ فِيمَا سِوَاهُ. وَالْفَرِيضَةُ تَعْدِلُ سَبْعِينَ فَرِيضَةً لِمَنْ تَقَبَّلَ مِنْهُ مَوْلَاهُ.

فِيَا ذَوِي الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ، وَيَا ذَوِي الْمَطَالِبِ الرَّفِيعَةِ السَّامِيَةِ. الْغَنَائِمُ الْغَنَائِمُ قَبْلَ الْقَوَاتِ، وَالْعَزَائِمُ الْعَزَائِمُ عَلَى الْجِدِّ وَهَجْرِ الْبَطَالَاتِ، فَلِأَوْقَاتِ الْفَضَائِلِ قَوَاتِ.

ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَوْضِعًا حَوْلَ الْعَرْشِ يُسَمَّى «حَظِيرَةَ الْقُدُسِ» وَهُوَ مِنَ النُّورِ، وَفِيهِ مَلَائِكَةٌ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﷻ يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَا يَفْتَرُونَ سَاعَةً، فَإِذَا كَانَ لِيَالِي رَمَضَانَ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ ﷻ أَنْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ، وَيَحْضُرُوا مَعَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ، فَكُلُّ مَنْ مَسَّهُمْ أَوْ مَسَّوْهُ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ، فَجَمَعَ النَّاسَ عَلَى صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

مَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ كُلُّ مَا يَبْذُلُ. وَيَحْكُ قَدْ رَضِينَا فِي فِكَاكِ نَفْسِكَ بِالنَّدَمِ. وَقَنَعْنَا مِنْكَ فِي ثَمَنِهَا بِالتَّوْبَةِ وَالْحُزْنِ. وَفِي هَذَا الْمَوْسِمِ قَدْ رَخَّصَ السَّعْرُ. مَنْ مَلَكَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَلِسَانُهُ غُفِرَ لَهُ. مُدُّ إِلَيْهِ يَدُ الْأَعْتِدَارِ وَقُمَ عَلَى بَابِهِ بِالذُّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ. وَارْفَعَ قِصَّةَ نَدَمِكَ مَرْمُوقَةً عَلَى صَحِيفَةِ خَدِّكَ بِمِدَادِ الدُّمُوعِ الْغِزَارِ، وَقُلْ: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» قِفْ عَلَى الْبَابِ بَاكِيًا، وَنَكِّسِ الرَّأْسَ بِالنَّدَمِ شَاكِيًا، وَأَلِحَّ عَلَى الْمَوْلَى الْعَظِيمِ دَاعِيًا، وَقُلْ بِلِسَانِ الْأَعْتِدَارِ، بِالنَّدَمِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْأَوْزَارِ:

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثُرَتْ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الدُّعَا
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمُجْرِمُ
فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ؟
وَجَمِيلُ عَفْوِكَ، ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ، وَلَا يَضُرُّهُ الْعِصْيَانُ. يَا مَنْ غَمَرَ الْبَرِيَّةَ
بِالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ. نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنا مِنْ عِبِيدِكَ الْمُفْلِحِينَ،
وَأَوْلِيائِكَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ أَهْلَتْهُمْ لِحْدَمَتِكَ، وَنَعَمْتَهُمْ بِأَنْسِكَ وَحَضْرَتِكَ.
وَسَقَيْتَهُمْ لَذِيذَ شَرَابِكَ، وَخَلَعْتَ عَلَيْهِمْ خَلْعَ أَخْبَابِكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمَقْبُولِينَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْفَضِيلِ. وَخُصَّنَا فِيهِ بِالْأَجْرِ
الْوَافِرِ وَالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ. وَاعْفِرْ لَنَا فِيهِ كُلَّ ذَنْبٍ عَظِيمٍ، وَخَفِّفْ ظُهُورَنَا مِنْ كُلِّ
وِزْرِ ثَقِيلٍ. وَتَقَبَّلْ فِيهِ يَسِيرَ أَعْمَالِنَا فَإِنَّكَ تَقْبَلُ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا يَسِيرَ الْأَعْمَالِ، وَهَبْ لَنَا إِسَاءَتَنَا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.
وَسَامِحْنَا عَنِ الْعَقْلَةِ وَالْإِهْمَالِ، وَاعْفِرْ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الثَّانِي

فِي فَضَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ غُرَّةَ وَجْهِ الْعَامِ، وَأَجَزَلَ فِيهِ الْفَضَائِلَ
وَالْإِنْعَامَ، وَشَرَفَ أَوْقَاتَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وَفَضَّلَ أَيَّامَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَيَّامِ،
وَجَعَلَهُ لِعَقْدِ شُهُورِ الْعَامِ وَاسِطَةَ النِّظَامِ، وَخَصَّهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَزِيدِ
الْفَضْلِ وَالْإِكْرَامِ، وَعَمَّرَ نَهَارَهُ بِالصِّيَامِ، وَنَوَّرَ لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ، فَيَا لَهُ مِنْ مَوْسِمِ
اغْتِنَامٍ لِلذَّوِي الْهِمَمِ وَالْأَغْتِنَامِ. قَاهِرِ الْمُتَجَبَّرِ وَمُذِلِّهِ، وَرَافِعِ الْمُتَوَاضِعِ وَمُجِلِّهِ.
وَهُوَ عِنْدَ الْمُتَكَسِّرَةِ قُلُوبُهُمْ لِأَجَلِهِ، فِي جُنْحِ الظَّلَامِ. الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْقُدُّوسُ
الصَّمَدُ، الَّذِي تَعَالَى عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ وَالْوَلَدِ، وَتَقَدَّسَ عَنِ التَّعْطِيلِ
وَمُشَابَهَةِ الْأَنَامِ. الْمَلِكُ الَّذِي يُؤَلِّي وَيَعْرِلُ، وَيَأْخُذُ وَيُمْهِلُ، وَيَكْشِفُ وَيُسْبِلُ
وَعَمَّ فَضْلُهُ جَمِيعَ الْأَنَامِ. أَحَاطَ عِلْمًا بِجَمِيعِ الْكَوْنِ خَاصَّهُ وَالْعَالَمِ، وَوَسِعَ
سَمْعُهُ دَبِيبَ الذَّرِّ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ زَيَّنَ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ بِوَدَائِعِ مَعْرِفَتِهِ، وَأَوْضَحَ لَهُمُ السَّبِيلَ
فَاسْتَقَامُوا لِخِدْمَتِهِ. وَهُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِذَا دَعَا إِلَى بَابِهِ أَفَاضَ عَلَى الْمُحِبِّينَ
جَزِيلَ الْإِكْرَامِ. مَنْ وَقَفَ بِبَابِهِ تَلَقَّاهُ، وَمَنْ لَازَ بِحِمَاهُ حَمَاهُ وَوَقَّاهُ، فَلَا يُهْضَمُ
وَلَا يُضَامُ. وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَّاهُ، وَنَالَ بِكِفَايَتِهِ الْمُنَى وَالْمَرَامَ.

فَسُبْحَانَهُ مَنْ إِلَهٍ أَيْقَظَ فِي هَذَا الشَّهْرِ قُلُوبًا كَانَ لَهَا إِلَى الْخَيْرَاتِ وَثُوبٌ
وَإِقْدَامٌ، وَأَغْفَلَ فِيهِ قُلُوبًا فَلَمْ يُؤَثِّرْ فِيهَا وَعَظٌ وَلَا مَلَامٌ.

أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ الْعَامِّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ تَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ وَالْتِمَامِ. شَهَادَةٌ مُبَرَّاةٌ مِنَ الشَّرِكِ وَالشُّكُوكِ
وَالْأَوْهَامِ. أَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزَ بِدَارِ السَّلَامِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مَنْ صَلَّى وَصَامَ، وَأَتَقَى مَنْ تَهَجَّدَ وَقَامَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ هَذِهِ الْأَنَامِ، وَمَصَابِيحِ الظَّلَامِ، صَلَاةً دَائِمَةً تَتَعَاقَبُ
بِتَعَاقُبِ الضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ، وَسَلَامٌ تَسْلِيماً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾. هَذَا نَذْبٌ وَحَثٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ إِلَى
الْمُسَارَعَةِ إِلَى نَيْلِ الْقُرْبَاتِ، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، بِأَنْ يُسَارِعُوا إِلَى
مَغْفِرَتِهِ وَجَنَّتِهِ الَّتِي أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ وَقُرَّةِ الْعَيْنِ
وَالْخُلُودِ الْأَبَدِيِّ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ، وَالنِّعَمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ.
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ
فِي رَمَضَانَ، لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ: خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ
الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ - وَفِي رِوَايَةٍ: الْحِجَتَانِ - حَتَّى يُفْطَرُوا،
وَيَزِيْنُ اللَّهُ ﷻ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ثُمَّ يَقُولُ: يُوْشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا
عَنْهُمْ الْمَوْوَنَةَ وَالْأَذَى وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ. وَتُبْصَقُ فِيهِ مَرْدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلَا
يَخْلُصُونَ فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوفَى أَجْرُهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظْلَكُمُ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةُ خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخُصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيهِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ الْمُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يَزَادُ فِيهِ فِي رِزْقِ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِ وَعَثَقَ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفِطِرُ الصَّائِمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَرَ صَائِمًا عَلَى تَمَرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، أَوْ مَذَقَةِ لَبَنٍ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عَثَقٌ مِنَ النَّارِ، مَنْ خَفَّفَ عَنْ مَمْلُوكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَأَغْتَقَهُ مِنَ النَّارِ، فَاسْتَكْثَرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَضَلَتَيْنِ تُرْضَوْنَ بِهِمَا رَبُّكُمُ، وَخَضَلَتَيْنِ لَا غِنَى بِكُمُ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَضَلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضَوْنَ بِهِمَا رَبُّكُمُ فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ، وَأَمَّا الْخَضَلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غِنَى بِكُمُ عَنْهُمَا فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ سَقَى صَائِمًا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةٍ لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَصَحَّحَهُ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو الشَّيْخِ ابْنُ حَيَّانَ.

وَرَوَى كَعْبُ الْأَخْبَارِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَرُدَّ دَعْوَةَ صَائِمِي شَهْرَ رَمَضَانَ يَا مُوسَى، أَلْهِمُ فِي رَمَضَانَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالطَّيْرِ وَالِدَّوَابِّ، أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِصَائِمِي شَهْرَ رَمَضَانَ».

يَا شَهْرَ رَمَضَانَ أَيْنَ أَرْبَابُ الْقِيَامِ؟ أَيْنَ الْمُحَافِظُونَ عَلَى آدَابِ الصِّيَامِ؟ أَيْنَ الْمُجْتَهِدُونَ فِي الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ؟ أَيْنَ الْمُتَهَجِّدُونَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ؟ أَيْنَ

الَّذِينَ يَهْجُرُونَ الْمَنَامَ، وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ لَوْ كَانَ رَمَضَانُ رَمَضَانَ عَلَى الدَّوَامِ؟ ذَهَبُوا إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ، فَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

إِخْوَانِي. اَعْلَمُوا أَنَّ لَشَهْرِ رَمَضَانَ فَضَائِلَ لَا تُحْصَى. وَكَرَامَاتٍ لَا تُسْتَفْصَى. وَيَكْفِي فِيهِ شَرْفًا وَفَضْلًا - آيَاتٌ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، تُقْرَأُ وَتُتْلَى. فَيَا مُضَيِّعَ الزَّمَانِ فِيمَا يَنْقُصُ الْإِيمَانَ مَا أَرَاكَ فِي رَمَضَانَ إِلَّا كَمَا أَنْتَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الزَّمَانِ. أَمَا يَسُوقُكَ إِلَى الْخَيْرِ مَا يَسُوقُ؟ أَمَا يَعُوقُكَ عَنِ الشَّرِّ مَا يَعُوقُ؟ مَتَى تَصِيرُ سَابِقًا يَا مَسْبُوقُ؟ إِلَى مَتَى تُبَادِرُ سُوقَ الْفُسُوقِ؟ أَوَّلُ الْهَوَى سَهْلٌ ثُمَّ تَنْحَرُقُ الْخُرُوقَ، فَبَادِرْ ثُمَّ بَادِرْ، فَإِنَّ لَذَاتِ الدُّنْيَا كَحَظْفِ الْبُرُوقِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ مِضْمَارُ السَّابِقِينَ، وَغَنِيمَةُ الصَّادِقِينَ. فِيهِ تُضَاعَفُ الْأَعْمَالُ وَتُحْطَ الْأَوْزَارُ الثَّقَالُ، وَفِيهِ يُجَابُ السُّؤَالُ، وَيُغْفَرُ لِلْمُسْتَغْفِرِ وَيُقَالُ، فَهُوَ غُرَّةُ الدُّهُورِ، وَمِضْبَاحُ الشُّهُورِ، وَرَبِيعُ الْمُؤْمِنِ يَفْتَتِفُ فِيهِ الْأَجُورَ، وَتُزَيَّنُ فِيهِ الْجَنَانُ وَالْقُصُورُ. فَجُدْ فِيهِ بِالطَّاعَاتِ وَاهْجُرِ الْفُتُورَ.

شِعْر:

قَدْ جَاءَ شَهْرُ الصَّوْمِ فِيهِ الْأَمَانُ	وَالْعِثْقُ وَالْفُورُ بِسُكْنَى الْجِنَانِ
شَهْرٌ شَرِيفٌ فِيهِ نَيْلُ الْمُنَى	وَهُوَ طِرَازُ فَوْقِ كُفِّ الزَّمَانِ
طُوبَى لِمَنْ قَدْ صَامَهُ وَاتَّقَى	مَوْلَاهُ فِي الْفِعْلِ وَنُطْقِ اللِّسَانِ
وَيَا هَنَا مَنْ قَامَ فِي لَيْلِهِ	وَدَمَعُهُ فِي الْخَدِّ يَحْكِي الْجَمَانِ
ذَاكَ الَّذِي قَدْ خَصَّه رَبُّهُ	بِجَنَّةِ الْخُلْدِ وَحُورِ حِسَانِ
هَنَّاكُمُ اللَّهَ بِشَهْرِ أَتَى	فِي مَدْحِهِ الْقُرْآنُ نَصَّ عِيَانِ

فصل

قَالَ فِي «حَادِي الْأَرْوَاحِ»: وَلَمَّا عَلِمَ الْمُؤَفَّقُونَ مَا خَلَقُوا لَهُ، وَمَا أُرِيدَ بِإِيجَادِهِمْ رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا عَلِمَ الْجُنْدُ قَدْ رُفِعَ لَهُمْ فَشَمَّرُوا إِلَيْهِ. وَإِذَا

صِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ قَدْ وَضَحَ لَهُمْ فَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ. وَرَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الْعَبْنِ بَيْعَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فِي أَبَدٍ لَا يَزُولُ وَلَا يَنْفَدُ بِضَبَابَةِ عَيْشٍ إِنَّمَا هُوَ كَأَضْغَاثِ أَحْلَامٍ. أَوْ كَطَيْفٍ زَارَ فِي الْمَنَامِ. مُشْرَبٌ بِالنَّعْصِ. مَمْرُوجٌ بِالْغُصَصِ. إِنْ أَضْحَكَ قَلِيلًا أَبْكَى كَثِيرًا، وَإِنْ سَرَّ يَوْمًا أَحْزَنَ شُهُورًا، آلامُهُ تَزِيدُ عَلَى لَذَاتِهِ، وَأَحْزَانُهُ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَسَرَّاتِهِ، أَوَّلُهُ مَخَافَةٌ، وَآخِرُهُ مَتَالِفٌ، فَيَا عَجَبًا مِنْ سَفِيهِ فِي صُورَةِ حَكِيمٍ. وَمَعْنُوهُ فِي مَسْلَاخٍ عَاقِلٍ. أَثَرَ الْحِطِّ الْفَانِي الْخَسِيسِ، عَلَى الْحِطِّ الْبَاقِي النَّفِيسِ. وَبَاعَ جَنَّةَ عَرْضُهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ، بِسَجْنٍ ضَيْقٍ بَيْنَ أَرْبَابِ الْعَاهَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ فِي جَنَاتٍ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ بِأَعْطَانِ ضَيْقَةٍ آخِرُهَا الْخَرَابُ وَالْبَوَارُ. وَأَبْكَارًا غُرْبًا أَثْرَابًا كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ، بِقَذِرَاتٍ دَنَسَاتٍ سَيِّئَاتِ الْأَخْلَاقِ، مُسَافِحَاتٍ أَوْ مُتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ. وَحُورًا مَقْصُورَاتٍ فِي الْخِيَامِ، بِخَبِيثَاتٍ مُسَيَّيَّاتٍ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَأَنْهَارًا مِنْ خَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، بِشَرَابٍ نَجِسٍ مُذْهِبٍ لِلْعَقْلِ مُفْسِدٍ لِلدُّنْيَا وَالْدِّينِ. وَلَذَّةٍ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، بِالتَّمَتُّعِ بِرُؤْيَا الْوَجْهِ الْقَبِيحِ الدَّمِيمِ، وَسَمَاعِ الْخِطَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ بِسَمَاعِ الْمَعَارِيفِ وَالْغِنَاءِ وَالْأَلْحَانِ، وَالْجُلُوسِ عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ يَوْمَ الْمَرِيدِ، بِالْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الْفُسُوقِ مَعَ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وَنِدَاءِ الْمُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا، وَتَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا، وَتُقِيمُوا فَلَا تَطْعَنُوا، وَتَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا بِغِنَاءِ الْمُعْنَى:

وَقَفَ الْهَوَىٰ يَبِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً - حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمِزْنِي اللَّوْمَ

وَأِنَّمَا يَظْهَرُ الْعَبْنُ الْفَاحِشُ فِي هَذَا الْبَيْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ سَفَهُ بَائِعِهِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالتَّوَدُّعِ. إِذَا حُشِرَ الْمُتَّقُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَا، وَسِيقَ الْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدَا، وَنَادَى الْمُنَادِي عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ:

لِيَعْلَمَنَّ أَهْلُ الْمَوْقِفِ مَنْ أَوْلَىٰ بِالْكَرَمِ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ؟ فَلَوْ تَوَهَّمْ

الْمُتَخَلِّفُ عَنْ هَذِهِ الرَّفْقَةِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْإِكْرَامِ، وَادَّخَرَ لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ. وَمَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ لَمْ يَقَعْ عَلَى مِثْلِهَا بَصَرٌ، وَلَا سَمِعَتْهُ أُذُنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ. لَعَلِمَ أَيَّ بِضَاعَةٍ أَضَاعَ، وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ، وَعَلِمَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ تَوَسَّطُوا مُلْكًا كَبِيرًا لَا تَعْتَرِيهِ الْآفَاتُ وَلَا يَلْحَقُهُ الرِّوَالُ، وَفَازُوا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَوَارِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، فَهُمْ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ يَتَقَلَّبُونَ، وَعَلَى أَسْرَبَتِهَا تَحْتَ الْحِجَابِ يَجْلِسُونَ، وَعَلَى الْفُرُشِ الَّتِي بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ يَتَكَيَّفُونَ، وَبِالْحُورِ الْعِينِ يَتَنَعَّمُونَ، وَبِأَنْوَاعِ الثَّمَارِ يَتَفَكَّهُونَ. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخْلَدُونَ﴾ (٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (٨) وَفَلَكَهَ وَمَا يَتَخَبَّوْنَ ﴿وَلَحْدٍ طَيْرٍ وَمَا يَشْتَهُونَ﴾ (٩) وَحُورٍ عِينٌ ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ﴾ (١٠) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾. يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. تَاللَّهِ لَقَدْ نُوْدِيَ عَلَيْهَا فِي سُوقِ الْكَسَادِ. فَمَا قَلْبَ وَلَا اسْتَامَ إِلَّا أَفْرَادٌ مِنَ الْعِبَادِ، فَوَاعَجَبَا لَهَا كَيْفَ نَامَ طَالِبُهَا، وَكَيْفَ لَمْ يَسْمَحْ بِمَهْرِهَا خَاطِبُهَا؟ وَكَيْفَ طَابَ الْعَيْشُ فِي هَذِهِ الدَّارِ بَعْدَ سَمَاعِ أَخْبَارِهَا؟ وَكَيْفَ قَرَّ لِلْمُشْتَاكِ الْقَرَارُ دُونَ مُعَانَقَةِ أَبْكَارِهَا؟ وَكَيْفَ قَرَّتْ دُونَهَا أَعْيُنُ الْمُشْتَاكِينَ وَكَيْفَ صَبَرَتْ عَنْهَا أَنْفُسُ الْمُوقِنِينَ؟ وَكَيْفَ صَدَقَتْ عَنْهَا قُلُوبُ أَكْثَرِ الْعَالَمِينَ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَعَوَّضَتْ عَنْهَا نَفُوسُ الْمُعْرِضِينَ؟

شِعْرٌ فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ:

وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرَةٌ أَنْ يَنَالَهَا
وَأِنْ حُجِبَتْ عَنْهَا بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
فَلِلَّهِ مَا فِي حَشْوِهَا مِنْ مَسَرَّةٍ
وَلِلَّهِ بَرْدُ الْعَيْشِ بَيْنَ خِيَامِهَا
وَلِلَّهِ وَادِيهَا الَّذِي هُوَ مَوْعِدُ الْمَمِّ
بِذِيَالِكَ الْوَادِي يَهِيمُ صَبَابَةٌ
سَوَى كُفُوهَا وَالرَّبُّ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ
وَحُقَّتْ بِمَا يُؤْذِي النُّفُوسَ وَيُؤْلِمُ
وَأَصْنَافِ لَذَاتِ بِهَا يُتَنَعَّمُ
وَرَوْضَاتِهَا وَالتَّغْرِ فِي الرُّوضِ يَبْسُمُ
زَيْدٍ لَوْفِدِ الْحُبِّ لَوْ كُنْتُ مِنْهُمْ
مُحِبٌّ يَرَى أَنَّ الصَّبَابَةَ مَغْنَمُ

وَلِلَّهِ أَفْرَاحُ الْمُحِبِّينَ عِنْدَمَا
 وَلِلَّهِ أَبْصَارُ تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً
 فَيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الْوَجْدِ نَضْرَةً
 وَلِلَّهِ كَمَ مِنْ خَيْرَةٍ إِنْ تَبَسَّمْتَ
 فَيَا لَذَّةَ الْأَبْصَارِ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
 وَيَا حَجَلَةَ الْعُضْنِ الرَّطِيبِ إِذَا انْثَنَتْ
 فَإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيلٍ بِحُبِّهَا
 وَلَا سِيَّمَا فِي لَثْمِهَا عِنْدَ ضَمِّهَا
 يَرَاهَا إِذَا أَبَدْتَ لَهُ حُسْنَ وَجْهِهَا
 تَفَكَّهُ فِيهَا الْعَيْنُ عِنْدَ اجْتِلَائِهَا
 عَنَاقِيدُ مِنْ كَرَمٍ وَتَفَاحُ جَنَّةٍ
 وَلِلْوَرْدِ مَا قَدْ أَلْبَسَتْهُ خُدُودُهَا
 تَقْسَمُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ
 لَهَا فِرْقُ شَتَى مِنَ الْحُسْنِ أَجْمَعَتْ
 تُذَكِّرُ بِالرَّحْمَنِ مَنْ هُوَ نَاطِرُ
 إِذَا قَابَلْتَ جَيْشَ الْهُمُومِ بِوَجْهِهَا
 فَيَا خَاطِبَ الْحَسَنَاءِ إِنْ كُنْتَ رَاغِبًا
 وَلَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بِغُضْنِهَا
 وَكُنْ مُبْغِضًا لِلْخَائِنَاتِ لِحُبِّهَا
 وَكُنْ أَيْمًا مِمَّنْ سِوَاهَا فَإِنَّهَا
 وَصُمَ يَوْمَكَ الْأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي عَدٍ
 وَأَقْدِمَ وَلَا تَفْنَعْ بِعَيْشٍ مُنْعَصٍ
 وَإِنْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا
 فَحَيَّ عَلَى جَنَاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا

يُخَاطِبُهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيُسَلِّمُ
 فَلَا الضَّيْمُ يَغْشَاهَا وَلَا هِيَ تَسَامُ
 أَمِنْ بَعْدَهَا يَسْلُو الْمُحِبُّ الْمُتِمِّمُ؟
 أَضَاءَ لَهَا نُورٌ مِنَ الْفَجْرِ أَعْظَمُ
 وَيَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ حِينَ تَكَلَّمُ
 وَيَا حَجَلَةَ الْفَجْرَيْنِ حِينَ تَبَسَّمُ
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَضْلُهَا لَكَ مَرَهُمُ
 وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيدِكَ مِعْصَمُ
 يَلْذُ بِهِ قَبْلَ الْوِصَالِ وَيَنْعَمُ
 فَوَاكِهَ شَتَى طَلَعَهَا لَيْسَ يَعْدَمُ
 وَرُمَانُ أَغْصَانٍ بِهِ الْقَلْبُ مُغْرَمُ
 وَلِلْخَمْرِ مَا قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ وَالْفَمُ
 فَيَا عَجَبًا مِنْ وَاحِدٍ يَتَقَسَّمُ
 بِجُمْلَتِهَا أَنَّ السَّلْوَ مُحَرَّمُ
 فَيَنْطِقُ بِالتَّسْبِيحِ لَا يَتَلَعَّثُمُ
 تَوَلَّى عَلَى أَغْقَابِهِ الْجَيْشُ يُهْزَمُ
 فَهَذَا زَمَانُ الْمَهْرِ فَهُوَ الْمُقَدَّمُ
 تَيَقَّنَ حَقًّا أَنَّهُ لَيْسَ يَهْرَمُ
 فَتَحْظَى بِهَا مِنْ دُونِهِنَّ وَتَنْعَمُ
 لِمِثْلِكَ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ تَأَيَّمُ
 تَفُورُ بِعِيدِ الْفِطْرِ وَالنَّاسُ صَوْمُ
 فَمَا فَازَ بِاللَّذَاتِ مَنْ لَيْسَ يُقْدِمُ
 وَلَمْ يَكْ فِيهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ
 مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ

وَلَكِنَّا سَبَّيْ الْعَدُوَّ فَهَلْ تَرَى
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَى
فَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي
وَحَيَّ عَلَى السُّوقِ الَّذِي فِيهِ يَلْتَقِي الـ
فَمَا شِئْتَ خُذْ مِنْهُ بِلَا تَمَنٍّ لَهُ
وَحَيَّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ الَّذِي بِهِ
وَحَيَّ عَلَى وَادِ هُنَالِكَ أَفِيحِ
مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ هُنَاكَ وَفُضَّةٍ
وَكُثْبَانِ مِسْكِ قَدْ جُعِلْنَ مَقَاعِدًا
فَبَيْنَا هُمُو فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
إِذَا هُمْ بِنُورٍ سَاطِعٍ أَشْرَقَتْ لَهُ
تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ جَهْرَةً
«سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» يَسْمَعُونَ جَمِيعُهُمْ
يَقُولُ: سَلُونِي مَا اسْتَهَيْتُمْ، فَكُلُّ مَا
فَقَالُوا جَمِيعًا: نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضَا
فِيَا بَائِعًا هَذَا بِبَخْسٍ مُعَجَّلٍ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْأَبْرَارِ. وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
يَا سَتَّارُ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ وَالْبَوَارِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلِ التَّقْوَى لَنَا أَرْبَحَ بَضَاعَةٍ. وَلَا تَجْعَلْنَا فِي شَهْرِنَا هَذَا مِنْ
أَهْلِ التَّفْرِيطِ وَالْإِضَاعَةِ. وَأَمِنْ خَوْفِنَا يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَاجْعَلْنَا فِي رِيَاضِ
الْجَنَّاتِ مُتَنَعِمِينَ. وَأَمِنَّا عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَذِي خَاتَمِ النَّبِيِّينَ. وَاحْشُرْنَا مَعَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ. الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ. بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْبَابُ الثَّالِثُ

فِي فَضْلِ هَذَا الشَّهْرِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِفَضِيلَةِ الصَّيَامِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَفَتَحَ فِيهِ أَبْوَابَ الْجَنَانِ بِمَا فِيهَا مِنَ السُّرُورِ وَالْحُبُورِ، وَكَمَّلَهَا بِأَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ وَهَيَّأَهَا لِكُلِّ مُوَحِّدٍ شَكُورٍ، وَأَغْلَقَ فِيهِ أَبْوَابَ النَّيْرَانِ، وَأَعَدَّهَا لِكُلِّ مُشْرِكٍ كَفُورٍ، وَرَفَعَ فِيهِ بِعُمُومِ كَرَمِهِ الْعَذَابَ عَنْ أَهْلِ الْقُبُورِ، وَسَلْسَلَ فِيهِ مَرَدَّةَ الشَّيَاطِينِ فَكُلُّ مِنْهُمْ مُسَلْسَلٌ مَأْسُورٌ. وَاسْتَعْبَدَ فِيهِ خُلَاصَةَ ارْتِضَاهَا لِخِدْمَتِهِ، وَكَفَّ عَنْ قُلُوبِهِمُ الْحُجْبَ وَالسُّتُورَ، فَنَضَبُوا فِي خِدْمَتِهِ الْأَقْدَامَ. وَلَا زَمُوا الصَّيَامَ وَالْقِيَامَ، وَأَنْصَبُوا الْأَبْدَانَ، وَبَادَرُوا الْوَقْتَ وَالزَّمَانَ، وَهَجَرُوا التَّوَانِي وَالْفُتُورَ، عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَّةٌ فَقَنَعُوا مِنْهَا بِأَقْلٍ مَيْسُورٍ، وَتَاجَرُوا لِلْآخِرَةِ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ، لِيُؤَفِّقَهُمْ أَجُورُهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ، وَحَكَمَ عَلَى آخَرِينَ بِالطَّرْدِ، فَأَثَرُوا التَّقْصِيرَ وَرَضُوا بِالْقُصُورِ، سَفَلَتْ هِمَمُهُمْ وَدَنَتْ مَطَالِبُهُمْ. فَهِيَ عَلَى جَيْفِ الدُّنْيَا تَدُورُ.

فَسُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ عَظَاءَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فَهَذَا مَقْبُولٌ وَهَذَا مَرْدُودٌ، وَهَذَا مُوَفَّقٌ لِلْخَيْرِ وَهَذَا مَضْدُودٌ، وَهَذَا مَجْبُورٌ وَهَذَا مَكْسُورٌ، مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ تَلَقَّاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَمَنْ لَازَ بِجَنَابِهِ بَلَغَهُ مَا يُرِيدُ. وَمَنْ شَكَرَهُ عَلَى إِنْعَامِهِ فَقَدْ تَكَفَّلَ بِالْمَزِيدِ، لِأَهْلِ الشُّكْرِ مِنْ صَالِحِ الْعَبِيدِ.

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ أَحَقُّ مَحْمُودٍ وَأَعْظَمُ مَذْكُورٍ. وَأَشْكُرُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمٍ تَتَجَدَّدُ بِالرَّوَّاحِ وَالْبُكُورِ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَدْعُوهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ فَهُوَ الْعَفُورُ الشُّكُورُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ كُلِّ مُشْرِكٍ كَفُورٍ، شَهَادَةً تَنْفَعُ قَائِلَهَا يَوْمَ النُّشُورِ وَتَرْفَعُهُ فِي غُرَفِ الْجَنَّاتِ وَالْقُصُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ دَاعٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَمُحَذِّرٍ مِنَ الشُّرُورِ.

وَأَتَقَى مَنْ صَلَّى وَصَامَ. وَتَهَجَّدَ وَقَامَ. وَامْتَثَلَ الْمَأْمُورَ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ لِلْأَهْتِدَاءِ نُجُومٌ وَلِلظُّلُمِ بُدُورٌ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ هَذَا مَذْحٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِشَهْرِ رَمَضَانَ يَمْتَدُّهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ، بِأَنَّهُ اخْتَارَهُ مِنْ بَيْنِهِنَّ لِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَكَمَا اخْتَصَّهُ بِذَلِكَ قَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي كَانَتْ الْكُتُبُ الْإِلَهِيَّةُ تَنْزِلُ فِيهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ اخْتَصَّهُ اللَّهُ بِالصَّيَامِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجُورِ وَالْأَعْمَالِ، وَفِي مَعْنَى إِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أُنْزِلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْزِلَ نُجُومًا مُفْرَقًا بَعْدَهُ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الثَّانِي: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِفَرْضِ صِيَامِهِ.

الثَّالِثُ: أُنْزِلَ بِفَضْلِهِ الْقُرْآنُ.

الرَّابِعُ: ابْتَدَى فِيهِ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ هُدًى لِلنَّاسِ، أَيْ بَيَانًا لَهُمْ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ. الْبَيِّنَاتُ هِيَ الْآيَاتُ الْوَاضِحَاتُ.

فَلِلَّهِ دَرُّ هَذَا الشَّهْرِ كَمَ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ الْجَمَّةِ وَالْخَيْرَاتِ الْعَظِيمَةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ «أَنَّهُ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ»، فَأَوَّلُ هَذَا الشَّهْرِ رَحْمَةٌ. وَلِهَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «أَنَّهُ تَفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ» وَهِيَ لِلْمُحْسِنِينَ الْمُتَّقِينَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فَيُقَاسُ عَلَى الْمُتَّقِينَ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ خَلْعُ الرَّحْمَةِ وَالرَّضْوَانِ، وَيُعَامَلُ أَهْلُ الْإِحْسَانِ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ وَثَوَابِهِ

الْجَنَّةُ وَيُزَادُ فِيهِ بِرِزْقِ الْمُؤْمِنِ وَتُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ. وَيُصَفَّدُ فِيهِ كُلُّ مَارِدٍ وَشَيْطَانٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ لِحَازِنِ الْجَنَانِ: «يَا رِضْوَانُ، افْتَحْ أَبْوَابَ الْجَنَانِ. وَيَا مَالِكُ أَعْلِقْ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ عَنِ الصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ. يَا جِبْرِيلُ اهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ فَاصْطَفِ مَرَدَّةَ الشَّيَاطِينِ وَغَلِّهِمْ بِالْأَغْلَالِ، ثُمَّ اقْذِفْهُمْ فِي الْبَحَارِ حَتَّى لَا يُفْسِدُوا عَلَى أُمَّةٍ حَبِيبِي مُحَمَّدٍ ﷺ صِيَامَهُمْ. قَالَ: وَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ سُؤْلَهُ. هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ يَفْرِضُ الْمَلْيَ غَيْرَ الْعُدُومِ، وَالْوَفَى غَيْرَ الظُّلُومِ؟ قَالَ: وَلِلَّهِ ﷻ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ أَلْفُ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلَّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَعْتَقَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِقَدْرِ مَا أَعْتَقَ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ - وَسَاقَ الْحَدِيثَ» وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ مَنْ أَجْمَعَ عَلَى تَضَعِيفِهِ.

إِخْوَانِي: طُوبَى لِعَبْدٍ تَنَبَّهَ مِنْ رُقَادِهِ. وَبَالَغَ فِي حِذَارِهِ. وَأَخَذَ مِنْ زَمَانِهِ بِأَيْدِي بِدَارِهِ. وَأَعَذَرَ فِي الْأَمْرِ قَبْلَ شَيْبِ عَذَارِهِ. وَلَمْ يَرْضَ مِنَ الزَّادِ بِقَلِيلِهِ وَاخْتِصَارِهِ. فَيَا أَيُّهَا الْعَافِلُ عَنْ فَضِيلَةِ هَذَا الشَّهْرِ اعْرِفْ زَمَانَكَ. يَا كَثِيرَ الْحَدِيثِ فِيمَا يُؤْذِي احْفَظْ لِسَانَكَ، يَا مَسْئُولًا عَنْ أَعْمَالِهِ اعْقِلْ شَأْنَكَ، يَا مُتَلَوِّنًا بِالزَّلَّلِ اغْسِلْ بِالتَّوْبَةِ مَا شَانَكَ. يَا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ كُلُّ قَبِيحٍ تَصَفَّحْ دِيوَانَكَ. هَذَا شَهْرُ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ. هَذَا مَوْسِمُ الْخَيْرَاتِ لِأَهْلِ الْإِغْتِنَامِ، شَهْرُ مُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ. شَهْرُ إِقَالَةِ الْعَثَرَاتِ. فِيهِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَوَاتِ. وَتَرْتَفِعُ فِيهِ

الْأَصْوَاتُ بِالْجَنَاطِ. وَتُشْرِفُ الْحُورُ الْعَيْنُ مِنَ الْجَنَّاتِ. يَبْتَغِينَ الْأَزْوَاجَ مِنَ أَهْلِ الطَّاعَاتِ، فَطُوبَى لِمَنْ تَلَقَّاهُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، وَطَهَّرَ فِيهِ الْجَوَارِحَ مِنَ الْآثَامِ وَالْمَعَاصِي وَالْقَبَائِحِ، لَعَلَّهُ يَحْظَى فِيهِ بِالْقَبُولِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّاتِ.

هَذَا - عِبَادَ اللَّهِ - شَهْرٌ اخْتَصَّهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ. وَأَعْظَمَ فِيهِ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمُضَاعَفَةِ الْأُجُورِ. فَمَا لَكَ لَا تُسَمِّرُ فِيهِ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ. تَاللَّهِ إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ لَا يُشَبِّهُ الشُّهُورَ.

شِعْرٌ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ وَأَنَّكَ لَمْ تَرُصْ كَمَا كَانَ أَرَصَدَا

وَقَدْ أَمَنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَفْضُلَ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ بَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا فَإِنَّهُ يُفْطِرُ وَيَقْضِيهِ فِي عِدَّةِ أَيَّامٍ أُخَرَ، فَيَبْتَاعُ لِلْمُسَافِرِ الْفِطْرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ أَخْذًا بِرُخْصَةِ اللَّهِ ﷻ، وَإِنْ صَامَ فَلَا بَأْسَ وَأَجْرَاهُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْمَرِيضُ وَالْحَامِلُ وَالْمُرْضِعُ إِذَا خَافَتَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا أَفْطَرَتَا وَقَضَتَا، وَعَلَى وَلَدَيْهِمَا تَقْضِيَانِ وَتُطْعِمَانِ لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا، فَإِذَا كَانَ الْمُكَلَّفُ صَحِيحًا مُّقِيمًا فَإِنَّهُ يَلْزِمُهُ الصَّوْمُ حَتْمًا، وَعَلَيْهِ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ إِنْ أَفْطَرَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ.

فَسُبْحَانَ مَنْ افْتَرَضَ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ. وَحَبَاهُمْ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ. وَخَصَّهُمْ فِيهِ بِالْعِتْقِ مِنَ النَّيرانِ. وَجَعَلَهُ صِحَّةً لِلْأَبْدَانِ، وَمَظْهَرَةً لِلْقَلْبِ وَاللِّسَانِ. مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعِصْيَانِ. وَأَنْزَلَ فِيهِ عَلَى سَيِّدِ الْبَشَرِ. تَرْخِيصًا فِي الصَّوْمِ لِمَنْ أَصَابَهُ مَرَضٌ أَوْ ضَرَرٌ ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: قَدْ أَمَكَّنْكُمْ مِنَ التَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ مَنْ أَوْسَعَ لَكُمْ مَوَاسِمَهَا.

وَيَسِّرْ لَكُمْ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ مَنْ بَيَّنَ لَكُمْ مَعَالِمَهَا، وَرَغَّبَكُمْ فِي الْخَيْرَاتِ مَنْ
وَقَرَّ مَغَانِمَهَا. وَدَعَاكُمْ إِلَى رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ مَنْ مَنَحَكُمْ كَرَائِمَهَا، فَاحْمَدُوا اللَّهَ
تَعَالَى عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَخَصَّكُمْ بِبَنِيِّ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ.

شِعْر:

فَحَافِظٌ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ	لَخَامِسُ أَرْكَانِ لِدِينِ مُحَمَّدٍ
تُغْلَقُ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ إِذَا أَتَى	وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَانِ لِمُسْعِدِ
وَيُزْتَفَعُ عَنْ أَهْلِ الْقُبُورِ عَذَابُهُمْ	وَيُضْفَدُ فِيهِ كُلُّ شَيْطَانٍ مُعْتَدِ
وَيُبْسَطُ فِيهِ الرِّزْقُ لِلْخَلْقِ كُلِّهَا	وَيَسْهَلُ فِيهِ فِعْلُ كُلِّ التَّعَبِ
تُزْخَرَفُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَحُورُهَا	لِأَهْلِ الرِّضَى فِيهِ وَأَهْلِ التَّهَجُّدِ
وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِلَيْلَةٍ	عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلَتْ فَلْتُرْصِدِ
فَقُمْ لَيْلَهُ وَاظْطَعْ نَهَارَكَ صَائِمًا	وَصُنْ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مُؤِهِ وَمُفْسِدِ

فَضْلٌ

قَالَ فِي اللَّطَائِفِ: لَمَّا أَهْطَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ بَكَى عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ - فِيمَا
يُرَوَّى - ثَلَاثِمِائَةَ عَامٍ. وَحَقَّ لَهُ ذَلِكَ. كَانَ فِي دَارٍ لَا يَجُوعُ فِيهَا وَلَا يَعْرَى، وَلَا
يُظْمَأُ فِيهَا وَلَا يَضْحَى، فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ أَصَابَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ. وَكَانَ إِذَا رَأَى
جِبْرِيلَ عليه السلام يَتَذَكَّرُ بِرُؤْيَيْهِ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ، فَيَسْتَدُّ بِكَأُوهُ حَتَّى يَبْكِي جِبْرِيلُ عليه السلام
لِبُكَائِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: مَا هَذَا الْبُكَاءُ يَا آدَمُ؟ فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَا أَبْكِي وَقَدْ أُخْرِجْتُ
مِنْ دَارِ النُّعْمَةِ إِلَى دَارِ الْبُؤْسِ؟ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ وَلَدِهِ: لَقَدْ آذَيْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ
بِبُكَائِكَ. فَقَالَ: إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى أَصْوَاتِ الْمَلَائِكَةِ حَوْلَ الْعَرْشِ. وَفِي رِوَايَةٍ
قَالَ: إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى جِوَارِ رَبِّي فِي دَارِ تَرْبَتِهَا طَيِّبَةٍ، أَسْمَعُ فِيهَا أَصْوَاتَ
الْمَلَائِكَةِ. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: أَبْكِي عَلَى دَارٍ لَوْ رَأَيْتَهَا لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا.

وَرُوي أَنَّهُ قَالَ لِوَلَدِهِ: كُنَّا نَسْلًا مِنْ نَسْلِ السَّمَاءِ، خُلِقْنَا كَخَلْقِهِمْ،

وَعُدِّينَا بِغَدَائِهِمْ، فَسَبَّانَا عَدُوْنَا إِبْلِيسَ فَلَيْسَ لَنَا فَرْحٌ وَلَا رَاحَةٌ إِلَّا اللَّهُمَّ وَالْعَنَاءُ حَتَّى نُرَدَّ إِلَى الدَّارِ الَّتِي أَخْرَجْنَا مِنْهَا.
شِعْر:

فَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَذْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُحَيِّمُ
وَلَكِنَّا سَبَّيْ الْعَدُوَّ فَهَلْ تُرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ
لَمَّا التَقَى آدَمَ وَمُوسَى ﷺ، عَاتَبَ مُوسَى آدَمَ عَلَى إِخْرَاجِهِ نَفْسَهُ وَذُرِّيَّتَهُ
مِنَ الْجَنَّةِ، فَاحْتَجَّ آدَمُ بِالْقَدَرِ السَّابِقِ. وَالْأَحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ
حَسَنٌ، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا
وَكَذَا، قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

شِعْر:

وَاللَّهُ لَوْلَا سَابِقُ الْأَقْدَارِ لَمْ تَبْعُدْ قَطُّ دَارُكُمْ عَنْ دَارِي
مِنْ قَبْلِ النَّأْيِ جَزِيَّةَ الْمِقْدَارِ هَلْ يَمْحُو الْعَبْدُ مَا قَضَاهُ الْبَارِي
لَمَّا ظَهَرَتْ فَضَائِلُ آدَمَ ﷺ عَلَى الْخَلَائِقِ، بِسُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ، وَتَعْلِيمِهِ
أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِخْبَارِهِ الْمَلَائِكَةَ بِهَا وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ لَهُ كَاسْتِمَاعِ الْمُتَعَلِّمِ مِنْ
مُعَلِّمِهِ، حَتَّى أَقْرَأُوا بِالْعَجْزِ عَنْ عِلْمِهِ، وَأَقْرَأُوا لَهُ بِالْفَضْلِ. وَأُسْكِنَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ
الْجَنَّةَ: ظَهَرَ الْحَسَدُ مِنْ إِبْلِيسَ، وَسَعَى فِي الْأَذَى - وَمَا زَالَتِ الْفَضَائِلُ إِذَا
ظَهَرَتْ تُحْسَدُ - فَمَا زَالَ يَحْتَالُ عَلَى آدَمَ حَتَّى تَسَبَّبَ فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ الْجَنَّةِ.
وَمَا فَهِمَ الْأَبْلَهُ أَنَّ آدَمَ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا كَمَلَتْ فَضَائِلُهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْجَنَّةِ عَلَى
أَكْمَلٍ مِنْ حَالِهِ الْأَوَّلِ. إِنَّمَا أَهْلَكَ إِبْلِيسَ الْعَجَبُ بِنَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﴿أَنَا خَيْرٌ
مِّنْهُ﴾ وَإِنَّمَا كَمَلَتْ فَضَائِلُ آدَمَ بِاعْتِرَافِهِ عَلَى نَفْسِهِ ﴿فَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ
تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٢٣).

شِعْر:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حُسُودٍ

لَوْلَا اسْتِعْمَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرْفِ الْعُودِ

احْذَرُوا هَذَا الْعَدُوَّ الَّذِي أَخْرَجَ أَبَاكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَإِنَّهُ سَاعٍ فِي مَنْعِكُمْ مِنَ الْعُودِ إِلَيْهَا بِكُلِّ سَبِيلٍ، وَالْعَدَاوَةُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ قَدِيمَةٌ، فَإِنَّهُ مَا أَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ وَطَرِدَ عَنِ الْخِدْمَةِ، إِلَّا بِسَبَبِ تَكْبَرِهِ عَلَى أَبِيكُمْ وَامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ لَهُ لَمَّا أُمِرَ بِهِ، وَقَدْ أُبْلِسَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَأَيَسَ مِنَ الْعُودِ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَحَقَّقَ خُلُودُهُ فِي النَّارِ، فَهُوَ يَجْتَهِدُ عَلَى أَنْ يُخَلِّدَ مَعَهُ فِي النَّارِ بَنِي آدَمَ، وَقَدْ حَذَرَكُم مَوْلَاكُمْ مِنْهُ، وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ. فَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴿يَبْنَى آدَمَ لَا يَفْنَى﴾ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴿.

الْعَجَبُ مِمَّنْ عَرَفَ رَبَّهُ ثُمَّ عَصَاهُ! وَعَرَفَ الشَّيْطَانَ ثُمَّ أَطَاعَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿افْتَحِدُونِي وَذُرِّيَّتِي أُولَئِكَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.

شِعْر:

رَعَى اللَّهَ مَنْ نَهَوَى وَإِنْ كَانَ مَا رَعَى حَفِظْنَا لَهُ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ فَضِيْعًا
وَصَاحِبَتِ قَوْمًا كُنْتُ أَنَّهَُاكَ عَنْهُمْ وَحَقِّكَ مَا أَبْقَيْتَ لِلصُّلَحِ مَوْضِعًا

يَا مَنْ مَعَاصِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى. يَا مَنْ رَضِيَ أَنْ يُطْرَدَ وَيُقْصَى. يَا دَائِمَ الزَّلَلِ وَكَمْ يُنْهَى وَيُوصَى. يَا جَهُولًا بِقَدْرِنَا وَمِثْلُنَا لَا يُعْصَى. أَرْضُ حُرْمَتِ الْمَطَرِ فَتَنْفَعُهَا قَلِيلٌ. قَلْبُ حُرْمِ الْإِيمَانِ فَمَوْتُهُ طَوِيلٌ. بَدَنٌ لَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِسْلَامِ غُرْبَانٌ ذَلِيلٌ. لِسَانٌ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَهُوَ كَلِيلٌ. عَامِلٌ لَا يَجِدُ التَّوْفِيقَ فَالْعَمَلُ مِنْهُ مُسْتَحِيلٌ. مُذْنِبٌ لَا تُدْرِكُهُ الرَّحْمَةُ فَهُوَ حَقِيرٌ ذَلِيلٌ، فَإِذَا رَأَيْتَ أَرْضًا مَيِّتَةً، فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْهَا رَحْمَتَهُ. وَإِذَا رَأَيْتَ قَلْبًا غَافِلًا عَنِ النِّيَّةِ وَالْإِحْسَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ آثَارُ الْإِيمَانِ. وَإِذَا رَأَيْتَ بَدَنًا يَتَهَاوَنُ فِي أَدَاءِ الْمَكْتُوبَةِ فَاعْلَمْ أَنَّ آثَارَ الْإِسْلَامِ عَنْهُ مَحْجُوبَةٌ. وَإِذَا رَأَيْتَ حَامِلَ الْقُرْآنِ مُصِرًّا عَلَى الْعِصْيَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجُرْمَانِ وَالْخِذْلَانِ، يَلْعَنُهُ فِي قَلْبِهِ نُورُ الْقُرْآنِ. وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا مَضْرُوفًا عَنِ التَّحْقِيقِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ

يَصِلُ إِلَيْهِ أَثَرُ التَّوْفِيقِ. وَإِذَا رَأَيْتَ عَبْدًا مُلَازِمًا لِلْجَفَاءِ، مُقَرَّطًا فِي الْوَفَاءِ،
فَأَيْنَ بَرَكَتُهُ اتِّبَاعِ الْمُصْطَفَى؟

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: آدَمُ أَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ
الذُّنُوبَ وَتُكْثِرُونَ مِنْهَا وَتُرِيدُونَ أَنْ تَدْخُلُوا بِهَا الْجَنَّةَ.
قَالَ:

تَصِلُ الذُّنُوبُ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي دَرَجَ الْجَنَانِ بِهَا وَفُوزَ الْعَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ
اللَّهُمَّ يَا جَابِرَ كَسْرِ الْمُنْكَسِرِينَ، وَيَا مُغِيثَ الْمَلْهُوفِينَ وَالْمُسْتَغِيثِينَ،
نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَابِلَ إِسَاءَتَنَا بِإِحْسَانِكَ، وَتَقْصِرَنَا بِعَفْوِكَ وَامْتِنَانِكَ.

اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ نُفُوسِنَا الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ أَعْدَائِنَا، أَمْنُنْ عَلَيْنَا بِالتَّوْفِيقِ
بِعَمَلِ إِلَيْكَ يُقَرِّبُنَا، وَأَتِمِّمْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا، وَأَدِّمْ عَلَيْنَا إِحْسَانَكَ
كَمَا عَوَّدْتَنَا، فَهَا نَحْنُ عَبِيدُكَ قَدْ أَلْقَيْنَا نُفُوسَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَطَمِعْنَا بِحُسْنِ
وَعْدِكَ وَجَمِيلِ رِفْدِكَ فِيمَا لَدَيْكَ.

اللَّهُمَّ نَزَّهْ قُلُوبَنَا عَنِ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونَكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمٍ تُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَكَ، وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الرَّابِعُ

فِي فَضْلِ أَوْقَاتِهِ الشَّرِيفَةِ وَمَا لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَهِدَتْ بِوُجُودِهِ آيَاتُهُ الْبَاهِرَةُ، وَدَلَّتْ عَلَى كَرَمِهِ وَجُودِهِ
نِعَمُهُ الْبَاطِنَةُ وَالظَّاهِرَةُ، وَسَبَّحَتْ بِحَمْدِهِ الْأَفْلَاكُ الدَّائِرَةُ، وَالرِّيَّاحُ السَّائِرَةُ،
وَالشُّجُبُ الْمَاطِرَةُ، وَالرِّيَاضُ النَّاصِرَةُ، هُوَ الْأَوَّلُ فَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَالْآخِرُ

فَالْيَه الرَّجُوعُ يَوْمَ الْحَشْرِ، وَالظَّاهِرُ فَلَهُ الْحُكْمُ وَالْقَهْرُ، وَالْبَاطِنُ يَعْلَمُ السِّرَّ
وَالْجَهْرَ. وَالْأَلْسُنُ عَنْ وَصْفِ كِبْرِيَاءِهِ قَاصِرَةٌ. تَحِيرَتْ دُونَ صَمْدِيَّتِهِ الْأَلْبَابُ.
وَانْقَطَعَتْ عَنْ جَبَرِيَّتِهِ الْأَنْسَابُ، وَخَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ الرِّقَابُ، وَذَلَّتْ لِرُبُوبِيَّتِهِ
الْأَرْبَابُ، وَأَثْبَتَ مَا قَضَاهُ وَقَدَرَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ. فَأَقْدَارُهُ فِي بَرِّيَّتِهِ سَائِرَةٌ.
الْقُدُّوسُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ الصَّمَدُ. الْغَنِيُّ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ جُحُودُ مَنْ
جَحَدَ. الْعَزِيزُ الَّذِي نَضَّرَ وَجْهَ مَنْ تَذَلَّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَجَدَ. وَوُجُوهُ الْجَاغِدِينَ
وَالْمُسْتَبْهِينَ بَاسِرَةٌ. قَرَّبَ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ بِسَاطِ إِفْضَالِهِ، وَلَقَّاهُمْ السُّرُورَ بِيَمْنِ
إِقْبَالِهِ، وَأَحْيَا قُلُوبَهُمْ بِشُهُودِ جَمَالِهِ، وَعَامَلَهُمْ بِجَزِيلِ نَوَالِهِ، فَهُمْ فِي جَنَّةِ
عَاجِلَةِ عَاطِرَةٍ. النَّاسُ فِي مَهَادِ الْعَفْلَةِ رُقُودٌ، وَهُمْ بَيْنَ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ،
وَأَشْوَاقٍ وَإِمْلَاقٍ وَوُجُودٍ، يَسْأَلُونَ الْمَوْلَى فَيُعْطِفُ وَيَجُودُ. فَيُطَوِّنُهُمْ فِي النَّهَارِ
صَائِمَةً، وَأَعْيَنُهُمْ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ سَاهِرَةً. وَحَجَبَ الْعَافِلِينَ بِحُجُبِ الْحَيَاةِ
الْعَاجِلَةِ، فَهِيَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِهِ غَافِلَةٌ. وَصَرَفَ أَسْرَارَهُمْ فَهِيَ عَنْ جَبَلِيَّةِ
الْعِرْفَانِ عَاطِلَةٌ، وَحَرَمَهُمْ مِنْ أُنْسِ الْمُنَاجَاةِ وَلَذَّةِ الْمُعَامَلَةِ. وَأَعَسَى بِصَائِرِهِمْ
فَهِيَ عَنْ إِنْصَارِ الْحَقِّ غَيْرُ نَاطِرَةٍ. وَفَقَّ الْعَامِلِينَ فَقَامُوا وَجْهَدُوا، ثُمَّ وَصَلُوا
وَنَالُوا مَا قَصَدُوا. فَحُطُّوا وَاسْتَرَاخُوا وَحَمِدُوا. فَمَا أَقَلَّ تَعَبُهُمْ فِي جَنْبِ مَا
وَجَدُوا. فَيَا سَعَادَتَهُمْ فِي دَارِ الْآخِرَةِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى وَمَنَعَ. وَخَفَضَ وَرَفَعَ. وَفَرَّقَ وَجَمَعَ. وَوَصَلَ وَقَطَعَ.
وَبِحُكْمَتِهِ رَبَحَتْ الطَّائِفَةُ الرَّابِعَةُ، وَخَسِرَتْ الطَّائِفَةُ الْخَاسِرَةُ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ النِّعَمِ. وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا كَفَّاهُ مِنَ النِّقَمِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ وَالْقَدَمِ.
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، الْمَبْعُوثُ إِلَى كَافَّةِ الْأُمَمِ مِنَ
الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ نُجُومِ الْهُدَى الزَّاهِرَةِ.
صَلَاةٌ دَائِمَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ بِالسَّاهِرَةِ. وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٣﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٤﴾﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْقَائِمِينَ بِالْكِتَابِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الْمُصَدِّقُ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، فَقَالَ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وَهُمْ هَذِهِ الْأُمَّةُ. ثُمَّ قَسَمَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ الْمُفْرَطُ فِي بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، الْمُرْتَكِبُ لِبَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَهُوَ الْمُؤَدِّي لِلْوَاجِبَاتِ التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ وَقَدْ يَتْرُكُ بَعْضَ الْمُسْتَحَبَّاتِ وَيَفْعَلُ بَعْضَ الْمَكْرُوهَاتِ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ، وَهُوَ الْفَاعِلُ لِلْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ التَّارِكُ لِلْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَبَعْضِ الْمُبَاحَاتِ.

وَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ «إِنَّ السَّابِقَ بِالْخَيْرَاتِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالْمُقْتَصِدُ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ هُوَ الَّذِي يَجِيءُ بِذُنُوبٍ دُونَ الشُّرْكِ، فَإِذَا تَقَوَّا مِنْ ذُنُوبِهِمْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قَالَ: هُوَ الَّذِي خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا.

وَلَمَّا سُئِلَتْ عَائِشَةُ ؓ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ - الْآيَةِ، قَالَتْ لِلْسَّائِلِ: يَا بُنَيَّ، هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ. أَمَّا السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ فَمَنْ مَضَى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ فَمَنْ اتَّبَعَ أَثَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى لَحِقَ بِهِمْ، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَمِثْلِي وَمِثْلُكَ قَالَ: فَجَعَلْتَ نَفْسَهَا ؓ مَعَنَا. وَهَذَا مِنْهَا مِنْ بَابِ الْهَضْمِ وَالتَّوَاضُعِ، وَإِلَّا فَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ السَّابِقِينَ بِالْخَيْرَاتِ. لِأَنَّ فَضْلَهَا عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لِدَعْوَةٍ مَا تُرَدُّ» قَالَ الرَّائِي: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ عِنْدَ فِطْرِهِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالدَّعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ السَّمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ ﷺ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرَحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرَحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ».

أَمَّا فَرَحَةُ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ فَإِنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى الْمِيلِ إِلَى مَا يَلَائِمُهَا: مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَنْكِحٍ؛ فَإِذَا مُنِعَتْ مِنْ ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ثُمَّ أُبِيحَ لَهَا فِي وَقْتٍ آخَرَ فَرِحَتْ بِإِبَاحَةِ مَا مُنِعَتْ مِنْهُ، خُصُوصًا عِنْدَ اسْتِدَادِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فَإِنَّ النُّفُوسَ تَفْرَحُ بِذَلِكَ طَبْعًا، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَحْبُوبًا لِلَّهِ كَانَ مَحْبُوبًا شَرْعًا، وَالصَّائِمُ عِنْدَ فِطْرِهِ كَذَلِكَ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الصَّائِمِ فِي نَهَارِ الصِّيَامِ تَنَاوُلَ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ فَقَدْ أَذِنَ لَهُ فِيهَا فِي لَيْلِ الصِّيَامِ، بَلْ أَحَبَّ مِنْهُ الْمُبَادَرَةَ إِلَى تَنَاوُلِهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ، فَأَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا، وَاللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ، فَالصَّائِمُ تَرَكَ شَهَوَاتِهِ بِالنَّهَارِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ وَطَاعَةً لَهُ، وَيُبَادِرُ إِلَيْهَا فِي اللَّيْلِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ وَطَاعَةً لَهُ، فَمَا تَرَكَهَا إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَلَا عَادَ إِلَيْهَا إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهِ، فَهُوَ مُطِيعٌ لَهُ فِي الْحَالَيْنِ.

وَلِهَذَا نَهَى عَنِ الْوِصَالِ فِي الصِّيَامِ، فَإِذَا بَادَرَ الصَّائِمُ إِلَى الْفِطْرِ تَقَرُّبًا إِلَى مَوْلَاهُ، وَأَكَلَ وَشَرَبَ وَحَمِدَ اللَّهَ فَإِنَّهُ يُرْجَى لَهُ الْمَغْفِرَةُ أَوْ بُلُوغُ الرِّضْوَانِ، وَفِي الْحَدِيثِ «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ

الشَّرْبَةُ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَرُبَّمَا اسْتُجِيبَ دُعَاؤُهُ عِنْدَ ذَلِكَ» كَمَا تَقَدَّمَ، وَإِنْ نَوَى بِأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ تَقْوِيَةً بَدَنِهِ عَلَى الْقِيَامِ وَالصَّيَامِ كَانَ مُثَابًا عَلَى ذَلِكَ. كَمَا أَنَّهُ إِذَا نَوَى بِنَوْمِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ التَّقْوَى عَلَى الْعَمَلِ كَانَ نَوْمُهُ عِبَادَةً.

وَرَدَ فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ «نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ» قَالَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «الصَّائِمُ فِي عِبَادَةِ مَا لَمْ يَغْتَبِ أَحَدًا، وَإِنْ كَانَ نَائِمًا عَلَى فِرَاشِهِ» فَكَانَتْ حَفْصَةُ تَقُولُ: «يَا حَبْدًا عِبَادَةٌ وَأَنَا نَائِمَةٌ عَلَى فِرَاشِي» أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

فَالصَّائِمُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ فِي عِبَادَةٍ، وَيُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُ فِي صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ.

فَهَذَا مَعْنَى فَرَحِ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَيَدْخُلُ هَذَا الْفَرْحُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وَلَكِنَّ شَرْطَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى حَلَالٍ، فَإِنْ كَانَ فِطْرُهُ عَلَى حَرَامٍ كَانَ مِمَّنْ صَامَ عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ وَأَفْطَرَ عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَلَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ دُعَاؤُهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي «الَّذِي يُطِيلُ السَّفَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ» فَهَذَا فَرْحُ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ.

وَأَمَّا فَرَحُهُ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَهُوَ فَرَحُهُ بِمَا يَجِدُهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ثَوَابِ الصَّيَامِ مَدْخُورًا لَهُ، فَيَجِدُهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَقْضُوا مِنْ خَيْرٍ نَجِدُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «إِنَّ ثَوَابَ الصَّيَامِ لَا يَأْخُذُهُ الْغُرَمَاءُ فِي الْمَطَالِمِ، بَلْ يَدْخِرُهُ اللَّهُ عِنْدَهُ لِلصَّائِمِ حَتَّى يُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ» وَعَنْ عِيسَى ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَزَنَتَانِ، فَاَنْظَرُوا مَاذَا تَضْعَوْنَ فِيهِمَا» فَلَا يَأْتِي خَزَائِنُ النَّاسِ مُمْتَلِئَةً بِمَا خَزَنُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ تُفْتَحُ هَذِهِ الْخَزَائِنُ لِأَهْلِهَا،

فَالْمُتَّقُونَ يَجِدُونَ فِي خَزَائِنِهِمُ الْعِزَّ وَالْكَرَامَةَ، وَالْمُذْنِبُونَ يَجِدُونَ فِي خَزَائِنِهِمُ الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ.

شعر:

وَأَخْذُ مَنْ تَقَى الرَّحْمَنَ أَكْثَمَ جَنَّةٍ لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عَيْنَانَا جَهَنَّمَ
وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا فَهَآوٍ وَمَخْدُوشٌ وَنَاجٍ مُسَلَّمٌ
وَيَأْتِي إِلَهُ الْعَالَمِينَ لَوَعْدِهِ فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَحْكُمُ
وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّهُ فَيَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلَائِقِ يَظْلِمُ
وَيُنْشَرُ دِيْوَانُ الْحِسَابِ وَتُوضَعُ الـ حَوَازِينُ بِالْقِسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلِمُ
فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى كَذَاكَ عَلَى فِيهِ الْمُهَيِّمُ يَخْتِمُ

فَصْلٌ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾﴾ وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ وَقَالَ ﷺ: ﴿جَنَّاتٌ عِدْنٍ مُنْفَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾﴾ وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ وَقَالَ ﷺ: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ وَقَالَ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَأَخْرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ
بَذْرِ فَجَاءَتْ أُمُّهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتُ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي فَإِنْ يَكُنْ
فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجَنَّةٍ
وَاحِدَةٍ، إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى».

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ
أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ. أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ» أَخْرَجَهُ
التِّرْمِذِيُّ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ اللَّهَ يُزِيْنُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
جَنَّتَهُ وَيَقُولُ: «يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمْ الْمَوْئِنَةَ وَالْأَذَى
وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ» وَكَذَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ «إِنَّ الْجَنَّةَ تُجَدِّدُ وَتُزَيِّنُ مِنَ
الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي هَذَا الشَّهْرَ
مِنْ عِبَادِكَ سَكَنًا».

إِخْوَانِي: هَذِهِ أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ. هِيَ النَّاجُ عَلَى رَأْسِ الزَّمَانِ. وَهِيَ
مَعْنَى الْخَيْرَاتِ لِذَوِي الْإِيمَانِ. هَذِهِ أَيَّامُ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ. فَانْتَبِهْ لِنَفْسِكَ يَا
وَسْنَانُ. وَسَلِ الْكَرَمَ مِنَ الرَّحْمَنِ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ. يَا لَهُ
مِنْ وَقْتٍ عَظِيمٍ الشَّانِ. تَجِبُ حِرَاسَتُهُ عَمَّا شَانَ. وَاعْتِنَامُ فَضَائِلِهِ الْعِظَامِ
الْجَسَانِ. فَكَأَنَّكُمْ بِهِ وَقَدْ رَحَلَ وَبَانَ. وَلَا تَبَيَّنْ لَكُمْ الْفُرْقَانُ بَيْنَ الرُّبْحِ
وَالْخُسْرَانِ. يَا وَاقِفًا فِي مَقَامِ التَّحْيِيرِ. هَلْ أَنْتَ عَلَى عَزَمِ الْإِقْدَامِ وَالتَّغْيِيرِ. إِلَى
مَتَى تَرْضَى بِالْإِخْلَادِ وَالتَّذْيِيرِ فِي مَنْزِلِ الْهَوَانِ؟ عَيْنُكَ مُطْلَقَةٌ فِي الْحَرَامِ.
وَلِسَانُكَ مُنَبِّسٌ فِي الْإِجْرَامِ. وَلَيْسَ لِمَوَاسِمِ الرَّحْمَةِ عِنْدَكَ اخْتِرَامُ. وَلَا أَقْدَامُكَ
عَلَى الذُّنُوبِ وَالظُّلَمِ إِقْدَامُ. وَالْكُلُّ مُثَبَّتٌ عَلَيْكَ فِي الدِّيَّوَانِ. قَلْبُكَ غَائِبٌ فِي
صَلَوَاتِكَ. وَفِكْرُكَ جَائِلٌ فِي شَهَوَاتِكَ، وَإِنْ رَكَنَ إِلَيْكَ رَاكِبٌ فِي مُعَامَلَاتِكَ
أَعْظَمَتْهُ الْقَلْبَ وَالْأَذَانَ، تَاللَّهِ لَوْ عَقَلْتَ حَالَكَ، أَوْ اسْتَحْضَرْتَ سُرْعَةَ

ارْتَحَالِكَ. أَوْ تَصَوَّرْتَ مَصِيرَكَ وَمَالَكَ، لَبَّيْتَ مَا تَمَّ الْأَحْزَانِ. سَيَشْهَدُ رَمَضَانُ
عَلَيْكَ بِنُطْقِ لِسَانِكَ وَنَظَرِ عَيْنَيْكَ. وَسَيُشَارُ يَوْمَ جَمْعِ الْخَلَائِقِ إِلَيْكَ: شَقِي
فُلَانٌ أَوْ سَعِدَ فُلَانٌ.

لِلصِّيَامِ آدَابٌ يَجْمَعُهَا حِفْظُ الْقَلْبِ عَنِ الْخَطَرَاتِ، وَاللِّسَانِ عَنْ قَبِيحِ
الْمَقَالَاتِ، وَالسَّمْعِ عَنِ اسْتِمَاعِ الْمَحْذُورَاتِ، وَالْجَوْفِ عَنِ الْمَطَاعِمِ
وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَأِيسِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَالْجَوَارِحِ عَنْ فِعْلِ الْمُنْهَيَّاتِ. وَالشَّأْنُ فِي
حِفْظِ الْعَمَلِ كُلِّ الشَّأْنِ.

عِبَادَ اللَّهِ، هَذَا شَهْرُ رُجُوعِ النُّفُوسِ الْآبِقَةِ. هَذَا شَهْرُ صِيَانَةِ النُّفُوسِ عَنِ
الْبَطَالَاتِ وَالْمَائِمِ اللَّاحِقَةِ. هَذَا شَهْرُ اغْتِنَامِ الْخَيْرَاتِ وَالْمُسَابِقَةِ. فَطُوبَى لِمَنْ
تَلَقَّاهُ بِتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ. وَشَمَّرَ إِلَى فَضَائِلِهِ بِعَزِيمَةٍ وَاثِقَةٍ، يَطْلُبُ بِهَا الرَّبَّ وَالْجَنَانَ.

يَا مُضَيِّعَ الزَّمَانِ فِيمَا يُنْقِصُ الْإِيمَانَ. يَا مُعْرِضًا عَنِ الْأَرْبَاحِ مُتَعَرِّضًا
لِلْخُسْرَانِ. يَا مَنْ كَلَّمَا زَانَ شَانَ. مَا أَرَاكَ فِي رَمَضَانَ إِلَّا كَمَا أَنْتَ فِي
جُمَادَى وَشَعْبَانَ. أَمَا ظَهَرَ لَكَ الْفَرْقُ أَمَا بَانَ؟ أَرْضِيتَ بِالْإِبْعَادِ وَالْجُرْمَانِ؟
وَابْتَعْتَ بِالْمَرَايِحِ الْخُسْرَانَ؟ أَمَا يَسُوقُكَ لِلْخَيْرِ مَا يَسُوقُ؟ أَمَا يَعُوقُكَ عَنِ الشَّرِّ
مَا يَعُوقُ؟ مِيزَ بَيْنَ مَا يَقْنَى وَمَا يَبْقَى تَرَى الْفُرُوقَ. الْأَمْرُ جَلِيٌّ. وَلَكِنْ عَمِيَّتِ
الْأَعْيُنُ وَصُمَّتِ الْأَذَانُ.

شعر:

يَا ذَا الَّذِي مَا كَفَاهُ الذَّنْبُ فِي رَجَبٍ	حَتَّى عَصَى رَبَّهُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ
لَقَدْ أَظْلَكَ شَهْرُ الصَّبْرِ بَعْدَهُمَا	فَلَا تُصِيرُهُ أَيْضًا شَهْرَ عَصِيَانٍ
وَاتْلُ الْكِتَابَ وَسَبِّحْ فِيهِ مُجْتَهِدًا	لِإِنَّهُ شَهْرُ تَسْبِيحٍ وَقُرْآنٍ
فَاحْمِلْ عَلَى جَسَدٍ تَرْجُو النِّجَاةَ لَهُ	فَسَوْفَ تُضْرَمُ أَجْسَادُ بَنِيرَانٍ
كَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِمَّنْ صَامَ فِي سَلَفٍ	مِنْ بَيْنِ أَهْلِ وَجِيرَانٍ وَإِخْوَانٍ
أَفْنَاهُمْ الْمَوْتُ وَاسْتَبَقَاكَ بَعْدَهُمْ	حَيًّا، فَمَا أَقْرَبَ الْقَاصِي مِنَ الدَّانِي

وَمُغْجِبٍ بِشِيَابِ الْعِيدِ يَقْطَعُهَا فَأَضْبَحَتْ فِي غَدِ أَثْوَابِ أَكْفَانِ
 حَتَّى مَتَى يَغْمُرُ الْإِنْسَانُ مَسْكَنَهُ مَصِيرُ مَسْكَنِهِ قَبْرٌ لِّإِنْسَانٍ
 اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ. وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ. وَلَا
 يَتَبَرَّمُ بِالْحَاحِ ذَوِي الْحَاجَاتِ، عَلَى اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَتَفَنُّنِ الْمَسْئُولَاتِ. اجْعَلْ
 مَا لَنَا إِلَى عَالِي الْجَنَّاتِ. وَنَعْمَنَا بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ. وَارْفَعْ لَنَا عِنْدَكَ
 الدَّرَجَاتِ. وَكَفِّرْ عَنَّا السَّيِّئَاتِ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ،
 وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ. وَانْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْمُتَّقِينَ وَالْأَخْيَارِ.
 وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ. بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الْخَامِسُ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَفَضْلِ تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَضْبَحَتْ لَهُ الْوُجُوهُ ذَلِيلَةً غَانِيَةً. وَحَذِرَتْهُ النُّفُوسُ مُجِدَّةً
 وَمُتَوَانِيَةً، وَوَعَظَ مِنْ أَثَرِ الدُّنْيَا الْحَقِيرَةِ الْفَانِيَةِ عَلَى الدَّارِ الشَّرِيفَةِ الْبَاقِيَةِ.
 وَشَوَّقَ إِلَى جَنَّةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ. وَأَعَدَّهَا لِأَهْلِ الْهَمِّ الْعَالِيَةِ. وَأَوْدَعَهَا مِنْ وَاسِعِ
 فَضْلِهِ جَزِيلَ الْهَبَاتِ. الْغَنِيِّ الَّذِي غَمَرَ الْعِبَادَ بِفَضْلِهِ. وَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ عَامَلَهُ
 بِعَدْلِهِ. وَتَفَرَّدَ بِكَمَالِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ. وَتَقَدَّسَ فِي كَمَالِهِ عَنِ مُشَابَهَةِ
 الْمَخْلُوقَاتِ. لَهُ الْكَمَالُ وَالِدَوَامُ، وَالْعِزُّ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَهُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
 الَّذِي لَا يَنَامُ، وَالْعَالِي بِقُدْرِهِ وَقَهْرِهِ وَذَاتِهِ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَكُونَاتِ. أَحَاطَ عِلْمًا
 بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ. وَنَفَذَ بَصَرُهُ جَمِيعَ الْمُبْصَرَاتِ. وَوَسِعَ سَمْعُهُ جَمِيعَ
 الْأَصْوَاتِ، فَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ السُّؤَالَاتُ مَعَ اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ. كُلُّ غَنِيٍّ إِلَيْهِ فَقِيرٌ،
 وَكُلُّ جَبَّارٍ إِلَيْهِ كَسِيرٌ. وَكُلُّ عَسِيرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ. وَيَابَهُ مَفْتُوحٌ لِذَوِي الْفَاقَاتِ

وَإِغَاثَةِ اللَّهْفَاتِ. الَّذِي عَلَّمَ وَالْهَمَّ، وَأَنْعَمَ وَأَكْرَمَ، وَحَكَمَ وَأَحْكَمَ، وَأَوْجَبَ
وَأَلْزَمَ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾.

فَسُبْحَانَ مَنْ نَوَّرَ بِمَعْرِفَتِهِ قُلُوبَ أَحْبَابِهِ. وَظَهَرَ سَرَائِرَهُمْ فَتَنَعَّمُوا بِخَطَابِهِ،
وَرَفَعَ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ. وَأَبْعَدَ أَقْوَامًا بِعَدْلِهِ فَقَطَّعَهُمْ عَنْ بَابِهِ. وَصَدَّهُمْ عَنْ
مَعْرِفَتِهِ فَعَذَّبَهُمْ بِحَبَابِهِ. فَعَرِّقُوا فِي بُحُورِ الْغَفَلَاتِ. يَا خَيْبَةَ مَنْ لَمْ يُؤَيِّدْهُ
الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، يَا حَسْرَةَ مَنْ لَمْ يَقْبَلْهُ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ. يَا مُصِيبَةَ مَنْ فَاتَهُ هَذَا
الْجُودُ الْعَمِيمُ. يَا رَزِيَّةَ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْعِتَابَ وَهُوَ عَلَى خَطَايَاهُ مُقِيمٌ. وَيَا
فَضِيحَةَ مَنْ لَمْ يَسْتَحْ مِنْ مَوْلَاهُ فِي الْخَلَوَاتِ.

أَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْكَثِيرِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى سَوَائِغِ نِعَمِهِ الْمُتَوَافِرَاتِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَمَا لَهُ
مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. أَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنْ نَارٍ بَعِيدَةِ الدَّرَكَاتِ، وَأَوْمَلُ بِهَا
مِنْ كَرَمِهِ رَفِيعَ الْقُصُورِ فِي الْجَنَّاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ
النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَالْهَادِي إِلَى طُرُقِ الْخَيْرَاتِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْفَضَائِلِ وَالْكَرَامَاتِ. وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ
مَقَامًا تَحْمُدُ﴾ (٧٩).

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِرَجُلٍ: «لَا تَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا
يَدْعُهُ. وَكَانَ إِذَا مَرَضَ - أَوْ قَالَ: كَسِلَ - صَلَّى قَاعِدًا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرْغَبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ
مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ لَيْلَةَ فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ
وَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلَّوْا مَعَهُ،

فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا فِكْثُرَ أَهْلِ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الْمَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخَفْ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا».

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْقَارِي: «خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِيٍّ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلًا، ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِيَّتِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: نِعِمَّتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ إِلَيْهَا، يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ» هَذَا لَفْظُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ رِوَايَاتِهِ.

اعْلَمْ أَنَّ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ فِي رَمَضَانَ سَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَتْ مُحَدَّثَةً لِعُمَرَ، بَلْ صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ بِأَصْحَابِهِ ثُمَّ تَرَكَهَا خَشْيَةً أَنْ تُفْتَرَضَ، وَهِيَ مِنْ أَعْلَامِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْلِسُونَ بَعْدَ كُلِّ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ يَسْتَرِيحُونَ. ذَكَرَ ذَلِكَ عُلَمَاءُ الْمَذْهَبِ، وَهِيَ عِشْرُونَ رَكَعَةً يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ، وَفَعَلَهَا جَمَاعَةٌ أَفْضَلُ كَمَا جَعَلَ عُمَرُ أَبِي بَكْرٍ كَعْبَ إِمَامًا، وَكَمَا جَعَلَ عَلِيٌّ لِلرِّجَالِ إِمَامًا وَلِلنِّسَاءِ إِمَامًا، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا.

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَقَالَ: «إِنْ مَنْ قَامَ

مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَوَفَّقْتُهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَسُتِّتْهَا بَيْتَدُوهَا أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا تَسْرَى إِلَى أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ اعْتِنَامًا لِلْقَبُولِ، فَهَذِهِ عَادَةُ السَّلَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، فَمَنْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَلْيُسِّرْ وَلَا يُقْصِرْ، فَإِنَّ الْخَيْرَ غَنِيمَةٌ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا إِلَّا لَكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يُرَاعِيَ صَلَاتَهُ وَلِيَحْذَرَ مِنَ التَّخْفِيفِ الْمُفْرِطِ الَّذِي يَعْتَادُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهْلَةِ فِي صَلَاتِهِمْ لِلتَّرَاوِيعِ، حَتَّى رُبَّمَا يَقْعُونَ بِسَبَبِهِ فِي الْإِخْلَالِ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، مِثْلَ تَرْكِ الطَّمَأْنِينَةِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَتَرْكِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ عَلَى الْوُجْهِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ بِسَبَبِ الْعَجَلَةِ، فَيَصِيرُ أَحَدُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَا هُوَ صَلَّى فَفَارَ بِالْثَوَابِ، وَلَا هُوَ تَرَكَ فَاعْتَرَفَ بِتَقْصِيرِهِ وَسَلِمَ مِنَ الْإِعْجَابِ، فَاحْذَرُوا مِنْ ذَلِكَ وَتَنَبَّهُوا لَهُ يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ، وَإِذَا صَلَّيْتُمْ التَّرَاوِيعَ وَغَيْرَهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ فَأَتِمُّوا الْقِيَامَ وَالْقِرَاءَةَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ وَالْأَرْكَانَ، وَلَا زِمُوا الْخُشُوعَ وَالْحُضُورَ وَالْآدَابَ، وَلَا تَجْعَلُوا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا، ذَكَرَ مَعْنَى ذَلِكَ فِي النَّصَائِحِ الدِّينِيَّةِ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَخَافَهُ فِي الْمَأْمُومِينَ لِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَرْعِيهِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى الْمَأْمُومِ إِذَا كَانَ إِمَامُهُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فَإِنَّهُ يُنَاصِحُهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُصَلِّ مَعَ إِمَامٍ غَيْرِهِ يُقِيمُ الصَّلَاةَ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ خَرَجَ إِلَى السُّوقِ وَاشْتَرَى مِنْ آخَرٍ طَعَامًا وَطَفَّفَ لَهُ فِي الْكَيْلِ، فَإِنَّهُ إِذَا عَلِمَ بِذَلِكَ لَمْ يَكْتَلِ مِنْهُ إِنَّمَا يَذْهَبُ إِلَى غَيْرِهِ، يَذْهَبُ إِلَى إِنْسَانٍ يُعْطِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا مِيزَانُ الدُّنْيَا، فَكَيْفَ بِمِيزَانِ الدِّينِ وَالْأَعْمَالِ؟ نَرْجُو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِ شَرْعِهِ وَأَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ وَحَظْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ① الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ②.

كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ لَهُمْ أَخْبَارٌ فِي الصَّلَاةِ.
فَرَوَى عَنْ أُوَيْسِ الْقُرْنِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا عِبْدَنَ اللَّهُ عِبَادَةُ الْمَلَائِكَةِ،
فَيَقْطَعُ لَيْلَةً قَائِمًا وَلَيْلَةً رَاكِعًا وَلَيْلَةً سَاجِدًا.

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ يَسْجُدُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ سَجْدَةٍ فَسُمِّيَ
السَّجَّادَ.

وَكَانَ كُرْزُ بْنُ وَبَرَةَ يَعْصِبُ رِجْلَيْهِ بِالْخِرْقِ لِكَثْرَةِ صَلَاتِهِ، هَذِهِ وَاللَّهُ
صِفَاتُ الْمُجْتَهِدِينَ، هَذِهِ خِصَالُ الْمُبَادِرِينَ، فَاعْلَمُوا بِالْحَالِ، وَلَا تَكُونُوا
مُقَرَّطِينَ.

هَذَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَيَبْكِي حَتَّى
فَسَدَتْ عَيْنَاهُ، وَكَانَ ﷺ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي رَمَضَانَ.

وهَذَا الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ كَانَ إِذَا سَجَدَ فَكَأَنَّهُ ثَوْبٌ مَطْرُوحٌ، فَتَجِيءُ
الْعَصَافِيرُ فَتَقْعُ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تُنَادِيهِ: يَا رَبِيعُ، أَلَا تَنَامُ؟ فَيَقُولُ: يَا أُمُّهُ،
مَنْ جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَهُوَ يَخَافُ السَّيِّئَاتِ حَقَّ لَهُ أَلَا يَنَامَ. فَلَمَّا بَلَغَ وَرَأَتْ مَا
يَلْقَى مِنَ الْبُكَاءِ وَالسَّهَرِ نَادَتْهُ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، لَعَلَّكَ قَتَلْتَ قَتِيلًا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا
وَالِدَةُ، قَدْ قَتَلْتُ قَتِيلًا، فَقَالَتْ: وَمَنْ هَذَا الْقَتِيلُ يَا بُنَيَّ حَتَّى تَتَحَمَّلَ إِلَى أَهْلِهِ
فَيَعْتَفِرَكَ؟ وَاللَّهِ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا تَلْقَى مِنَ السَّهَرِ وَالْبُكَاءِ بَعْدَ لَقْدِ رَحْمَتِكَ، فَقَالَ:
يَا وَالِدَةُ، هِيَ نَفْسِي.

وَكَانَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ. وَلَقَدْ انْهَدَمَتْ نَاحِيَةٌ مِنْ
الْمَسْجِدِ فَفَزِعَ لَهَا أَهْلُ السُّوقِ فَمَا التَفَّتْ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلُهُ سَكَتَ أَهْلُ
بَيْتِهِ، فَإِذَا قَامَ يُصَلِّي تَكَلَّمُوا وَضَحِكُوا، عِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّ قَلْبَهُ مَشْغُولٌ عَنْهُمْ.
وَكَانَ يَقُولُ: إِلَهِي مَتَى أَلْقَاكَ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ.

شعر:

لِلَّهِ سَاهِرٌ لَيْلِهِ مَا يَهْجَعُ وَجِلَ الْفُؤَادِ مِنَ الذَّنُوبِ مُصَدِّعُ

يَبْكِي بِدَمْعٍ سَاكِبٍ هَفَوَاتِهِ وَاللَّيْلُ فِي جِلْبَابِهِ مُتَبَرِّقُ
نَدْمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ عِصْيَانِهِ مَلِكًا تَذِلُّ لَهُ الْمُلُوكُ وَتَخْضَعُ
يَا رَبِّ، مَا لِلذَّنْبِ غَيْرُكَ غَافِرُ وَإِلَيْكَ مِنْهُ يَا إِلَهِي الْمَفْنُ
يَا رَبِّ، عَبْدُكَ ضَارِعٌ فَاغْفِرْ لَهُ مَا لَمْ يَزَلْ يَدْعُوكَ فِيهِ وَيَضْرَعُ

فَصْلٌ: فِي فَضْلِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيَتْ مِثْلُ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اغْتَزَلَ الشَّيْطَانُ، يَقُولُ: يَا وَيْلِي، أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ. وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ لَا أَقُولُ: أَلَمْ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا م حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

اعْلَمْ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ أَشْرَفُ الْأَذْكَارِ، لِأَنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ. فَالْإِثْقَالُ بِالصَّائِمِ أَنْ يَكُونَ شِعَارُهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ. وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ إِذَا صَامُوا جَلَسُوا فِي الْمَسَاجِدِ وَقَالُوا: نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَعْتَابُ أَحَدًا.

وَكَانَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ: أَنَّهُ كَانَ يُرْتَلُّهُ وَلَا يَهْذُهُ هَذَا وَلَا عَجَلَةً، بَلْ قِرَاءَةٌ مُفَسَّرَةٌ حَرْفًا حَرْفًا. وَكَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً، كَانَ يُمَدُّ عِنْدَ حُرُوفِ الْمَدِّ؛ فَيُمَدُّ الرَّحْمَنُ، وَيُمَدُّ الرَّحِيمُ. وَكَانَ يَسْتَعِيدُّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فِي أَوَّلِ قِرَاءَتِهِ فَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ مِنْ هَمَزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ» وَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ نَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا وَمُتَوَضِّئًا وَمُحْدِثًا. وَلَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قِرَاءَتِهِ إِلَّا الْجَنَابَةُ. وَكَانَ يَسْتَمِعُ لِقِرَاءَةِ أَصْحَابِهِ، كَمَا أَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ، وَخَشَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْهُ حَتَّى ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، وَكَذَلِكَ اسْتَمَعَ لِقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ. وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذِكْرُ آدَابِ الْقِرَاءَةِ وَفَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

وَرَوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانُوا - يَعْنِي: السَّلَفُ - يُحِبُّونَ أَنْ يُخْتَمَ الْقُرْآنُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، أَوْ مِنَ النَّهَارِ».

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِذَا وَافَقَ خَتَمَ الْقُرْآنِ أَوَّلَ اللَّيْلِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمْسِيَ».

فَيُسْتَحَبُّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُخْتَمَ فِي الشَّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ النَّهَارِ، لِيَحُوزَ صَلَاةَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ.

قَالَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ: أَذْرَكْتُ أَهْلَ الْخَيْرِ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَسْتَجِبُونَ الْخَتَمَ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَوَّلَ النَّهَارِ، يَقُولُونَ: إِذَا خَتَمَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِذَا خَتَمَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبَحَ.

يَا غَائِبًا فِي صَلَاتِهِ، يَا شَتِيَّتَ الْهَمِّ فِي جِهَاتِهِ، يَا مَسْغُولًا بِأَنَاتِهِ عَنْ ذِكْرِ وَفَاتِهِ، يَا قَلِيلَ الزَّادِ مَعَ قُرْبِ مَمَاتِهِ، لَقَدْ رَبِحَ الْقَوْمُ وَأَنْتَ نَائِمٌ. وَخِيبَتْ وَرَجَعُوا بِالْغَنَائِمِ، بِاللَّيْلِ رَاقِدٌ وَبِالنَّهَارِ هَائِمٌ. وَغَايَةُ مَا تَشْتَبِي مُشَارَكَةُ الْبَهَائِمِ.

سُبْحَانَ مَنْ قَوْمُهُمْ وَأَصْلَحَهُمْ. وَعَامَلُوهُ بِالْيَسِيرِ فَأَرْبَحَهُمْ؛ وَقَدْ أَتَى عَلَيْهِمْ وَمَدَحَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾ ﴿٢﴾ اغْتَنَمَ الْقَوْمُ الْأَيَّامَ، وَاجْتَنَبُوا الْخَطَايَا وَالْآثَامَ، وَصَمَتُوا عَنْ رَدِيءِ الْكَلَامِ، وَصَمُّوا عَنِ اسْتِمَاعِ الْحَرَامِ، فَكَأَنَّهُمْ مَا يَسْمَعُونَ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾ ﴿٢﴾ كَفُّوا الْأَكُفَّ عَنِ الْفُسَادِ، وَهَجَرَتِ الرُّءُوسُ الْوَسَادَ، وَحَضَرَ الْقُلُوبَ لِلْمُنَاجَاةِ وَانْقَادَ، وَأَنْتُمْ فِي سُكْرِ الرِّقَادِ، وَهُمْ يَسْجُدُونَ وَيَرْكَعُونَ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ﴾ ﴿٢﴾.

شعر:

يَا غَادِيَا فِي غَفْلَةٍ وَرَائِحَا إِلَى مَتَى تَسْتَحْسِنُ الْقَبَائِحَا
وَكَمْ إِلَى كَمْ لَا تَخَافُ مَوْقِفَا يَسْتَنْطِقُ اللَّهُ بِهِ الْجَوَارِحَا
وَاعْجَبَا مِنْكَ وَأَنْتَ مُبْصِرُ كَيْفَ تَجَنَّبْتَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَا
وَكَيْفَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ خَاسِرَا يَوْمَ يَفُوزُ مَنْ كَانَ رَابِحَا

يَا مَسْغُولَا بِاللَّهُوِ وَالْهَذْيَانِ، مُعْرِضَا عَنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ: سَتَدْرِي مَنْ يَنْدُمُ يَوْمَ نَضَبِ الْمِيزَانِ، اسْتَدْرِكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَقُمْ فِي الْأَسْحَارِ، فَلِلْسَحْرِ مَعَ الرَّحْمَةِ شَانُ، وَسَلِّ الْعَفْوِ عَمَّا سَلَفَ وَكَانَ، وَنَادِ فِي نَادِي الدُّلِّ: يَا صَاحِبَ الْإِحْسَانِ.

شعر:

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى إِلَهِي وَخَلَاقِي وَسُؤْلِي وَمَوْئِلِي
إِلَهِي لَيْنَ خَيَّبْتَنِي وَطَرَدْتَنِي إِلَهِي لَيْنَ أَعْطَيْتُ نَفْسِي سُؤَالَهَا
إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِغْ
تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ ذَا أَشْفَعُ فَهَذَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ فُؤَادِي فَلْيَ فِي سَبَبِ جُودِكَ مَطْمَعُ

إِلَهِي أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
 إِلَهِي لِيَنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي فَعَفُوكَ مِنْ ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
 اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَالْمَقْصُودُ فِي كُلِّ آتٍ، نَسْأَلُكَ فَأَنْتَ
 الْمَعْرُوفُ بِالْإِحْسَانِ، أَلَا تَرُدُّنَا خَائِبِينَ، وَلَا مِنْ عَطَايَاكَ مُفْلِسِينَ، وَلَا عَنْ
 بَابِكَ مَطْرُودِينَ، وَآمِنًا مِنْ فِرَاقِ يَوْمِ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَعَافِنَا فِي
 الدَّارَيْنِ مِنَ الْمَحَنِ، فَهَذَا نَحْنُ بِبَابِكَ وَاقِفُونَ، وَإِلَيْكَ مُتَوَجِّهُونَ، فَالْحَقِّقْنَا
 بِالصَّالِحِينَ. وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ السَّادِسُ فِي فَضْلِ صِيَامِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الشَّرَائِعَ وَأَحْكَمَ الْأَحْكَامَ، وَخَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ
 مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ بِفَرِيضَةِ الصِّيَامِ، وَبَيَّنَّ الْحَالَ وَحَرَّمَ الْحَرَامَ، وَاحْتَجَبَ فِي
 هَذِهِ الدَّارِ عَنْ سَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ، الْمُتَفَرِّدَ بِاخْتِرَاعِ الْكُونِ وَإِبْجَادِهِ. الْمُتَصَرِّفَ فِي
 خَلْقِهِ بِمَحْضِ مَشِيئَتِهِ وَوَفْقِ مُرَادِهِ، وَالْمُحِيطَ عِلْمُهُ بِسَائِرِ بَرِيَّاتِهِ. نَبَّهَ مَنْ شَاءَ
 مِنَ الْعِبَادِ مِنْ غَفْلَتِهِ وَرَفَادِهِ، فَأَيَّقَنَ أَنَّهُ مُسَافِرٌ إِلَى اللَّهِ فَكَانَ هَمُّهُ إِعْدَادَ زَادِهِ،
 وَحَكَمَ عَلَى مَنْ شَاءَ بِطَرْدِهِ وَإِبْعَادِهِ، فَصَرَفَ هِمَّتَهُ لِلْعَاجِلَةِ وَاشْتَغَلَ عَنْ حَشْرِهِ
 وَمَعَادِهِ. وَكَانَ هَمُّهُ فِي نَيْلِ شَهَوَاتِهِ. الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا
 نَوْمٌ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ جَلِيلُ الْكُونِ وَلَا حَقِيرُ ذَرَاتِهِ، الْمُتَفَضِّلُ الَّذِي اخْتَصَّ
 بِالتَّفْضِيلِ وَالتَّشْرِيفِ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَوْدَعَ فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمِهِ وَبَدَائِعِ
 مَصْنُوعَاتِهِ، مَا شَهِدَتِ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ بِأَنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ آيَاتِهِ. خَلَقَ فَقَدَّرَ، وَمَلَكَ
 قَدَبَرَ، وَشَرَعَ فَيَسَّرَ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ، أَهْلَ مَنْ شَاءَ لِمَا شَاءَ

مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَيَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَ الْكَرَامَاتِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوَاضِعِ اخْتِيَارِهِ وَكَرَامَاتِهِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْفَضَائِلَ بَيْنَ خَلْقِهِ فَهَذَا فَضِيلٌ وَهَذَا مَفْضُولٌ، وَهَذَا مَطْرُودٌ وَهَذَا مَقْبُولٌ، وَهَذَا قَدْ رُمِيَ بِالْإِنْعَادِ وَالْخِذْلَانِ، وَهَذَا قَدْ قَرُبَ مِنْ مَوْلَاهُ بِغَايَةِ الْقُرْبِ وَالْإِمْكَانِ. وَأَقَامَ الْحُجَّةَ بِإِرْسَالِ رُسُلِهِ وَإِنْزَالِ آيَاتِهِ.

أَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ أَفْضِيَّتِهِ وَتَذْيِيرَاتِهِ. وَأَشْكُرُهُ عَلَى جَزِيلِ إِحْسَانِهِ وَعَظِيمِ هَبَاتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَكَمَالَاتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَشْرَقَ الْكَوْنُ بِنُورِ رِسَالَاتِهِ بَعْدَ ظُلُمَاتِهِ. وَانْتَضَمَ بِهِ شَمْلُ الْإِسْلَامِ بَعْدَ شَتَاتِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُ عَلَى دِينِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَمُؤَالَاتِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ لِمَلَكُمُ تَنْفَقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يَقُولُ تَعَالَى مُحَاطِبًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَآمِرًا لَهُمْ بِالصِّيَامِ. وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْوَقَاحِ، بِنِيَّةٍ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ وَمَعْنَى كُتِبَ: فُرِضَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، فَالصَّوْمُ هُوَ الْإِمْسَاكُ عَنْ أَشْيَاءَ مَخْصُوصَةٍ بِنِيَّةٍ فِي زَمَنٍ مُّعَيَّنٍ. مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

صَوْمُ رَمَضَانَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَفُرُوضِهِ، وَهُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ. فُرِضَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. فَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ رَمَضَانَ.

وَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الصِّيَامِ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَقَطْمُهَا عَنِ الْمَأْلُوفَاتِ، وَتَعْدِيلُ قُوَّتِهَا الشَّهَوَانِيَّةِ، لِتَسْعَدَ بِطَلَبِ مَا فِيهِ غَايَةُ سَعَادَتِهَا وَنَعِيمِهَا وَقَبُولُ مَا تَرْكُو بِهِ مِمَّا فِيهِ حَيَاتُهَا الْأَبَدِيَّةُ، وَيَكْسِرُ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ مِنْ حَدِّتِهَا وَسَوْرَتِهَا. وَيَذْكُرُهَا الْأَكْبَادُ الْجَائِعَةُ مِنَ الْمَسَاكِينِ. وَيُضَيِّقُ مَجَارِي الشَّيْطَانِ مِنَ الْعَبْدِ بِتَضْيِيقِ مَجَارِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَحَبْسِ قُوَى النَّفْسِ عَنِ

اسْتِرْسَالِهَا فِيمَا يَضُرُّهَا فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا، وَيُسْكِنُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهَا وَكُلَّ قُوَّةٍ عَنْ جَمَاحِهِ، وَتَلْجُمُ بِلِجَامِهِ فَهُوَ لِجَامُ الْمُتَّقِينَ، وَجَنَّةُ الْمُجَاهِدِينَ. وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ. وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ. فَإِنَّ الصَّائِمَ إِنَّمَا تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ، فَهُوَ تَرَكَ مَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ وَتَلَذُّذَاتِهَا إِثَارًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ. وَهُوَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ. وَالْعِبَادُ قَدْ يَطْلِعُونَ مِنْهُ عَلَى تَرَكَ الْمُفْطَرَاتِ الظَّاهِرَةِ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ. وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّيَامِ. وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، وَالْقَوَى الْبَاطِنَةِ، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا. وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى التَّقْوَى.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ مَصَالِحَ الصَّوْمِ لَمَّا كَانَتْ مَشْهُودَةً بِالْعُقُولِ السَّلِيمَةِ. وَالْفِطْرِ الْمُسْتَقِيمَةِ: شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً لَهُمْ. وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَالصَّوْمُ شَاقٌّ عَلَى النَّفُوسِ لِأَنَّهَا بِهِ تَنْقُطُ عَنِ الشَّهَوَاتِ. وَيُبَاعِدُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَلَذُذَاتِ، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ تَأَخَّرَ فَرَضُهُ إِلَى وَسْطِ الْإِسْلَامِ. لِيَتَقَلَّ النَّفُوسُ إِلَيْهِ بِالتَّدرِجِ.

شِعْر:

نَسِيمَ الصَّبَا إِنْ زُرْتَ أَرْضَ أَجَبَّتِي فَخَصَّهْمُ عَنِّي بِكُلِّ سَلَامٍ
وَبَلَّغَهُمْ أَنِّي رَهِينُ صَبَابَةٍ وَأَنَّ غَرَامِي فَوْقَ كُلِّ غَرَامٍ
وَإِنِّي لِيَكْفِينِي طُرُوقُ خِيَالِهِمْ لَوْ أَنَّ جُفُونِي مُتَّعَتْ بِمَنَامٍ
وَلَسْتُ أَبَالِي بِالْجَنَانِ وَلَا لَطَى إِذَا كَانَ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ مُقَامِي
وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَاتِ دَهْرِي كُلِّهَا وَيَوْمَ لِقَاكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَعَرَفَ حُدُودَهُ وَتَحَقَّقَ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَحَقَّقَ: كَفَّرَ مَا قَبْلَهُ» رَوَاهُ ابْنُ جِبَّانَ وَابْنُ هَبَّانٍ.

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا» أَيُّ: نِيَّةً وَعَزِيْمَةً، وَهُوَ أَنْ يَصُومَهُ عَلَى التَّصَدِيقِ وَالرَّغْبَةِ فِي ثَوَابِهِ طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ، غَيْرَ كَارِهِ وَلَا مُسْتَقْبِلٍ لِصِيَامِهِ، وَلَا مُسْتَطِيلٍ لِأَيَّامِهِ، لَكِنْ يَغْتَنِمُ طُولَ أَيَّامِهِ لِعِظَمِ الثَّوَابِ. فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِإِخْلَاصِ الصِّيَامِ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ. وَأَدِيمُوا لَهُ الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ. وَبَادِرُوا أَوْقَاتَ الْفَضَائِلِ بِالْأَغْتِنَامِ، وَاتَّبِعُوا هَذِي نِيَّتَكُمْ ﷺ.

أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَزَيْنُ مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنَّ الْحُورَ لَتَزَيْنُ مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ فَإِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي هَذَا الشَّهْرِ مِنْ عِبَادِكَ سُكَّانًا، وَتَقُولُ الْحُورُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي هَذَا الشَّهْرِ مِنْ عِبَادِكَ أَزْوَاجًا تَقْرَأُ أَعْيُنُنَا بِهِمْ وَتَقْرَأُ أَعْيُنُهُمْ بِنَا».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَانَ نَفْسَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَمْ يَشْرَبْ فِيهِ مُسْكِرًا، وَلَمْ يَقْذِفْ فِيهِ مُؤْمِنًا بِبُهْتَانٍ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ خَطِيئَةً زَوَّجَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِائَةَ حُورَاءَ، وَبَنَى لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَيَاقُوتٍ وَزَبَرَجَدٍ، لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا جُعِلَتْ فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ لَكَانَتْ مِنْهُ كَمَرْبُطِ عَنَرٍ فِي الدُّنْيَا».

يَا مَنْ طُولَ سَنَتِهِ قَدْ نَامَ، انْتَبِهْ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ، وَاحْذَرْ غَفْلَةَ الطَّعَامِ، وَخُذْ

قَدَرَ الْبُلْعَةَ مِنَ الطَّعَامِ، وَاسْمَعَ قَوْلَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾. يَا مَرِيضًا لَا يَقْبَلُ مِنْ طَبِيبِهِ، هَذَا شَهْرُ الْحِمِيَّةِ قَدْ جَاءَ لِتَهْذِيبِهِ، صُنْ لِسَانَكَ عَنِ اللَّغْوِ وَلَا تَهْذِي بِهِ «فَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ» وَلَكِنْ أَيْنَ الصِّيَامُ؟ هَذَا شَهْرُ عِمَارَةِ الْمِحْرَابِ. هَذَا زَمَانُ حُضُورِ الْبَابِ. هَذَا وَقْتُ تِلَاوَةِ الْكِتَابِ. وَلِلْمُتَّقِينَ فِيهِ عَلَى الْبَابِ كُلِّ وَقْتِ عُكُوفٍ وَزِحَامٍ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾. شَهْرٌ فِيهِ تَكْفُفُ النُّفُوسِ، كَأَنَّهَا عَنِ الْمَعَاصِي فِي حُبُوسٍ، وَتَظْمَأُ فِيهِ الْأَكْبَادُ عَنِ الْكُثُوسِ، وَتُطْرَقُ مِنَ الْخَشْيَةِ الرُّءُوسُ عَنِ النَّظَرِ الْحَرَامِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾. شَهْرٌ فِيهِ تُمْلَأُ الْمَسَاجِدُ، وَيَخْشَعُ فِيهِ الرَّائِعُ وَالسَّاجِدُ، وَيَنْهَضُ إِلَى الْخَيْرِ كُلُّ قَاعِدٍ. وَيَصِيرُ الرَّائِبُ كَالزَّاهِدِ مِنْ قَلَّةِ الطَّعَامِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ فِيهِ تُغْلُ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ يُعْرَفُ قَدْرُ الدِّينِ، فِيهِ يَتَشَبَّهُ الْمُسِيءُ بِالْمُحْسِنِينَ، وَبِالْكَبِيرِ الْعُلَامُ. شَهْرُ التَّرَاوِيحِ. شَهْرُ التَّعَبُّدِ وَالْمُنَجَّرِ الرِّيْحِ. شَهْرُ الْأَنْوَارِ وَالْمَصَابِيحِ. شَهْرٌ يُتْرَكُ فِيهِ الْقَبِيحُ، وَتُهْجَرُ الذُّنُوبُ وَالْآثَامُ. فِيهِ تَرُقُّ الْقُلُوبُ، فِيهِ تُغْفَرُ الذُّنُوبُ، وَتَنْجَافِي عَنِ الْمَضَاجِعِ الْجُنُوبُ. فَتَجْمُو لَذِيذُ الْمَنَامِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

شعر:

فَمَا لِي بَعِيدَ الدَّارِ لَمْ أَقْرُبِ الْحِمَى وَقَدْ نُصِبَتْ لِلْسَّائِرِينَ خِيَامُ
عَلَامَةٌ طَرَدِي طُولَ لَيْلِي نَائِمٌ وَغَيْرِي يَرَى أَنَّ الْمَنَامَ حَرَامُ

فصل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٧٣)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مُمَنَّةً لَهُمُ الْأَنْبُوبُ﴾ (٥١).

تَقَدَّمَ حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ، لَا
يَدْخُلُ مَعَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يَقَالُ: أَبْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ، فَإِذَا دَخَلَ
آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ
انْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ:
فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ
دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ. وَمَنْ
كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا
عَلَى أَحَدٍ ضَرُورَةٌ مِنْ أَيِّهَا دُعِيَ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْهَا كُلِّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو
أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ
يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةُ يَدْخُلُ مِنْ
أَيِّهَا شَاءَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ عُثْبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا تَلَقَّوْهُ مِنْ
أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةِ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ».

وَلَهُ أَيْضًا وَلِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ
زَوْجَهَا. قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ» إِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

فَيَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ الَّتِي تَرْجُو مَا عِنْدَ اللَّهِ، وَتَخَافُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَبَطْشِهِ
وَعُقُوبَتِهِ، أَنْ تُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِكَمَالِ الطَّهَارَةِ، وَأَنْ تُحَافِظَ أَيْضًا

عَلَى صِيَامِ رَمَضَانَ وَتَعْرِفَ مَا يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ تَرْكُهُ فَتَتْرَكُهُ. وَأَنْ تَحْفَظَ نَفْسَهَا
عَنِ الْحَرَامِ وَالْفَسَادِ، فَقَدْ وَرَدَ «أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَتَأَذَّوْنَ مِنْ رِيحِ فُجُورِ الزُّنَاةِ»
وَعَذَابُ الزُّنَاةِ: أَنَّهُمْ يُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً فِي تَنُورٍ مِنْ نَارٍ، يَتَوَقَّدُ عَلَيْهِمْ
وَهُمْ فِي وَسْطِهِ، يَرْتَفِعُ بِهِمْ وَيَنْخَفِضُ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَطْلُبَ رِضَاءَ زَوْجِهَا وَتُطِيعَهُ وَلَا تُسَخِطَهُ،
وَلَا تُحْمَلَهُ مَا لَا يَطِيقُهُ مِنَ النَّفَقَاتِ. وَأَلَّا تَطْمَحَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. فَزَوْجُهَا جَنَّتْهَا
وَنَارُهَا، وَرَدَّ «أَيُّمَا امْرَأَةٍ عَصَتْ زَوْجَهَا فَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ» فَمَنْ أَرَادَ دُخُولَ الْجَنَّةِ فَلْيَأْتِ بِأَعْمَالٍ تَقْتَضِي ذَلِكَ.

وَأُخْرِجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مِفْتَاحُ
الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: قِيلَ لِيَوْهَبِ بْنِ مُنْبَهٍ «أَلَيْسَ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ
بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِّحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ».

وَعَنْ عُثْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ أَنَّهُ خَطَبَ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا
بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلِيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ
كَطَيْطٍ مِنَ الزَّحَامِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَأُخْرِجَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ
وَهَجَرَ - أَوْ هَجَرَ وَمَكَّةَ» وَفِي لَفْظٍ «لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

قَالَ الْحَسَنُ: بَكَى آدَمُ ﷺ حِينَ أَهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ مِائَةَ عَامٍ، حَتَّى جَرَتْ
أُودِيَّةُ سَرْنَدِيبَ مِنْ دُمُوعِهِ. فَأُنْبِتَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْوَادِي مِنْ دُمُوعِ آدَمَ الدَّارِصِيْنِي
وَالْفُلْفُلَ. ثُمَّ إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَنَاهُ وَقَالَ: يَا آدَمُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ،
فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ أَتَى الْبَيْتَ فَطَافَ بِهِ أَسْبُوعًا، فَمَا أَتَمَّهُ حَتَّى خَاضَ فِي دُمُوعِهِ.

وَقَالَ أَسْبَاطُ: لَوْ عُذِلَ بُكَاءُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِبُكَائِهِ ﴿﴾ كَانَ بُكَاءُ آدَمَ أَكْثَرَ.

شِعْر:

نَقُلُ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ
كَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ وَحِكْمَةٍ فِي إِهْبَاطِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، لَوْلَا نُزُولُهُ لَمَا
ظَهَرَ جِهَادُ الْمُجَاهِدِينَ، وَلَا حَصَلَ اجْتِهَادُ الْمُجْتَهِدِينَ، وَلَا صَعَدَتْ زَفَرَاتُ
أَنْفَاسِ الثَّائِبِينَ، وَلَا نَزَلَتْ قَطَرَاتُ دُمُوعِ الْمُذْنِبِينَ، وَلَا جَاعَتْ أَكْبَادُ
الصَّائِمِينَ.

يَا آدَمُ، إِنْ كُنْتَ أَهْبِطْتَ مِنْ دَارِ الْقُرْبِ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ. إِنْ كَانَ حَصَلَ لَكَ بِالإِخْرَاجِ مِنَ الْجَنَّةِ كَسْرٌ فَأَنَا عِنْدَ الْمُتَكْسِرَةِ
قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي. إِنْ كَانَ فَاتَكَ فِي السَّمَاءِ سَمَاعُ رَجُلٍ الْمُسَبِّحِينَ، فَقَدْ
تَعَوَّضْتَ فِي الْأَرْضِ بِسَمَاعِ أَيْنِ الْمُذْنِبِينَ. أَيْنِ الْمُذْنِبِينَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ رَجُلٍ
الْمُسَبِّحِينَ. رَجُلٍ الْمُسَبِّحِينَ رَبُّمَا يَسُوبُهُ الْإِفْتِحَارُ. وَأَيْنِ الْمُذْنِبِينَ يَزِينُهُ
الْإِتْكَسَارُ. «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ
فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

سُبْحَانَ مَنْ مَنَّ عَلَى الْأَحْبَابِ. وَسَهَّلَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ. وَأَشْهَدُهُمْ مَا
خَفِيَ عَنْ غَيْرِهِمْ وَغَابَ، «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْتُهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ».

اللَّهُمَّ يَا حَبِيبَ الثَّائِبِينَ. وَيَا أُنَيْسَ الْمُتَقَطِّعِينَ. وَيَا مَنْ حَنَّتْ إِلَيْهِ قُلُوبُ
الصَّادِقِينَ، اجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُتَّقِينَ، وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ.

اللَّهُمَّ وَآمِنْ خَوْفَنَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَآنِسْ وَحْشَتَنَا فِي الْقُبُورِ، وَيَسِّرْ
لَنَا يَا إِلَهَنَا الْأُمُورَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحُ، وَتُبْهَنَا مِنْ رَقَدَاتِ
الْعَقَلَاتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمُسَامِحُ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْقَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا
فَمِنْكَ الْفَضْلُ وَالْمَنَاحُ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ السَّابِعُ فِي فَضْلِ الصَّيَامِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَوَّرَ بِجَمِيلِ هِدَايَتِهِ قُلُوبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَظَهَّرَ بِكَرِيمِ
وِلَايَتِهِ أَفْنِدَةَ الصَّادِقِينَ، فَأَسْكَنَ فِيهَا وَدَادَهُ، وَحَرَسَ سَرَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ فَطَرَدَ عَنْهَا
الشَّيْطَانَ وَدَادَهُ. وَدَعَاَهَا إِلَى مَا سَبَقَ لَهَا مِنْ عِنَايَتِهِ فَأَقْبَلَتْ مُنْقَادَةً. الْحَيُّ الَّذِي
تَعَرَّفَ بِأَدَلَّةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، فَتَحَقَّقَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَجُودَهُ وَوَحْدَانِيَّتَهُ، وَقَدَمَهُ
وَبَقَاءَهُ وَانْفِرَادَهُ، الْمَجِيدُ الْمُوصُوفُ بِالْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ
وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَوَفَّقَ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ لِهَذِهِ
الشَّهَادَةِ، الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ، الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ، فَقُلُوبُ أَهْلِ الْإِيمَانِ
لِأَوَامِرِهِ مُنْقَادَةً، الْحَكِيمُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ، وَأَسْكَنَ الْأَرْضَ عَلَى
الْمَاءِ وَمَهْدٍ، الْمُنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ وَالْوَلَدِ، الْعَنِيُّ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَحَدٍ،
فَكُلُّ مَخْلُوقٍ صَائِرٌ لِمَا قَضَاهُ عَلَيْهِ وَأَرَادَهُ، وَفَقَّ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ فَأَلْهَمَهُ رَشَادَهُ،
وَأَيَقَظُهُ بِحُسْنِ نَظَرِهِ فَتَذَكَّرَ مَعَادَهُ، وَيَسَّرَ لَهُ سَبِيلَ طَاعَتِهِ فَحَصَلَ زَادُهُ. وَتَوَلَّاهُ
بِرِعَايَتِهِ فَأَعْطَاهُ أَمَلَهُ وَزَادَهُ، وَخَذَلَ مَنْ شَاءَ بِحُكْمِ قَهْرِهِ فَجَعَلَ حَظَّهُ بَعَادَهُ.
وَأَدَارَ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ وَأَبَادَهُ.

فُسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى وَمَنَعَ، وَخَفَضَ وَرَفَعَ. وَوَصَلَ وَقَطَعَ، وَمَهَّدَ لِمَنْ
ارْتَضَاهُ فَأَحْسَنَ مِهَادَهُ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوْلَى مِنْ فَضْلٍ وَأَفَادَهُ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ الَّذِي لَا
أُخْصِي تَعْدَادَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ أَرْجُو بِهَا الْحُسْنَى
وَزِيَادَةً، وَأُوْمَلُ بِهَا النَّجَاةُ مِنْ نَارٍ لَمْ تَزَلْ وَقَادَةً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ. الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ. نَبِيُّ أَقَامَ بِهِ مَنَارَ الْإِيمَانِ وَرَفَعَ عِمَادَهُ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَوْضَحَ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَ الدِّينِ وَأَحْكَامَ
الْعِبَادَةِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ﴾ قَالَ
مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الصَّائِمِينَ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
وَبَلَغَ النَّاسُ مِنَ الْكَرْبِ وَالْغَمِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْعَطَشِ وَالْجُوعِ وَالْحَرِّ
قِيلَ لِلصَّائِمِينَ ذَلِكَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، الْحَسَنَةُ
بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا
أَجْزِي بِهِ، إِنَّهُ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ
عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ
الْمِسْكِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِثْنَاءِ الصَّوْمِ مِنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمُضَاعَفَةِ،
فَتَكُونُ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا تُضَاعَفُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصَّيَّامَ.
فَإِنَّهُ لَا يَنْحَصِرُ تَضْعِيفُهُ فِي هَذَا الْعَدَدِ، بَلْ يُضَاعَفُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً بِغَيْرِ
حَضَرٍ عَدَدٍ، فَإِنَّ الصَّيَّامَ مِنَ الصَّبْرِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ
أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وَلِهَذَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ سَمِيَ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرَ
الصَّبْرِ». وَفِي هَذَا حَدِيثٍ آخَرُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ» أَخْرَجَهُ
التِّرْمِذِيُّ.

وَالصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَبْرٌ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ،
وَصَبْرٌ عَلَى أَفْذَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ. وَتَجْتَمِعُ الثَّلَاثَةُ فِي الصَّوْمِ، فَإِنَّ فِيهِ صَبْرًا عَلَى

طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَبْرًا عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الصَّائِمِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَصَبْرًا عَلَى مَا يَحْصُلُ لِلصَّائِمِ فِيهِ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَضَعْفِ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ. وَهَذَا الْأَلَمُ النَّاشِئُ مِنْ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ يُثَابُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَلَا يَضِيعُ عَنْهُ شَيْءٌ، بَلْ يُكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ خُضْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ. وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ الْمَرْفُوعِ الْمُتَقَدِّمِ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ «وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ. وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ» وَفِي الطَّبْرَانِيِّ مَرْفُوعًا «الصَّيَامُ لِلَّهِ. لَا يَعْلَمُ ثَوَابَ عَامِلِهِ إِلَّا اللَّهُ ﷻ».

وَاعْلَمْ أَنَّ مُضَاعَفَةَ الْأَجْرِ لِلْأَعْمَالِ تَكُونُ بِأَسْبَابٍ:

مِنْهَا: شَرَفُ الْمَكَانِ الْمَعْمُولِ فِيهِ ذَلِكَ الْعَمَلُ كَالْحَرَمِ. وَلِذَلِكَ تُضَاعَفُ الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدَيْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ».

وَكَذَلِكَ رُويَ «أَنَّ الصَّيَامَ يُضَاعَفُ بِالْحَرَمِ» فَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا «مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ بِمَكَّةَ فَصَامَهُ وَقَامَ مِنْهُ مَا تيسَّرَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيَمَا سِوَاهُ» وَذَكَرَ ثَوَابًا كَثِيرًا.

وَمِنْهَا: شَرَفُ الزَّمَانِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ وَعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ الْمَرْفُوعِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ «مَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِخُضْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيَمَا سِوَاهُ. وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيَمَا سِوَاهُ» وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَغْدِلُ بِحَجَّةٍ - أَوْ قَالَ: حَجَّةٍ مَعِي» وَرَدَّ «عَمَلُ الصَّائِمِ مُضَاعَفٌ».

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ أَشْيَاخِهِ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِذَا حَضَرَ شَهْرُ

رَمَضَانَ فَانْبَسِطُوا فِيهِ بِالنَّفَقَةِ، فَإِنَّ النَّفَقَةَ فِيهِ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَسْبِيحُهُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ تَسْبِيحَةٍ فِي غَيْرِهِ.

وَقَالَ النَّخَعِيُّ: صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ. وَتَسْبِيحُهُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ تَسْبِيحَةٍ. وَرَكْعَةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ.

فَلَمَّا كَانَ الصَّيَامُ فِي نَفْسِهِ مُضَاعَفًا أَجْرُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ كَانَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ مُضَاعَفًا عَلَى سَائِرِ الصَّيَامِ لِشَرَفِ زَمَانِهِ. وَكَوْنِهِ هُوَ الصَّوْمُ الَّذِي قَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ. وَجَعَلَ صِيَامَهُ أَحَدَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ يُضَاعَفُ الثَّوَابُ بِأَسْبَابٍ أُخَرِ.

مِنْهَا: شَرَفُ الْعَامِلِ عِنْدَ اللَّهِ، وَقُرْبُهُ مِنْهُ، وَكَثْرَةُ تَقْوَاهُ. كَمَا ضُوعِفَ أَجْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى أَجُورِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَأُعْطُوا كِفْلَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ. وَفِي رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي» وَفِي رَوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ «لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ، وَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أُجْزِي بِهِ» وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَلَفْظُهُ «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ كَفَّارَةٌ، إِلَّا الصَّوْمَ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

فَصَارَ عَلَى الرُّوَايَةِ الثَّانِيَةِ اسْتِثْنَاءُ الصَّيَامِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ سَائِرَ الْأَعْمَالِ لِلْعِبَادِ، وَالصَّيَامُ اخْتَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ أَعْمَالِ عِبَادِهِ، وَأَضَافَهُ إِلَيْهِ.

وَعَلَى الرُّوَايَةِ الثَّالِثَةِ، فَلَا اسْتِثْنَاءَ يَعُودُ إِلَى التَّكْفِيرِ بِالْأَعْمَالِ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مِنْ أَجُودِ الْأَحَادِيثِ وَأَحْكَمِهَا. إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ: يُحَاسِبُ اللَّهُ عَبْدَهُ وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ مِنْ سَائِرِ عَمَلِهِ، حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا الصَّوْمُ فَيَتَحَمَّلُ اللَّهُ ﷻ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ. وَيُدْخِلُهُ بِالصَّوْمِ الْجَنَّةَ» أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ.

فَعَلَى هَذَا يَكُونُ أَجْرُ الصَّيَامِ مُدَّخَرًا لِصَاحِبِهِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ. فَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى أَخْذِ أَجْرِهِ مِنَ الصَّيَامِ، فَلِلَّهِ دَرُ الصَّيَامِ حَيْثُ كَانَ بِهِذِهِ الْمَنْزِلَةُ.

إِخْوَانِي، طُوبَى لِأَقْوَامٍ كَانَتْ هِمَمُهُمْ عَالِيَةً، وَعُيُونُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ بَاكِئَةً، فَزَهَّدُوا فِي الدَّارِ الْفَانِيَةِ، وَشَمَّرُوا إِلَى جَنَاتٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ. وَيُقَالُ لَهُمْ فِيهَا: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا آسَفْتُمْ فِي الْآيَامِ الْفَالِيَةِ ۖ﴾ ﴿١٤﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَبِالنَّهَارِ لِرَبِّهِمْ صَائِمُونَ، وَبِالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَتِهِ يَضْجُونَ، وَلِلْحَلَالِ مِنْ خَشْيَةِ الْحَرَامِ يَتْرَكُونَ، أَلَسِنَتُهُمْ طُولَ الزَّمَانِ دَاعِيَةٌ، قُلُوبُهُمْ مِنَ الْفَرْقِ مُزَعَجَةٌ خَاشِيَةٌ، بُطُونُهُمْ مِنَ الطَّعَامِ خَاوِيَةٌ، يَطْلُبُونَ الْعِيشَةَ الْهَانِيَةَ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا آسَفْتُمْ فِي الْآيَامِ الْفَالِيَةِ ۖ﴾ ﴿١٤﴾.

سُبْحَانَ مَنْ يَسَّرَ لَهُمُ الْأَحْوَالَ، سُبْحَانَ مَنْ وَفَّقَهُمْ لِأَحْسَنِ الْأَفْعَالِ. سُبْحَانَ مَنْ اسْتَجَابَ لَهُمُ السُّؤَالَ، وَبَلَّغَهُمْ غَايَةَ الْمَطَالِبِ وَالْأَمَالِ. كَانُوا يُقِيمُونَ وَاللَّيَالِي دَاجِيَةً، قِيَامَ نَفْسٍ خَائِفَةٍ لِلَّهِ رَاجِيَةً. يَسْهَرُونَ طُولَ اللَّيَالِي الشَّائِيَةِ، وَعُيُونُهُمْ مِنَ الْبُكَاءِ عَاشِيَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ مِنْ صَوْمِ الْهَوَاجِرِ ذَاوِيَةٌ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا آسَفْتُمْ فِي الْآيَامِ الْفَالِيَةِ ۖ﴾ ﴿١٤﴾.

فَيَا حَلِيفَ النَّوْمِ وَالْوِسَادَةِ، وَيَا أَسِيرَ الشَّهَوَاتِ وَقَدْ نَسِيَ مَعَادَهُ، وَيَا تَارِكًا لِمَا يُضْلِحُهُ مُكِبًّا عَلَى الْعَادَةِ، أَمَا لَكَ هِمَّةٌ تُنَافِسُ بِهَا هَؤُلَاءِ السَّادَةِ؟ أَمَا لَكَ عَيْنٌ تَدْمَعُ عَلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الْمُشْمَرِينَ؟ أَنْ لِقَلْبِكَ الْقَاسِي أَنْ يَلِينَ ﴿فَتَجْعَلِ السُّلَيْمِينَ كَالْجَرِيمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ فَلَوْ سَمِعْتَ مُنَادِيَ الْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْبَاقِيَةِ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا آسَفْتُمْ فِي الْآيَامِ الْفَالِيَةِ﴾ صَامُوا لِلَّهِ أَيَّامًا قَلِيلًا، فَنَالُوا عِنْدَهُ رَفِيعَ الْمَنَازِلِ. قَامُوا لِمَوْلَاهُمْ أَوْقَاتًا قِصَارًا، فَعَوَّضَهُمْ جَنَانًا وَأَبْكَارًا، وَأَنَالَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ جَزَاءً أَوْدَعَ عُقُولَ الْعَالَمِينَ حَيَارَى.

لَمَّا سَمِعُوا فِي آيَاتِهِ الْجَالِيَةِ، ذَكَرَ جَنَّتِهِ الْعَالِيَةِ، وَقُطُوفُهَا الدَّانِيَةِ، اقْتَنَعُوا

مِنَ الدُّنْيَا بِزَاوِيَةٍ، وَصَارُوا بِالْمَجَاعَةِ كَالشَّانِ الْبَالِيَةِ، وَبَادَرَتْ هِمُّهُمْ إِلَى الْفَضَائِلِ سَاعِيَةً. فَأَوْ لِهَمِّهِمْ إِنَّهَا غَالِيَةٌ. وَأَوْ لِمَطْلُوبَاتِهِمْ إِنَّهَا غَالِيَةٌ، حَيْثُ قِيلَ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْبَاقِيَةِ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ﴿٧٤﴾.

شعر:

قُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَاقْضُ مُهِمَّنَا يَرَاكَ إِلَيْهِ فِي الدُّجَى تَتَوَسَّلُ
وَقُلْ: يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ لَا تَقْطَعْ الرَّجَا فَأَنْتَ الْمُنَى يَا غَايَتِي وَالْمُؤَمَّلُ
فِيَا رَبِّ فَاقْبَلْ تَوْبَتِي بِتَفَضُّلٍ فَمَا زِلْتَ تَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ وَتُمْهَلُ
إِذَا كُنْتَ تَجْفُونِي وَأَنْتَ ذَخِيرَتِي لِمَنْ أَشْتَكِي حَالِي وَمَنْ أَتَوَسَّلُ؟
حَقِيقٌ لِمَنْ أَخْطَا وَعَادَ لِمَا مَضَى وَيَبْقَى عَلَى أَبْوَابِهِ يَتَذَلَّلُ
وَيَبْكِي عَلَى جِسْمٍ ضَعِيفٍ مِنَ الْبَلَى لَعَلَّ يَعُودُ السَّيِّدُ الْمُتَفَضَّلُ
قَصَدْتُ إِلَهِي رَحْمَةً وَتَفَضَّلَا لِمَنْ تَابَ مِنْ زَلَّاتِهِ يَتَقَبَّلُ

فصل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُمْ دَرَجَتْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٣﴾
وَقَالَ تَعَالَى لَمَّا نَعَتَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٤١﴾.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ
فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ
أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهَا الْعَرْشُ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةُ، فَإِذَا
سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ،
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُبَيِّئُ

النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسْطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ. وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَلَأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمُنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَمَا زَالَ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يَبْلُغَهَا».

وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ وَسَعَتُهُمْ».

وَعَنْهُ أَيْضًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِيَتَفَاضَلَ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

رَوَى أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِلَهِي، مَنْ يَسْكُنُ بَيْتَكَ؟ وَمِمَّنْ تَقْبَلُ الصَّلَاةَ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا دَاوُدُ، إِنَّمَا يَسْكُنُ بَيْتِي وَأَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي، وَقَطَعَ نَهَارَهُ بِذِكْرِي، وَكَفَّ عَنِ الشَّهَوَاتِ مِنْ أَجْلِي، يُطْعِمُ الْجَائِعَ، وَيُؤْوِي الْعَرِيبَ، وَيَرْحَمُ الْمُصَابَ، فَذَلِكَ الَّذِي يُضِيءُ نُورُهُ فِي السَّمَاءِ كَالشَّمْسِ، إِنْ دَعَانِي لَبَيْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، أَجْعَلُ لَهُ فِي الْجَهَنَّمَ حِلْمًا، وَفِي الْعَقْلَةِ ذِكْرًا، وَفِي الظُّلْمَةِ نُورًا، إِنَّمَا مَثَلُهُ فِي النَّاسِ كَالْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَانِ، لَا تَبْسُ أَنْهَارُهَا، وَلَا تَتَغَيَّرُ ثِمَارُهَا».

شعر:

سَهْرُ الْعُيُونِ لِعَيْرٍ وَجْهَكَ بَاطِلٌ وَيُكَادُ هُنَّ لِغَيْرٍ فَقْدُكَ ضَائِعٌ

إِنَّمَا يَحْسُنُ الْبُكَاءُ وَالْأَسْفُ عَلَى فَوَاتِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : يُرَى رَجُلٌ فِي الْجَنَّةِ يَبْكِي ، فَيَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ ؟ فَيَقُولُ :
كَانَتْ لِي نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ، قُتِلَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَتْ لِي نَفُوسٌ كَثِيرَةٌ
تُقْتَلُ كُلُّهَا فِي سَبِيلِهِ .

غَزَا قَوْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَمَّا صَافُوا عَدُوَّهُمْ وَاقْتَتَلُوا رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
زَوْجَتَهُ مِنَ الْحُورِ قَدْ فَتَحَتْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، وَهِيَ تَسْتَدْعِي صَاحِبَهَا إِلَيْهَا ،
وَتَحْتُهُ عَلَى الْقِتَالِ ، فَقَتَلُوا كُلُّهُمْ إِلَّا وَاحِدًا ، وَكَانَ كُلَّمَا قُتِلَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ أَغْلَقَ
بَابٌ وَغَابَتْ مِنْهُ الْمَرْأَةُ ، فَأَفْلَتَ آخِرُهُمْ فَأَغْلَقَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْبَابَ الْبَاقِي .
وَقَالَتْ : مَا فَاتَكَ يَا شَقِيٍّ ، فَكَانَ يَبْكِي عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَلَكِنَّهُ أَوْرَثَهُ
ذَلِكَ طُولَ الاجْتِهَادِ وَالْحُزَنِ وَالْأَسْفِ .

عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْهَجْرِ طَاوِيًا
عُوتِبَ عَطَاءٌ فِي كَثْرَةِ بُكَائِهِ ، فَقَالَ : إِذَا ذُكِرَتِ النَّارُ مَثَلْتُ نَفْسِي بَيْنَهُمْ
فَمَا لِي لَا أَبْكِي ؟

وَقَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِي رُحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ : أَوْصِنِي ، فَقَالَ : صُمْ عَنِ
الدُّنْيَا ، وَاجْعَلْ فِطْرَكَ الْمَوْتَ ، وَفِرَّ مِنَ النَّاسِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ .

شِعْر :

عَلَيْكَ بِمَا يُفِيدُكَ فِي الْمَعَادِ	وَمَا تَنْجُو بِهِ يَوْمَ التَّنَادِ
فَمَا لَكَ لَيْسَ يَنْفَعُ فِيكَ وَعَظٌ	وَلَا زَجْرٌ كَأَنَّكَ مِنْ جَمَادِ ؟
سَتَنْدَمُ إِنْ رَحَلْتَ بِغَيْرِ زَادٍ	وَتَشْقَى إِذْ يُنَادِيكَ الْمُنَادِ
فَلَا تَفْرَحْ بِمَالٍ تَفْتَنِيهِ	فَإِنَّكَ فِيهِ مَعْكُوسُ الْمُرَادِ
وَتُبُّ مِمَّا جَنَيْتَ وَأَنْتَ حَيٌّ	وَكُنْ مُتَنَبِّهًا مِنْ ذَا الرُّقَادِ
يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ	لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادٍ ؟

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي بَدَأْتَ بِهَا الطَّائِعِينَ، حَتَّى قَامُوا بِطَاعَتِهِمْ، أَنْ تَمُنَّ بِهَا عَلَى الْعَاصِينَ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِمْ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ شَتَات قُلُوبِنَا بِحُسْنِ عِنَايَتِكَ، وَأَخِي مَوْتَهَا بِعَيْثٍ وَلَايَتِكَ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا عَنْ وَلَائِمِ كَرَامَتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ، وَتُمِيتَنَا عَلَى سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُعْطَى كِتَابُهُ بِالْيَمِينِ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَلَدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الثَّامِنُ

فِي فَضْلِ الصِّيَامِ وَعَظْمِ ثَوَابِهِ وَفَضْلِ التَّلَاوَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَخَزَحَ هَمَمَ الْأَوْلِيَاءِ عَنِ السُّكُونِ إِلَى الْعَاجِلَةِ، وَشَرَحَ صُدُورَ السُّعَدَاءِ لِإِيثارِ الْأَجَلَةِ. الْمُتَفَرِّدِ بِالْكَمَالِ وَالْكَبَرِيَاءِ، وَالْجَلَالِ وَالْبَقَاءِ، وَالْعِزِّ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ. اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَفَهْرٍ، وَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ مِنَ الْخَافِي وَمَا ظَهَرَ، وَنَفَذَتْ أَقْدَارُهُ فِي الْخَلَائِقِ فَكُلُّ نَفْسٍ لِمَا قَدَّرَ لَهَا عَامِلَةٌ، الْقُلُوبُ تَعْرِفُهُ بِصُنْعَتِهِ، وَالرِّقَابُ خَاضِعَةٌ لِعِزَّتِهِ، وَالْعُقُوبُ فِي تَكْيِيفِ عَظَمَتِهِ حَائِرَةٌ ذَاهِلَةٌ، صِفَاتُهُ ثَابِتَةٌ، وَتَخَيُّلَاتُ الْمُشَبِّهِينَ بَاطِلَةٌ. الْحَيُّ الْعَظِيمُ الْقَدِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْمُدَبِّرُ، الْمُتَكَلِّمُ بِكَلَامٍ جَلٍّ عَنِ الْمُشَابَهَةِ وَالْمُمَازَلَةِ. الْمَلِكُ الْكَرِيمُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الَّذِي يَغْفِرُ لِمَنْ اسْتَغْفَرَ، وَيَجْبِرُ مَنْ انْكَسَرَ، وَيُقِيلُ مَنْ اسْتَقَالَهُ وَيُجِيبُ سَائِلَهُ. اللَّطِيفُ الَّذِي لَا يَقُومُ مَخْلُوقٌ بِشُكْرِهِ. الْجَلِيلُ الَّذِي غَمَرَ الْعِبَادَ بِبِرِّهِ، وَبُحُورِ عَطَائِهِ، وَسَحَابِئِ فَضْلِهِ عَلَى الْخَلْقِ سَائِلَةٌ. مُصَرِّفُ الْأَحْكَامِ بِالْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ، وَمُشْرِفُ الْأَوْقَاتِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ. وَمَوْقُطُ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ بِالتَّذْكِيرِ وَالْوَعْظِ، الْعَالِمُ بِالْأَشْيَاءِ فَأَوْضَحَ مَحَجَّتَهُ وَأَبَانَ دَلَالَتَهُ. الْعَفْوُ الَّذِي يَسْتُرُ الزَّلَّاتِ، وَيُقِيلُ الْعَثَرَاتِ، وَيُنَادِي فِي

كُلَّ لَيْلَةٍ لِيُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، وَيَغْفِرَ السَّيِّئَاتِ، وَيَثُوبَ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ قَبِيحِ
الْجَنَايَاتِ، وَيُسَبِّلَ سِتْرَهُ عَلَى الْعَصَاةِ عِنْدَ الْمُسَاءَةِ. قَرَّبَ أَحْبَابَهُ فَوَجَدُوا لَذَّةَ
الْمُعَامَلَةِ، فَقَلُّوهُمْ بِذِكْرِهِ حَاضِرَةً وَعُيُونُهُمْ فِي خِدْمَتِهِ سَاهِرَةً وَأَبْدَانُهُمْ مِنْ
مَخَافَتِهِ نَاجِلَةً، وَقَطَعَ الْمُبْعِدِينَ عَنْ بَابِهِ، وَأَذَلَّهُمْ بِأَلِيمِ حِجَابِهِ، فَهَمُّهُمْ عَنِ
النُّهُوضِ إِلَى الْخَيْرَاتِ مُتَنَاقِلَةً، يَا خَبِيبَةَ مَنْ أَسْرَهُ هَوَاهُ. يَا شَقَاوَةَ مَنْ طَرَدَهُ
مَوْلَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُ مُعَامَلَةٌ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِهِ الشَّامِلَةِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ قَرْدٌ صَمَدٌ
لَهُ الْبَقَاءُ وَالْمُلْكُ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ
وَخَلِيلُهُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أُمَّةٍ غَافِلَةٍ، أَرْسَلَهُ إِلَى أَنْاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ
وَعَارِقِينَ فِي بُحُورِ ضَلَالَتِهِمْ، فَأَوْضَحَ لَهُمْ نَهْجَ الشَّرِيعَةِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ أَعْلَامَ
طَرِيقِهَا، وَدَمَّرَ حِزْبَ الشَّيْطَانِ بِالْمُكَافَحَةِ وَالْمُنَاضَلَةِ، وَبَيَّنَّ كُلَّ مُشْكِلَةٍ وَأَوْضَحَ
حُكْمَ كُلِّ نَازِلَةٍ، فَأَضْحَتْ شَمْسُ الْهُدَى مُشْرِقَةً، وَنُجُومُ الضَّلَالِ آفِلَةً.
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً دَائِمَةً مُتَوَاصِلَةً، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ
عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ
تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾.

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ صَوْمَ رَمَضَانَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ حُكْمُ الصَّوْمِ. وَلِلصَّوْمِ
فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَثَوَابٌ جَسِيمٌ.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا مُوسَى عَلَى سَرِيَّةٍ فِي
الْبَحْرِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قَدْ رَفَعُوا الشَّرَاعَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، إِذَا هَاتِفٌ فَوْقَهُمْ
يَهْتِفُ: يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ قِفُوا أُخْبِرْكُمْ بِقَضَاءِ اللَّهِ عَلَى نَفْسِهِ. فَقَالَ أَبُو

مُوسَى: أَخْبَرْنَا إِنْ كُنْتَ مُخْبِرًا، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مَنْ أَعْطَشَ نَفْسَهُ لَهُ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْعَطَشِ. رَوَاهُ الْبَزَّازُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

وَلَا بِنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ مَنْ عَطَشَ نَفْسَهُ لِلَّهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْوِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَوَخَّى الْيَوْمَ الشَّدِيدَ الْحَرِّ الَّذِي يَكَادُ الْإِنْسَانُ يَنْسَلِخُ فِيهِ حَرًّا فَيَصُومُهُ.

وَيَتَّبِعِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَكُونَ مُوَظَّبًا عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ لِيُغْنِمَ شَرَفَ الزَّمَانِ. فَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ، مَنْعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ».

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ».

وَقَالَ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَخْرَجِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ. قَالَ اللَّهُ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ. يَدْعُ الطَّعَامُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدْعُ الشَّرَابُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدْعُ لَذَّتُهُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدْعُ زَوْجَتُهُ مِنْ أَجْلِي. وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرَحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرَحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ».

فَقَوْلُهُ ﷺ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ» فِيهِ وَجْهَانِ.

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الصَّيَامَ هُوَ مُجَرَّدُ تَرْكِ حُظُوظِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا الْأَصْلِيَّةِ،

الَّتِي جُبِلَتْ عَلَى الْمِيلِ إِلَيْهَا لِلَّهِ ﷻ، وَلَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي عِبَادَةٍ أُخْرَى غَيْرِ الصَّيَامِ، فَلَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي الْإِحْرَامِ، فَإِنَّ الْإِحْرَامَ يَتْرُكُ فِيهِ الْجَمَاعُ وَدَوَاعِيهِ مِنَ الطَّيِّبِ دُونَ سَائِرِ الشَّهَوَاتِ. وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهَا وَإِنْ تَرَكَ الْمُصَلِّي فِيهَا جَمِيعَ الشَّهَوَاتِ إِلَّا أَنْ مُدَّتْهَا لَا تَطُولُ، فَلَا يَجِدُ الْمُصَلِّي فَقْدَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي صَلَاتِهِ، بَلْ قَدْ نُهِيَ أَنْ يُصَلِّيَ وَنَفْسُهُ تَتَوَقَّ إِلَى طَعَامٍ بِحَضْرَتِهِ، حَتَّى يَتَنَاوَلَ مِنْهُ مَا يُسْكِنُ نَفْسَهُ. وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِبَاحَةُ الْمَاءِ فِي التَّطَوُّعِ. وَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ. وَهَذَا بِخِلَافِ الصَّيَامِ، فَإِنَّهُ يَسْتَوْعِبُ النَّهَارَ كُلَّهُ، فَيَجِدُ الصَّائِمُ فَقْدَ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ وَتَشَوُّقَ نَفْسِهِ إِلَيْهَا؛ خُصُوصًا فِي نَهَارِ الصَّيْفِ لِشِدَّةِ حَرِّهِ وَطُولِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ شَهْوَةً حَاضِرَةً لِمَوْعِدٍ غَيْبٍ لَمْ يَرَهُ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ «تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي».

لَمَّا عَلِمَ الْمُؤْمِنُ الصَّائِمُ أَنَّ رِضَاءَ مَوْلَاهُ فِي تَرَكَ شَهَوَاتِهِ قَدَّمَ رِضَاءَ مَوْلَاهُ عَلَى هَوَاهُ، فَصَارَتْ لَذَّتُهُ فِي تَرَكَ شَهَوَاتِهِ لِإِيمَانِهِ بِاطِّلَاعِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَلِهَذَا لَوْ ضُرِبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ يُفْطِرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَغَيْرِ غَدْرِ لَمْ يَقْعَلْ، لِعِلْمِهِ بِكَرَاهَةِ اللَّهِ لِفْطَرِهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ.

سُئِلَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ: مَتَى أَحِبُّ رَبِّي قَالَ: إِذَا كَانَ مَا يَكْرَهُهُ أَمْرًا عَلَيْكَ مِنَ الصَّبْرِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَيْسَ مِنْ أَعْلَامِ الْمَحَبَّةِ أَنْ تُحِبَّ مَا يَكْرَهُ حَبِيبُكَ.

شِعْر:

إِنْ كَانَ رِضَاكُمْ فِي سَهَرِي فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَى وَسَنِي

فَالْمُؤْمِنُ يَتْرُكُ مَا يُلَايِمُهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَدَّمَ رِضَاءَ رَبِّهِ عَلَى هَوَى نَفْسِهِ، وَرَبُّمَا يَتَرَقَّى إِلَى أَنْ يَكْرَهُ جَمِيعَ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ عَنْهُ وَيَنْفِرَ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مُلَايِمًا لِلنَّفْسِ، كَمَا قِيلَ:

عَذَابُهُ فِيكَ عَذْبٌ وَبُعْدُهُ فِيكَ قُرْبٌ

وَأَنْتَ عِنْدِي كَرُوحِي بَلْ أَنْتَ مِنْهَا أَحَبُّ
حَسْبِي مِنَ الْحُبِّ أَنِّي لِمَا تُحِبُّ أَحَبُّ

الْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّ الصِّيَامَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، لِأَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ نِيَّةٍ بَاطِنَةٍ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُعَامِلُوهُ سِرًّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَأَهْلُ مَحَبَّتِهِ يُحِبُّونَ أَنْ يُعَامِلُوهُ سِرًّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِحَيْثُ لَا يَطْلُعُ عَلَى مُعَامَلَتِهِمْ إِلَّا يَأْهُ سِوَاهُ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَوَدُّ لَوْ تَمَكَّنَ مِنْ عِبَادَةٍ لَا يَشْعُرُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الْحَفَظَةُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَمَّا اِطْلَعَ عَلَى بَعْضِ سَرَائِرِهِ: إِنَّمَا كَانَتْ تَطْيِبُ الْحَيَاةَ لَمَّا كَانَتْ الْمُعَامَلَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سِرًّا، ثُمَّ دَعَا عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَوْتِ فَمَاتَ.

سُبْحَانَ مَنْ اخْتَارَ مِنْ عِبَادِهِ أَقْوَامًا لِيُخْدِمْتِهِ، وَشَغَلَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِمَحَبَّتِهِ، وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ مَحَلًّا مَعْرِفَتِهِ. كَشَفَ لَهُمْ مَا عَطَى عَنِ الْغَيْرِ، وَأَعْطَاهُمْ مِنْ جُودِهِ كُلَّ خَيْرٍ، وَحَثَّ مَطَايَاهُمْ إِلَيْهِ بِالسَّيْرِ. فَهُمْ فِي خِدْمَةِ مَوْلَاهُمْ يَذَابُونَ، وَلِلْمَشَقَّةِ فِي مَرْضَاتِهِ يَسْتَعْدِبُونَ.

شِعْر:

لِلَّهِ قَوْمٌ أَخْلَصُوا فِي حُبِّهِ	فَاخْتَارَهُمْ وَرَضِيَ بِهِمْ خُدَّامًا
قَوْمٌ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ	أَبْصَرَتْ قَوْمًا سُجَّدًا وَقِيَامًا
يَتَلَذَّذُونَ بِذِكْرِهِ فِي لَيْلِهِمْ	وَيُكَابِدُونَ لَدَى النَّهَارِ صِيَامًا
فَسَيَغْنَمُونَ عَرَائِسًا بِعَرَائِسِ	وَيُبَوَّأُونَ مِنَ الْجَنَّاتِ خِيَامًا
وَتَقَرُّ أَعْيُنُهُمْ بِمَا أَخْفَى لَهُمْ	وَسَيَسْمَعُونَ مِنَ الْجَلِيلِ سَلَامًا

فَصْلٌ فِي صِفَةِ بِنَاءِ الْجَنَّةِ وَقُصُورِهَا وَتُرَابِهَا وَحَضْبَائِهَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيَسْكَنُونَ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٧) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَفَوْا رَحْمَتَهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُرْقًا، فَإِذَا كَانَ سَائِئُهَا فِيهَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ مَا خَلَفَهَا، وَإِذَا كَانَ خَلَفَهَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ مَا فِيهَا. قِيلَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَوَاصَلَ الصِّيَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامًا. قِيلَ: وَمَا طِيبُ الْكَلَامِ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهَا مُقَدَّمَاتٌ وَمُعَقَّبَاتٌ. قِيلَ: وَمَا وَصَالُ الصِّيَامِ؟ قَالَ: مَنْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ. قِيلَ: وَمَا إِطْعَامُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَ عِيَالَهُ وَأَطْعَمَهُمْ. قِيلَ: وَمَا إِفْشَاءُ السَّلَامِ؟ قَالَ: مُصَافَحَةُ أَخِيكَ وَتَحِيَّتُهُ. قِيلَ: وَمَا الصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؟ قَالَ: صَلَاةُ الْعِشَاءِ الْأَخِيرَةِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بَنَؤُهَا؟ قَالَ: لِبَنَةِ ذَهَبٍ وَلِبْنَةِ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ، وَحَضْبَاؤُهَا اللَّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الرَّعْفَرَانُ. مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ» رواه أحمد وغيره.

وَأُخْرِجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةً عَدْنٍ بِيَدِهِ. لِبَنَةٍ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ، وَلِبَنَةٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ، وَلِبَنَةٍ مِنْ زَبْرَجَدَةٍ خَضْرَاءَ، وَمِلَاطُهَا مِسْكٌ، حَشِيشُهَا الرَّعْفَرَانُ وَحَضْبَاؤُهَا اللَّؤْلُؤُ، تُرَابُهَا الْعَنْبَرُ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: انْطِقِي، قَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا يُجَاوِرُنِي فِيكَ بَخِيلٌ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾».

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ» إِشَارَةٌ إِلَى بَقَاءِ الْجَنَّةِ وَبَقَاءِ جَمِيعِ مَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ، وَأَنَّ صِفَاتِ أَهْلِهَا الْكَامِلَةِ مِنَ الشَّبَابِ لَا يَتَغَيَّرُ أَبَدًا، وَمَلَاسِيُهُمُ الَّتِي

عَلَيْهِمْ مِنَ الثَّيَابِ الَّتِي لَا تَبْلَى أَبَدًا، وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

وَفِيمَا ذَكَرَهُ ﷻ فِي صِفَةِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَعْرِضُ بِذِمِّ الدُّنْيَا الْفَائِضَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَدْخُلُهَا وَإِنْ نَعِمَ فِيهَا فَإِنَّهُ يَبْأَسُ، وَمَنْ أَقَامَ فِيهَا فَإِنَّهُ يَمُوتُ وَلَا يَخْلُدُ. وَإِنْ صَحَّ فِيهَا فَإِنَّهُ يَسْقَمُ. وَإِنْ سُرَّ قَلِيلًا فَعَنْ قَرِيبٍ يَحْزَنُ، وَيَفْنَى شَبَابُهُ، وَتَبْلَى ثِيَابُهُ. وَفِي هَذَا التَّعْرِضِ بِذِمِّ الدُّنْيَا وَفَنَائِهَا مَذْخٌ لِلْآخِرَةِ، وَذِكْرُ كَمَالِهَا وَبَقَائِهَا.

إِخْوَانِي: فِي الْجَنَّةِ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ، لِمَنْ لَهُ الْيَوْمَ عَيْنَانِ مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ تَجْرِيَانِ. قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ فِي الْخِيَامِ، لِمَنْ قَصَرَ طَرْفُهُ عَنِ الْآثَامِ. رُفَعَ الْحِجَابُ لِمَنْ تَرَكَ الْإِعْجَابَ. بَسَاتِينُهَا زَاهِرَةٌ، لِمَنْ لَهُ عَيْنٌ لِلَّهِ سَاهِرَةٌ. قُصُورُهَا عَالِيَةٌ، وَثَمَارُهَا دَانِيَةٌ، ظِلُّهَا مَمْدُودٌ، لِمَنْ لَا يَتَعَدَّى الْحُدُودَ. عَيْشُهَا مُقِيمٌ، لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَسْتَقِيمُ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، لِمَنْ تَرَكَ الْقُبَائِحَ وَفَعَلَ الْمَحَاسِنَ. فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، لِمَنْ سَلِمَ مِنَ الْحَرَامِ لَحْمُهُ وَجِسْمُهُ. فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ، لِأَقْوَامٍ كَانُوا بِشَرِّعِ اللَّهِ مُتَمَسِّكِينَ، وَلِنَبِيِّهِ ﷺ مُتَّبِعِينَ. فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، لِمَنْ كَانَ إِمَامُهُ الْمُصْطَفَى.

فِيَا مَنْ غَرَّهُ الْإِمْهَالُ، فَجَرَّ أَذْيَالَهُ فِي الْغَفْلَةِ وَالْإِهْمَالِ، وَنَسِيَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْعِظَائِمِ، وَمَا أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْكَرَامِ. أَرْضِيتَ بِبَيْعِ حَظِّكَ بِزُيُوفِ شَهَوَاتِكَ، أَمْ قَنَعْتَ مِنْ غَنَائِمِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِكُنَاسَةِ مَنَازِلِ غَفَلَاتِكَ، خَسِرْتَ وَاللَّهِ صَفْقَةً مِنْ بَاعٍ لَحْظُهُ، لَكِنْ قَدْ قَالَ الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ سَتَوَى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾.

شِعْر:

بِذِكْرِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى نَتَنَعَّمُ وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا

شَهِدْنَا يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ وَاسِعٌ
 إِلَهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوبًا عَظِيمَةً
 سَتَرْنَا مَعَاصِينَا عَنِ الْخَلْقِ جُمْلَةً
 وَحَقِّكَ، مَا فِيْنَا مُسِيءٌ يَسُرُّهُ
 سَكَنَّا عَنِ الشُّكُوى حَيَاءً وَهَيْبَةً
 إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا
 إِلَهِي فَجُدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا
 أَلَسْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافَقُوا
 فَقُلْتَ «اسْتَقِيمُوا» مِنْهُ وَتَكَرَّمَا
 لَهُمْ فِي الدُّجَى أَنْسُ بِذِكْرِكَ دَائِمًا
 نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بِتَعَطُّفٍ
 لَكَ الْحَمْدُ عَامِلِنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

إِلَهِي أَنْتَ مَلَأْتَنَا إِذَا ضَاقَتِ الْحِيلُ، وَمَلَجَانَا إِذَا انْقَطَعَ الْأَمَلُ. فَبِذِكْرِكَ
 نَتَنَعَّمُ وَنَتَفَخَّرُ، وَإِلَى جُودِكَ نَلْتَجِيءُ وَنَفْتَقِرُ، فَلَا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا وَلَا تَصْرِفْ
 وَجْهَكَ فِي الْقِيَامَةِ عَنَّا، وَاعْفِرْ ذُنُوبَنَا، وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا، وَأَقِرَّ فِي الْقِيَامَةِ عُيُوبَنَا،
 فَهَا نَحْنُ لِبَابِكَ قَرَعْنَا، وَبِفَنَائِكَ أَنْخَنَا، فَلَا تَطْرُدْنَا عَنْ جَنَابِكَ، وَهَبْ لَنَا مَا
 وَهَبْتَهُ لِأَحْبَابِكَ.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ اللَّغَاتُ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا
 يَتَبَرَّمُ بِالْحَاجِ ذَوِي الْحَاجَاتِ، اجْعَلْ مَأْنَا إِلَى الْجَنَّاتِ، وَنَعْمَنَا بِمَا فِيهَا مِنْ
 الْكَرَامَاتِ، وَأَعِزَّنَا مِنَ النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّفْحَاتِ، يَا جَابِرَ الْمُتَكَسِّرِينَ.
 وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْبَابُ التَّاسِعُ فِي آدَابِ الصَّيَامِ وَفَوَائِدِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ تُرَابٍ، وَفَاوَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْعُلُومِ وَالْعُقُولِ وَالْآدَابِ. قَرَّبَ أَقْوَامًا وَأَبْعَدَ آخَرِينَ، وَأَذَلَّ مَنْ شَاءَ بِالْمَعَاصِي وَأَعَزَّ مَنْ شَاءَ بِالطَّاعَةِ وَالتَّمَكُّينِ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ بِإِيضَاحِ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، وَقَسَمَ خَلْقَهُ إِلَى تَقِيٍّ أَوَّابٍ، وَفَاجِرٍ كَذَّابٍ، كَشَفَ عَنْ أَبْصَارِ بَصَائِرِ أَوْلِيَائِهِ الْحِجَابَ، وَأَشْهَدَهُمْ مَا خَفِيَ عَنْ غَيْرِهِمْ وَغَابَ، فَهُمْ فِي الدَّلَالَةِ لِلْخَلْقِ عَلَى الْبَابِ، هَمَمُهُمْ مَضْرُوفَةٌ فِي طَلَبِ الْخَيْرَاتِ وَالْإِكْتِسَابِ. وَمَطَالِبُهُمْ مَا بِهِ الزُّلْفَى لَدَى رَبِّهِمْ وَالْإِفْتِرَابِ. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ وَشَعَلَ الْجَهْلَةُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَهُمْ فِي مَهْدِ الْجَهَالَةِ يَتَقَلَّبُونَ، وَفِي صُنُوفِ الْمُشْتَهَيَاتِ يَتَمَتَّعُونَ. وَعَلَى مَا أَحْبَبُوهُ يَرْتَكِبُونَ. قَدْ رَضُوا بِالْإِبْعَادِ وَالتَّبَابِ، هَمَمُهُمْ مَضْرُوفَةٌ إِلَى جَمْعِ الْحُطَامِ، وَجُلُّ مَطْلُوبِهِمْ مُشَارَكَةُ الْأَنْعَامِ، فَهُمْ فِي نَيْلِ الْحُطَامِ بَيْنَ مَجِيءٍ وَذَهَابٍ، لَا يُبَالُونَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ حَلَالٍ أَوْ مِنْ حَرَامٍ بِأَيِّ الْإِكْتِسَابِ. يَعْمُرُونَ بِالشَّهَوَاتِ أَجْسَامَهُمْ وَالْقُلُوبُ فِي خَرَابٍ. فَإِذَا عَايَنُوا تَفْرِيطَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ بَانَ الْمُرْتَابُ ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾.

فُسَبْحَانَ مَنْ قَسَمَ عَطَاءَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فَهَذَا مَقْبُولٌ وَهَذَا مَرْدُودٌ. وَهَذَا نَائِلٌ خَيْرًا وَهَذَا رَاجِعٌ بِالتَّبَابِ. بَيْنَ لِقَاصِدِيهِ سَبِيلًا وَسَنَنًا. وَوَهَبَ لِعَابِدِيهِ أَجْرًا جَزِيلًا يُقْتَنَى. وَأَثَابَ حَامِدِيهِ أَلَدَّ مَا يُجْتَنَى، وَهُوَ الْمُتَفَضَّلُ بِالْخَيْرِ وَالْوَهَّابُ. أَحْمَدُهُ حَمْدًا يَفُوقُ الْعَدَّ وَالْحِسَابَ. وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمٍ يَكِلُ الْعَادَّ عَنْ حَضَرِهَا وَلَا يُخْصِيهَا كِتَابٌ وَلَا جَوَابٌ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُبَرَّأَةً مِنَ الشُّرْكِ وَالشُّكُوكِ وَالْأَرْتِيَابِ، أَرْجُو بِهَا النَّجَاةَ مِنْ نَارٍ شَدِيدَةِ الْوُقُودِ وَالْأَلْتِيَهَابِ،

وَأَوْمَلُ بِهَا مِنْ كَرَمِهِ أَعَالِي الْقُصُورِ فِي فَسِيحِ الرَّحَابِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ الْخَلْقِ وَسَيِّدُ الْحَضَرِ وَالْأَعْرَابِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ الْأَنْجَابِ، صَلَاةً دَائِمَةً مَا لَاحَ نَجْمٌ وَغَابَ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨).

هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لِعِبَادِهِ أَنْ يَتَّقُوهُ. فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَهْلٌ أَنْ يُخْشَى وَيُهَابَ. وَيُجَلَّ وَيُعْظَمَ وَيُرْجَى وَيُخَافَ مِنْ بَطْشِهِ وَعِقَابِهِ، وَهُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَالتَّقْوَى: هِيَ فِعْلُ أَوَامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، وَكَرَرِ التَّقْوَى زِيَادَةً عَلَى التَّحْرِيزِ لَهَا، وَفِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى وَالْوَصِيَّةِ بِهَا وَمَدْحِ أَهْلِهَا مَا فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ، وَالتَّقْوَى وَصِيَّةٌ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الصَّائِمِ إِذَا صَامَ: أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ، وَيَحْفَظَ صِيَامَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَالشَّمِّ وَالْغِيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي حَقِّ الصَّائِمِ: «إِنَّهُ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي» وَذَلِكَ أَنَّ الصَّائِمَ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِتَرْكِ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ، وَهَذِهِ أَعْظَمُ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَفِي التَّقَرُّبِ بِتَرْكِهَا بِالصَّيَامِ قَوَائِدُ:

مِنْهَا: كَسْرُ النَّفْسِ، فَإِنَّ الشَّبَعَ وَالرَّيَّ وَمُبَاشَرَةَ النِّسَاءِ تَحْمِلُ النَّفْسَ عَلَى الْأَشْرِ وَالْبَطْرِ وَالْعَفْلَةِ.

وَمِنْهَا: تَحْلِي الْقَلْبِ لِلْفِكْرِ وَالذِّكْرِ؛ فَإِنَّ تَنَاوُلَ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ قَدْ يُقْسِي الْقَلْبَ وَيُعْمِيهِ، وَيُحَوِّلُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، وَيَسْتَدْعِي الْعَفْلَةَ. وَخُلُوُّ الْبَطْنِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يُنَوِّرُ الْقَلْبَ، وَيُوجِبُ رِقَّتَهُ وَيُزِيلُ قَسْوَتَهُ وَيُخْلِيهِ لِلذِّكْرِ وَالْفِكْرِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْغَنَى يَعْرِفُ قَدْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِإِقْدَارِهِ لَهُ عَلَى مَا مَنَعَهُ كَثِيرًا

مِنَ الْفُقَرَاءِ مِنْ فَضُولِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَاسَى الْجُوعَ عَرَفَ قَدْرَ النُّعْمَةِ، فَيُوجِبُ لَهُ ذَلِكَ شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَيَدْعُوهُ إِلَى رَحْمَةِ أَخِيهِ الْمُحْتَاجِ وَمَوَاسَاتِهِ.

وَلِهَذَا سَأَلَ الْمَأْمُونُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا: أَيُّ شَيْءٍ فَائِدَةُ الصَّوْمِ فِي الْحِكْمَةِ؟ فَقَالَ: عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَنَالُ الْفَقِيرَ مِنَ الْجُوعِ. فَأَدْخَلَ الصِّيَامَ عَلَى الْغَنِيِّ لِيَذُوقَ طَعْمَ الْجُوعِ حَتَّى لَا يَنْسَى الْفَقِيرَ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الصِّيَامَ يُضَيِّقُ مَجَارِيَ الدَّمِ الَّتِي هِيَ مَجَارِي الشَّيْطَانِ مِنْ ابْنِ آدَمَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ. فَبِالصِّيَامِ تَنْكَسِرُ سَوْرَةُ الشَّيْطَانِ، وَسَوْرَةُ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ؛ فَهَذِهِ بَعْضُ فَوَائِدِ الصَّوْمِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِتَرْكِ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ فِي غَيْرِ حَالَةِ الصِّيَامِ إِلَّا بَعْدَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِتَرْكِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنَ الْكُذْبِ وَالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى النَّاسِ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، فَهَذِهِ الْأُمُورُ حَرَامٌ، وَفِي حَقِّ الصَّائِمِ أَشَدُّ حُرْمَةً، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ «لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ» قَالَ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ: عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَهْوَنُ الصِّيَامِ تَرْكُ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ.

وَقَالَ جَابِرٌ: إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصْرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكُذْبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْجَارِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صَوْمِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاءً.

قَالَ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صُمْتُ
فَحَظِّي إِذَا مِنْ صَوْمِي الْجُوعُ وَالظَّمَا فَإِنْ قُلْتُ: إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صُمْتُ

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ».

وَسِرُّ هَذَا أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِتَرْكِ الْمُبَاحَاتِ لَا يَكْمُلُ إِلَّا بَعْدَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَمَنْ ارْتَكَبَ الْمُحَرَّمَاتِ، ثُمَّ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِتَرْكِ الْمُبَاحَاتِ، كَانَ بِمَثَابَةِ مَنْ يَتْرُكُ الْفَرَائِضَ وَيَتَقَرَّبُ بِالنَّوَافِلِ، وَإِنْ كَانَ صَوْمُهُ مُجْزِئًا عِنْدَ الْجُمْهُورِ، بَحِثْ لَا يُؤْمَرُ بِإِعَادَتِهِ.

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِمَا عَنْ عُبَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا، وَأَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ - أَوْ سَكَتَ - ثُمَّ عَادَ - أَرَاهُ قَالَ: بِالْهَاجِرَةِ - قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّهُمَا وَاللَّهِ قَدْ مَاتَتَا - أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا - قَالَ: ادْعُهُمَا. قَالَ: فَجَاءَتَا. قَالَ: فَجِيءَ بِقَدَحٍ، فَقَالَ لِأَحَدَاهُمَا: قِيِي، فَقَاءَتْ قَيْحًا وَدَمًا وَصَدِيدًا وَلَحْمًا عَبِيْطًا حَتَّى مَلَأَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ. ثُمَّ قَالَ لِلْأُخْرَى: قِيِي. فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ وَصَدِيدٍ وَلَحْمٍ عَبِيْطٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى مَلَأَتْ الْقَدَحَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمَا، وَأَفْطَرْنَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا، جَلَسْتُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَتَا تَأْكُلَانِ مِنْ لُحُومِ النَّاسِ».

وَقَالَ ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا - وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ - قِيلَ: بِمَ يَخْرِقْهَا؟ قَالَ: بِكَذِبٍ أَوْ غِيْبَةٍ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ.

وَقَالَ ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْحَبْ، وَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيُقِلْ: إِنِّي صَائِمٌ» فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ فِيهَا الْأَمْرُ بِصِيَانَةِ الصَّوْمِ عَمَّا يَجْرَحُهُ.

وَمِنْ آدَابِ الصَّيَامِ: أَنْ تَصُومَ الْجَوَارِحُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهَا. فَتَصُومَ

الْأُذُنُ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ لِلْغَوِّ وَالْكَذِبِ وَالْغَيْبَةِ، وَتَصُومَ الْعَيْنُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْحَرَامِ، وَمَا حَظَرَ الشَّرْعُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، كَالنِّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ وَالْمُرْدَانِ، فَرْنَا الْعَيْنَ النَّظَرَ، وَهُوَ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، وَيَصُومُ اللِّسَانُ عَنِ الْكَلَامِ الْفَسِيحِ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَمِنْ آدَابِ الصَّائِمِ: تَأْخِيرُ السُّحُورِ، وَتَعْجِيلُ الْفِطْرِ إِذَا تَحَقَّقَ الْغُرُوبُ. وَمِنْ آدَابِهِ: كَثْرَةُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَأَلَّا يُكْثِرَ الْأَكْلَ بِاللَّيْلِ وَالنَّوْمَ بِالنَّهَارِ بَلْ يَقْتَصِدُ، فَإِذَا سَمِعْتَ مَا ذَكَرْنَا عَنِ الْمَرَأَتَيْنِ. وَأَنْتَهُمَا صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ وَأَفْطَرْتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا كَانَتَا تَغْتَابَانِ النَّاسَ، فَاحْرِصْ عَلَى الْحَلَالِ وَلَا يَكُنْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاءً.

عِبَادَ اللَّهِ، قَدْ مَضَى عَلَيْكُمْ شُهُورٌ مِنَ الزَّمَانِ. وَلَعَلَّ أَكْثَرَ أَيَّامِهَا ذَهَبَتْ فِي الْعِصْيَانِ. وَهَذَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. وَهُوَ شَهْرُ الْإِعْتَاقِ مِنَ النَّيرَانِ لِمَنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ وَاسْتَحْيَا مِنْ رَقِيبِهِ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

شَهْرٌ أَقْبَلَ عَلَى الْمُتَّقِينَ بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَعَلَى الْمَقْبُولِينَ بِتَكْثِيرِ الْأَجُورِ، وَعَلَى الصَّادِقِينَ بِتَوْفِيرِ الثُّورِ، وَعَلَى التَّائِبِينَ بِتَقْوِيمِ الْأُمُورِ، وَجَبَرَ الْمَكْسُورِ، وَعَلَى الْعَامِلِ بِتَوْفِيرِ نَصِيبِهِ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

شَهْرٌ يَتِمُّ بِهِ الْإِسْعَادُ وَالتَّكْرِيمُ، وَيَتَفَضَّلُ بِجَزِيلِ الْإِنْعَامِ الْمَلِكُ الْكَرِيمُ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ كُلُّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، وَيُعَافَى فِيهِ مَرِيضُ الْخَطَايَا السَّقِيمِ، إِذَا امْتَثَلَ أَمْرَ طَبِيبِهِ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

شَهْرٌ تَتَوَقَّرُ فِيهِ الْعَطَايَا وَالْمِنَحُ، وَيَتَحَصَّلُ فِيهِ كُلُّ مَأْمُولٍ مُقْتَرَحٍ، وَيَتِمُّ لِلْعَابِدِ بِالثَّوَابِ الْفَرَحُ، وَيَغْفَرُ لِلْعَاصِي كُلِّ مَا اجْتَرَحَ، وَيُعَادُ عَلَى مَنْ أَصْلَحَ وَصَلَحَ، بِإِذْنائِهِ وَتَقْرِيبِهِ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

فِيهِ الْأَحْبَابُ بِالْدُّعَاءِ يَعْجُونَ، وَبِالتَّضَرُّعِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ يَضْجُونَ، وَفِي نَهَارِهِ مِنَ الْعَفَلَاتِ يَتَحَرَّجُونَ. وَفِي دِيَاغِيهِ لِلْمَوْلَى الْكَرِيمِ يُنَاجُونَ، وَبِأَمَالِهِمْ لِسَيِّدِهِمْ يَلْتَجِئُونَ، إِذَا سَكَنَ كُلُّ حَبِيبٍ إِلَى حَبِيبِهِ.

شَهْرٌ يَعُو فِيهِ عَنْ عِبَادِهِ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ، فَاَحْفَظُوهُ لَعَلَّهُ يَحْصُلَ لَكُمْ
بِالتَّقْوَى جَنَّاتُ النَّعِيمِ، وَيَقِيَكُمْ فِي الْقِيَامَةِ هَوْلُ الْحَجِيمِ، إِذَا انْزَعَجَتِ الْقُلُوبُ
لِهَيْبَةِ مُسَاءَلَةِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَعَايَنْتُمْ فِي الْوُفُوفِ شَدِيدَ كُرُوبِهِ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا
أُجْزِي بِهِ».

لَقَدْ سَعِدَ وَاللَّهِ مَنْ اتَّقَى فِيهِ وَنَجَا، وَلَقَدْ نَالَ مَأْمُولَ الْغُفْرَانِ فِيهِ مَنْ
رَجَا. وَلَقَدْ تَمَّ حَالُ مَنْ أَفْطَرَ فِيهِ عَلَى السُّؤَالِ وَالتَّجَا. وَتَسَحَّرَ فِي جَوْفِ
الَّيْلِ وَظُلْمَةِ الدُّجَى، يُكَاثِبُهُ وَنَحِيهِ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

فَصَحِّحُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - الْفُرُوضَ وَالتَّوَابِلَ. وَاحْتَرِسُوا مِنْ شَهَوَاتِ
الْغَفَلَاتِ الْقَوَاتِلِ. وَتَقَفُّوا قَبْلَ الْخَاقِ الْأَوَّخِرِ بِالْأَوَائِلِ، تَنْجُوا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ
وَتَعَذِّبِهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

إِخْوَانِي: جَانِبُوا أَكْلَ الْحَرَامِ فَإِنَّهُ سَبَبُ الطَّرْدِ وَالْهَجْرِ، وَاحْذَرُوا غِيْبَةَ
النَّاسِ فَإِنَّهَا تُحْبِطُ الْأَجْرَ، وَعَظِّمُوا شَهْرَكُمْ فَإِنَّهُ عَظِيمُ الْأَمْرِ وَشَرِيفُ الْقَدْرِ،
وَانْتَظِرُوا فِيهِ - بِحُسْنِ الْيَقَظَةِ - لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ غَرِيبَةٌ، وَعَجِيبَةٌ عَجِيبَةٌ.
«الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

عِبَادَ اللَّهِ: إِيَّاكُمْ فِيهِ وَفُضُولَ الْكَلَامِ، وَاجْتَهِدُوا فِيهِ فِي الصَّلَاةِ
وَالصِّيَامِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لُحُومَ الْأَنَامِ، وَلَا قَامَ مَنْ جَسَدُهُ
مَعَ الْقَائِمِينَ وَقَلْبُهُ مَعَ النَّيَامِ. فَقُومُوا فِي هَذَا الشَّهْرِ - إِذْ نَزَلَ فِيكُمْ ضَيْقًا -
بِوَاجِبِ الْإِكْرَامِ، عَسَاهُ يَقِيكُمْ شَرَّ الْوُفُوفِ عَلَى الْأَقْدَامِ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ وَالنَّسِيبُ مِنْ نَسِيبِهِ. «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

تَدَرَّعُوا تَقْوَى اللَّهِ وَالْوَرَعَ، وَلَا زِمُوا الْحَذَرَ قَبْلَ يَوْمِ الْفَرَجِ، وَرَاقِبُوا اللَّهَ
فَبَيْنَ يَدَيْكُمْ هَوْلُ الْمَطْلَعِ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِهِ لَعَلَّهُ إِذَا أَطْلَعَ مِنْحَكُمْ أَفْضَلَ
الْمِنْحِ، وَخَلَعَ عَلَيْكُمْ أَحْسَنَ الْخَلَعِ، فِي دَارِ جَزَائِهِ وَثَوَابِهِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَبَرَّأُ
الْقَرِيبُ مِنْ قَرِيبِهِ. وَالْحَبِيبُ مِنْ حَبِيبِهِ، فَقَدْ قَالَ مَوْلَاكُمْ فِي حَضِّهِ عَلَى الصِّيَامِ
وَتَرْغِيهِ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

قال :

تَزُوْدُ قَرِيْنًا مِنْ فِعَالِكَ إِنَّمَا قَرِيْنُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَإِنْ كُنْتَ مَشْغُوْلًا بِشَيْءٍ فَلَا تَكُنْ بَعِيْرَ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللّٰهُ تُشْغَلُ
فَلَنْ يَضْحَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ إِلَى قَبْرِهِ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ يُقِيْمُ عِنْدَهُمْ قَلِيْلًا ثُمَّ يَرْحَلُ

فصل

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴿١٧﴾ لَمَّا ذَكَرَ أَحْوَالَهُمْ وَنَعْتَهُمْ أَخْبَرَ بِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ، فَإِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ جَنَّتَهُ، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَفُرَّةَ الْعَيْنِ وَاللَّذَّةَ وَالْفَرَحَ وَالسُّرُورَ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، فَالْجَنَّةُ ضِيَافَةُ اللّٰهِ، أَعَدَّهَا اللّٰهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ نُزُلًا. فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. بَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا بِالْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَكَلَ مِنْ تِلْكَ الضِّيَافَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ حُرِمَ. أَسْكَنَهَا آدَمَ ﷺ وَزَوْجَتَهُ وَأُخْرِجَا مِنْهَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ، وَكَمَ لِلّٰهِ مِنْ حِكْمَةٍ فِي إِخْرَاجِ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ.

يَا آدَمُ، لَا تَجْزَعُ مِنْ كَاسٍ زَلَلِ كَانَتْ سَبَبَ كَيْسِكَ: يَا آدَمُ، ذَنْبٌ تَذِلُّ بِهِ لَدَيْنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ طَاعَةٍ تُدِلُّ بِهَا عَلَيْنَا. يَا آدَمُ، لَا تَجْزَعُ مِنْ قَوْلِي لَكَ ﴿اَخْرِجْ مِنْهَا﴾ فَلَكَ خَلْقُتُهَا، وَلَكِنْ اهْبِطْ إِلَى دَارِ الْمُجَاهَدَةِ، وَابْذُرْ بَذُورَ التَّقْوَى، وَأَمْطِرْ عَلَيْهِ سَحَابَ الْجُفُونِ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحُبُّ وَاسْتَوَى، فَتَعَالَ فَاخْصُدْ، فَالْجَنَّةُ لَيْسَتْ دَارَ عَمَلٍ وَمُجَاهَدَةٍ، إِنَّمَا هِيَ دَارُ نَعِيمٍ وَمُشَاهَدَةٍ، اهْبِطْ إِلَى رِبَاطِ الْجِهَادِ وَصَابِرِ جُنُودِ الْهَوَى بِالْجِدِّ وَالْأَجْتِهَادِ، وَادْرِفْ دُمُوعَ الْأَسْفِ عَلَى الْبِعَادِ، فَكَأَنَّكَ بِالْعَيْشِ الْمَاضِي وَقَدْ عَادَ، عَلَى أَكْمَلٍ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمُعْتَادِ.

شعر:

إِنْ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَثْبٌ وَتَنَاءَتْ مِنَّا وَمِنْكَ الدَّيَارُ
فَالْوِدَادُ الَّذِي عَهَدْتَ مُقِيمٌ وَالْعِثَارُ الَّذِي أَصَبْتَ جُبَارُ
يَا آدَمُ كُنْتَ تَدْخُلُ عَلَيَّ دُخُولَ الْمُلُوكِ عَلَى الْمُلُوكِ، وَالْيَوْمَ تَدْخُلُ
دُخُولَ الْعَبِيدِ عَلَى الْمُلُوكِ. يَا آدَمُ إِذَا عَصَمْتُكَ وَعَصَمْتُ بَنِيكَ مِنَ الذُّنُوبِ،
فَعَلَى مَنْ أَجُودُ بِحِلْمِي؟ وَعَلَى مَنْ أَجُودُ بِعَفْوِي وَمَغْفِرَتِي وَتَوْبَتِي وَأَنَا التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ.

وفي الحديث الإلهي حديث أبي ذرٍّ «يا عبادي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ فَمَنْ عَلِمَ أَنِّي دُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ عَفَرْتُ لَهُ وَلَا
أُبَالِي».

سُبْحَانَ مَنْ إِذَا لَطَفَ بِعَبْدِهِ فِي الْمِحْنِ قَلَبَهَا مَنَحًا، وَإِذَا خَذَلَ عَبْدًا لَمْ
يَنْفَعُهُ كَثْرَةُ اجْتِهَادِهِ، وَعَادَ عَلَيْهِ وَبَالَآ. لَقَنَّ آدَمَ حُجَّتَهُ وَتَابَ عَلَيْهِ، وَطَرَدَ
إِبْلِيسَ بَعْدَ طَوْلِ خِدْمَتِهِ فَصَارَ عَمَلُهُ هَبَاءً مَثُورًا، إِذَا وَضَعَ عَذْلَهُ عَلَى عَبْدٍ لَمْ
تَبْقَ لَهُ حَسَنَةٌ، وَإِذَا بَسَطَ فَضْلَهُ عَلَى عَبْدٍ لَمْ تَبْقَ لَهُ سَيِّئَةٌ.

شعر:

يُعْطِي وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ وَهَبَاتُهُ لَيْسَتْ تُقَارِنُهَا الرُّشَا
يَا مَنْ كُلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ زَادَ ذَنْبُهُ، يَا مَنْ كُلَّمَا ابْيَضَّ شَعْرُهُ بَمُرُورِ الْأَيَّامِ
اسْوَدَّ بِالْآثَامِ قَلْبُهُ:

شَيْخٌ كَبِيرٌ لَهُ ذُنُوبٌ تَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهَا الْمَطَايَا
قَدْ بَيَّضَتْ شَعْرَهُ اللَّيَالِي وَسَوَّدَتْ قَلْبَهُ الْخَطَايَا
اللَّهُمَّ يَا مَنْ غَفَرَ السَّيِّئَاتِ وَضَاعَفَ الْحَسَنَاتِ، وَوَسَّعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتِ
نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَكَ مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ وَأَنْ تَجْعَلَكَ يَوْمَ الْفَرَجِ آمِينَ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ، وَاصْرِفْ عَنَّا آفَاتِ التَّفْرِيطِ
وَالنَّسْيَانِ، وَاجْعَلْ مَالَنَا إِلَى فَيْسِحِ الْجَنَانِ، وَأَعِذْنَا مِنْ دَارِ الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ.

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ، وَانْظُمْنَا فِي سِلَكِ الْمُقَرَّبِينَ
وَالْأَبْرَارِ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، وَاغْفِرْ
اللَّهُمَّ لَنَا، وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْبَابُ الْعَاشِرُ

فِي فَضْلِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاسِعِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَمُضَاعِفِ الْحَسَنَاتِ لِذَوِي الْإِيمَانِ
وَالْإِحْسَانِ، الْغَنِيِّ الَّذِي سَمَتْ نِعْمَتُهُ إِلَى كُلِّ حَيٍّ، وَوَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ،
وَلَمْ تَزَلْ سَحَائِبُ جُودِهِ تَسِخُّ الْخَيْرَاتِ كُلَّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ. الْكَرِيمُ الَّذِي تَأَذَّنَ
بِالْمَزِيدِ لِذَوِي الشُّكْرَانِ. الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، وَلَا
تَغِيضُ نَفَقَاتُهُ بِمَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ، لَا يَمَلُّ سُؤَالَ السَّائِلِينَ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْحَاحِ
الْمُلِحِّينَ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ خَوَائِجُ الطَّالِبِينَ. مَعَ تَفْنِنِ السُّؤَالَاتِ وَاخْتِلَافِ
اللِّسَانِ. الْعَلِيمُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الْجَنَانِ، وَلَا مَا أَكْتَنَتْهُ الْخَوَاطِرُ
وَالْأَذْهَانُ، وَلَا يَغْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي أَيِّ مَكَانٍ. وَلَا يَغِيبُ عَنْ بَصَرِهِ
جَرَيَانُ الْأَغْذِيَةِ فِي الْأَبْدَانِ. تُسَبِّحُهُ الْمَسَاكِينُ وَالسُّكَّانُ، وَتُقَدِّسُهُ الْأَمْلاكُ
وَالْأَفْلَاكُ وَالْأَكْوَانُ.

فَسُبِّحَانَ مَنْ كُلُّ الْوَرَى سَبَّحُوا لَهُ إِذَا سَبَّحُوا وَكَبَّرُوا وَهَلَّلُوا
قَرِيبٌ مُجِيبٌ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَا جَوَادٌ إِذَا أَعْطَى الْعَطَا يَتَجَزَّلُ
يَسِخُّ مِنَ الْإِحْسَانِ سَحَا عَلَى الْوَرَى وَهُوبٌ جَوَادٌ مُحْسِنٌ مُتَفَضِّلٌ
إِذَا سُئِلَ الْخَيْرَاتِ أَعْطَى جَزِيلَهَا وَيَدْفَعُ مَكْرُوهَ الْبَلَا وَيُزَوِّلُ
لَهُ الْحَمْدُ، حَمْدًا طَيِّبًا وَمُبَارَكًا كَثِيرًا فَضِيلًا حَاصِلًا مُتَحَصِّلًا

مَلَا الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ مَعَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَأَشْهَدُ مَا رَبُّ إِلَهٍ مُدَبِّرُ
قَدِيمٌ كَرِيمٌ مُسْتَقِيمٌ عَلَى الْبَقَا
جَوَادٌ كَرِيمٌ مُحْسِنٌ دَائِمُ النِّدَا
عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ مِنْ كُلِّ خَلْقِهِ
لَهُ تَرْفَعُ الْأَعْمَالُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
عَلَيْهِ اعْتِمَادِي وَاتِّكَالِي وَرَغْبَتِي

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ عَظِيمٍ قَامَ بِتَدْيِيرِ الْخَلَائِقِ، وَلَا يُلْهِيهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٧).

أَحْمَدُهُ حَمْدًا يَفُوقُ الْعَدَّ وَالْحِسَابَ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا نَنَالُ بِهِ مِنْهُ مَوَاهِبَ
الرِّضْوَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، دَائِمُ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ،
وَمُبْرَزُ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجْدَانِ، وَعَالِمُ الظُّوَاهِرِ، وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ
الْجَنَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَيْرُهُ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، نَبِيُّ رَفَعَ اللَّهُ
بِهِ الْحَقَّ حَتَّى اتَّضَحَ وَاسْتَبَانَ، وَأَوْهَى بِهِ بِنَاءَ الشَّرِكِ حَتَّى وَهَى وَهَانَ، وَأَمَاطَ
ظُلْمَ الْبَاطِلِ وَشَبَهَ الْبُهْتَانِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الصِّدْقِ
وَالْجُودِ وَالْوَفَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا
لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١١) يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَمِيرَ
الْعِبَادِ بِأَنْ يَتَّقُوهُ جُهْدَهُمْ وَطَاقَتَهُمْ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وَقَالَ ﷺ: «إِذَا
أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» وَكَانَ الصَّحَابَةُ لَمَّا سَمِعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قَامُوا حَتَّى وَرِمَتْ عَرَاقِيئُهُمْ، وَتَفَرَّحَتْ جِبَاهُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ تَخْفِيفًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، ثُمَّ قَالَ ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ أَيُّ: ابْذُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيَقُولُ «اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي» لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ ﷺ: «بَرَاءٌ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ، وَقَرَى الضَّيْفَ وَأَعْطَى فِي النَّاتِيَةِ» رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَذَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا، وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا. ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾»، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكَ بَخِيلٌ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي آخِرِ رَوَايَاتِهِ «ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَيضًا رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ. وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ. وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ. فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِزِيَادَةٍ فِي آخِرِهِ وَهِيَ: «لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أُعْطَاهُ».

الْجُودُ: هُوَ سَعَةُ الْعَطَاءِ وَكَثْرَتُهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوصَفُ بِالْجُودِ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ».

وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْآتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيَّتَكُمْ، وَرَظَبَكُمْ وَيَابَسَكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ فَأَعْطِيَتْ كُلَّ سَائِلٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالْبَحْرِ فَعَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَيْهِ. ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ وَاجِدٌ مَا جِدْتُ أَفَعَلُ مَا أُرِيدُ. عَطَائِي كَلَامٌ. وَعَذَابِي كَلَامٌ. إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

وَعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ لَيْلَةٍ اخْتَلَطَ ظِلَامُهَا وَأَرْخَى اللَّيْلُ سِرْبَالَ سَتْرِهَا إِلَّا نَادَى الْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ: «مَنْ أَعْظَمُ مِنِّي جُودًا وَالْخَلَائِقُ لِي عَاصُونَ، وَأَنَا لَهُمْ مُرَاقِبٌ؟ أَكَلَاهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْصُونِي، وَأَتَوَلَّى حِفْظَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. أَجُودُ بِالْفَضْلِ عَلَى الْعَاصِي. وَأَتَفَضَّلُ عَلَى الْمُسِيءِ. مَنْ ذَا الَّذِي دَعَانِي فَلَمْ أَسْتَجِبْ لَهُ، أَمْ مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَنِي فَلَمْ أُعْطِهِ؟ أَمْ مَنْ ذَا الَّذِي أَنَاخَ بِبَابِي فَفَنَحَيْتُهُ؟ أَنَا الْفَضْلُ وَمِنِّي الْفَضْلُ. أَنَا الْجَوَادُ وَمِنِّي الْجُودُ. وَأَنَا الْكَرِيمُ وَمِنِّي الْكَرَمُ. وَمِنْ كَرَمِي أَنْ أَغْفِرَ لِلْعَاصِي بَعْدَ الْمَعَاصِي، وَمِنْ كَرَمِي أَنْ أُعْطِيَ الْعَبْدَ مَا سَأَلَنِي وَأُعْطِيَهُ مَا لَمْ يَسْأَلْنِي. وَمِنْ كَرَمِي أَنْ أُعْطِيَ التَّائِبَ كَأَنَّهُ لَمْ يَعْصِنِي فَأَيْنَ إِلَى غَيْرِي يَهْرَبُ الْخَلَائِقُ؟ وَأَيْنَ عَنْ بَابِي يَلْتَجِئُ الْعَاصُونَ؟».

وَلِبَعْضِهِمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى شِعْر:

أَسَأْتُ وَلَمْ أَحْسِنْ وَجِئْتُكَ هَارِبًا وَإِنِّي لَعَبْدٌ عَنْ مَوَالِيهِ يَهْرَبُ
يُؤْمَلُ غُفْرَانًا فَإِنْ حَابَ ظَنُّهُ فَمَا أَحَدٌ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ أَخِيبُ

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَجُودُ الْأَجُودِينَ، وَجُودُهُ يَتَضَاعَفُ فِي أَوْقَاتٍ خَاصَّةٍ كَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِيهِ أَنْزَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ «أَنَّهُ يُنَادِي فِيهِ مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلَمْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ. وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ. وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ». وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ ﷻ قَدْ جَبَلَ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى أَكْمَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَشْرَفِهَا، كَمَا قَالَ ﷺ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» ذَكَرَهُ مَالِكٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجُودَ النَّاسِ كُلُّهُمْ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْأَجُودِ الْأَجُودِ؟ اللَّهُ الْأَجُودُ، وَأَنَا أَجُودُ بَنِي آدَمَ، وَأَجُودُهُمْ مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ عَلِمَ عِلْمًا فَنَشَرَ عِلْمَهُ، يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ. وَرَجُلٌ جَادَ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ ﷺ أَجُودُ بَنِي آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، كَمَا أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَأَشَجَعُهُمْ وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ.

وَكَانَ جُودُهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْجُودِ: مِنْ بَذْلِ الْعِلْمِ وَالْمَالِ، وَبَذْلِ نَفْسِهِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي إظهارِ دِينِهِ، وَهَدَايَةِ عِبَادِهِ، وَإِيصَالِ النِّفْعِ إِلَيْهِمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ مِنْ: إِطْعَامِ جَائِعِهِمْ وَوَعْظِ جَاهِلِهِمْ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَتَحْمِيلِ أَثْقَالِهِمْ. وَلَمْ يَزَلْ ﷺ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ مُنْذُ نَشَأَ. وَلِهَذَا قَالَتْ خَدِيجَةُ فِي أَوَّلِ مَبْعَثِهِ لَمَّا رَأَى شَيْئًا أَرْعَجَهُ، وَذَلِكَ فِي أَوَائِلِ النَّبُوءَةِ. وَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ خِفْتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»، ثُمَّ تَزَايَدَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِيهِ بَعْدَ الْبُعْثَةِ وَتَضَاعَفَتْ أَضْعَافًا كَثِيرَةً.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَشَجَعَ النَّاسِ وَأَجُودَ النَّاسِ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَا يَخَافُ الْفَقْرَ».

قَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ، مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُمْسِي حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: «لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرَحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَعْطَاهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِائَةً مِنَ الْعَنَمِ، ثُمَّ مِائَةً، ثُمَّ مِائَةً. وَفِي مَعَاذِي الْوَاقِدِيِّ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَى صَفْوَانَ يَوْمَئِذٍ وَادِيًا مَمْلُوءًا إِبِلًا وَغَنَمًا. فَقَالَ صَفْوَانُ: أَشْهَدُ مَا طَابَتْ بِهِذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ «أَنَّ الْأَعْرَابَ عَلِفُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ. مَرْجِعُهُ مِنْ حُنَيْنٍ. يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَفْسِمَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعَمًا لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا» فَصَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَرُسُلُهُ وَأَنْبِيَائُهُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَالرَّسُولِ الْمُصْطَفَى بِالْفَضْلِ وَالتَّكْرِيمِ.

شِعْر:

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ
تَعَطُّ بِأَتُوبِ السَّخَاءِ، فَلِإِنِّي أَرَى كُلَّ عَيْبٍ فَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَسَّى بِنَبِيِّهِ ﷺ، وَيَتَصَدَّقَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِيُؤَاسِيَ الْفُقَرَاءَ وَأَهْلَ الْحَاجَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرِيمَ مِنْ عِبَادِهِ. جَوَادٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْجُودِ. وَالْبُخْلُ لَا يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ، فَإِنَّ الْبَخِيلَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنْ

خَلَقَهُ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَالسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، فُجُودُ الرَّجُلِ يُحَبِّبُهُ إِلَى أَضْدَادِهِ، وَبُخْلُهُ يُبْغِضُهُ إِلَى أَوْلَادِهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ وَأَفَادَ:

وَإِنْ كَرِهَ النَّاسُ فِيهِمْ مُحَبَّبٌ قَرِيبٌ مِنَ الْحُسْنَى بَعِيدٌ مِنَ الرَّدِّ يُعْطِي غُيُوبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ جُودُهُ وَيُخْمِلُ ذِكْرَ النَّابِهِ الْبُخْلُ فَابْعُدْ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْبَذْلَ يَنْقُصُ مَا أَتَى وَلَا الْبُخْلَ جَلَابُ الْغِنَى وَالْتَرِيدُ فَسَارِعٌ إِلَى فِعْلِ الْمَعَالِي، وَدَغٌ فَتَى تَوَانَى عَنِ الْعَلْيَا لِكَسْبِ مُصَرَّدِ

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ أَكْثَرُ زَوْجَانِ ۖ﴾ وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنِ الْأَخْرِيِّينَ: ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۖ﴾.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّائِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، إِنْ شِئْتُمْ فَافْرَأُوا ﴿وَوَظِلٌّ مَدْدُورٌ ۖ﴾ وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ ﴿ۙ﴾».

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذُلَّتْ أَطْرُفُهَا نَذِيلًا﴾ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ قِيَامًا وَقُعُودًا وَمُضْطَجِعِينَ عَلَى أَيِّ حَالٍ شَاءُوا» رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عِنْدَ خَتَمِ الْقُرْآنِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَشَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ».

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا مِنْ زُمُرَدٍ أَخْضَرَ، وَكُرْمُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرٌ، وَسَعْفُهَا كُسُوءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ

وَحُلُّهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ،
وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهَا عَجْمٌ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟
فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيُؤْتَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ
وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَالشَّهْوَةِ. قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ؟
قَالَ: حَاجَتُهُمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلَ رِيحِ الْمِسْكِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَمَرَ
لَهُ بَطْنُهُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ مَنَزَلَةٌ لِمَنْ يَقُومُ عَلَى
رَأْسِهِ عَشْرَةُ آلَافٍ، يَبْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَحْفَتَانِ: وَاحِدَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ
فِضَّةٍ، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الْأُخْرَى مِثْلُهُ، يَأْكُلُ مِنْ آخِرِهَا مِثْلَ مَا
يَأْكُلُ مِنْ أَوَّلِهَا، يَجِدُ لآخِرِهَا مِنَ الطَّيِّبِ وَاللَّذَّةِ مِثْلَ الَّذِي يَجِدُهُ لِأَوَّلِهَا، ثُمَّ
يَكُونُ ذَلِكَ رِيحَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ،
إِخْوَانٌ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ». فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَحْرِمَنَا فَضْلَهُ بِذُنُوبِنَا
وَسَيِّئَاتِنَا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي سَمِعْتَ مُحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، فَمَتَى أَرَدْتَهَا فَاصْبِرْ عَلَى
مَا تَكْرَهُ لَعَلَّكَ تَنَالُ مَا تَحِبُّ.

عِبَادَ اللَّهِ: هَلُمُّوا إِلَى دَارٍ لَا يَمُوتُ سُكَّانُهَا، وَلَا يَخْرُبُ بُنْيَانُهَا، وَلَا
يَهْرَمُ شَبَابُهَا، وَلَا يَتَغَيَّرُ حُسْنُهَا وَإِحْسَانُهَا. هَوَاؤُهَا النَّسِيمُ. مَاوُهَا التَّسْنِيمُ،
يَتَقَلَّبُ أَهْلُهَا فِي رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ
كُلَّ حِينٍ «دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَامٌ وَمَا خُرِجُوا مِنْهَا أَنْ يَحْمَدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾».

قال :

وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُمْ وَلَحُومُ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسَمَانٍ
وَفَوَاكِهُ شَتَّى بِحَسَبِ مُنَاهُمْ يَا شَبْعَةَ كَمُلْتَ لِذِي الْإِيمَانِ
لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنِّسَا وَفَوَاكِهُ وَالطَّيْبُ مَعَ رُوحٍ وَمَعَ رِيحَانٍ
وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ بِأَكْفٍ خُدَّامٍ مِنَ الْوِلْدَانِ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالْجَهَالَةِ، وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْفُتُورِ وَالْبِطَالَةِ،
وَارْزُقْنَا الْأَسْتِعْدَادَ لِمَا وَعَدْتَنَا، وَأَدِمْ عَلَيْنَا فَضْلَكَ وَإِحْسَانَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا،
وَأَمْنُنْ عَلَيْنَا بِإِتْمَامِ مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ كِتَابَنَا فِي عِلِّيِّينَ، وَلَا تَجْعَلْنَا عَنْ جَنَابِكَ مَطْرُودِينَ، وَلَا
عَنْ بَابِكَ مَحْجُوبِينَ. وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الباب الحادي عشر

في ذكر العشر الأوسط من رمضان، وفضل الإنفاق والجود

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَجَبَ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَنْ لَوَاحِظِ خَلْقِهِ وَامْتَنَعَ، وَعَلَا
بِقَهْرِهِ وَقُدْرِهِ وَذَاتِهِ فَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ وَارْتَفَعَ. وَأَوْجَدَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ بِقُدْرَتِهِ
وَاخْتَرَعَ. وَبَسَطَ الْأَرْضَ عَلَى تَيَّارِ الْمَاءِ وَوَضَعَ، وَأَمْسَكَ السَّمَوَاتِ بِقُدْرَتِهِ أَنْ
تَزُولَ أَوْ تَفْعَ، وَفَتَقَ صُمَّ الْحِجَارَةِ عَنْ شَجَرٍ قَطَعَ. الْمُتَفَرِّدِ بِإِنْدَاعِ الْعِلْمِ وَإِنْشَاءِ
قُنُونِهِ. وَالْعَالَمِ بِسِرِّ الْعَبْدِ وَجَهْرِهِ وَطُنُونِهِ. وَالْمُطَّلِعِ عَلَى ظَاهِرِ الْأَمْرِ وَمَكْنُونِهِ،
وَرَاحِمِ مَنْ أَنْطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَضَعَ. خَالِقِ الْأَرْوَاحِ وَمُصَوِّرِ الْأَشْبَاحِ، وَالْمَوْلِيِّ
لِمَنْ عَامَلَهُ جَزِيلِ الْأَرْبَاحِ، وَمُوسِعِ الرِّزْقِ عَلَى الْخَلَائِقِ فَعَمَرَ وَأَوْسَعَ، عَالِمِ السِّرِّ
وَالْجَهْرِ. وَقَاصِمِ الْجَبَابِرَةِ بِالْعَزِّ وَالْقَهْرِ، وَالْمُتَكَفِّلِ بِالْمَزِيدِ لِمَنْ حَمَدَهُ وَشَكَرَهُ.
وَالثَّائِبِ عَلَى الْمُنِيبِ إِذَا وَقَفَ بِالْبَابِ وَقَرَعَ. وَأَقْلَعَ عَنْ فِعْلِهِ الْقَبِيحِ وَنَزَعَ.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى وَمَنَعَ. وَخَفَضَ وَرَفَعَ. وَوَصَلَ وَقَطَعَ. وَشَرَعَ الشَّرَائِعَ
فَأَحْكَمَ مَا شَرَعَ. إِلَهَ تَقَرَّدَ بِالْكِبَرِيَاءِ وَالْكَمَالِ. وَيَا بَهُ الْكَرِيمِ مَنَاحُ الْأَمَالِ وَمَحْطُ
الرَّحَالِ، وَجُودُهُ وَقَضْلُهُ عَلَى كَافَّةِ خَلْقِهِ قَدْ اُنْتَشَرَ وَاتَّسَعَ.
أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدٌ مَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ وَرَجَعَ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا صَرَفَ مِنَ
الْمَكْرُوهِ وَدَفَعَ.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهَ ذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ
وَخَضَعَ، وَعَلِمَ مَا تُسِرُّهُ الصَّمَائِرُ وَأَطْلَعَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
أَفْضَلُ مُرْسَلٍ وَأَهْدَى مُتَّبَعٍ، نَبِيِّ نَظَمَ اللَّهُ بِهِ شَمْلَ الْإِسْلَامِ، وَأَشَادَ بِهِ مَنَارَ
التَّوْحِيدِ وَأَذَلَّ بِهِ الشُّرْكَ وَوَضَعَ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ صَلَاةً مُتَوَاتِرَةً
مَا لَيْلٌ دَجَى وَفَجَّرَ طَلَعَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَمْ وَلَهُ أَجْرٌ
كَبِيرٌ ۝﴾؟، هَذَا حَثٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، وَطُرُقِ
الْخَيْرَاتِ لِيُضَاعِفَ لَهُمُ الْأُجُورَ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
إِنَّ اللَّهَ يُضَاعِفُ الْحَسَنَةَ أَلْفِي أَلْفٍ حَسَنَةً» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَكَانَ جُودُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَضَاعَفُ فِي رَمَضَانَ، وَكَانَ جُودُهُ ﷺ كُلُّهُ لِلَّهِ،
وَفِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَبْذُلُ الْمَالَ إِمَّا لِفَقِيرٍ أَوْ مُحْتَاجٍ، أَوْ يُنْفِقُهُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يَتَأَلَّفُ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ يَقْوِي الْإِسْلَامَ بِإِسْلَامِهِ، وَكَانَ يُؤَثِّرُ
عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ. فَيُعْطِي عَطَاءً يَعْجِزُ عَنْهُ الْمُلُوكُ مِثْلُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ،
وَيَعِيشُ فِي نَفْسِهِ عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، فَيَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرَانِ لَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ
نَارٌ. وَرَبَّمَا رَبَطَ عَلَى بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ. وَكَانَ قَدْ أَهْدَى إِلَيْهِ شَمْلَةً
فَلَبَسَهَا وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا، فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَامَهُ النَّاسُ،
وَقَالُوا: كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ: إِنَّمَا سَأَلْتُهَا
لِتَكُونَ كَفَنِي، فَكَانَتْ كَفَنَهُ.

وَكَانَ قَدْ أَتَاهُ مَرَّةً سَبِيٌّ فَشَكَتْ إِلَيْهِ فَاطِمَةٌ مَا تَلَقَّى مِنْ خِدْمَةِ الْبَيْتِ
وَطَلَبَتْ مِنْهُ خَادِمًا يَكْفِيهَا مَوْنَةً بَيْتَهَا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَسْتَعِينَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ
وَالْتَّحْمِيدِ عِنْدَ نَوْمِهَا، وَقَالَ: «لَا أُعْطِيكَ وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تُطَوِّى بُطُونَهُمْ مِنْ
الْجُوعِ، وَكَانَ جُودُهُ يَتَضَاعَفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، كَمَا أَنَّ
جُودَ رَبِّهِ يَتَضَاعَفُ فِيهِ أَيْضًا؟ فَإِنَّ اللَّهَ جَبَلُهُ عَلَى مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ
الْكَرِيمَةِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ اخْتَصَّ هَذَا النَّبِيَّ بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَالْأَفْعَالِ الْحَسَنَةِ
الْمُسْتَقِيمَةِ، وَالْعَطَايَا الْوَافِرَةِ الْجَسِيمَةِ. وَكَانَ جَبْرِيلُ عليه السلام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ
فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ وَيُخَالِطُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُخَالَطَةَ تُؤَثِّرُ وَتُورِثُ أَخْلَاقًا مِنَ
الْمُخَالِطِ.

كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ قَدْ أَمْتَدَحَ مَلِكًا جَوَادًا فَأَعْطَاهُ جَائِزَةً سَنِيَّةً، فَخَرَجَ بِهَا
مِنْ عِنْدِهِ وَفَرَّقَهَا كُلَّهَا عَلَى النَّاسِ، فَأَنْشَدَ:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَلِكَ فَأَضْعَفَ لَهُ الْجَائِزَةَ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْتَدِّحُ بَعْضَ الْأَجَوَادِ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا
نَنَاهَا لِقَبْضِ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيْ النَّوَاجِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا، فَلَيْتَقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾، قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ
الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا

الدَّحْدَاحِ، قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْرَضْتُ رَبِّي ﷺ حَائِطِي. قَالَ: وَحَائِطُهُ لَهُ فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا. قَالَ: فَجَاءَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا: يَا أُمُّ الدَّحْدَاحِ. قَالَتْ: لَبَّيْكَ، قَالَ: أَخْرِجِي فَقَدْ أَفْرَضْتُ رَبِّي ﷺ، فَقَالَتْ: رَيْحَ بَيْعِكَ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ، وَنَقَلْتُ مِنْهُ مَتَاعَهَا وَصِبْيَانَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: رَبُّ نَخْلَةٍ مُدْلَاةٍ عُروُفُهَا دُرٌّ وَيَأْهُوتُ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ. وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلُ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلْتُ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَخِ بَخِ، ذَاكَ مَالٌ رَابِعٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَدْخُلُ بِلُقْمَةِ الْخُبْزِ وَقَبْضَةِ التَّمْرِ وَمِثْلِهِ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمِسْكِينُ ثَلَاثَةَ أَجَنَّةٍ: رَبُّ الْبَيْتِ الْأَمْرِ بِهِ، وَالزَّوْجَةُ تُصْلِحُهُ، وَالْخَادِمُ الَّذِي يُنَاوِلُ الْمِسْكِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْسَ خِدْمَتَنَا» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَقَالَ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ.

سَمِعَ الشُّبْلِيُّ قَائِلًا يَقُولُ: يَا جَوَادُ، فَتَأَوَّهَ وَصَاحَ وَقَالَ: كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَصِفَ الْحَقَّ بِالْجُودِ، وَمَخْلُوقٌ يَقُولُ فِي شَكْلِهِ، فَذَكَرَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةَ اللَّائِقَةَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ: بَلَى يَا جَوَادُ، فَإِنَّكَ أَوْجَدْتَ تِلْكَ الْجَوَارِحَ، وَبَسَطْتَ تِلْكَ الْهِمَمَ، فَأَنْتَ الْجَوَادُ كُلُّ الْجَوَادِ، فَإِنَّهُمْ يُعْطُونَ عَنْ

مَحْدُودٍ، وَعَظَاؤُكَ لَا حَدَّ لَهُ وَلَا صِفَةَ، فَيَا جَوَادُ يَغْلُو كُلُّ جَوَادٍ، وَيَهْ جَادُ كُلُّ مَنْ جَادَ.

وَرَدَ «أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرُ لَهُ، مَنْ يُقْرِضُ الْمَلِيَّ غَيْرَ الْعُدُومِ، وَالْوَفِيِّ غَيْرَ الظُّلُومِ»، الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَنْ يَتَصَدَّقُ يُضَاعَفُ اللَّهُ لَهُ الْأَجُورَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاسِطِ مِنْ رَمَضَانَ، فَأَعْتَكَفَ عَامًا حَتَّى إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَهِيَ الَّتِي يَخْرُجُ فِي صَبِيحَتِهَا مِنْ اعْتِكَافِهِ، قَالَ: مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِيَ فَلْيُعْتَكِفِ الْعَشَرَ الْآخِرَ؛ وَقَدْ أَرَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيَتْهَا، قَدْ رَأَيْتَنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا»؛ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشَرَ الْأَوَاسِطِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لِابْتِغَاءِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِيهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، ثُمَّ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ اعْتَكَفَ الْعَشَرَ الْآخِرَ.

وَقَالَ ﷺ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ: «وَهُوَ شَهْرُ أَوَّلِهِ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ»، فَالْغَالِبُ عَلَى أَوْسَطِهِ الْمَغْفِرَةُ، فَيُغْفَرُ لِلصَّائِمِينَ فِيهِ، وَإِنْ أُرْتَكِبُوا بَعْضُ الذُّنُوبِ الصَّغَائِرِ، فَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَطْلُبَ أَسْبَابَ الْمَغْفِرَةِ.

فَيَا إِخْوَانِي: إِنَّهُ قَدْ مَضَى مِنْ شَهْرِكُمْ عَشْرُهُ الْأَوَّلُ، وَهَأَنْتُمْ فِي أَوْسَطِهِ فَاحْذَرُوا مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ، وَتَصَدَّقُوا يُضَاعَفُ اللَّهُ لَكُمْ الْعَمَلُ، وَيَقِيكُمْ هَوْلُ الْوُقُوفِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحَجَلِ.

يَا مَنْ زَمَانُهُ يَنْقُضِي فِي طَلَبِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَغْرَاضِ، يَا غَافِلًا عَنْ سِهَامِ الْمَوْتِ الْحِدَادِ الْعِرَاضِ، يَا مُعْتَرًّا بِطُولِ أَمَلِهِ، وَأَيْدِي الْمَنَآيَا فِي أَجَلِهِ، تَقْرِضُ

بِمَقْرَاضٍ، يَا مَعْرُورًا بِصَحَّةِ بَدَنِهِ وَعُمُرُهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي انْتِقَاضٍ، يَا بَعِيدَ الْأَمَلِ
وَعُمُرُهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي انْقِرَاضٍ، يَا غَافِلًا عَنْ إِعْدَادِ زَادِ رَحِيلِهِ وَقَدْ أَنْذَرَهُ بَعْدَ السَّوَادِ
بَيَاضٌ، يَا ضَاحِكًا وَعُيُونُ الْمَنَايَا عَنْهُ غَيْرُ غَمَاضٍ، يَا مُتَحَيِّرًا فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ يَرَى
الرَّاحِلِينَ مَاضِيًا خَلْفَ مَاضٍ، يَا مَنْ أَنْذَرَهُ الْقُرْآنُ وَرَاضَتْهُ الشُّنُنُ فَمَا أَنْتَذَرَ وَلَا
أَرْتَاضَ، عَجَبًا لِمَنْ هَذِهِ الشَّدَائِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْفَ يَقْدِرُ جَفْنُهُ عَلَى الْإِغْمَاضِ؟!
عِبَادَ اللَّهِ: مَا هَذَا الْإِكْتِبَابُ عَلَى الْعَقَلَاتِ وَالْأُمُرُ وَاضِحٌ؟ وَمَا هَذَا
التَّصَامُّ وَقَدْ أَسْمَعَ النَّاصِحُ؟ وَمَا هَذَا الرُّقَادُ وَقَدْ صَاحَ بِكُمْ الصَّائِحُ؟
سَتَعْلَمُونَ إِذَا نَزَلَ بِكُمْ الْخَطْبُ الْعَظِيمُ الْفَادِحُ، وَنُقِلْتُمْ إِلَى بُطُونِ الضَّرَائِحِ،
وَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَاسِرُ مِنَ الرَّايِحِ.

شعر:

كَأَنَّكَ بِالْمُضِيِّ إِلَى سَبِيلِكَ	وَقَدْ جَدَّ الْمُجَهِّزُ فِي رَحِيلِكَ
وَجِيءَ بِغَاسِلٍ فَاسْتَعَجَلُوهُ	بِقَوْلِهِمْ لَهُ: أَفْرُغْ مِنْ غَسِيلِكَ
وَلَمْ تَحْمِلْ سِوَى كَفْنٍ وَقُظْنٍ	إِلَيْهِمْ مِنْ كَثِيرِكَ أَوْ قَلِيلِكَ
وَقَدْ مَدَّ الرَّجَالُ إِلَيْكَ نَعْشًا	فَأَنْتَ عَلَيْهِ مَمْدُودٌ بِطَوْلِكَ
وَصَلُّوا ثُمَّ أَنَّهُمْ تَدَاعَوْا	لِحَمْلِكَ مِنْ بُكُورِكَ أَوْ أَصِيلِكَ
فَلَمَّا أَسْلَمُوكَ نَزَلَتْ قَبْرًا	وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي نُزُولِكَ
أَعَانَكَ يَوْمَ تَدْخُلُهُ رَحِيمٌ	رُءُوفٌ بِالْعِبَادِ حَتَّى دُخُولِكَ
فَسَوْفَ تُجَاوِرُ الْمَوْتَ طَوِيلًا	فَدَيٍ مِنْ قَصِيرِكَ أَوْ طَوِيلِكَ
أَخِي، لَقَدْ نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِي	وَبِاللَّهِ اسْتَعْنْتُ عَلَى قُبُولِكَ
أَلَسْتُ تَرَى الْمَنَايَا كُلَّ حِينٍ	تُصِيبُكَ فِي أَخِيكَ وَفِي خَلِيلِكَ؟

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، هَذَا مَدْحٌ لِأَهْلِ الْإِيثَارِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ الْفُقَرَاءَ

وَالْمَحَاوِجَ بِإِيثارِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانُوا هُمْ أَهْلَ حَاجَةٍ. وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ عليهم السلام. وَقَدْ كَانَ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم يَتَضَاعَفُ جُودُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي ذَلِكَ قَوَائِدُ.

مِنْهَا: شَرَفُ الرِّمَانِ وَمُضَاعَفَةُ أَجْرِ الْعَمَلِ فِيهِ، فَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ».

وَمِنْهَا: إِعَانَةُ الصَّائِمِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالذَّاكِرِينَ عَلَى طَاعَتِهِمْ، فَيَسْتَوْجِبُ الْمُعِينُ لَهُمْ مِثْلَ أَجُورِهِمْ كَمَا أَنَّ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَزَا.

وَفِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: «وَمَا عَمِلَ الصَّائِمُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ إِلَّا كَانَ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ مَا دَامَ قُوَّةُ الطَّعَامِ فِيهِ».

وَقَدَّمَ حَدِيثُ سَلْمَانَ، وَفِيهِ: «وَهُوَ شَهْرُ الْمَوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِدُنُوبِهِ وَعِثْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفْطِرُ الصَّائِمَ، قَالَ: يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ لِمَنْ فَطَرَ صَائِمًا عَلَى مَذَقَةٍ لَبَنٍ أَوْ تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ. وَمَنْ أَشْبَعَ فِيهِ صَائِمًا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةٍ لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ».

وَمِنْهَا: أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرٌ يَجُودُ اللَّهُ فِيهِ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالْعِثْقِ مِنَ النَّارِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ، فَمَنْ جَادَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ جَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: صَلُّوا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ رَكَعَتَيْنِ لِظُلْمَةِ الْقُبُورِ، صُومُوا يَوْمًا شَدِيدًا حَرُّهُ لِحَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ، تَصَدَّقُوا بِصَدَقَةِ السَّرِّ لِيَوْمِ عَسِيرِ.

وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يُوَسُّونَ مِنْ إِفْطَارِهِمْ أَوْ يُؤَثِّرُونَ بِهِ وَيَطْوُونَ.

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَصُومُ وَلَا يُفْطِرُ إِلَّا مَعَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا مَنَعَهُ أَهْلُهُ عَنْهُمْ لَمْ يَتَعَشَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. وَكَانَ إِذَا جَاءَهُ سَائِلٌ وَهُوَ عَلَى طَعَامِهِ أَخَذَ نَصِيْبَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَقَامَ فَأَعْطَاهُ السَّائِلَ، فَيَرْجِعُ وَقَدْ أَكَلَ أَهْلُهُ مَا بَقِيَ فِي الْجَفَنَةِ؛ فَيُصْبِحُ صَائِمًا وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا.

وَأَشْتَهَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ مِنَ السَّلَفِ طَعَامًا وَكَانَ صَائِمًا فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ عِنْدَ فُطُورِهِ، فَسَمِعَ سَائِلًا يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ الْمَلِيَّ الْوَفِيُّ الْعَنِيَّ؟ فَقَالَ: عَبْدُهُ الْمُعْدِمُ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَقَامَ فَأَخَذَ الصَّحْفَةَ فَخَرَجَ بِهَا إِلَيْهِ، وَبَاتَ طَاوِيًا.

وَجَاءَ سَائِلٌ إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَدَفَعَ إِلَيْهِ رَغِيفَيْنِ كَانَ يُعِدُّهُمَا لِفُطُورِهِ، ثُمَّ طَوَى وَأَصْبَحَ صَائِمًا.

وَكَانَ الْحَسَنُ يُطْعِمُ إِخْوَانَهُ وَهُوَ صَائِمٌ تَطَوُّعًا، وَيَجْلِسُ يَرْوِحُهُمْ وَهُمْ يَأْكُلُونَ.

وَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يُطْعِمُ إِخْوَانَهُ فِي السَّفَرِ الْأَلْوَانَ مِنَ الْحُلُوءِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ صَائِمٌ.

سَلَامُ اللَّهِ عَلَى تِلْكَ الْأَرْوَاحِ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى تِلْكَ الْأَشْبَاحِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَخْبَارٌ وَأَثَارٌ. كَمْ بَيْنَ مَنْ يَمْنَعُ الْحَقَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِثَارِ؟
شِعْر:

لَا تَعْرِضَنَّ لِذِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ
فَيَا لَيْتَنَّا إِذَا لَمْ نَكُنْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ، سَلِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَوْزَارِ.
وَيَا لَيْتَنَّا إِذَا لَمْ نَقْتَدِ بِالسَّلَفِ الْكَرَامِ، تَرَكْنَا الْمُتَشَابِهَ وَالْحَرَامَ. فَتَسْأَلُ اللَّهُ الْهِدَايَةَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

اللَّهُمَّ يَا أَكْرَمَ مَنْ رُجِيَ، وَيَا أَحَقَّ مَنْ دُعِيَ، وَيَا خَيْرَ مَنْ ابْتُغِيَ، أَمْنُنْ

عَلَيْنَا بِغُفْرَانِكَ، وَعَامِلْنَا بِفَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ وَرَثَةِ جَنَّتِكَ، وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ وَنَقِمَّتِكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ لَنَا سِرَاجًا، وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا أَسْتِذْرَاجًا، وَاجْعَلْهُ لَنَا سُلْمًا إِلَى جَنَّتِكَ، وَلَا تَجْعَلْهُ مَكْرًا مِنْ مَشِيئَتِكَ.

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ، وَآمِنْ خَوْفَنَا يَوْمَ لَا تَنْفَعُ فِيهِ الْأَعْدَارُ، بِرَحْمَتِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ. وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ فِي أَرْزَلِيَّتِهِ بِعِزِّ كِبَرِيَّائِهِ، وَتَوَحَّدَ فِي صَمَدِيَّتِهِ بِدَوَامِ بَقَائِهِ، وَنَوَّرَ بِمَعْرِفَتِهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ. الدَّاعِي إِلَى بَابِهِ، وَالْهَادِي لِأَحْبَابِهِ، وَالْمُتَفَضِّلِ بِإِنْزَالِ كِتَابِهِ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِلْأَسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ لِقَائِهِ. السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ حَرَكَاتُ ذَرَّةٍ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ عِنْدَ تَلَاطِمِ أَمْوَاجِهِ، وَتَرَائِكُمْ ظُلُمَاتِهِ. أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَظَاهِرُ الْبُرْهَانِ أَنْزَلَهُ بِنَهْيِهِ وَأَمْرِهِ وَوَعْدِهِ وَإِيعَادِهِ وَأَنْبَاءِهِ.

فُسَبِّحَانَ مَنْ جَعَلَهُ نُورًا لِلْأَبْصَارِ، وَرَبِّيعًا لِلْأَبْرَارِ، وَحَسْرَةً عَلَى الْكُفَّارِ، وَتَذَكُّرَةً لِأُولِي الْعُقُولِ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَالْأَخْيَارِ، وَحَادِيًا لِلنُّفُوسِ مِنْ دَارِ الْغُرُورِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، يُبَيِّنُ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَأَبْصَرَ نُورَ ضِيَائِهِ. الْمَلِكُ الَّذِي قَسَمَ عَطَاءَهُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ بِمَشِيئَتِهِ وَقَضَائِهِ. وَأَسْبَغَ عَلَى الْكَافَّةِ جَزِيلَ عَطَائِهِ، وَالْحَيُّ الْعَلِيمُ فَلَا يَغْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ. الْوَلِيُّ الْقَدِيرُ فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ وَإِنْشَائِهِ. مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ تَلَقَّاهُ، وَمَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِ حَمَاهُ وَوَقَاهُ، وَعَزَّ بِالتَّجَاهَةِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ تَقَرَّبَ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَنُورِ هِدَايَتِهِ إِلَى قُلُوبِ أَحِبَّائِهِ،
وَتَعَرَّفَ إِلَى عِبَادِهِ بِمَحَاسِنِ صِفَاتِهِ، فَأَنْبَسَطُوا لِذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ، وَدَعَانَا إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ
سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾.

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مُعْتَرِفٍ بِالْعَجْزِ عَنِ الْآلَةِ، مُنْتَظِرٍ زَوَائِدَ بَرِّهِ وَوَلَائِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً ضَمِنَ الْحُسْنَى
لِقَائِلِهَا يَوْمَ لِقَائِهِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ وَسَيِّدَ أَصْفِيَائِهِ.
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخُلَفَائِهِ، وَمَنْ أَقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
فَقَارَ بِأَقْفَائِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَرَأْنَا فَوْقَهُ لِلْقَرَامُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
سُجَّدًا ﴿١٦٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٦٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٦٩﴾﴾.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ
الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ.

وَلَهُمَا عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ
الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ
الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا حُلْوٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ
الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ
الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ».

وَأَخْرَجَا أَيْضًا عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ
الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«مَا أَجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: أَقْرَأْ وَارْقُ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزْلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: جَاءَ فِي الْأَثَرِ: أَنَّ عَدَدَ آيِ الْقُرْآنِ عَلَى قَدْرِ دَرَجِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لِلْقَارِئِ: أَرْقُ فِي الدَّرَجِ عَلَى قَدْرِ مَا كُنْتَ تَقْرَأُ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَسْتَوَى قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ أَسْتَوَى عَلَى أَفْصَى دَرَجِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ قَرَأَ جُزْءًا مِنْهُ كَانَ رُقِيَهُ فِي الدَّرَجِ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ، فَيَكُونُ مُتَّهَى الثَّوَابِ عِنْدَ مُتَّهَى الْقِرَاءَةِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ الْقُرْآنُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَرْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقُ وَيَزْدَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»، رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَالْحَاكِمُ، وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاجِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ» رَوَاهُ ابْنُ جِبَّانَ.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ».

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةً. قُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ،

وَحَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَضْلُ، لَيْسَ بِالْهَزْلِ. مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَصْلَهُ اللَّهُ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ. وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا تَسْبُعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِتَمَامِهِ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكَعَتَيْنِ، وَإِنَّ الْبِرَّ لَيَدُرُّ عَلَى رَأْسِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ. وَمَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ - يَعْنِي الْقُرْآنَ -».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ شَعَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ. وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

أَعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الذِّكْرِ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، فَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ إِذَا صَامَ أَنْ يُكَبِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. فَهَذِهِ حَالُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَكَانُوا يُدْمِنُونَ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ مَطْلُوبَةٌ كُلِّ وَقْتٍ لَا سِيَّمَا فِي هَذَا الشَّهْرِ.

كَانَ الْأَسْوَدُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَتَيْنِ فِي رَمَضَانَ.

وَكَانَ النَّخَعِيُّ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الْعَشْرِ الْوَاحِرِ مِنْهُ خَاصَّةً، وَفِي بَقِيَّةِ الشَّهْرِ فِي ثَلَاثٍ.

وَكَانَ قَتَادَةُ يَخْتِمُ فِي كُلِّ سَبْعٍ دَائِمًا، وَفِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، وَفِي الْعَشْرِ الْوَاحِرِ كُلِّ لَيْلَةٍ.

وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ فِي رَمَضَانَ سِتُّونَ خُتْمَةً يَقْرَأُهَا فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ. وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ نَحْوُهُ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَدْرُسُ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَكَانَ الزُّهْرِيُّ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانَ قَالَ: فَإِنَّمَا هُوَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَإِطْعَامُ
الطَّعَامِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ يَبْرُؤُ مِنْ قِرَاءَةِ
الْحَدِيثِ وَمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَقْبَلَ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمُصْحَفِ.
وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ تَرَكَ جَمِيعَ الْعِبَادِ وَأَقْبَلَ عَلَى قِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ أَوَّلَ النَّهَارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا
طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَامَتْ.

وَكَانَ زَيْدُ الْيَامِي إِذَا حَضَرَ رَمَضَانُ أَحْضَرَ الْمَصَاحِفَ وَجَمَعَ إِلَيْهِ
أَصْحَابَهُ.

فَهَذِهِ حَالُ الْقَوْمِ، فَمِنْ أَعْظَمَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
النَّوَافِلِ كَثْرَةُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَاسْتِمَاعُهُ بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ وَتَفْهَمٍ.

قَالَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ: تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا
أَسْتَطَعْتَ، وَأَعْلَمَ أَنَّكَ لَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: لَوْ طُهِرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا سَبِعْتُمْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكُمْ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا
أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، وَلَا شَيْءٍ عِنْدَ الْمُحِبِّينَ أَحْلَى مِنْ كَلَامِ مُحِبُّوهُمْ، فَهُوَ لَدَهُ
قُلُوبُهُمْ، وَغَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ
عِنْدَ اللَّهِ فَانْظُرْ إِلَى قَدْرِ الْقُرْآنِ عِنْدَكَ.

كَانَ بَعْضُهُمْ يُكْثِرُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ثُمَّ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ، فَرَأَى فِي الْمَنَامِ
قَائِلًا يَقُولُ لَهُ:

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي فَلِمَ جَفَوْتَ كِتَابِي

أَمَا تَأْمَلْتَ مَا فِيهِ مِنْ لَذِيذِ خِطَابِي؟

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۖ﴾ (١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ۖ﴾ (١٥) خِتْلُهُمْ مِنْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (١٦) وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِينٍ (١٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۖ﴾ (١٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تُفَجَّرُ مِنْ جِبَالٍ مِنْكَ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ وَبَحْرَ الْعَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ وَبَحْرَ الْخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ».

وَعَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا يُقَالُ لَهُ: الرِّيَّانُ، عَلَيْهِ مَدِينَةٌ مِنْ مَرْجَانٍ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ بَابٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لِحَامِلِ الْقُرْآنِ» رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنِ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا يُنْبِتُ الْجَوَارِي وَالْأَبْكَارَ.

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَفَعَهُ: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا شَرْبَةً عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ».

قَالَ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ بَعْدَ سِيَاقِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفُورٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ﴾.

فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْأَجْنَاسَ الْأَرْبَعَةَ وَنَفَى عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا الْآفَةَ الَّتِي تَعْرِضُ لَهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَآفَةُ الْمَاءِ أَنْ يَأْسَنَ وَيَأْجَنَ مِنْ طُولِ مُكْبِهِ، وَآفَةُ اللَّبَنِ أَنْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ إِلَى الْحُمُوضَةِ، وَيَصِيرَ قَابِضًا، وَآفَةُ الْخَمْرِ كَرَاهَةُ مَذَاقِهَا الْمُنَافِيَةِ لِلذَّةِ شُرْبِهَا، وَآفَةُ الْعَسَلِ عَدَمُ تَضْفِيفَتِهِ. وَهَذَا مِنْ آيَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى: أَنْ أَجْرَى أَنْهَارًا مِنْ أَجْنَاسٍ لَمْ تَجِرِ الْعَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِإِجْرَائِهَا، وَيُجْرِيهَا فِي غَيْرِ أَخْدُودٍ، وَيَنْفِي عَنْهَا الْآفَاتِ الَّتِي تَمْنَعُ كَمَالَ الذَّلَّةِ بِهَا. كَمَا نَفَى عَنْ خَمْرِ الْجَنَّةِ جَمِيعَ آفَاتِ خَمْرِ الدُّنْيَا: مِنَ الصَّدَاعِ، وَالْعَوَلِ وَاللَّغْوِ، وَالْإِنْزَافِ، وَعَدَمِ الذَّلَّةِ.

فَهَذِهِ خَمْسُ آفَاتٍ مِنْ آفَاتِ خَمْرِ الدُّنْيَا تَغْتَالُ الْعَقْلَ، وَتُكْثِرُ اللَّغْوَ عَلَى شُرْبِهَا، بَلْ لَا يَطِيبُ لِشُرَابِهَا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّغْوِ، وَتَنْزِفُ فِي نَفْسِهَا، وَتُنْزِفُ الْمَالَ، وَتُصَدِّعُ الرَّأْسَ، وَهِيَ كَرِيهَةُ الْمَذَاقِ، وَهِيَ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، تُوقِعُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ النَّاسِ، وَتُصَدِّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ، وَتَدْعُو إِلَى الرُّنَا، وَرُبَّمَا دَعَتْ إِلَى الْوُقُوعِ عَلَى الْبِنْتِ وَالْأُخْتِ وَذَوَاتِ الْمَحَارِمِ، وَتُذْهِبُ الْغَيْرَةَ وَتُورِثُ الْخِزْيَ وَالنَّدَامَةَ وَالْفُضِيحَةَ، وَتُلْحِقُ شَارِبِهَا بِانْقِصَانِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ، وَهُمْ الْمَجَانِينُ، وَتُسَلِّبُهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ وَالسَّمَاتِ، وَتَكْسُوهُ أَقْبَحَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَتُسَهِّلُ قَتْلَ النَّفْسِ، وَإِفْشَاءَ السَّرِّ الَّذِي فِي إِفْشَائِهِ مَضَرَّتُهُ وَإِهْلَاكُهُ، وَمُؤَاخَاةَ الشَّيَاطِينِ فِي تَبْذِيرِ الْمَالِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قِيَامًا لَهُ وَلِمَنْ يَلْزَمُهُ مَوْثِقُهُ، وَتَهْتِكُ الْأَسْتَارَ، وَتُظْهِرُ الْأَسْرَارَ، وَتَدُلُّ عَلَى الْعَوْرَاتِ، وَتُثَوِّنُ أَرْكَابَ الْقَبَائِحِ وَالْمَائِمِ، وَتُخْرِجُ مِنَ الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الْمَحَارِمِ، وَمُذْمُنَهَا كَعَابِدٍ وَثَنٍ.

وَكَمْ أَهَاجَتْ مِنْ حَرْبٍ، وَأَفْقَرَتْ مِنْ غَنِيٍّ، وَأَذَلَّتْ مِنْ عَزِيزٍ، وَوَضَعَتْ مِنْ شَرِيفٍ، وَسَلَبَتْ مِنْ نِعْمَةٍ، وَجَلَبَتْ مِنْ نِقْمَةٍ، وَنَسَحَتْ مَوَدَّةً، وَنَسَجَتْ عَدَاوَةً. وَكَمْ فَرَّقَتْ بَيْنَ رَجُلٍ وَجِبِّهِ، فَذَهَبَتْ بِقَلْبِهِ وَرَاحَتْ بِلَبِّهِ. وَكَمْ أَوْرَثَتْ مِنْ حَسْرَةٍ وَأَجْرَتْ مِنْ عِبْرَةٍ، وَكَمْ أَغْلَقَتْ فِي وَجْهِ شَارِبِهَا بَابًا مِنَ الْخَيْرِ،

وَفَتَحَتْ لَهُ بَابًا مِنَ الشَّرِّ، وَكَمْ أَوْفَعَتْ فِي بَلِيَّةٍ، وَعَجَّلَتْ مِنْ مَنِيَّةٍ، وَكَمْ أَوْرَثَتْ مِنْ خَزِيَّةٍ، وَجَرَّتْ عَلَى شَارِبِهَا مِنْ مِحنةٍ، وَجَرَّأتْ عَلَيْهِ مِنْ سِفْلَةٍ. فَهِيَ جِمَاعُ الْإِثْمِ، وَمِفْتَاحُ الشَّرِّ، وَسَلَابَةُ النِّعَمِ وَجَلَابَةُ النِّقَمِ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَدَائِلِهَا إِلَّا أَنَّهَا لَا تَجْتَمِعُ هِيَ وَخَمْرُ الْجَنَّةِ فِي جَوْفِ عَبْدٍ؛ كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرِبْهَا فِي الْآخِرَةِ» لَكَفَى.

وَأَقَاتُ الْخَمْرِ أَضْعَافُ مَا ذَكَّرْنَا، وَكُلُّهَا مُنْتَهِيَةٌ عَنْ خَمْرِ الْجَنَّةِ.

قَالَ: فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَنْهَارَ بِأَنَّهَا جَارِيَةٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَاءَ الْجَارِيَ لَا يَأْسُنُ، فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿غَيْرِ مَأْسِنٍ﴾؟ قِيلَ: الْمَاءُ الْجَارِي وَإِنْ كَانَ لَا يَأْسُنُ فَإِنَّهُ إِذَا أُخِذَ مِنْهُ شَيْءٌ وَطَالَ مُكْثُهُ أَسِنَ: وَمَاءُ الْجَنَّةِ لَا يَعْرِضُ لَهُ ذَلِكَ وَلَوْ طَالَ مُكْثُهُ مَا طَالَ.

وَتَأْمَلِ اجْتِمَاعَ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ أَشْرَبَةِ النَّاسِ، فَهَذَا لِرَبِّهِمْ وَظُهُورِهِمْ، وَهَذَا لِقُوتِهِمْ وَغَدَائِهِمْ. وَهَذَا لِلذَّيْتِهِمْ وَسُرُورِهِمْ، وَهَذَا لِشِفَائِهِمْ وَمَنْفَعَتِهِمْ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا كَانَتِ الْجَنَّةُ ثَمَنَ نَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَلَمْ تَبْذُلْ نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَلَمْ تُنْفِقْ مَالَكَ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، فَطَلَبَ الثَّمَنَ مَعَ إِمْسَاكِ الْمَبِيعِ وَمَنْعِهِ لَا يَصِحُّ. طَلَبَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَوْضٍ أَمَانِيٍّ وَغُرُورٍ. وَطَلَبَ الْقُرْبَ مِنْ مَنْ لَا تُطِيعُهُ تَعْطِيلٌ وَتُفُورٌ.

شِعْر:

وَجَنَاتٌ عَذْنٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أَرْلَفَتْ	لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبَتَّلُوا
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي	وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَحَوُّلٌ
مَلَابِسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَسُنْدُسٌ	وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَغْتَرِيهِ التَّحَلُّلُ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ حِسَانٌ كَوَاعِبُ	عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ أَوْ هُنَّ أَشْكَالُ
وَمَا كَوَّلُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهُونَهُ	وَمِنْ سَلْسَبِيلٍ شُرْبُهُمْ تَتَسَلَّلُ

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهُونَهُ إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بِآخَرَ بَدَّلُوا
بِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْفَوَاحِ كُلُّهَا وَسُكَّانُهَا مَهْمَا تَمَنَّوْهُ يَحْضُلُ
فَوَاحِيهَا تَذْنُو إِلَى مَنْ يُرِيدُهَا تَنَاوُلُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَسْهُلُ
وَأَنْهَارُهَا الْأَلْبَانُ تَجْرِي وَأَغْسَلُ وَخَمْرٌ وَمَاءٌ سَلْسَبِيلٌ وَأَغْسَلُ
يُقَالُ لَهُمْ طَبْنُكُمْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْأَذَى سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ فَأَدْخُلُوا
بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي أَحْبَبُوا إِلَى جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَوْصَلُوا

اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا مِنْ رَقَدَاتِ الْأَمَالِ، وَذَكِّرْنَا قُرْبَ الرَّحِيلِ وَدُنُوَّ
الْأَمَالِ، وَثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيمَانِ وَوَقِّفْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ
فَزَعِ الْوُقُوفِ وَالْأَهْوَالِ، وَآمِنَّا يَوْمَ الْقِيَامِ الْأَكْبَرِ وَمَا فِيهِ مِنَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ.

اللَّهُمَّ تَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِالْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ، وَارْزُقْنَا صِدْقَ التَّوْبَةِ وَحُسْنَ
الْإِنَابَةِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ رَجَعَ إِلَيْكَ فَأَكْرَمْتَ مَآبَهُ، وَاجْعَلْ مَالَنَا إِلَى جَنَّتِكَ،
وَأَعِزَّنَا مِنْ نِيرَانِكَ، وَاغْفِرْ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْبَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي فَضْلِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَدْبِيرِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ قَدْرَ أَوْلِيَائِهِ عَنِ الرُّكُونِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، وَفَتَحَ
بَصَائِرَ أَضْفِيَائِهِ لِفَهْمِ كِتَابِهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْاِغْتِبَارِ، وَمَنَحَ صَفَاءَ إِحْسَانِهِ لِلْمُنِيبِينَ
إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، وَنَفَذَ تَصَارِيفَ الْأَقْدَارِ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَيَسَّرَ كُلَّ لِمَا
خُلِقَ لَهُ فَفَعَلَهُ بِالْاِخْتِيَارِ ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسَلِّتُونَ﴾ (١٣)، وَلَا تَخْتَلِفُ
عَلَيْهِ الْحَرَكَاتُ وَلَا السُّكُونُ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ (٨٦)، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، الْغَنِيُّ الَّذِي لَا يَنْقُصُ مُلْكُهُ
التَّفَقُّاتُ. وَالْجَوَادُ الَّذِي أُنَاحَتْ بِبَابِهِ رِكَابُ ذَوِي الْحَاجَاتِ. وَالسَّمِيعُ الَّذِي

لَا تَخْتَلِفْ عَلَيْهِ السُّؤَالَاتُ، وَيَمِينُهُ مَلَأَى تَسْحُ الْخَيْرَاتِ بِوَابِلٍ مِذْرَارٍ. الْجَبَّارُ
الَّذِي قَهَرَ الْمُتَجَبِّرِينَ وَأَذَلَّ الصُّعَابَ، وَسَمِعَ خَفِيَّ النُّطْقِ وَمَهْمُوسَ الْخِطَابِ،
وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ يَحُثُّ فِيهِ عَلَى اكْتِسَابِ الثَّوَابِ، وَيَزْجُرُ عَنْ أَسْبَابِ الْعِقَابِ
﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَبُوا بِإِيتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ❶.

فَسُبْحَانَ مَنْ بَيَّنَّ فِيهِ أَسْبَابَ الرِّيحِ وَأَسْبَابَ التَّبَابِ، وَأَوْدَعَهُ الْحِكْمَ
وَالْأَسْرَارَ، وَتَابَ عَلَى الْمُذْنِبِينَ إِذَا أَنَابُوا إِلَيْهِ بِذِلَّةٍ وَأُنْكَسَارٍ.

أَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْمِذْرَارِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِ تَرَدَّادِ التَّكْرَارِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْإِلَهُ الْعَظِيمُ الْقَهَّارُ، شَهَادَةً
أَدْخَرَهَا لِيَوْمٍ تَذْهَلُ فِيهِ الْعُقُولُ وَتَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، أَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنْ دَارِ
الْهُوَانِ وَالْبَوَارِ، وَأَوْمِلُ بِهَا مِنْ كَرَمِهِ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. وَأَشْهَدُ
أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، الْمَاجِي لِظِلَامِ الشُّرْكِ بِثَوَاقِبِ
الْأَنْوَارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ الْأَظْهَارِ، صَلَاةٌ تَدُومُ
بِتَعَاقِبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَسَلَامٌ تَسْلِيْمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُنْصَدَعًا مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ❷.

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَةِ الْقُرْآنِ وَقُضْلِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ خُوطِبَ بِهِ
صُمْ الْجِبَالُ لَتَصَدَّعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. فَهَذِهِ حَالُ الْجِبَالِ وَهِيَ الْحِجَارَةُ
الصُّلْبَةُ، وَهَذِهِ رِقَّتُهَا وَخَشْيَتُهَا وَتَذَكُّدُهَا مِنْ جَلَالِ رَبِّهَا وَعَظَمَتِهِ وَخَشْيَتِهِ.

فَيَا عَجَبًا مِنْ مُضْغَةٍ لَحْمٍ كَانَتْ أَقْسَى مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ تُخَوِّفُ مِنْ سَطْوَةِ
الْجَبَّارِ وَبَطْشِهِ، فَلَا تَرْعَوِي وَلَا تَرْتَدِّعُ، وَتَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهَا فَلَا تَلِينُ
وَلَا تَخْشَعُ وَلَا تُنِيبُ، فَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَلَا يُخَالِفُ حِكْمَتَهُ أَنْ
يَخْلُقَ لَهَا نَارًا تُذِيبُهَا إِذَا لَمْ تَلِنْ بِكَلَامِهِ وَرَوَاجِرِهِ وَمَوَاعِظِهِ، فَمَنْ لَمْ يَلِنْ قَلْبُهُ
لِلَّهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَلَمْ يُنِيبْ إِلَيْهِ وَلَمْ يُذِبه بِحُبِّهِ وَالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَتِهِ، فَلَيْتَمَتَّعَ

قَلِيلًا، فَإِنَّ أَمَامَهُ الْمُتَلِينَ الْأَعْظَمُ، وَسِيرُدٌ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَرَى وَيَعْلَمُ.

فَيَا أَيُّهَا الْعَافِلُ عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ إِلَى مَتَى هَذِهِ الْعَقْلَةُ؟ قُلْ لِي وَتَكَلَّمْ، حَتَانَيْكَ بَادِرْ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ لَهُ خُصُوصِيَّةٌ بِالْقُرْآنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

وَكَانَ جِبْرِيلُ ﷺ يُدَارِسُ النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ.

وَفِي الْمُسْنَدِ: «إِنَّ الْإِنْجِيلَ أُنْزِلَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ».

وَفِي فَضْلِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ، وَالْمَطْلُوبُ الْقِرَاءَةُ بِالتَّدَبُّرِ.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْسَقُ عَنْهُ قَبْرُهُ، كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ. وَكُلُّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، فَيُعْطَى الْمُلْكُ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَقْرَأْ وَأَرَقْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرْفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذَا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا».

وَفِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ الطَّوِيلِ: «إِنَّ الْقُرْآنَ يَأْتِي صَاحِبَهُ فِي الْقَبْرِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَسْهَرُ لَيْلَكَ، وَأُظْمِئُ نَهَارَكَ، وَأَمْنَعُكَ شَهَوَاتِكَ وَسَمْعَكَ وَبَصَرَكَ، فَسَتَجِدُنِي مِنَ الْأَخِلَاءِ خَلِيلَ صَدِّقٍ، ثُمَّ يَضَعُ دُفْنًا لَكَ فِرَاشًا وَدِثَارًا، فَيُؤَمِّرُكَ بِفِرَاشٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِنْدِيلٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَاسِمِينَ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَدْفَعُ الْقُرْآنَ فِي قَبْلَةِ الْقَبْرِ فَيُوسِّعُ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ».

قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنَادٍ: إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ يُعْطَى بِحَرْثِهِ، وَيُزَادُ، غَيْرَ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالصَّيَامِ يُعْطَوْنَ أَجُورَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا أَحْتَضِرَ الْمُؤْمِنُ يُقَالُ لِلْمَلِكِ: شَمَّ رَأْسَهُ، فَيَقُولُ:
أَجِدُ فِي رَأْسِهِ الْقُرْآنَ، فَيَقَالُ: شَمَّ قَلْبَهُ، فَيَقُولُ: أَجِدُ فِي قَلْبِهِ الصِّيَامَ، فَيَقَالُ:
شَمَّ قَدَمَيْهِ: فَيَقُولُ: أَجِدُ فِي قَدَمَيْهِ الْقِيَامَ، فَيَقَالُ: حَفِظَ نَفْسَهُ حَفِظَهُ اللَّهُ.

وَقَدَّمَ أَنَّ الصِّيَامَ وَالْقُرْآنَ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: «أَيُّ
رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ
بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ» وَهَذَا لِمَنْ قَامَ بِحَقِّهِمَا، فَإِنَّهُمَا يَشْفَعَانِ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «يَنْبَغِي لِقَارِي الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ
نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ يُفْطِرُونَ، وَبِكَاثِرِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِرِوَعِهِ إِذَا
النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ،
وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ. وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا
حَكِيمًا، حَلِيمًا سَكِينًا، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ جَافِيًا وَلَا غَافِلًا،
وَلَا صَحَّابًا وَلَا صَيَّاحًا وَلَا حَدِيدًا».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «كُنَّا نَعْرِفُ قَارِي الْقُرْآنِ بِصُفْرَةٍ لَوْنِهِ، يُشِيرُ إِلَى
سَهْرِهِ وَطُولِ تَهْجُدِهِ».

وَقَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ: قِيلَ لِرَجُلٍ: أَلَا تَنَامُ؟ قَالَ: إِنَّ عَجَائِبَ الْقُرْآنِ
أَطْرَنَ نَوْمِي.

وَصَحِبَ رَجُلٌ رَجُلًا شَهْرَيْنِ فَلَمْ يَرَهُ نَائِمًا، فَقَالَ: مَا لِي لَا أَرَاكَ نَائِمًا؟
قَالَ: إِنَّ عَجَائِبَ الْقُرْآنِ أَطْرَنَ نَوْمِي، مَا أَخْرُجُ مِنْ أُعْجُوبَةٍ إِلَّا وَقَعْتُ فِي
أُخْرَى.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَأَنْظُرُ فِي آيِهِ، فَيُحِيرُ
عَقْلِي بِهَا، وَأَعْجِبُ مِنْ حِفَاطِ الْقُرْآنِ كَيْفَ يَهْنِيهِمُ النَّوْمُ، وَيَسْعَهُمْ أَنْ يَشْتَغِلُوا
بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُمْ يَتْلُونَ كَلَامَ اللَّهِ، أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ فَهِمُوا مَا يَتْلُونَ وَعَرَفُوا
حَقَّهُ وَتَلَذَّذُوا بِهِ، وَاسْتَحَلُّوا الْمُنَاجَاةَ بِهِ، لَذَهَبَ عَنْهُمْ النَّوْمُ فَرَحًا.

وَأَنشَدَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيَّ:

مَنَعَ الْقُرْآنُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ مُقِلَ الْعُيُونِ بِلَيْلِهَا لَا تَهْجَعُ
فَهُمُوا عَنِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ كَلَامَهُ فَهَمَا تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ
كَانَ السَّلَفُ لِمَعْرِفَتِهِم بِالْمُتَكَلِّمِ يَلْهَجُونَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

كَانَ كُرُزُ بْنُ وَبَرَةَ يَخْتُمُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَلَاثَ خَتَمَاتٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ لِمُرِيدٍ: أَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَاعْوِثَا
بِاللَّهِ لِمُرِيدٍ لَا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ، فِيمَ يَتَنَعَّمُ، فِيمَ يَتَرَنَّمُ، فِيمَ يُنَاجِي رَبَّهُ تَعَالَى؟

وَيَنْبَغِي تَحْسِينُ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ، فَيَقْرَأُ بِتَرْتِيلٍ وَحُزْنٍ وَتَدْبِيرٍ، وَقَدْ أَسْتَمَعَ
النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةً لِقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَقَالَ لَهُ: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ
لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ»، فَقَالَ: «لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْمَعُهُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْصِيرًا»،
أَي: حَسَنَتُهُ وَزَيَّنْتُهُ بِصَوْتِي تَرْيِينًا.

وَكَانَ ﷺ حَسَنَ الصَّوْتِ، حَتَّى قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا
مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

وَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ».

وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَبْكِي، فَإِنْ لَمْ يَبْكْ فَلْيَتَبَاكَ، وَأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ عِنْدَ آيَةِ
الرَّحْمَةِ وَيَتَعَوَّذَ عِنْدَ آيَةِ الْعَذَابِ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ السَّرْعَةُ وَالْهَذَرَمَةُ. وَيَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ ذَا سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَقَنَاعَةٍ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ أَمْتَنَ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ
عَظِيمَةٍ، بِأَنْ جَعَلَهُ حَامِلًا لِكِتَابِهِ.

شِعْر:

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَى فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

يَا مَنْ يُعَاتِبُهُ الْقُرْآنُ وَقَلْبُهُ غَافِلٌ، وَتُنَاجِيهِ الْآيَاتُ وَفَهْمُهُ ذَاهِلٌ، يَا
مَشْغُولًا عَمَّا يَنْفَعُهُ وَبِمَا يَضُرُّهُ مُتَشَاغِلٌ، يَا مُعْرِضًا عَنِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَقَلْبُهُ جَائِلٌ

فِي الْمَزَابِلِ، وَاللَّهُ لَوْ دُفَّتْ لَذَّةُ حَلَاوَتِهِ لَهَجَرَتْ الشَّوَاغِلَ، وَلَكِنَّكَ أَغْرَيْتَ بِمَا
يَفْنَى عَمَّا يَبْقَى فَضَلَّكَ يَا جَاهِلٌ. فَسَيِّبُ لَكَ الْخُسْرَانُ عَنْ قَلِيلٍ، فَاسْتَدْرِكْ مَا
قَاتَ فَإِنَّ الْعُمَرَ زَائِلٌ، وَيُوشِكُ أَنْ سَفِينَتُهُ قَدْ رَسَتْ بِالسَّاحِلِ، وَقَدْ آنَ سَفْرُكَ
لِلْآخِرَةِ وَلَا زَادَ وَلَا رَوَاجِلَ. إِنْ وَعَدْتَ بِالتَّوْبَةِ فَوَعْدُ مُمَاطِلٍ، وَإِنْ لَاحَتْ لَكَ
الشَّهَوَاتُ وَثَبَتْ وَثُوبَ لَيْثٍ صَائِلٍ، وَتَمَرُّ بِكَ أَوْقَاتُ الْوَسَائِلِ وَالْفَضَائِلِ،
وَأَنْتَ فِي لَهْوِكَ مُتَبَاطِئٌ مُتَنَاقِلٌ. أَفْتَرَى يَرْضَى بِمِثْلِ صَنِيعِكَ عَاقِلٌ.

شعر:

وَوَاطِبٌ عَلَى دَرْسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يُلَيِّنُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جَلَمَدٍ
وَحَافِظٌ عَلَى فِعْلِ الْفُرُوضِ بِوَقْتِهَا وَخُذْ بِنَصِيْبِ فِي الدُّجَى مِنْ تَهْجِدٍ
وَنَادِ إِذَا مَا قُمْتَ فِي اللَّيْلِ سَامِعًا قَرِيبًا مُجِيبًا بِالْفَوَاضِلِ يَبْتَدِي
وَمُدَّ إِلَيْهِ كَفٌّ فَفَرَّكَ ضَارِعًا بِقَلْبٍ مُنِيبٍ وَأَذْعُ تُعْطُ وَتَرْشِدِ
فَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حُرْمَتِ عَلَى النَّارِ فِي نَصِّ الْحَدِيثِ الْمُسَدِّدِ

فصل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ
بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا ۝١٩﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ
تُوعَدُونَ ۝٢٠﴾ أَصْلُهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٢١﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٢٢﴾.

أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ تَوَعَّدَ أَهْلَ مُخَالَفَتِهِ وَعِصْيَانِهِ وَالتَّمَرُّدِ عَلَيْهِ بِالنَّارِ،
وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّقَاءِ وَالْخِزْيِ وَالشُّبُورِ وَالنِّكَالِ وَالْبَوَارِ، وَبَعَثَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ
الْكِتَابَ تَزْجُرُ النَّاسَ عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِهَا وَفِعْلِ الْأَعْمَالِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهَا؛ إِذْ هِيَ
دَارُ الْخَبِيثِينَ. وَقَدْ خَابَ مَنْ كَانَتْ النَّارُ مَثْوَاهُ فَفِيهَا الْحَرُّ الشَّدِيدُ، وَالْعَذَابُ

الْأَكِيدُ، وَفِيهَا الْحَمِيمُ وَالزَّمْهَرِيرُ وَلَا هِلْهَا فِيهَا الشَّهِيْقُ وَالزَّفِيرُ، دُعَاؤُهُمْ لَا يُسْمَعُ، وَمُتَضَرَّعُهُمْ لَا يُرْحَمُ. قَدْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمُ رَبُّ الْأَرْبَابِ، وَبَاءُوا بِالْخُسْرَانِ وَالتَّبَابِ.

رَوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ يَشْفِيَانِ الْقَلْبَ بِذَرْفِ الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَتِكَ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الدَّمْعُ دَمًا وَالْأَضْرَاسُ جَمْرًا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ؟ قَالَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّدُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعِمِائَةِ مَرَّةٍ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ يَدْخُلْهُ؟ قَالَ: أَعِدَّ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه.

وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا»، قَالَ: «نَهْرٌ فِي جَهَنَّمَ بَعِيدُ الْقَعْرِ حَيْثُ الطَّعْمُ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَتَنْفَسَ فَأَصَابَهُمْ نَفْسُهُ لَأَحْتَرَقَ الْمَسْجِدُ وَمَنْ فِيهِ» رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْبَزَارُ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ غَرْبًا مِنْ جَهَنَّمَ جُعِلَ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ لَأَذَى نَتْنُ رِيحِهِ وَشِدَّةُ حَرِّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَوْ أَنَّ شَرَارَةً مِنْ شَرِّ جَهَنَّمَ بِالْمَشْرِقِ لَوَجَدَ حَرَّهَا مَنْ بِالْمَغْرِبِ».

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: «إِنَّ الْوَيْلَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ فِيهِ أَلْوَانُ الْعَذَابِ».

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: «الْوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَوْ سُيِّرَتْ فِيهِ الْجِبَالُ لَمَاعَتْ مِنْ حَرِّهِ».

وَوَرَدَ أَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى جَهَنَّمَ سَوْقًا عَنيفًا بِزَجَرٍ وَتَهْدِيدٍ، وَأَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ

سَحَبًا عَلَى الْوُجُوهِ غُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا، فَعِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ، وَنَسْأَلُهُ
الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

قَالَ:

وَسِيقَ الْمُجْرِمُونَ وَهُمْ غُرَاةٌ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَالنُّكَالِ
فَنَادَوْا: وَيَلْنَا وَيَلَا طَوِيلًا وَعَجُّوا فِي سَلَاسِلِهَا الطَّوَالِ
فَلَيْسُوا مَيِّتِينَ فَيَسْتَرِيحُوا وَكُلُّهُمْ بِحَرِّ النَّارِ صَالِ
وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارٍ صَدِيقٍ وَعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظَّلَالِ
لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنَّوْا مِنْ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ خَطَبَ، فَقَالَ: «لَا تَنْسُوا
الْعَظِيمَتَيْنِ: الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى جَرَى أَوْ بَلَّتْ دُمُوعُهُ جَانِبِي لِحْيَتِي! ثُمَّ
قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ لَمَشَيْتُمْ إِلَى
الصَّعِيدِ، وَلَحَيْثُمْ عَلَى رُءُوسِكُمُ الثَّرَابُ» رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ يَوْمًا لِرَجُلٍ: يَا أَخِي، تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ وَلِيًّا،
وَيَكُونَ لَكَ مُجِبًّا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: دَعِ الدُّنْيَا، وَأَقْبِلْ عَلَى رَبِّكَ بِقَلْبِكَ يُقْبَلُ
عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ؛ فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ﷺ: «يَا
يَحْيَى إِنِّي قَضَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنَّهُ لَا يُجْبِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي، أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ نَبِيِّهِ
إِلَّا كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَفُؤَادَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ،
فَإِذَا كُنْتُ كَذَلِكَ بَعْضْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَشْتَغَلَ بغيري، وَأَدْمَنْتُ فِكْرَهُ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَهُ،
وَأَظْمَأْتُ نَهَارَهُ، أَنْظُرُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً فَأَرَى قَلْبَهُ مَشْغُولًا بِي، فَأَزْدَادُ
مِنْ حُبِّهِ، وَأَمَلًا قَلْبَهُ نُورًا حَتَّى يَنْظُرَ بِنُورِي، فَكَيْفَ يَسْكُنُ يَا يَحْيَى قَلْبَهُ وَأَنَا
جَلِيسُهُ وَغَايَةُ أُمِّيَّتِهِ؟ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَبْعَثُهُ مَبْعَثًا يَعْطِطُهُ النَّيُّونَ وَالْمُرْسَلُونَ،
ثُمَّ أَمُرُّ مُنَادِيًا يُنَادِي: هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ تَعَالَى وَصَفِيُّهُ دَعَاهُ إِلَى زِيَارَتِهِ؛ فَإِذَا
جَاءَنِي رَفَعْتُ الْحِجَابَ، صَاحَ يَحْيَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَيِّحَةً فَلَمْ يُفِقْ

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِكَ صَاحِبًا، فِيمَنْ يَرْضَى؟ وَكَيْفَ أَصَاحِبُ خَلْقِكَ وَقَدْ دَعَوْتَنِي إِلَى مُصَاحَبَتِكَ؟».

فَيَا مَنْ بُلِيَ بِالطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ، يَا مَنْ حُرِمَ لَدَاةُ الْوَصْلِ وَالْوِدَادِ، أُتْبَارِزُ بِالْقَبِيحِ مَنْ عَامَلَكَ بِالْجَمِيلِ، أُتْجَاهَرُ بِالْعِصْيَانِ مَنْ غَمَرَكَ بِفَضْلِهِ الْجَزِيلِ، أَتَرْضَى بِالْإِبْعَادِ بَدَلًا عَنِ الْوِدَادِ؟ فَيُسَّسَ الْبَدِيلُ ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، هَلْ يَسْتَوِي الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ؟ هَلْ يَسْتَوِي الْهَالِكُ وَالسَّالِمُ؟ هَلْ يَسْتَوِي الْغَائِبُ وَالْحَاضِرُ؟ هَلْ يَسْتَوِي الْعَافِلُ وَالذَّاكِرُ؟ هَلْ يَسْتَوِي الْبَعِيدُ وَالْقَرِيبُ؟ هَلْ يَسْتَوِي الْعَدُوُّ وَالْحَبِيبُ؟ هَلْ يَسْتَوِي مَنْ هُوَ مَعَ نَفْسِهِ. وَمَنْ هُوَ مَعَ رَبِّهِ يَنْعَمُ بِأَنْسِهِ؟ هَلْ يَسْتَوِي مَنْ هُوَ فِي مَنْزِلَةِ الْفِرَاقِ يُقَاسِي وَبَالَهُ، وَمَنْ هُوَ فِي حُلَّةِ الْوِصَالِ يَجْرُ أَذْيَالُهُ؟ هَلْ يَسْتَوِي مَنْ رُبَطَ بِقَيْدِ الْخِذْلَانِ، وَوُسِمَ بِوَسْمِ الْهَجْرَانِ، وَحُسِّ فِي سِجْنِ الْحَرَمَانِ، وَمَنْ هُوَ فِي نَعِيمِ الرِّضْوَانِ قَدْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْإِيمَانِ؟ لَا يَسْتَوِيَانِ وَلَا يَجْتَمِعَانِ.

هَلْ يَسْتَوِي مَنْ أَبْعَدَنَاهُ وَحَجَبْنَاهُ، وَمَنْ أَخَذْنَا بِيَدِهِ وَقَرَّبْنَاهُ؟ هَلْ يَسْتَوِي مَنْ أَعْرَضَ عَنَّا، وَلَمْ يَطْلُبِ الْإِقَالََةَ مِنَّا، وَمَنْ أَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْنَا، وَوَجَدَ نَعِيمَ قَلْبِهِ لَدَيْنَا؟

فَيَا هَذَا، لَقَدْ كَانَتْ أَحْوَالُ الْخَائِفِينَ مِنَ النَّارِ تَنْوَعُ، وَقُلُوبُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَكَادُ تُقَطَّعُ. كَمَا رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعِبَادِ مَرَّ عَلَى كَبِيرِ حَدَادٍ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَبْكِي ثُمَّ شَهَقَ شَهَقَةً فَمَاتَ مِنْهَا رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ.

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَطَعَامًا ذَا غَضَّةٍ﴾، قَالَ: «هُوَ شَوْكٌ يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ لَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ».

وَوَرَدَ أَنَّهُمْ يُسْقَوْنَ الصَّدِيدَ فَإِذَا أُذْنِي مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ تَقَطَّعَتْ أَمْعَاؤُهُ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ.

وَوَرَدَ أَنَّ الزَّانِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْهَدُ عَلَيْهِ فَخِذُهُ، وَكَذَلِكَ الْجَوَارِحُ تَشْهَدُ عَلَى الْعَبْدِ بِمَا عَمِلَ. وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَخْتِمُ عَلَى فِيهِ، ثُمَّ تَخُونُهُ الْجَوَارِحُ بِشَهَادَتِهَا عَلَيْهِ بِمَا عَمِلَتْ؛ فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُلْطِفَ بِنَا، وَيَرْحَمَ ضَعْفَنَا، وَلَا يُعَامِلَنَا بِعَدْلِهِ، وَأَنْ يَسْتُرَ عَلَيْنَا وَلَا يَفْضَحَنَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِقَبَائِحِ أَعْمَالِنَا. إِنَّهُ أَجُودُ الْأَجُودِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ، وَبِوَجْهِكَ الْأَكْرَمِ؛ أَنْ تَرْزُقَنَا الْجَنَّةَ وَتُعِيدَنَا مِنَ النَّارِ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَعْرُوفُ بِالْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْأَوْزَارِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ، وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ، وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَالْعَزِيزُ مَنْ لَادَ بِعِزِّكَ، وَالسَّعِيدُ مِنَ التَّجَا إِلَى حِمَاكَ وَحِرْزِكَ، وَالذَّلِيلُ مَنْ لَمْ تُؤَيِّدْهُ بِعِنَايَتِكَ، وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ.

إِلَهْنَا، اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا يَوْمَ الدِّينِ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلَوْلَادِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ

فِي الْحَثِّ عَلَى التَّأَذُّبِ مَعَ الْقُرْآنِ وَأَدَابِ الْقِرَاءَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّؤُوفِ الْعَظِيمِ الْمَنَّانِ، الْعَنِيِّ الْقَوِيِّ السُّلْطَانِ. الْحَلِيمِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنُ، الْكَبِيرُ الْقَدِيرُ الدَّيَّانُ، الْأَوَّلُ فَلَا سَبْقَ لِسَبْقِهِ، الْمُنْعِمُ فَمَا قَامَ مَخْلُوقٌ بِحَقِّهِ، الْمُتَفَضِّلُ بِفَضْلِهِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، بِشَرَائِفِ الْمَنَائِحِ عَلَى تَوَالِي الزَّمَانِ. جَلَّ عَنْ شَرِيكَ وَوَلَدٍ، وَعَزَّ عَنِ الْاِحْتِيَاجِ إِلَى أَحَدٍ، وَتَقَدَّسَ عَنْ نَظِيرٍ وَأَنْفَرَدَ، وَعَلِمَ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ. أَنْشَأَ الْمَخْلُوقَاتِ بِحِكْمَتِهِ وَصَنَعَهَا، وَفَرَّقَ الْأَشْيَاءَ بِقُدْرَتِهِ وَجَمَعَهَا، وَدَحَا الْأَرْضَ وَبَسَطَهَا عَلَى الْمَاءِ وَأَوْسَقَهَا ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ ﴿٧﴾، يُعِزُّ وَيُدِلُّ، وَيُفْقِرُ وَيُعْنِي، وَيُسَعِدُ وَيُشْقِي، وَيَبْقِي

وَيُفْنِي، وَيَشِينُ وَيَزِينُ، وَيَنْقُصُ وَيَبْنِي ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، مَدَّ الْأَرْضَ فَأَوْسَعَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَأَجْرَى فِيهَا أَنْهَارَهَا بِصُنْعَتِهِ، وَصَبَغَ أَلْوَانَ نَبَاتِهَا بِحِكْمَتِهِ؛ فَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى صَبْغِ تِلْكَ الْأَلْوَانِ؟ ثَبَّتَ بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ نَوَاحِيهَا. وَأَرْسَلَ السَّحَابَ بِمِيَاهِ تَحْيِيهَا، وَقَضَى رَبُّكَ بِالْفَنَاءِ عَلَى جَمِيعِ سَاكِنِيهَا ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾. أَنْعَمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِتَمَامِ إِحْسَانِهِ، وَعَادَ عَلَيْهَا بِفَضْلِهِ وَأَمْتِنَانِهِ، وَجَعَلَ شَهْرَهَا مَخْصُوصًا بِعَمِيمِ غُفْرَانِهِ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ مِنَ الصَّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى بُلُوغِ الْأَمَالِ وَسُبُوغِ الْإِنْعَامِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الدَّيَّانُ، الْعَظِيمُ الَّذِي لَا تُحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ وَالْأَذْهَانُ، شَهَادَةُ أَرْجُو بِهَا الْخُلُودَ فِي فَسِيحِ الْجَنَانِ، وَأَتَقِي بِهَا مِنْ دَارِ الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ خَلْقِهِ وَبَرِّيَّتِهِ، الْمُقَدَّمُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِبَقَاءِ مُعْجَزَاتِهِ، الَّذِي أَنْشَقَ لَيْلَةَ وَلَاذَتِهِ الْإِبْوَانَ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً دَائِمَةً مُتَوَالِيَةً عَلَى تَوَالِي الزَّمَانِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مَنِ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا تَلَّوْا آيَاتِ اللَّهِ وَلَهُمْ يُسْجُدُونَ﴾، يَقُولُ تَعَالَى: لَا يَسْتَوِي هَؤُلَاءِ وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ فِي الْفَضْلِ وَقَالَ ﷺ: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذْبَحُوا بِآيَتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أَي: ذُوو الْعُقُولِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: وَاللَّهِ مَا تَذَبَّرُهُ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؛ لَا يَكُونُ قَارِئًا حَتَّى يَكُونَ عَامِلًا.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ أَقْوَامًا قَرَأُوا هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَعْمَلُونَ بِسُنَّتِهِ، وَلَا يَتَّبِعُونَ لَطَرِيقَتِهِ. أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.

أَعْلَمَ أَنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ لَهَا فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَالْمَطْلُوبُ الْقِرَاءَةُ بِالتَّدْبِيرِ
وَالْقِرَاءَةُ آدَابٌ وَمَقَاصِدُ، وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ بَعْضَ آدَابِ الْقِرَاءَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَأَوَّلُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ: الْإِخْلَاصُ فِي قِرَاءَتِهِ، وَأَنْ يُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ، وَلَا يَقْصِدُ بِهَا تَوْضُلًا إِلَى شَيْءٍ سِوَى ذَلِكَ، وَأَنْ يَتَأَدَّبَ مَعَ الْقُرْآنِ؛
بِأَنْ يَقْرَأَ طَاهِرًا، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَلَا بِأَسَ بِقِرَاءَةٍ مِنْ عَلَيْهِ حَدَثٌ أَصْغَرُ.

وَيَسْتَأْذِنُ إِذَا أَرَادَ الْقِرَاءَةَ بِالسَّوَاكِ، وَيُنْظِفُ فَمَهُ، وَتُكْرَهُ قِرَاءَةُ نَجَسٍ
الْقَمِ، وَيَسْتَحْضِرُ فِي ذَهْنِهِ أَنَّهُ يُنَاجِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِكَلَامِهِ. فَيَقْرَأُ عَلَى
حَالٍ مَنْ يَرَى اللَّهَ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ، ثُمَّ يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ ٨٨﴾، فَإِنَّ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ أَجْلَبَ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ
وَرَجَلِهِ لِيَسْغَلَهُ عَنِ الْمَقْصُودِ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ تَدْبِيرُهُ وَتَفْهَمُهُ، وَمَعْرِفَتُهُ مَا أَرَادَ بِهِ
الْمُتَكَلِّمُ، وَلِهَذَا يُغْلِظُ الْقَارِئُ تَارَةً، وَيُحْبِطُ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ وَيُسْوِشُهَا، أَوْ يُسْوِشُ
عَلَيْهِ فَهَمُهُ وَقَلْبُهُ.

فَهَذِهِ عَادَةُ الْحَبِيثِ أَنَّهُ يَحْرِصُ عَلَى الْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَهُمُّ بِالْخَيْرِ لِيَصُدَّهُ
عَنْهُ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ قَلْبٍ
حَاضِرٍ فَقَدْ دَخَلَ عَلَى مَوْلَاهُ، وَلَاذَ بِجَنَابِهِ، وَأَعْتَصَمَ بِاللَّهِ وَامْتَنَعَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
يُوَلِّي الشَّيْطَانُ هَارِبًا حَقِيرًا ذَلِيلًا مَذْخُورًا.

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ تَذُنُّ مِنْ قَارِئِ الْقُرْآنِ، وَتَسْمَعُ لِقِرَاءَتِهِ،
وَيَجْهَرُ بِالتَّرْتِيلِ إِنْ كَانَ لَيْسَ يَتَأَذَّى بِجَهْرِهِ أَحَدٌ، وَيَسْمَلُ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ إِنْ
شَاءَ سِرًّا وَإِنْ شَاءَ جَهْرًا؛ ثُمَّ يَكُونُ شَأْنُهُ الْخُشُوعُ وَالتَّدْبِيرُ وَالْخُضُوعُ، فَهَذَا هُوَ
الْمَقْصُودُ وَالْمَطْلُوبُ، وَبِهِ تَنْسَرِحُ الصُّدُورُ، وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ، وَدَلَالَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ
أَنْ تُحْصَرَ.

وَقَدْ بَاتَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَتْلُو الْوَاحِدَ مِنْهُمْ آيَةً وَيَقُومُ بِهَا لَيْلَةً كَامِلَةً

أَوْ مُعْظَمَ لَيْلَةٍ يَتَدَبَّرُهَا. وَصُعِقَ جَمَاعَةٌ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. وَمَاتَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ﷺ.

وَيُسْتَحَبُّ الْبُكَاءُ، فَإِنْ لَمْ يَبْكْ فَلْيَتَبَاكَ إِنْ كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْبُكَاءِ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ صِفَةُ الْعَارِفِينَ.

قَالَ صَاحِبُ الْمَعَارِفِ وَاللِّطَائِفِ إِبْرَاهِيمُ الْحَوَاصُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: دَوَاءُ الْقَلْبِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ، وَخَلَاءُ الْبَطْنِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ، وَالتَّصَرُّعُ عِنْدَ السَّحْرِ، وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ.

وَالْقِرَاءَةُ فِي الْمُصْحَفِ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، قَالَهُ الْعُلَمَاءُ: وَهُوَ مَشْهُورٌ عَنِ السَّلَفِ ﷺ، فَإِنَّهُ يَكُونُ أَجْمَعَ لِدَهْنِهِ وَأَحْضَرَ لِفِكْرِهِ إِذَا كَانَ يَقْرَأُ وَيَنْظُرُ الْآيَاتِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ يَنْعَكِسُ الْأَمْرُ فِي بَعْضِ النَّاسِ، وَيُسْتَحَبُّ تَحْسِينُ الْقِرَاءَةِ وَتَرْتِيلُهَا وَالْجَهْرُ، لَكِنْ إِنْ كَانَ لَا يَتَأَدَّى بِجَهْرِهِ نَائِمٌ أَوْ مُصَلٍّ أَوْ تَالٍ، وَلِلْجَهْرِ فَضْلٌ، لِأَنَّهُ يَتَعَدَّى نَفْعُهُ إِلَى غَيْرِهِ. وَلِأَنَّهُ يُوقِظُ الْقَلْبَ وَيَجْمَعُ هَمَّهُ إِلَى الْفِكْرِ، وَيَصْرِفُ سَمْعَهُ إِلَيْهِ، وَيَطْرُدُ النَّوْمَ، وَيَزِيدُ فِي الشَّاطِطِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ لَأَوْقَاتِ الْفَضَائِلِ اغْتِنَامًا؛ كَمَثَلِ هَذَا الشَّهْرِ.

كَانَ الشَّافِعِيُّ يَخْتِمُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ خَتْمَةً، وَيَخْتِمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سِتِينَ خَتْمَةً، سِوَى مَا يَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَخْتِمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَتْمَةً. وَبَعْضُهُمْ يَخْتِمُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثَلَاثَ خَتَمَاتٍ، وَخَتَمَ بَعْضُهُمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثَمَانِي خَتَمَاتٍ: أَرْبَعًا فِي اللَّيْلِ، وَأَرْبَعًا فِي النَّهَارِ. كَانَ مِنْهُمْ أَبُو الْكَاتِبِ الصُّوفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَهَذَا أَكْثَرُ مَا بَلَّغْنَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

وَكَانَ مَنْصُورُ بْنُ زَادَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَيَخْتِمُهُ أَيْضًا فِيمَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي رَمَضَانَ.

هَذِهِ حَالُ السَّلَفِ، وَمَنْ لَهُ هِمَّةٌ فَلْيَسْتَنَّ بِهِمْ.

وَيُكْرَهُ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ، وَيُكْرَهُ أَيْضًا تَمْطِيطُ الْقِرَاءَةِ بِالْمُجَاوِزَةِ إِلَى الْأَلْحَانِ. وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ حَرَامًا. وَلَا يَنْبَغِي هَذَرُ الْقِرَاءَةِ وَهَذَا مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ وَلَا تَفَكِيرٍ.

فَهَذِهِ آدَابُ الْقِرَاءَةِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا وَمَا رَبُّكَ

يُظَلِّمُ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿١١﴾.

شِعْر:

فَدُونَكَ فَأَصْنَعْ مَا تُحِبُّ فَإِنَّمَا	غَدَا تَحْصُدُ الزَّرْعَ الَّذِي أَنْتَ زَارِعُ
وَحَرُّ لَهَيْبِ النَّارِ حَارٌّ وَمُهْلِكُ	وَمَا لِطَرِيدِ الدِّينِ عَنْهَا مُمَانِعُ
وَحَابِ الَّذِي يَرْضَى جَهَنَّمَ مَوْطِنًا	وَفِيهَا أُعِدَّتْ لِلْعَصَاةِ الْمَقَامِعُ
وَسُحْقًا لِعَبْدٍ غَرَّهُ حِلْمُ رَبِّهِ	وَأَهْمَلُ حَتَّى أَهْلَكَتُهُ الْمَوَانِعُ
يُؤَافِيهِ بِالنُّعْمَا فَيَجْحَدُ فَضْلَهُ	وَيُوصِلُ حَبْلَ الْوُدِّ وَهُوَ يُقَاطِعُ
قَلِيلَ الْحَيَا، لَوْلَاهُ مَا عِشْتُ فِي الْحَشَا	وَلَوْلَاهُ مَا حَنْتُ عَلَيْكَ الْمَرَاضِعُ
تَأْدَبُ بِآدَابِ الشَّرِيعَةِ وَأَسْتَقِمُ	وَقُلْ يَا إِلَهَ الْعَرْشِ: إِنِّي رَاجِعُ
وَيَا وَاهِبَ الْخَيْرَاتِ هَبْ لِي هِدَايَةً	فَمَا غَيْرُ فَقْدَانِ الْهِدَايَةِ قَاطِعُ
إِلَهِي، أَنَا الْمُسْكِينُ أُمْسَيْتُ حَائِرًا	وَقَدْ عَارَضْتَنِي فِي الطَّرِيقِ قَوَاطِعُ
أَقْلُ عَثْرَتِي عَفْوًا وَلُطْفًا وَرَحْمَةً	فَمَا لِجَمِيلِ الصُّنْعِ غَيْرُكَ صَانِعُ

فَمَا لَكَ فِي زَمَانِ صَارَتِ الْعِبَادَاتُ فِيهِ عَادَاتٍ، وَالصِّيَامُ مُجَرَّدَ الْإِمْسَاكِ عَنِ الْمُشْتَهَيَاتِ، وَالْقِرَاءَةُ هَذَا مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ لِلآيَاتِ، وَالْقُلُوبُ مَصْرُوفَةٌ عَمَّا فِي الْكِتَابِ مِنَ الدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَالْأَفْهَامُ قَاصِرَةٌ عَنْ فَهْمِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْمُعْجَزَاتِ، وَالْعُيُونُ قَدْ قَسَتْ عَنْ إِسْبَالِ الْعِبَرَاتِ عَلَى الْوَجَنَاتِ، وَصَارَ الْقُرْآنُ رَسْمًا بَيْنَ الْوَرَقَاتِ، وَرَأْنَتْ عَلَى الْقُلُوبِ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ، وَقَدْ انْشَغَلَتِ الْأَلْسُنُ بِالْغِيْبَةِ وَالْقِيلِ وَالْقَالَ، وَتَمَحَّضَتْ بِالْفُحْشِ وَالْبَذَاءِ وَرَدِيءِ

الْأَقْوَالِ، وَالْأَسْمَاعُ مُنْصَرِفَةٌ إِلَى أَقْبَلِ وَهَاتِ وَتَعَالِ، وَصَارَتِ الْهِمَمُ تَجُولُ فِي جَمْعِ الْحُطَامِ، وَالْقُلُوبُ قَدْ أَسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا الْقَسْوَةُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالْأَعْيُنُ تُرْسَلُ فِي النَّظَرِ إِلَى كُلِّ الْآثَامِ، وَمَا لِشَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَنَا أَحْتِرَامٌ، وَكَأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ بِالْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَلَمْ نَذَرِ بِمَا أَعَدَّ لِأَهْلِ الْإِجْرَامِ وَالْآثَامِ، وَكَثُرَ الْفُحْشُ وَالْحَسَدُ وَالْحَقْدُ وَالْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ، وَالْكَذِبُ وَالْأَفْعَالُ الْوَحِيمَةُ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ، وَصَارَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ بِقُرْبِ الْمَكَانِ، وَقَدْ غَابَتِ الْقُلُوبُ وَحَضَرَتِ الْأَبْدَانُ، وَعَادَ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَتُرِكَتِ السُّنَّةُ وَارْتُكِبَتِ الْبِدْعَةُ، وَضُيِّعَتِ الْحُقُوقُ مِنْ فِعْلِ الْجَوْرَةِ، وَقَدْ أَفْشَعَرَتِ الْأَرْضُ وَأَظْلَمَتِ السَّمَاءُ، وَظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ ظُلْمِ الْفَجْرَةِ، وَذَهَبَتِ الْبَرَكَاتُ، وَقَلَّتِ الْخَيْرَاتُ، وَهَزَلَتِ الْوُحُوشُ، وَتَكَدَّرَتِ الْحَيَاةُ مِنْ فِسْقِ الظَّلْمَةِ، وَبَكَى صَوْنُ النَّهَارِ وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ وَالْأَفْعَالِ الْفَظِيعَةِ، وَشَكَا الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ وَالْمُعَقَّبَاتُ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ كَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ، وَغَلَبَتِ الْمُنْكَرَاتُ وَالْقَبَائِحُ. وَهَذَا وَاللَّهِ مُنْذِرٌ بِسَبِيلِ عَذَابٍ قَدْ اتَّعَقَدَ عَمَامُهُ، وَمُؤَذِّنٌ بِلَيْلٍ بَلَاءٍ قَدْ أَذْلَهَمَ ظَلَامُهُ، فَأَعْزِلُوا عَنْ طَرِيقِ هَذَا السَّبِيلِ بِنُتُوبَةٍ نَصُوحٍ، مَا دَامَتِ التَّوْبَةُ مُمَكِّنَةً وَبَابُهَا مَفْتُوحٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِالْبَابِ وَقَدْ أُغْلِقَ، وَبِالْجَنَاحِ وَقَدْ عُلِقَ ﴿وَسِعَلَهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ فَ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

فَصْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُّسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَثَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا ﴿٣١﴾﴾.

عَنْ أَبِي عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَخْلَقَ تَخْلُقُ، أَمْ نَسِيَجُ نُنْسِجُ؟ فَضَحِكَ بَعْضُ الْقَوْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا؟ ثُمَّ قَالَ: بَلْ تَسْقُقُ عَنْهَا ثَمَرُ الْجَنَّةِ: مَرَّتَيْنِ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَلَهُ عَنْ مَرْثِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً تُنْبِتُ السُّنْدُسَ، مِنْهُ يَكُونُ ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وَقَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ مَلَكًا مِنْذُ يَوْمِ خُلِقَ يَصُوعُ حُلِيَّ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَوْ أَنَّ حُلِيًّا مِنْ حُلِيَّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أُخْرِجَ لَذَهَبَ بِضَوْءِ الشَّمْسِ، فَلَا تَسْأَلُوا بَعْدَ هَذَا عَنْ حُلِيَّ أَهْلِ الْجَنَّةِ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا.

وَقَالَ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْقَيْمِ ﷺ: وَمِنْ مَلَائِكِهِمُ التِّيَّجَانُ، ثُمَّ سَأَلَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ يُحِلُّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ، خَلَطَهُ اللَّهُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَجَعَلَهُ رَفِيقَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ حَاجِجًا، فَقَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عَامِلٍ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا يَأْخُذُ بِعَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا فُلَانًا كَانَ يَقُومُ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ؛ فَيُحِلُّ حَلَالِي وَيُحَرِّمُ حَرَامِي، يَقُولُ: يَا رَبِّ فَأَعْطِهِ، فَيَتَوَجَّهُ اللَّهُ تَاجَ الْمُلُوكِ، وَيَكْسُوهُ مِنْ حُلَّةِ الْكِرَامَةِ. ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ رَضِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَرَعْبُ لَهُ فِي أَفْضَلِ مِنْ هَذَا، فَيُعْطِيهِ اللَّهُ الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: هَلْ رَضِيتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ».

وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلًا، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ خَضَمًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَمَلْتُهُ إِيَّايَ فَبُئْسَ حَامِلٌ تَعَدَّى حُدُودِي وَضَيَّعَ فَرَائِضِي وَتَرَكَ طَاعَتِي. فَمَا يَزَالُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ: شَأْنُكَ بِهِ. فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يَرْسِلُهُ حَتَّى يَكْبَهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ».

فَالصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِمَنْ قَامَ بِحَقُوقِهِمَا. وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْقُرْآنُ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فِي النَّهَارِ، فَإِنَّهُ يَنْتَصِبُ خَضَمًا لَهُ يُطَالِبُهُ بِحَقُوقِهِ الَّتِي ضَيَّعَهَا؛ كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ.

يَا مَنْ صَيَّعَ عُمْرَهُ فِي غَيْرِ الطَّاعَةِ، يَا مَنْ قَرَّطَ فِي شَهْرِهِ - بَلْ فِي دَهْرِهِ - وَأَضَاعَهُ، يَا مَنْ بِضَاعَتُهُ التَّسْوِيفُ وَالتَّقْرِيطُ وَبِئْسَتِ الْبِضَاعَةُ، يَا مَنْ جَعَلَ خَصَمَهُ الْقُرْآنَ وَشَهْرَ رَمَضَانَ، كَيْفَ تَرْجُو مِمَّنْ جَعَلْتُهُ خَصَمَكَ الشَّفَاعَةُ؟ وَبَلْ لِمَنْ شَفَعَاؤُهُ خَصَمَاؤُهُ «رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَقَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»، كُلُّ قِيَامٍ لَا يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَا يَزِيدُ صَاحِبَهُ إِلَّا بُعْدًا، وَكُلُّ صِيَامٍ لَا يُصَانُ عَنْ قَوْلِ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ لَا يُوْرِثُ صَاحِبَهُ إِلَّا مَقْتًا وَرَدًّا.

يَا قَوْمَ، أَتَيْنَ آثَارُ الصَّيَامِ، أَتَيْنَ أَنْوَارُ الْقِيَامِ؟

هَذَا - عِبَادَ اللَّهِ - شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَفِي بَقِيَّتِهِ لِلْعَابِدِينَ مُسْتَمْتَعٌ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ يُتْلَى فِيهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَيُسْمَعُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي لَوْ أُنْزِلَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا يَتَصَدَّعُ. وَمَعَ هَذَا فَلَا قَلْبَ يَخْشَعُ، وَلَا عَيْنَ تَدْمَعُ، وَلَا صِيَامَ يُصَانُ عَنِ الْحَرَامِ فَيَنْفَعُ، وَلَا قِيَامَ أَسْتَقَامَ فَيَرْجَى فِي صَاحِبِهِ أَنْ يَشْفَعَ، قُلُوبٌ خَلَتْ مِنَ التَّقْوَى فَهِيَ خَرَابٌ بَلَقَعَ، وَتَرَكَمَتْ عَلَيْهَا ظُلْمَةُ الذُّنُوبِ فَهِيَ لَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ. كَمْ تُتْلَى عَلَيْنَا آيَاتُ الْقُرْآنِ وَقُلُوبُنَا كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً؟ وَكَمْ يَتَوَالَى عَلَيْنَا شَهْرُ رَمَضَانَ وَحَالُنَا فِيهِ كَحَالِ أَهْلِ الشَّقْوَةِ؟ لَا الشَّابُّ مِمَّا يَنْتَهِي عَنِ الصَّبْوَةِ، وَلَا الشَّيْخُ يَنْزَجِرُ عَنِ الْقَبِيحِ فَيَلْتَحِقُ بِالصَّفْوَةِ. أَتَيْنَ نَحْنُ مِنْ قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا دَاعِيَ اللَّهِ أَجَابُوا الدَّعْوَةَ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ جَلَّتْ قُلُوبُهُمْ جُلُوءًا، وَإِذَا صَامُوا صَامَتْ مِنْهُمْ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ، فَمَا لَنَا فِيهِمْ أَسْوَةٌ؟ كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ حَالِ أَهْلِ الصِّفَا أْبْعَدُ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةِ. كُلَّمَا حَسَنْتُ مِنْ الْأَقْوَالِ، سَاءَتْ مِنْ الْأَعْمَالِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

شِعْرٌ:

يَا نَفْسُ فَارِ الصَّالِحُونَ بِالتَّقَى قَدْ أَبْصَرُوا الْحَقَّ وَقَلْبِي قَدْ عَمِيَ

يَا حُسْنَهُمُ وَاللَّيْلُ قَدْ جَنَّهُمُ وَنُورُهُمْ يَفُوقُ نُورَ الْأَنْجُمِ
تَرْتَمُوا بِالذِّكْرِ فِي لَيْلِهِمْ فَعَيْشُهُمْ قَدْ طَابَ بِالتَّرْتِمِ
قُلُوبُهُمْ لِلذِّكْرِ قَدْ تَفَرَّغَتْ دُمُوعُهُمْ كَلُولُؤُ مُنْتَظِمِ
وَيَحَكِ يَا نَفْسُ أَلَا تَيْقُظُ يَنْفَعُ قَبْلَ أَنْ تَزِلَ قَدَمِي
مَضَى الزَّمَانُ فِي تَوَانٍ وَهَوَى فَاسْتَدْرِكِي مَا قَدْ بَقِيَ وَأَغْتَنِمِي

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِينَ، وَأَاطَقَ لِلسَّوَالِ
أَلْسِنَةَ السَّائِلِينَ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُلْطِفَ بِنَا فِي قَضَائِكَ، وَتُعَافِنَا مِنْ بَلَائِكَ، وَتَهَبَ
لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ.

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ رَقَدَاتِ الْعَفْلَةِ، وَوَقِّفْنَا لِلتَّزَوُّدِ قَبْلَ النُّفْلَةِ، وَأَرْزُقْنَا أَعْتِنَامَ
الزَّمَانِ وَوَقْتَ الْمُهْلَةِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا يُرْضِيكَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَخَلَّصْنَا مِنَ التَّسْوِيفِ
وَالْفُتُورِ وَالْكَسَلِ، وَآمِنَ رَوْعَتَنَا يَوْمَ التَّوْبِخِ وَالْحَجَلِ، وَأَعِدْنَا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ
مِنْ خَبِيَةِ الْأَمَلِ، وَأَغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ فِي بَرَكَاتِ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى هَذِهِ الْأَمَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ، وَعَلِمَ مَوْرِدَ كُلِّ مَخْلُوقٍ
وَمَصْدَرَهُ، وَأَثَبَتْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مَا قَضَاهُ وَسَطَرَهُ، فَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَهُ وَلَا
مُقَدَّمَ لِمَا أَخَّرَهُ. الْمُتَفَرِّدُ بِالْقَدَمِ وَالْبَقَاءُ، وَالْعِزُّ وَالْكَبْرِيَاءُ؛ فَالْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِهِ
قَاصِرَةٌ، وَالْأَلْسُنُ عَنْ إِحْصَاءِ ثَنَائِهِ مُقْصِرَةٌ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْقُدُّوسُ الصَّمَدُ،
فَلَا مُشَارِكَ لَهُ فِيمَا أَبْدَعَهُ وَفَطَرَهُ، الْحَيُّ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،
اللطيفُ الخبيرُ، فَلَا يَخْفَى عَنْهُ مَا أَسْرَهُ الْعَبْدُ وَمَا أَظْهَرَهُ، تَعَالَى مِنْ إِلَهٍ لَا

تَحِيْطُ بِهِ الْعُلُومُ وَلَا تُكَيِّفُهُ الْأَذْهَانُ، وَجَلَّ مِنْ مَلِكٍ لَا تُعَيِّرُهُ الدُّهُورُ
وَالْأَزْمَانُ، وَتَقَدَّسَ مِنْ مُحْسِنٍ كَرِيمٍ لَمْ يَزَلْ مُفِيضًا لِلْإِحْسَانِ، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ شَاءَ هَدَاهُ وَبَصَّرَهُ، أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ هُدًى لِلنَّاسِ وَتَذَكُّرَةً ﴿فَمَنْ
شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ١٢٠ فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ ١٢١ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿لَا﴾ ١٢٢.

فُسَبِّحَانَ مَنْ قَسَمَ عِبَادَهُ إِلَى طَائِعٍ وَلَيْئِمٍ، وَضَالَ عَنِ الْهُدَى وَمُسْتَقِيمٍ،
وَجَعَلَ مَالَهُمْ إِلَى دَارِ نَعِيمٍ، أَوْ دَارِ جَحِيمٍ، وَيَسَّرَ كُلًّا لِمَا خُلِقَ لَهُ وَالْأَعْمَالُ
بِالْخَوَاتِيمِ. خَرَجَ مُوسَى رَاعِيًا فَعَادَ وَهُوَ الْكَلِيمُ. وَذَهَبَ ذُو النُّونِ مُغَاضِبًا
فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. وَنَشَأَ مُحَمَّدٌ يَتِيمًا فَصَارَ الْفَضْلُ لِذَلِكَ الْيَتِيمِ،
وَعَصَى آدَمُ وَإِبْلِيسُ فَهَذَا مَرْحُومٌ وَهَذَا رَجِيمٌ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِنَيْلِ الْمَمَالِكِ، أَوْ
رَأَيْتَ وَقُوعَ الْمَهَالِكِ، فَقُلْ: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، لَقَدْ خَابَ مَنْ طَرَدَهُ
مَوْلَاهُ، وَشَقِيَ مَنْ كَانَ التَّغْذِيبُ عُقْبَاهُ، وَسَعَدَ وَاللَّهُ مِنْ قَرَبِهِ وَأَذْنَاهُ، وَعَفَا عَنْ
زَلَّتِهِ وَنَصَرَهُ وَتَوَلَّاهُ، وَرَعَاهُ وَحَفِظَهُ وَجَبَّرَهُ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوَّلَى مِنْ خَيْرٍ وَيَسَّرَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ أَطْلَعَ عَلَى عَمَلِ
الْمُسيءِ وَسَتَرَهُ، وَقَبِلَ تَوْبَةَ الْعَاصِي فَعَفَا عَنْ ذَنْبِهِ وَعَفَّرَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَوْضَحَ بِهِ سَبِيلَ الْهُدَى وَنَوَّرَهُ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً تُبَلِّغُهُمْ بِهَا شَرَفَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَلَّمًا تَسْلِيْمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ عَلَى اللَّهِ بِإِيمَانٍ﴾، فَأَمْتَدَحَهُمُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ بِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَلَهُمْ فَضْلٌ كَثِيرٌ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ
الْأُمَمِ، وَالْمُرَادُ بِهِمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهُمْ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ،
وَجَعَلَ اللَّهُ نَبِيَّهُمْ أَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِتَابَهُمْ خَيْرَ الْكُتُبِ، وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهَا.
وَخَصَّهُمُ اللَّهُ بِشَهْرِ رَمَضَانَ، وَبِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَبِزِيَادَةِ مُضَاعَفَةِ الْأَعْمَالِ، إِلَى غَيْرِ

ذَلِكَ. وَفِيهِمُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَخْبَارُ وَالرُّهَادُ وَالْأَبْدَالُ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ مِثْلُهُمْ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا وَكُنَّا فِي صُفَّةِ الْمَدِينَةِ، فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا: رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بِرُهُ بِوَالِدَيْهِ فَرَدَّ مَلَكُ الْمَوْتِ عَنْهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ، فَجَاءَهُ وَضُوءُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَطَرَدَ الشَّيْطَانَ عَنْهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهِبُ عَطْشًا - وَفِي رِوَايَةٍ: يَلْهَثُ عَطْشًا - كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ وَطُرِدَ، فَجَاءَهُ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَاسْقَاهُ وَأَرَوَاهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ جُلُوسًا حَلَقًا حَلَقًا كُلَّمَا دَنَا إِلَى حَلَقَةٍ طُرِدَ، فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ قَوْفِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ، وَهُوَ مُتَحِيرٌ فِيهَا، فَجَاءَهُ حُجَّةٌ وَعُمُرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَاهُ فِي النُّورِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ وَشَرَّهَا، فَجَاءَتْهُ صِدْقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، وَظَلَّلَتْ عَلَى رَأْسِهِ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُكَلِّمُونَهُ، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ لِرَجِيمِهِ، فَقَالَتْ: يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ كَانَ وَضُوءًا لِرَجِيمِهِ فَكَلِّمُوهُ، فَكَلَّمَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ الزَّبَانِيَةُ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَدْخَلَهُ فِي مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِعًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ﷻ حِجَابٌ، فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي ذَهَبَتْ صَحِيفَتُهُ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ، فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ، فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِينِهِ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي

خَفَّ مِيزَانُهُ، فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَنَقَلُوا مِيزَانَهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَضَى. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَى فِي النَّارِ، فَجَاءَتْهُ دُمُوعُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﷻ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصُّرَاطِ يَرْعُدُ كَمَا تَرْعَدُ السَّعْفَةُ فِي رِيحٍ عَاصِفٍ، فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ ﷻ فَسَكَنَ رِعْدَتَهُ وَمَضَى. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصُّرَاطِ وَيَحْبُو أَحْيَانًا وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَانًا، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَيَّ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَنْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَعُلِقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَفُتِحَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةُ» رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ، وَبَنَى كِتَابَهُ عَلَيْهِ. وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا. وَهَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثٌ عَظِيمٌ جَلِيلٌ شَرِيفٌ. كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ يُعْظِمُ شَأْنَهُ، وَيَقُولُ: شَوَاهِدُ الصَّحَّةِ عَلَيْهِ.

شَهْرُ رَمَضَانَ يُزَوِّجُ فِيهِ الصَّائِمُونَ، فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَتُزْخَرَفُ وَتُجَدَّدُ مِنَ الْحَوْلِ إِلَى الْحَوْلِ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَتَقُولُ الْحُورُ: يَا رَبِّ، أَجْعَلْ لَنَا فِي هَذَا الشَّهْرِ مِنْ عِبَادِكَ أَرْوَاجًا تَقْرَأُ أَعْيُنُنَا بِهِمْ وَتَقْرَأُ أَعْيُنُهُمْ بِنَا».

وَقَالَ الْحَسَنُ: «تَقُولُ الْحَوْرَاءُ لَوْلِيَّ اللَّهُ - وَهُوَ مُتَكَيِّ مَعَهَا عَلَى نَهْرٍ الْعَسَلِ تُعَاطِيهِ الْكَأْسَ -: إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَيْكَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ بَعِيدٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَأَنْتَ فِي ظِلِّهَا هَاجِرَةٌ مِنْ جَهْدِ الْعَطَشِ، فَبَاهَى بِكَ الْمَلَائِكَةُ، وَقَالَ: أَنْظَرُوا إِلَى عَبْدِي تَرَكَ زَوْجَتَهُ وَشَهْوَتَهُ وَلَذَّتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، أَشْهَدُوا أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُ، فَعَفَرَ لَكَ يَوْمَئِذٍ وَزَوْجَتُكَ».

وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ الْحَنْفِيُّ: بَلَعْنَا أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ لِأَوْلِيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «يَا أَوْلِيَائِي، طَالَمَا نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ تَقَلَّصْتُ شِفَاهُكُمْ عَنِ الْأَشْرَبَةِ، وَغَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، وَخَفَقَتْ بُطُونُكُمْ. كُونُوا الْيَوْمَ فِي نَعِيمِكُمْ، وَتَعَاظُوا الْكَأْسَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ».

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ بَعَدَهُ
اللَّهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ كَبُعْدِ غُرَابٍ طَارَ وَهُوَ فَرَحٌ حَتَّى مَاتَ هَرَمًا».

رَأَى بَعْضُهُمْ بِشْرَ بْنِ الْحَارِثِ فِي الْمَنَامِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَائِدَةٌ وَهُوَ يَأْكُلُ،
وَيُقَالُ لَهُ: كُلْ يَا مَنْ لَمْ يَأْكُلْ، وَأَشْرَبَ يَا مَنْ لَمْ يَشْرَبْ.

كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ قَدْ صَامَ حَتَّى انْحَنَى وَانْقَطَعَ صَوْتُهُ، فَمَاتَ فَرَأَهُ
بَعْضُ أَصْحَابِهِ الصَّالِحِينَ فِي الْمَنَامِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ، فَضَحِكَ وَأَنْشَدَ:

قَدْ كُسِيَ حُلَّةَ الْبَهَاءِ وَطَافَتْ بِأَبَارِيقَ حَوْلَهُ الْخُدَّامُ
ثُمَّ حُلِّيَ وَقِيلَ يَا قَارِئُ أَرْقِ فَلَعَمْرِي لَقَدْ بَرَكَ الصِّيَامُ

إِخْوَانِي، هَبَّتِ الْيَوْمَ عَلَى الْقُلُوبِ نَفْحَةٌ مِنْ نَفَحَاتِ نَسِيمِ الْقُرْبِ، سَعَى
سِمَسَارُ الْمَوَاعِظِ لِلْمُهْجُورِينَ فِي الصُّلْحِ، وَصَلَّتِ الْبِشَارَةُ لِلْمُنْقَطِعِينَ بِالْوُضَلِ،
وَلِلْمُذْنِبِينَ بِالْعَفْوِ، وَلِلْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارِ بِالْعِتْقِ لَمَّا سُلِّسَ الشَّيْطَانُ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ، وَخَمَدَتِ نِيرَانُ الشَّهَوَاتِ بِالصِّيَامِ أَنْعَزَلَ سُلْطَانُ الْهَوَى، وَصَارَتْ
الدَّوْلَةُ لِحَاكِمِ الْعُقُلِ بِالْعَدْلِ، فَلَمْ يَبْقَ لِلْعَاصِي عُذْرٌ.

يَا عُيُومَ الْعُقَلَةِ عَنِ الْقُلُوبِ تَقْشَعِي، يَا شُمُوسَ التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ أَظْلَعِي. يَا
صَحَائِفَ أَعْمَالِ الصَّائِمِينَ ارْتَفَعِي. يَا قُلُوبَ الصَّائِمِينَ اخْشَعِي. يَا أَقْدَامَ
الْمُجْتَهِدِينَ اسْجُدِي لِرَبِّكِ وَأَرْكَعِي. يَا عُيُونَ الْمُتَهَجِّدِينَ لَا تَهْجَعِي. يَا ذُنُوبَ
التَّائِبِينَ لَا تَرْجَعِي. يَا أَرْضَ الْهَوَى أَبْلَعِي مَاءَكُمْ، وَيَا سَمَاءَ النَّفُوسِ أَقْلَعِي. يَا بُرُوقَ
الْعُشَاقِ الْمَعِي. يَا خَوَاطِرَ الْعَارِفِينَ ارْتَعِي، يَا هِمَمَ الْمُحِبِّينَ بَغَيْرِ اللَّهِ لَا تَقْنَعِي.
وَقَدْ مُدَّتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَوَائِدُ الْإِنْعَامِ لِلصُّوَامِ، فَمَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ دُعِيَ ﴿يَقُومَنَّ
أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾. وَيَا هِمَمَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرِعِي، فَطُوبَى لِمَنْ أَجَابَ فَأَصَابَ، وَوَيْلٌ
لِمَنْ طُرِدَ عَنِ الْبَابِ وَمَا دُعِيَ. لَقَدْ فُتِحَ الْبَابُ لِلْوَافِدِينَ، وَأُظْهِرَ النَّدَاءُ لِلْقَاصِدِينَ.

شِعْر:

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ

يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى وَمَا لَكَ فِي فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالِفٌ
فَيَا سَيِّدِي، لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ بَيْنَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ دَوُو الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمُوَالِفُ
لِيَنْ صَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعَ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

فَضْلٌ

قَالَ فِي طَهَارَةِ الْقُلُوبِ بَعْدَ سِيَاقِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٥﴾: دَعَا الْأَنَامَ مِنْ دَارِ الْأَلَامِ، إِلَى دَارِ السَّلَامِ، فَمَنْ لَبَّى فَلَهُ تُنْشَرُ الْأَغْلَامُ، وَمَنْ أَبَى فَيَشْقَاوَتِهِ جَرَتْ الْأَقْلَامُ. دَعَاهُمْ مِنْ دَارِ الْعِبَادَةِ، إِلَى دَارِ الزِّيَادَةِ، دَعَاهُمْ مِنْ دَارِ الشَّقَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ. دَعَاهُمْ مِنْ دَارِ أَوَّلِهَا بُكَاءً، وَأَوْسَطُهَا عَنَاءً، وَآخِرُهَا فَنَاءً، إِلَى دَارِ أَوَّلِهَا عَطَاءً، وَأَوْسَطُهَا لِقَاءً، وَآخِرُهَا بَقَاءً. دَعَاهُمْ مِنْ دُنْيَا دَنِيَّةٍ، إِلَى عَيْشَةٍ رَضِيَّةٍ. دَعَاهُمْ مِنْ دَارِ التَّكْلِيفِ، إِلَى دَارِ التَّشْرِيفِ. دَعَاهُمْ مِنْ دَارِ أَصْلُهَا مَذَرٌ، وَعَيْشُهَا كَذَرٌ، وَنَفْعُهَا ضَرَرٌ، وَوَعْدُهَا غَرَرٌ، إِلَى دَارِ أَصْلُهَا دُرَرٌ، وَعَيْشُهَا لِقَاءٌ وَنَظَرٌ، وَطِرَازُهَا جَنَاتٌ وَنَهْرٌ، وَدَارُ السَّلَامِ: الْجَنَّةُ، وَالسَّلَامُ: مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَعْنَاهُ: دَارُ اللَّهِ. دَعَاهُمْ إِلَى دَارِهِ، فَنِعْمَ الدَّارُ دَارُهُمْ، وَنِعْمَ الْمَزَارُ مَزَارُهُمْ، وَنِعْمَ الْجَارُ جَارُهُمْ. نِعْمَ السُّكْنَى الْفِرْدَوْسُ الْأَعْلَى، وَنِعْمَ الْجَارُ السَّيِّدُ الْمَوْلَى، وَنِعْمَ الرَّفِيقُ مُحَمَّدٌ الْمُصْطَفَى.

وَيُقَالُ: سُمِّيَتِ الْجَنَّةُ دَارَ السَّلَامِ، أَي دَارَ السَّلَامَةِ مِنَ الْأَقَاتِ، وَالْعَاهَاتِ وَالنَّكَبَاتِ، يَسْلُمُونَ فِيهَا مِنَ الضَّرَرِ وَالْفَقْرِ، وَالْبَيْنِ وَالْهَجْرِ، وَيَسْلُمُونَ مِنَ الْأَوْجَاعِ وَالْأَمْرَاضِ، وَالصُّدُودِ وَالْإِعْرَاضِ. يَسْلُمُونَ فِيهَا مِنْ طَلَبِ الْقَوْتِ، وَضِيقِ الْيُوتِ، وَسَكْرَةِ الْمَوْتِ، وَحَسْرَةِ الْقَوْتِ.

فَيَا دُنْيَا أَلْهَمَةِ، قَنِعَتْ بِرَوْضَةٍ عَلَى مَرْبَلَةٍ وَالْمَلِكُ يَدْعُوكَ إِلَى فِرْدَوْسِهِ

الْأَعْلَى: «أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا»، أَرْضَيْتُمْ بِخَرَبَاتِ الْبَلَى مِنَ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى؟
يَا هَذَا: الْمُحِبُّ يُطْرَدُ فَلَا يَزُولُ، وَأَنْتَ تُدْعَى فَلَا تُجِيبُ. كَمْ لَيْلَةً
يُنَادِي وَأَنْتَ غَائِبٌ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟

وَقَالَ أَيْضًا فِي طَهَارَةِ الْقُلُوبِ: رُوِيَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِّهٍ «أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ
مُوسَى ﷺ الْأَلْوَحَ وَجَدَ فِيهَا فَضِيلَةً أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: يَا رَبِّ، مَنْ هَذِهِ
الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ الَّتِي أَجَدَهَا فِي الْأَلْوَحِ؟ قَالَ: هِيَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، يَرْضُونَ مِنِّي
بِالْيَسِيرِ أُعْطِيهِمْ إِثَّاهُ، وَأَرْضَى مِنْهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ، أَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِشَهَادَةِ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: فَإِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَأَجْعَلُهُمْ أُمَّتِي. قَالَ: هِيَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ
أَحْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً
أَذَوْدَتْهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ، وَسُيُوفُهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ أَصْحَابُ رُءُوسِ الصَّوَامِعِ،
يَطْلُبُونَ الْجِهَادَ بِكُلِّ أَفْقٍ حَتَّى يُقَاتِلُوا الدَّجَالَ، فَأَجْعَلُهُمْ أُمَّتِي. قَالَ: هِيَ أُمَّةُ
أَحْمَدَ. قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً يُصَلُّونَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ
خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي خَمْسِ سَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ
السَّمَاءِ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ، فَأَجْعَلُهُمْ أُمَّتِي، قَالَ: هِيَ أُمَّةُ أَحْمَدَ. قَالَ:
يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً يَصُومُونَ لَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا كَانَ
مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، فَأَجْعَلُهُمْ أُمَّتِي، قَالَ: هُمْ أُمَّةُ أَحْمَدَ. قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ
فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً أَنَا جِيلُهُمْ فِي الصُّدُورِ يَفْرَأُونَهَا فَأَجْعَلُهُمْ أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ
أَحْمَدَ - وَسَاقَ بَقِيَّةَ الْأَثَرِ».

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ يَلْطَفُ اللَّهُ بِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَعْلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَّةُ
الْجِنِّ، حَتَّى لَا يَقْدِرُوا عَلَى مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ فِي غَيْرِهِ مِنْ تَسْوِيلِ
الدُّنُوبِ، وَلِهَذَا تَقِلُّ الْمَعَاصِي فِي رَمَضَانَ، وَتُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَتُغْلَقُ
فِيهِ أَبْوَابُ النَّيرانِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ.

أَبَشِّرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَهَذِهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ لِأَجْلِكُمْ قَدْ فُتِحَتْ. وَنَسَمَاتُهَا عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَفَحَتْ. وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ كُلُّهَا لِأَجْلِكُمْ مُغْلَقَةٌ، وَأَقْدَامُ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ مِنْ أَجْلِكُمْ مُوثَقَةٌ. فِي هَذَا الشَّهْرِ يُؤْخَذُ مِنْ إِبْلِيسَ بِالنَّارِ، وَتُسْتَخْلَصُ الْعَصَاةُ مِنْ أَسْرِهِ، فَمَا بَقِيَ لَهُمْ عِنْدَهُ آثَارٌ. كَانُوا فِرَاحَهُ قَدْ غَذَاهُمْ بِالشَّهَوَاتِ فِي أَوْكَارِهِ، فَهَجَرُوا الْيَوْمَ تِلْكَ الْأَوْكَارَ. نَفَضُوا مَعَاقِلَ حُصُونِهِ بِمَعَاوِلِ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ. خَرَجُوا مِنْ سِجْنِهِ إِلَى حِصْنِ التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ، فَأَمِنُوا مِنْ عَذَابِ النَّارِ. قَصَمُوا ظَهْرَهُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، فَهُوَ يَشْكُو أَلَمَ الْأَنْكِسَارِ. وَفِي كُلِّ مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ الْفَضْلِ يَحْزَنُ، وَفِي هَذَا الشَّهْرِ يَدْعُو بِالْوَيْلِ لِمَا يَرَى مِنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ وَمَغْفِرَةِ الْأَوْزَارِ، غَلَبَ حِزْبُ الرَّحْمَنِ حِزْبَ الشَّيْطَانِ، فَمَا بَقِيَ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا عَلَى الْكُفَّارِ. عُزِلَ سُلْطَانُ الْهَوَى وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ لِسُلْطَانِ التَّقْوَى ﴿فَاعْتَبِرُوا يَكَاوِلِ الْأَبْصَرِ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ أُنْتَصَفَ، فَمَنْ مِنْكُمْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِيهِ لِلَّهِ وَأُنْتَصَفَ؟ مَنْ مِنْكُمْ قَامَ فِي هَذَا الشَّهْرِ بِحَقِّهِ الَّذِي عَرَفَ؟ مَنْ مِنْكُمْ عَزَمَ قَبْلَ غَلْقِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ فِيهَا غُرْفًا مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ؟ أَلَا إِنَّ شَهْرَكُمْ قَدْ أَخَذَ فِي النَّقْصِ، فَزِيدُوا أَنْتُمْ فِي الْعَمَلِ، فَكَأَنَّكُمْ بِهِ وَقَدْ أَنْصَرَفَ، فَكُلَّ شَهْرٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْهُ خَلْفٌ. وَأَمَّا شَهْرُ رَمَضَانَ، فَمِنْ أَيْنَ لَكُمْ مِنْهُ خَلْفٌ.

شِعْر:

تَنْصَفَ الشَّهْرُ وَالْهَفَاهُ وَأَنْهَدَمَا وَأَخْتَصَّ بِالْفُوزِ بِالْجَنَاتِ مَنْ خَدَمَا
وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمُسْكِينُ مُنْكَسِرًا مِثْلِي، فَيَا وَيْحَهُ يَا عَظُمَ مَا حُرِمَا
مَنْ قَاتَهُ الزَّرْعُ فِي وَقْتِ الْبَذَارِ فَمَا تَرَاهُ يَحْصُدُ إِلَّا الْهَمَّ وَالنَّدَمَا
طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ التَّقْوَى بِضَاعَتَهُ فِي شَهْرِهِ وَيَحْبِلُ اللَّهُ مُعْتَصِمَا

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، يَا غَفُورُ يَا وَدُودُ، تَعَطَّفْ عَلَيْنَا، فَقَدْ وَثَقْنَا مِنْكَ بِصَدَقِ الْوَعُودِ. نَسْأَلُكَ أَلَّا تَجْعَلَنَا بِدُعَائِكَ أَشْقِيَاءَ وَلَا مَحْرُومِينَ، وَلَا

مِنْ عَظَايَاكَ مُفْلِسِينَ. وَلَا عَنْ جَنَابِكَ مَطْرُودِينَ. فَهَذَا نَحْنُ بِكَرَمِكَ تَعَلَّقْنَا،
وَالِىَ بَابِكَ فَرَعْنَا، وَلِمَعْرُوفِكَ تَعَرَّضْنَا، وَبِتَقْصِيرِنَا اعْتَرَفْنَا، فَأَنْتَ الْمَعْرُوفُ
بِالْإِحْسَانِ، وَأَنْتَ الْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسَانٍ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبًا قَطَعْنَا عَنْ بَابِكَ، وَجُدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ وَهَبْ لَنَا مَا
وَهَبْتَهُ لِأَحْبَابِكَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا الرِّلَاتِ، وَأَنْقِذْنَا مِنَ الْهَلَكَاتِ، وَأَرْفَعْ لَنَا عِنْدَكَ
الدَّرَجَاتِ، وَضَاعِفْ لَنَا الْحَسَنَاتِ، وَكُفِّرْ عَنَّا السَّيِّئَاتِ، يَا أَكْرَمَ مَسْئُولٍ،
وَأَعْظَمَ مَأْمُولٍ، وَأَغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ؛ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ السَّادِسُ عَشَرَ

فِي فَضْلِ الْاجْتِهَادِ لَا سَيِّمًا فِي هَذَا الْمَوْسِمِ الْعَظِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ، اللَّطِيفِ بِالْعِبَادِ، الَّذِي مَنْ أَعْتَزَّ بِهِ سَادَ،
وَمَنْ تَمَسَّكَ بِكِتَابِهِ أَيْدَهُ وَحَمَاهُ مِنَ الْأَضْدَادِ. الْمَلِكِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ
وَالْإِبْجَادِ، وَتَوَحَّدَ فِي تَدَابِيرِ أُمُورِ الْعِبَادِ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْقَاهِرُ، الْحَيُّ
الَّذِي عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ أَسْتَوَى، الْعَلِيمُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
وَأَخْفَى، وَيَسْمَعُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى الضَّمَائِرِ
وَالسَّرَائِرِ. خَلَقَ فَقَدَّرَ، وَشَرَعَ فَيَسَّرَ، فَكُلُّ عَبْدٍ إِلَى مَا قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ صَائِرٌ، لَا
يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ أَقْلٌ أَيْنٍ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ حَرَكَاتُ الْجَنِينِ، وَلَا يَحْجُبُ
بَصَرَهُ سَائِرٌ.

فُسُبْحَانَ مَنْ خَضَعَتِ الرَّقَابُ لِسَطْوَتِهِ، وَأَنْدَكَ الْجَبَلُ لِهَيْبَتِهِ، وَأَوْجَدَ
الْمَخْلُوقِينَ بِقُدْرَتِهِ، وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ، وَهُوَ لِأَقْوَالِهِمْ سَامِعٌ وَلِإِيهِمْ نَاطِرٌ، قَسَمَ
خَلْقَهُ إِلَى مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَفَتَحَ قُلُوبَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَنَوَّرَ لَهُمْ

الْبَصَائِرَ، يَا خَبِيبَةَ مَنْ أَبْعَدَهُ مَوْلَاهُ وَقَطَعَهُ، يَا ضَيْعَةَ مَنْ أَهَانَهُ وَوَضَعَهُ، يَا شَقَاوَةَ مَنْ خَذَلَهُ وَصَرَعَهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ مَوْلَاهُ فَلَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ، قَلْبٌ تَعَزَّزَ بِغَيْرِهِ مَا أَذَلَّهُ! عَبْدٌ أَعْرَضَ عَنْ خِدْمَتِهِ مَا أَضَلَّهُ! عُمَرُ أَنْفَقَ فِي غَيْرِ طَاعَتِهِ مَا أَقَلَّهُ! وَمَنْ رَضِيَ بِدُونِهِ فَهُوَ الْخَائِنُ الْغَادِرُ. الطَّرِيدُ مَنْ حَبَبَهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ رَحِمَهُ، وَالشَّقِيقُ مَنْ حَرَمَهُ، وَالنَّادِمُ مَنْ أَهَانَهُ، وَالسَّالِمُ مَنْ أَعَانَهُ، وَقَدْ عَلِمَ الْوَلِيُّ وَالْعَدُوُّ، وَالرَّابِحُ وَالْخَاسِرُ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنْ بَرٍّ وَإِحْسَانِهِ الْمُتَظَاهِرِ، وَأَشْكُرُهُ وَقَدْ وَعَدَ بِالْمَزِيدِ لِلشَّائِرِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَدْخَرَهَا لِيَوْمٍ لَا تَنْفَعُ فِيهِ الْأَمْوَالُ وَالْعَشَائِرُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُؤَيَّدُ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْبَصَائِرِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْمَفَاحِرِ، وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَقْلِدُوا لِأَنفُسِكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ يُجِئُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَمَّا عَلِمَ الْعَامِلُونَ مَا أَدْخَرَ لَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ أَتَعْبُوا جَوَارِحَهُمْ فِي السَّعْيِ يَرْجُونَ الْمَتَاجِرَةَ مَعَ مَوْلَاهُمْ.

فَكَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً طَوَى فِرَاشَهُ، وَحَجَّ مَسْرُوقٌ فَمَا نَامَ قَطُّ إِلَّا سَاجِدًا.

وَشَكَا بَعْضُ الْمُرِيدِينَ إِلَى شَيْخِهِ كَثْرَةَ النَّوْمِ فَقَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى نَفَحَاتٍ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تُصِيبُ الْقُلُوبَ الْمُتَيَقِّظَةَ، وَتُخْطِئُ الْقُلُوبَ النَّائِمَةَ، فَتَعَرَّضُوا لِتِلْكَ النَّفَحَاتِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَسْتَاذُ تَرَكْتَنِي لَا أَنَامُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا.

كَانَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ قَدْ بَلَغَ بِهِ الْأَجْتِهَادُ مَا لَوْ قِيلَ إِنَّ الْقِيَامَةَ عَدَا لَمْ يُرِدْ مَزِيدًا، وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبْتُ لِقَاءَكَ فَأَحْبَبْتُ لِقَائِي، وَمَاتَ وَهُوَ سَاجِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَصَابَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ وَجَعٌ فِي إِحْدَى رِجْلَيْهِ، فَكَانَ يَقُومُ
الَّيْلَ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ وَيُصَلِّي بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ صَلَاةَ الصُّبْحِ.

وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا مَا كَانَ رَمَضَانَ يَزِيدُ فِي أَجْتِهَادِهِمْ شَيْئًا،
وَلَا يَنْقُصُ خُرُوجَهُ مِنْ أَجْتِهَادِهِمْ شَيْئًا.

وَقَالَ ثَابِتُ الْبَنَانِيُّ: أَدْرَكْتُ رَجُلًا كَانَ أَحَدُهُمْ يُصَلِّي حَتَّى يَأْتِيَ فِرَاشَهُ
حَبْوًا.

وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ يُعَلِّقُ فِي الْبَيْتِ سَوْطًا بِاللَّيْلِ وَيَقِفُ لِلصَّلَاةِ
كُلَّمَا فَتَرَ ضَرْبَ نَفْسِهِ، وَيَقُولُ: أَنْتِ أَحَقُّ بِالضَّرْبِ مِنْ دَابَّتِي.

وَصَامَ بَعْضُ التَّابِعِينَ حَتَّى أَسْوَدَ مِنْ طُولِ صِيَامِهِ، وَصَامَ الْأَسْوَدُ بْنُ
يَزِيدَ حَتَّى أَخْضَرَ جِسْمُهُ وَأَصْفَرَ، فَكَانَ إِذَا غَوِثَ فِي رَفِقِهِ بِجَسَدِهِ يَقُولُ:
كَرَامَةٌ هَذَا الْجَسَدِ أُرِيدُ. وَصَامَ بَعْضُهُمْ حَتَّى وَجَدَ طَعْمَ دِمَاغِهِ فِي حَلْقِهِ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَسْرُدُ الصَّوْمَ فَمَرِضَ وَهُوَ صَائِمٌ، فَقَالُوا لَهُ: أَفْطِرْ، فَقَالَ:
لَيْسَ هَذَا وَقْتُ تَرْكِ.

وَقِيلَ لِأَخَرٍ مِنْهُمْ وَهُوَ مَرِيضٌ: أَفْطِرْ، فَقَالَ: كَيْفَ أَفْطِرُ وَأَنَا أَسِيرٌ لَا
أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي؟

وَمَاتَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ صَائِمٌ مَا أَفْطَرَ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الصَّائِمِينَ تُوَضَّعُ لَهُمْ مَائِدَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا
وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ.

وَعَنْ أَنَسٍ مَوْقُوفًا: «إِنَّ لِلَّهِ مَائِدَةً لَمْ تَرَّ مِثْلَهَا عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَا
خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، لَا يَقْعُدُ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّائِمُونَ».

وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ: أُبْلِغْنَا أَنَّهُ يُوَضَّعُ لِلصَّوَامِ مَائِدَةٌ يَأْكُلُونَ عَلَيْهَا
وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ نَحْنُ نُحَاسِبُ وَهُمْ يَأْكُلُونَ، فَيَقَالُ:

إِنَّهُمْ ظَالِمًا صَامُوا وَأَفْطَرْتُمْ وَقَامُوا وَنِمْتُمْ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ﴿٧٤﴾.

أَعْلَمَ أَنَّ الصَّائِمِينَ عَلَى طَبَقَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا مَنْ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ لِلَّهِ تَعَالَى يَرْجُو عِنْدَهُ عَوْضَ ذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ، فَهَذَا قَدْ تَأَجَّرَ مَعَ اللَّهِ وَعَامَلَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَلَا يَخِيبُ مَعَهُ مَنْ عَامَلَهُ، بَلْ يَرْبِّحُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الرِّبْحِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ إِلَّا آتَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.

فَهَذَا الصَّائِمُ يُعْطَى فِي الْجَنَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَنِسَاءٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ﴿٧٤﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: نَزَلَتْ فِي الصَّائِمِينَ.

أَجْتَازَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ بِمُنَادٍ يُنَادِي عَلَى السُّحُورِ فِي رَمَضَانَ: يَا مَا خَبَأْنَا لِلصُّوَامِ، فَتَنَّبَهَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَأَكْثَرَ مِنَ الصِّيَامِ.

رَأَى بَعْضُ الْعَارِفِينَ فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: هَلْ تَذْكُرُ أَنَّكَ صُمْتَ لِلَّهِ يَوْمًا قَطُّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَخَذَتْنِي صَوَائِي النَّارُ مِنَ الْجَنَّةِ.

مَنْ تَرَكَ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا طَعَامًا وَشَرَابًا وَشَهْوَةً مُدَّةً يَسِيرَةً عَوْضَ اللَّهِ عَلَيْهِ عِنْدَهُ طَعَامًا وَشَرَابًا لَا يَنْفَدُ، وَأَزْوَاجًا لَا تَمُوتُ أَبَدًا.

فِي التَّوَرَاةِ: طُوبَى لِمَنْ جَوَّعَ نَفْسَهُ لِيَوْمِ الشَّبَعِ الْأَكْبَرِ، طُوبَى لِمَنْ أَظْمَأَ نَفْسَهُ لِيَوْمِ الرَّيِّ الْأَكْبَرِ. طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ شَهْوَةً حَاضِرَةً لِمَوْعِدِ غَيْبٍ لَمْ يَرَهُ، طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ طَعَامًا فِي دَارٍ تَنْفَدُ لِدَارٍ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا.

الطَّبَقَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الصَّائِمِينَ: مَنْ يَصُومُ فِي الدُّنْيَا عَمَّا سِوَى اللَّهِ فَيَحْفَظُ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَيَحْفَظُ الْبُطْنَ وَمَا وَعَى، وَيَذْكُرُ الْمَوْتَ وَالْإِلَى، وَيُرِيدُ الْآخِرَةَ فَيَتْرِكُ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَهَذَا عِيدُ فِطْرِهِ يَوْمَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَفَرَحِهِ بِرُؤْيَيْهِ.

شعر:

أَهْلُ الْخُصُوصِ مِنَ الصُّوَامِ صَوْمُهُمْ صَوْمُ اللِّسَانِ عَنِ الْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ
وَالْعَارِفُونَ وَأَهْلُ الْأَنْسِ صَوْمُهُمْ صَوْمُ الْقُلُوبِ عَنِ الْأَغْيَارِ وَالْحُبِّ
الْعَارِفُونَ لَا يُسَلِّهِمْ عَنْ رُؤْيَا مَوْلَاهُمْ قَصْرٌ، وَلَا يُرَوِّهِمْ دُونَ مُشَاهَدَتِهِ
نَهْرٌ، هَمَمُهُمْ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ.

شعر:

كَبُرَتْ هَمَّةُ عَبْدٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَكََا
مَنْ يَصُومُ عَنْ مُفْطَرَاتٍ فَصِيَامِي عَنْ سِوَاكََا
مَنْ صَامَ عَنْ شَهَوَاتِهِ فِي الدُّنْيَا أَدْرَكَهَا غَدَا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ صَامَ عَمَّا
سِوَى اللَّهِ فَعِيدُهُ يَوْمَ لِقَائِهِ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ﴾.

شعر:

وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَاتِ دَهْرِي كُلِّهَا وَيَوْمَ لِقَاكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي
وَرُؤْيَى بِشْرٍ فِي الْمَنَامِ فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: عَلِمَ قَلَّةَ رَغْبَتِي فِي الطَّعَامِ
فَأَبَاحَنِي النَّظَرَ إِلَيْهِ.

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: لَقِيتُ غُلَامًا فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فَتَى أَمَّا
تَسْتَوْحِشُ وَحْدَكَ؟ قَالَ: الْأَنْسُ بِاللَّهِ قَطَعَ عَنِّي كُلَّ وَحْشَةٍ، قُلْتُ: أَيْنَ أَلْفَاكَ؟
قَالَ: فِي الْآخِرَةِ، قُلْتُ: أَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: فِي زُمْرَةِ النَّاطِرِينَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى، قُلْتُ: كَيْفَ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنِّي غَضَضْتُ طَرْفِي عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ،
فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ جَنَّتِي النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَصَاحَ صَيْحَةً فَعَابَ عَنْ عَيْنِي.

شعر:

يَا حَبِيبَ الْقُلُوبِ مَا لِي سِوَاكََا أَرْحَمَ الْيَوْمَ مُذْنِبًا قَدْ أَتَاكََا
لَيْسَ لِي فِي الْجَنَانِ مَوْلَايَ رَأْيِي غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكََا

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ: صُومُوا الْيَوْمَ عَنْ شَهَوَاتِ الْهَوَى، لِتُذَرِّكُوا عِيدَ الْفِطْرِ
يَوْمَ اللَّقَاءِ، لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَلُ، بِاسْتِئْطَاءِ الْأَجَلِ، فَإِنَّ مُعْظَمَ نَهَارِ الصَّيَامِ
قَدْ ذَهَبَ، وَعِيدُ اللَّقَاءِ قَدْ اقْتَرَبَ.

شعر:

إِنَّ يَوْمًا جَامِعًا شَمَلِي بِهِمْ ذَاكَ عِيدِي، لَيْسَ لِي عِيدٌ سِوَاهُ
كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ كَثِيرَ التَّهَجُّدِ وَالصَّيَامِ، فَصَلَّى لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ
وَدَعَا، فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ جَمَاعَةً عَلِمَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْآدَمِيِّينَ،
بِأَيْدِيهِمْ أَطْبَاقٌ، عَلَيْهَا أَرْغِفَةٌ بَيَاضِ الثَّلَجِ، فَوْقَ كُلِّ رَغِيفٍ دُرٌّ كَأَمْثَالِ الرُّمَّانِ،
فَقَالُوا لَهُ: كُلْ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الصَّوْمَ، قَالُوا لَهُ: يَا مُرْكُ صَاحِبُ هَذَا الْبَيْتِ
أَنْ تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلْتُ وَجَعَلْتُ أَخْذُ ذَلِكَ الدَّرَّ لِأَحْتِمِلُهُ، فَقَالُوا لَهُ: دَعُهُ
نَعْرِسُهُ لَكَ شَجَرًا يُنْبِتُ لَكَ خَيْرًا مِنْ هَذَا، قَالَ: أَتَيْنَ؟ قَالُوا: فِي دَارٍ لَا
تَحْرُبُ، وَثَمَرٍ لَا يَتَغَيَّرُ، وَمُلْكٍ لَا يَنْقُطُ، وَثِيَابٍ لَا تَبْلَى، فِيهَا رِضَى وَفِرَّةٌ
عَيْنٍ، أَزْوَاجُ رَضِيَّاتٍ مُرَضِيَّاتٍ رَاضِيَّاتٍ، لَا يَغْرَنَ وَلَا يُغْرَنُ؛ فَعَلَيْكَ
بِالْأَنْكِمَاشِ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ، فَإِنَّمَا هِيَ غَفْوَةٌ حَتَّى تَرْتَحِلَ، فَتَنْزِلَ الدَّارَ. فَمَا
مَكَثَ بَعْدَ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَّا جُمُعَتَيْنِ حَتَّى تُؤَفِّيَ، فَرَأَاهُ لَيْلَةً وَفَاتِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْضُ
أَصْحَابِهِ الَّذِينَ حَدَّثَهُمْ بِرُؤْيَاهُ وَهُوَ يَقُولُ: أَلَا تَعْجَبُ مِنْ شَجَرٍ غُرَسَ لِي فِي
يَوْمِ حَدَّثْتُكَ وَقَدْ حَمَلٌ؟ قَالَ: لَا تَسْأَلُ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صَنْعَتِهِ، لَمْ يَرِ مِثْلُ
الْكَرِيمِ إِذَا حَلَّ بِهِ مُطِيعٌ.

يَا قَوْمَ: أَلَا خَاطِبٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ إِلَى الرَّحْمَنِ، أَلَا هَلْ مِنْ مُسْتَقٍ إِلَى
الْحُورِ الْجِسَانِ، أَلَا رَاغِبٌ فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلطَّائِعِينَ فِي الْجَنَانِ، أَلَا طَالِبٌ لِمَا
أَخْبَرَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعَيَانِ.

شعر:

مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الْجِنَانِ فَلْيَدْعُ عَنْهُ التَّوَانِي

وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِي إِلَى نُسُورِ الْقُرْآنِ
وَلْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْمٍ إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَنَانِ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جَوَارُ اللَّيْلِ فِي دَارِ الْأَمَانِ

فَضْلٌ

فِي صِفَةِ أَزْوَاجِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ۝﴾،
وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝﴾، قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ مَعْنَاهُ: أَنَّهُنَّ قَصَرْنَ طَرَفَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فَلَا يَظْمَحْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ،
وَقِيلَ: قَصَرْنَ طَرَفَ أَزْوَاجِهِنَّ فَلَا يَدْعُهُنَّ حُسْنُهُنَّ وَجَمَالُهُنَّ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى
غَيْرِهِنَّ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَدَّثَنِي
جِبْرِيلُ ﷺ قَالَ: يَدْخُلُ الرَّجُلُ عَلَى الْحَوْرَاءِ فَتَسْتَقْبِلُهُ بِالْمُعَانَقَةِ وَالْمُصَافَحَةِ،
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَبَايَ بَنَانٍ تُعَاطِيهِ؟ لَوْ أَنَّ بَعْضَ بَنَانِهَا بَدَا لَقَلَبَ ضَوْءَ
الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَوْ أَنَّ طَاقَةَ مِنْ شَعْرِهَا بَدَتْ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا، فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِيٌّ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَةٍ إِذْ أَشْرَقَ عَلَيْهِ
نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ، فَيَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَلْقِهِ فَإِذَا حَوْرَاءٌ تُنَادِيهِ: يَا وَلِيَّ
اللَّهِ، مَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَدَيْنَا مَرِيدٌ﴾، فَيَتَنَحَّى عَنْهَا فَإِذَا عِنْدَهَا مِنَ الْكَمَالِ
وَالْجَمَالِ مَا لَيْسَ مَعَ الْأُولَى، فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِيٌّ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَتِهِ إِذْ أَشْرَفَ
عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ، وَإِذَا هِيَ حَوْرَاءٌ أُخْرَى تُنَادِيهِ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ، مَا لَنَا فِيكَ
مِنْ دَوْلَةٍ؟ فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، فَلَا يَزَالُ يَتَحَوَّلُ مِنْ زُوجَةٍ إِلَى
زُوجَةٍ».

وَأُخْرِجَ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَيُّ فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ، ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فَتَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ خَدُّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرَّةِ، وَإِنَّ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيئُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيَرُدُّ عَلَيْهَا السَّلَامَ، وَيَسْأَلُهَا: مَنْ أَنْتِ؟ تَقُولُ: مِنَ الْمَرِيدِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا فَيَنْفِذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَإِنَّ عَلَيْهَا التَّيَّجَانَ، إِنَّ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ مِنْهَا لَتُضِيئُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

قِيلَ: وَعَظَ ذُو النُّونِ الْمِضْرِي رحمته الله يَوْمًا، فَأَتَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا: رَيْحَانَةُ، فَقَالَتْ: يَا مِضْرِي صِفْ لِي الْجَنَّةَ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ: يَا هَذِهِ، إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمُ عَارِفٍ، وَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَصْفٌ وَاصِفٍ وَلَكِنْ سَأَذْكُرُ لَكَ بَعْضَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَوَلِيِّي مِنْ أَوْلِيَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَرْجًا أَفْيَحَ مِنَ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ، فِي وَسْطِ الْمَرْجِ قَصْرٌ مِنَ الذَّهَبِ الْأَضْفَرِ، فِي وَسْطِ الْقَصْرِ قُبَّةٌ مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ فِي وَسْطِ الْقُبَّةِ سَرِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ، يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَنَهْرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَنَهْرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَنَهْرٌ مِنْ خَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَعَلَى السَّرِيرِ فُرْشٌ مِنَ السُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ، وَعَلَى الْفُرْشِ جَارِيَةٌ لَوْ أَظْلَعَتْ مِعْصَمَهَا فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ لَأَضَاءَتْ الدُّنْيَا عَلَى مَنْ فِيهَا وَإِلَى جَانِبَيْهَا وَلِيُّ اللَّهِ عَلَى صُورَةِ غُلَامٍ أَمْرَدٌ أَعْيَدَ عَلَى طُولِ آدَمَ، وَحُسْنِ يُوسُفَ، وَسِنَّ عِيسَى، وَخَلَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؛ فَيَا حُسْنَهُ فِي خَلْقِهِ مَعَ كَعُوبٍ لَعُوبٍ، وَقَدْ هَبَّتِ الْأَرْيَاحُ، وَعَاشَتِ الْأَرْوَاحُ، وَتَضَاعَفَ الْحَبُورُ، وَدَامَ الشُّرُورُ، وَأَظْمَأَنَّ فِي جَوَارِ الْعُفُورِ الشُّكُورُ، فَلَمَّا سَمِعَتْ رَيْحَانَةُ مَا وَصَفَهُ ذُو النُّونِ، قَالَتْ: يَا مِضْرِي! أَبَيْتَ إِلَّا قَتْلِي؟ ثُمَّ شَهِقَتْ شَهَقَةً خَرَجَتْ مَعَهَا رُوحُهَا، رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا، قَالَ:

أَمَا أَنْ يَا صَاحٍ أَنْ تَسْتَفِيقًا وَأَنْ تَتَنَاسَى الْحِمَى وَالْعَقِيقَا

وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فَأَخْزَنَ لَهُ
وَرَكِبَ أَتَاهُمْ وَقَدْ عَرَّسُوا
تُدِيرُ عَلَيْهِمْ كُؤُوسَ الْمَنُونِ
وَمَا زَالَ فِيهِمْ غُرَابُ الْجَمَامِ
وَيَحْمِلُ مِنْ عَرَصَاتِ الْقُصُورِ
أَلَا فَأَحْزَنَ النَّفْسَ عَنْ غِيَّهَا
وَدُونَ الصُّرَاطِ لَنَا مَوْقِفٌ
فَتُبْصِرُ مَا شِئْتَ كَفًّا تَعَضُّ
إِذَا أَطْبَقْتَ فَوْقَهُمْ لَمْ تَكُنْ
شَرَابُهُمُ الْمُهْلُ فِي قَعْرِهَا
أَذْلِكَ خَيْرٌ أَمْ الْقَاصِرَاتُ
قُصِرْنَ عَلَى حُبِّ أَزْوَاجِهِنَّ
وَيَرْفُلْنَ فِي سَرَقَاتِ الْحَرِيرِ
وَأَكْوَابُهُمْ ذَهَبٌ أَحْمَرٌ
إِذَا جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَ الْكَثِيبِ
وَيَوْمَ زِيَارَتِهِ يَرْكَبُونَ إِلَيْهِ
كُلُوا وَأَشْرَبُوا فَلَقَدْ طَالَمَا

اللَّهُمَّ يَا دَائِمَ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، يَا مَنْ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، يَا مَنْ لَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ وَلَا يَضُرُّهُ الْعِصْيَانُ. اجْعَلْنَا فِي
هَذَا الشَّهْرِ فَأَنْزِلْ مِنْكَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ مُنْعِمِينَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ بِنِعْمِ
الْجَنَانِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ شَهْرَ رَمَضَانَ شَاهِدًا لَنَا عِنْدَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَلَا تَجْعَلْهُ
شَاهِدًا عَلَيْنَا فَتَرْمِينَا بِالطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ.

اللَّهُمَّ أَسْكِنْنَا الْجَنَّةَ دَارَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَحْسِنْ مُنْقَلَبَنَا يَوْمَ الدِّينِ، وَلَا تَفْضَحْنَا بِسُوءِ أَفْعَالِنَا بَيْنَ الْعَالَمِينَ، فَهَذَا نَحْنُ عِبَادُكَ الْفُقَرَاءُ الْمَسَاكِينُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ، فَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَأَوْلِيَاكَ الْمُتَّقِينَ. وَأَعِزِّ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْبَابُ السَّابِعُ عَشَرَ

فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَّقَ فِي صُبْحِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَفَرِّدِ بِكُلِّ الْعِزِّ وَالْجَلَالِ، الْمُتَوَحِّدِ بِالْعَظَمَةِ الَّتِي لَا تُضَاهَى وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْكَمَالِ، تَنْزَعَهُ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَتَفَرِّدَ فِي مُلْكِهِ بِالْاِخْتِرَاعِ وَالْإِيجَادِ، وَتَعَالَى عَنِ الْأَنْدَادِ وَالْأَضْدَادِ، وَالشُّرَكَاءِ وَالْأَشْبَاهِ وَالْأَشْكَالِ، الْمَلِكِ الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، الْعَالِمِ بِخَلْقِهِ بِمَا يَسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَالْمُتَقَدِّسُ عَنْ ذِكِّ الطُّنُونِ، وَتَوَهُمِ الْخَيَالِ، خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ مِنْ صَلْصَالٍ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ فَتَكَبَّرَ وَصَالَ، فَرَمَاهُ بِالطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ وَالْإِذْلَالِ، وَحَرَمَهُ الرُّنْفَى وَالْقُرْبَ وَالْوِصَالَ، وَمَنْ بِفَضْلِهِ عَلَى الْمُطِيعِينَ بِلَذَّةِ الْوِصَالِ وَالْإِقْبَالِ، وَنَعَمَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَعْرِفَتِهِ وَخِدْمَتِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِجَنَّتِهِ وَرُؤْيَيْهِ، فَلَهُمُ النَّعِيمُ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ، وَشَغَلَ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ بِحُطُوطِهِمُ الْفَانِيَةِ عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْبَاقِيَةِ، وَحَرَمَهُمْ جَزِيلَ الْأَجْرِ وَالْثَوَابِ وَالنَّوَالِ، وَأَمْلَى لَهُمْ بِإِدَامَةِ النِّعَمِ فَظَنُّوا أَنَّ الْإِمْهَالَ إِمْهَالٌ، مَلِكٌ تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ وَالِدَّوَامِ، وَالنَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ، وَتَضَرِيفِ الدُّهُورِ وَالْأَغْوَامِ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَكَيْفَ يَتَوَجَّهُ عَلَى الْمَلِكِ الْقَادِرِ سُؤَالَ؟ فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ عَظِيمٍ لَا تَخِيبُ لَدَيْهِ الْأَمَالَ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَى الْعَبْدِ بِالسُّؤَالِ إِذَا أَدَامَ الْاِبْتِهَالُ.

أَحْمَدُهُ تَتَرَى مِنْ غَيْرِ أَنْفِصَالٍ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى جَزِيلِ الْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمُتَّصِفُ بِكُلِّ كَمَالٍ،
وَالْبَاقِي مُلْكُهُ فَلَا نَفَادَ لَهُ وَلَا زَوَالَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْمَخْصُوصُ بِأَشْرَفِ الْخِصَالِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً
مُتَوَاتِرَةً عَلَى مَمَرِّ الْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾، يُنَبِّهُ تَعَالَى
عَلَى نِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ، بِمَا فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِبَذْرِ، وَيُسَمِّي
الْفُرْقَانَ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَىٰ فِيهِ كَلِمَةُ الْإِيمَانِ عَلَىٰ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ، وَأَظْهَرَ دِينَهُ وَنَصَرَ
نَبِيَّهُ وَحِزْبَهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي يَوْمِ الْفُرْقَانِ: «هُوَ يَوْمُ بَذْرِ فَرَّقَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ».

وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَخْبَارٌ وَأَنَارٌ غَالِبُهَا لَا يَنْبُتُ، فَكَانَ الْأَوَّلَىٰ بِنَا
أَنْ نَضْرِبَ عَنْ ذَلِكَ صَفْحًا، وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يُعْظُمُونَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ. وَكَانَ
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ لَا يُحْيِي لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ، كَمَا يُحْيِي لَيْلَةَ سَبْعِ عَشْرَةٍ، وَيَقُولُ:
«إِنَّ اللَّهَ فَرَّقَ فِي صَبِيحَتِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَذَلَّ فِي صَبِيحَتِهَا أَيْمَةَ
الْكُفْرِ».

وَأَصَحُّ مَا رُوِيَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ: أَنَّهَا لَيْلَةُ بَذْرِ كَمَا سَبَقَ.

وَمُلَخَّصُ الْقِصَّةِ: أَنَّهُ لَمَّا فُرِضَ صِيَامُ رَمَضَانَ فِي ثَانِي سَنَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ
صَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَامَهُ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِطَلَبِ عِيرٍ
مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمَتْ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ،
وَأَقْطَرَ فِي خُرُوجِهِ إِلَيْهَا. وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِ حَاجَةً أَصْحَابِهِ، خُصُوصًا
الْمُهَاجِرِينَ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

وَيَضُرُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ هُمْ الصَّادِقُونَ»، وَكَانَتْ هَذِهِ الْعِيرُ مَعَهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ لِأَعْدَائِهِمُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا؛ فَقَصَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ أَمْوَالَ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَحِزْبِهِ وَجُنْدِهِ، فَيَرُدَّهَا عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَحِزْبِهِ، لِيَتَّقَوْهَا بِهَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ، وَهَذَا مِمَّا أَحَلَّهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنَّهُ أَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ، كَمَا وَرَدَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجُوا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ حِفَاةٌ فَأَحْمِلْهُمْ، وَإِنَّهُمْ غُرَاةٌ فَأَكْسُهُمْ، وَإِنَّهُمْ جِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ؛ فَفَتَحَ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَنْقَلَبُوا - حِينَ أَنْقَلَبُوا - وَمَا فِيهِمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ رَجَعَ بِجَمَلٍ أَوْ جَمَلَيْنِ، وَاكْتَسَوْا وَشَبِعُوا، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجُوا عَلَى غَايَةِ مِنْ قِلَّةِ الظَّهْرِ وَالزَّادِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا مُسْتَعِدِّينَ لِحَرْبٍ وَلَا قِتَالٍ، إِنَّمَا خَرَجُوا لِطَلَبِ الْعِيرِ، فَكَانَ مَعَهُمْ نَحْوُ سَبْعِينَ بَعِيرًا يَعْتَقِبُونَهَا بَيْنَهُمْ كُلُّ ثَلَاثَةِ عَلَى بَعِيرٍ، وَكَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ زَمِيلَانِ، وَكَانُوا يَعْتَقِبُونَ عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ زَمِيلَاهُ يَقُولَانِ لَهُ: أَرْكَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَيَقُولُ: مَا أَتَمْنَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ إِلَّا فَرَسَانِ. وَقِيلَ: ثَلَاثَةٌ، وَقِيلَ: فَرَسٌ وَاحِدٌ لِلْمِقْدَادِ.

وَبَلَغَ الْمُشْرِكِينَ خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ لِطَلَبِ الْعِيرِ، فَأَخَذَ أَبُو سُفْيَانَ بِالْعِيرِ نَحْوَ السَّاحِلِ وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِالْخَبَرِ وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَنْفِرُوا لِحِمَايَةِ عِيرِهِمْ؛ فَخَرَجُوا مُسْتَصْرِحِينَ وَخَرَجَ أَشْرَافُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ، وَسَارُوا نَحْوَ بَدْرٍ، وَأَسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقِتَالِ. فَتَكَلَّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَسَكَتَ عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُ الْأَنْصَارَ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُمْ لَمْ يُبَايِعُوهُ إِلَّا عَلَى نُصْرَتِهِ عَلَى مَنْ قَصَدَهُ فِي دِيَارِهِمْ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِنَّا نَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْعِمَادِ لَفَعَلْنَا، وَقَالَ لَهُ الْمِقْدَادُ: لَا نَقُولُ

لَكَ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، وَلَكِنْ نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ؛ فَسَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ وَأَجْمَعَ عَلَى الْقِتَالِ وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ - لَيْلَةَ سَابِعِ عَشَرَ رَمَضَانَ - قَائِمًا يُصَلِّي وَيَبْكِي وَيَدْعُو اللَّهَ وَيَسْتَنْصِرُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ.

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا فِيْنَا إِلَّا نَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ، يُصَلِّي وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ»، وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ: «أَصَابَنَا طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ - يَعْنِي: لَيْلَةَ بَدْرِ - فَأَنْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْجَحْفِ نَسْتِظِلُّ بِهَا مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَقُولُ: إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْفِئَةُ لَا تُعْبَدُ، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْجَحْفِ؛ فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَحَثَّ عَلَى الْقِتَالِ وَأَمَدَّ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِنَصْرِ مِنْ عِنْدِهِ وَبِجُنْدٍ مِنْ جُنْدِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِ بْنِ الْمُكَتَمَةِ مُرْدِفِينَ ۖ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾».

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرِ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ». قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ بِخِيَلَيْهَا يُكَذِّبُونَ رَسُولَكَ؛ فَأَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي»، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: خُذْ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَأَرْمِهِمْ بِهَا، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الْوَادِي فَرَمَى بِهَا نَحْوَهُمْ، وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ؛ فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَمِنْخَرِهِ وَفَمِهِ شَيْءٌ، ثُمَّ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ.

قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ: سَمِعْنَا يَوْمَ بَدْرٍ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَصَاةٍ عَلَى طِسْتٍ؛ فَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الرَّمِيَّةَ، فَأَنْهَزَمْنَا.

وَلَمَّا قَدِمَ الْخَبَرُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ قَالُوا لِمَنْ أَتَاهُمْ بِالْخَبَرِ: كَيْفَ حَالُ النَّاسِ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ إِلَّا أَنْ لَقَيْنَاهُمْ فَمَنْحَاهُمْ أَكْتَفَانَا يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ كَيْفَ شَاءُوا، وَأَيْمُ اللَّهِ مَعَ ذَلِكَ، مَا لُمْتُ النَّاسَ، لَقِينَا رِجَالًا عَلَى خَيْلٍ بُلِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، مَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ، وَقَتَلَ اللَّهُ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ. وَكَانَ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ قَدْ جَاءَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَجَعَلَ يُشَجِّعُهُمْ وَيَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةَ هَرَبَ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ أَلْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَلَاتِنَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

وَرُويَ فِي الْمَوْطَأِ مُرْسَلًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ أَحْقَرَ وَلَا أَذْحَرَ، وَلَا أَضْعَرَ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، إِلَّا مَا رُئِيَ يَوْمَ بَدْرٍ، قِيلَ: وَمَا رُئِيَ يَوْمَ بَدْرٍ؟ قَالَ: رُئِيَ جِبْرِيلُ يَزْعُ الْمَلَائِكَةَ، وَقِصَّةُ بَدْرٍ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ وَالتَّفَاسِيرِ وَالتَّوَارِيخِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُنَا التَّنْبِيهُ عَلَى بَعْضِ الْمَقْصُودِ؛ فَإِبْلِيسُ عَدُوُّ اللَّهِ، يَسْعَى جُهْدَهُ فِي إِظْفَاءِ نُورِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَإِلْقَاءِ الْفِتَنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى جَهَنَّمَ لِيَكُونُوا مَعَهُ فِيهَا، وَلَكِنْ لَا يَزَالُ يَرَى فِي مَوَاسِمِ الْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ مَا يَسُوؤُهُ، فَأَوَّلًا قَطَعَ ظَهْرَهُ بِغُثَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ لَمَّا ائْتَشَرَتِ الدَّعْوَةُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: «لَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ النَّبِيَّ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي بِمَكَّةَ - رَنٌّ، وَلَمَّا فَتَحَ ﷺ مَكَّةَ رَنٌّ رَنَّهُ أُخْرَى، فَأَجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ دُرَيْتُهُ، فَقَالَ: أَيَأْسُوا أَنْ

تَرُدُّوْا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ (ﷺ) إِلَى الشِّرْكَ بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا . وَلَكِنْ أَفْتِنُوهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَأَفْشُوا فِيهِمُ النَّوْحَ وَالشُّعْرَ » أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : « رَنَّ إِبْلِيسُ أَرْبَعَ رَنَّاتٍ : رَنَّةً حِينَ لُعِنَ ، وَرَنَّةً حِينَ أَهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَرَنَّةً حِينَ بُعِثَ مُحَمَّدٌ (ﷺ) ، وَرَنَّةً حِينَ أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ . وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الْآيَةُ ، بَكَى إِبْلِيسُ وَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ بِنُزُولِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَرَحِ لِأَهْلِ الذُّنُوبِ » .

وَقَالَ ثَابِتٌ : « لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ (ﷺ) قَالَ إِبْلِيسُ لِشَيْاطِينِهِ : لَقَدْ حَدَثَ أَمْرٌ فَانْظُرُوا مَا هُوَ ! فَانْظَلَقُوا ، ثُمَّ جَاءُوهُ فَقَالُوا : مَا نَذِرِي ؟ قَالَ إِبْلِيسُ : أَنَا أُنبِئُكُمْ بِالْخَبَرِ ؛ فَذَهَبَ وَجَاءَ وَقَالَ : قَدْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ (ﷺ) ، فَجَعَلَ يُرْسِلُ شَيْاطِينَهُ إِلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ (ﷺ) ، فَيَجِيئُونَ بِصُحُفِهِمْ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ لَا تُصِيبُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا : مَا صَحِبْنَا قَوْمًا قَطُّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ ، نُصِيبُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَقُومُونَ إِلَى الصَّلَاةِ فَيُمَحِّى ذَلِكُ ، قَالَ : رُويْدَا ، إِنَّهُمَ عَسَى أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُمُ الدُّنْيَا ، هُنَالِكَ تُصِيبُونَ حَاجَتَكُمْ مِنْهُمْ » .

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ إِبْلِيسُ : سَوَّلْتُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ الْمَعَاصِيَ فَقَطَّعُوا ظَهْرِي بِالْإِسْتِغْفَارِ ، فَسَوَّلْتُ لَهُمْ ذُنُوبًا لَا يَسْتَغْفِرُونَ مِنْهَا - يَعْنِي الْأَهْوَاءَ - وَلَكِنْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ لَا يَزَالُ فِي هَمٍّ وَعَظْمٍ وَيَرَى مَا يَغِيظُهُ وَيَهْمُهُ مِنْ بَعْثَةِ النَّبِيِّ (ﷺ) ، وَمِنْ طَاعَاتِ أُمَّتِهِ ، وَلَا يَزَالُ يَرَى فِي مَوَاسِمِ الْفَضْلِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالْعُنُقِ مِنَ النَّارِ مَا يَسُوؤُهُ ؛ فَيَوْمَ عَرَفَةَ لَا يَرَى أَصْغَرَ وَأَحْقَرَ وَلَا أَدْحَرَ مِنْهُ لِمَا يَرَى مِنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ ، إِلَّا مَا رُئِيَ يَوْمَ بَدْرٍ وَفِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَهْوَى يُحْثِي التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ (ﷺ) مِنْ جَزَعِ الْحَبِيثِ .

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ يُسَلْسَلُ وَيُصَفَّدُ وَيُعَلُّ هُوَ وَجُنُودُهُ ، حَتَّى لَا يُفْسِدُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ عِبَادَاتِهِمْ ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ التَّوْفِيقَ ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

فَصْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١٩﴾ اذْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

أَبْنُ آدَمَ: لَوْ عَرَفْتَ قَدَرَ نَفْسِكَ مَا أَهْتَتَهَا بِالْمَعَاصِي، أَنْتَ الْمُخْتَارُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَكَ إِنْ أَتَقَيْتَ أُعِدَّتِ الْجَنَّاتُ، وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَاتِ، فَالْجَنَّةُ إِقْطَاعُ الْمُتَّقِينَ، وَالْدُّنْيَا إِقْطَاعُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، فَهُوَ فِيهَا مِنَ الْمُنْظَرِينَ، فَكَيْفَ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ إِقْطَاعِكَ، وَمُزَاحِمَةِ إِبْلِيسَ عَلَى إِقْطَاعِهِ، وَأَنْ تَكُونَ عَدَا مَعَهُ فِي النَّارِ مِنْ جُمْلَةِ الْخَاسِرِينَ؟

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ بَزَقَتْ فِي بَحْرِ لَعَذَبَ ذَلِكَ الْبَحْرُ مِنْ عُذُوبَةِ رِيقِهَا».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَعَذُوبَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ أَمْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطْلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا - يَعْنِي: الْخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

رَأَى بَعْضُهُمْ حَوْرَاءَ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ لَهَا: زَوِّجِي نَفْسَكَ، قَالَتْ: أَخْطُبْنِي إِلَى رَبِّي، وَأَمْهُرْنِي، قَالَ: مَا مَهْرُكِ؟ قَالَتْ: طُولُ التَّهَجُّدِ، مُهُورُ الْحُورِ الْعِينِ طُولُ التَّهَجُّدِ، وَهُوَ حَاصِلٌ فِي رَمَضَانَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ.

أَشْتَرَى بَعْضُهُمْ حَوْرَاءَ بِصَدَاقِ ثَلَاثِينَ خَتْمَةً، فَنَامَ لَيْلَةً قَبْلَ تَكْمِيلِ الثَّلَاثِينَ فَرَأَاهَا فِي مَنَامِهِ، وَهِيَ تَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ:

أَتَخْطُبُ مِثْلِي وَعَنِّي تَنَامُ؟ وَنَوْمُ الْمُحِبِّينَ عَنِّي حَرَامٌ
لَأَنَا خُلِقْنَا لِكُلِّ أَمْرٍ كَثِيرِ الصَّلَاةِ بَرَاهُ الصَّيَامِ

إِخْوَانِي: هَذَا شَهْرُ عِمَارَةِ الْمِحْرَابِ، هَذَا شَهْرُ تِلَاوَةِ الْكِتَابِ، هَذَا شَهْرُ

تُخْلَعُ فِيهِ خِلْعُ الْغُفْرَانِ، وَتَتَوَفَّرُ لَهَا الْأَسْبَابُ، هَذَا شَهْرٌ يُسْمَعُ فِيهِ الدُّعَاءُ
وَيُسْتَجَابُ، هَذَا شَهْرُ الْإِفَاضَاتِ وَالنَّفَحَاتِ وَعِثِّ الرِّقَابِ.

عِبَادَ اللَّهِ: مُصَابُ الْحَرَمَانِ لَا يُشْبِهُهُ مُصَابٌ، وَكَسْرُ الْإِبْعَادِ لَا كَسْرُ
الْأَعْضَاءِ وَالْأَرَابِ، فَالْبِدَارُ الْبِدَارُ قَبْلَ إِغْلَاقِ الْبَابِ، أَوْ إِسْبَالِ الْحِجَابِ،
وَهَذِهِ الْجَنَّةُ قَدْ تَشَوَّقَتْ لِطَالِبِيهَا، وَتَزَيَّنَتْ لِمُرِيدِيهَا، وَنَطَقَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ
بِوصْفِ مَا فِيهَا، وَالْحُورُ الْعِينُ قَدْ تَهَيَّأَتْ لِخَاطِبِيهَا:

يَا خَاطِبَ الْحَوْرَاءِ فِي خَدْرِهَا وَطَالِبَا ذَاكَ عَلَى قَدْرِهَا
أَنْهَضُ بِجِدِّ، لَا تَكُنْ مُتَوَانِيَا وَجَاهِدِ النَّفْسَ عَلَى صَبْرِهَا
وَجَانِبِ النَّاسِ وَأَرْضُهُمْ وَحَالِفِ الْوَحْدَةِ فِي وَكْرِهَا
وَقُمْ إِذَا اللَّيْلُ بَدَا شَطْرُهُ وَصُمْ نَهَارًا، فَهُوَ مِنْ مَهْرِهَا
فَلَوْ رَأَتْ عَيْنَاكَ إِقْبَالَهَا وَقَدْ بَدَتْ رُمَانًا صَدْرِهَا
وَهِيَ تَمْشِي بَيْنَ أَتْرَابِهَا وَعَقْدُهَا يُشْرِقُ فِي نَحْرِهَا
لَهَانَ فِي نَفْسِكَ هَذَا الَّذِي تَرَاهُ فِي دُنْيَاكَ مِنْ زَهْرِهَا
اللَّهُمَّ أَذْهَبْ ظُلْمَةَ قُلُوبِنَا بِنُورِ مَعْرِفَتِكَ وَهَذَاكَ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ
وَأَعْرَضَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

اللَّهُمَّ يَا كَرِيمُ يَا غَفُورُ، آتِنَا وَحْشَتَنَا فِي ظُلْمَةِ الْقُبُورِ، وَاجْعَلْنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مِمَّنْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمَانِهِمُ الثُّورُ، وَأَسْكِنَا بِفَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ
الْغُرَفَ وَالْقُصُورَ، وَآمِنْ خَوْفَنَا يَوْمَ الْعَرْضِ وَالنُّشُورِ.

اللَّهُمَّ تَجَاوَزْ عَنِ إِسَاءَتِنَا بِجَمِيلِ كَرَمِكَ، وَلَا تَقْطَعْ عَنَّا عَوَائِدَ نِعَمِكَ،
وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ فِي تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ وَالتَّخْذِيرِ مِنَ الْعَقَلَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَعَدَ مَنْ أَطَاعَهُ بِنَعِيمِ الْجَنَانِ، وَتَوَعَّدَ مَنْ جَحَدَهُ وَعَصَاهُ بِجَحِيمِ النَّيرانِ، مُظْهِرِ الْحَقِّ وَمُبْدِيهِ، وَمُنْجِزِ الْوَعْدِ وَمُوفِيهِ، وَمُسْعِدِ الْعَبْدِ وَمُشْفِيهِ، وَمُسَبِّلِ ذَيْلِ السَّتْرِ عَلَى أَهْلِ الْعِصْيَانِ، الْجَبَّارِ الَّذِي جَبَرَ مَنْ انْكَسَرَ لِأَجْلِ رِضْوَانِهِ، الْعَفْوُ الَّذِي سَتَرَ مَنْ فَجَرَ بِجَمِيلِ إِحْسَانِهِ، الْعَفَّارُ الَّذِي غَفَرَ لِمَنْ عَبَرَ إِلَى حَرَمِ غُفْرَانِهِ، وَنَصَرَ مَنْ انْتَصَرَ بِعَظِيمِ شَانِهِ، وَجَادَ عَلَى خَلْقِهِ بِجَزِيلِ الْفَضْلِ وَالْأَمْتِنَانِ، الْحَكِيمُ الَّذِي أَجْرَى عُيُونَ الْخَائِفِينَ خَوْفَ الْوَعِيدِ، وَقَسَمَ خَلْقَهُ إِلَى شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، وَمَقْبُولٍ وَطَرِيدٍ، وَالْغَنِيِّ عَنِ خَلْقِهِ فَلَا مَعَاصِيَهُمْ تَنْقُصُ مُلْكُهُ، وَلَا طَاعَتُهُمْ تَزِيدُ، فَلَهُ الْغِنَى التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ عَلَى تَوَالِي الزَّمَانِ.

فُسُبْحَانَ مَنْ وَفَّقَ أَقْوَامًا لِمَعَادِهِمْ، فَقَامُوا بِخِدْمَتِهِ بِجَوَارِحِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ، قَدْ أَسْبَلُوا عَلَى الْخُدُودِ الْمَدَامِعَ، وَتَجَافَتْ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، فَهُمْ مِنْ خَوْفِ الْقَطِيعَةِ يَبْتَغُونَ، جَعَلُوا التَّقْوَى لَهُمْ أَفْخَرَ اللَّبَاسِ، فَأَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ وَالنُّعَاسَ، فَهُمْ عِنْدَمَا يَفْرَحُ النَّاسُ يَحْزَنُونَ، قَدْ مَنَعَ الدَّمْعُ نَوْمَهُمْ وَالْهَجُوعَ، فَهُمْ يَبْتَغُونَ بِفُؤَادٍ مَوْجُوعٍ، وَقَلْبٍ مَحْزُونٍ.

فُسُبْحَانَ مَنْ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَمَاتَ وَأَحْيَا، وَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَأَشْكُرُهُ وَقَدْ تَأَذَّنَ بِالرِّيَادَةِ لِأَهْلِ الشُّكْرَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْإِلَهُ الْمَلِكُ الدِّيَانُ، شَهَادَةُ أَذْخَرَهَا لِيَوْمٍ يُنْصَبُ فِيهِ الْمِيزَانُ، وَتَرْفَرُ جَهَنَّمُ عَلَى أَهْلِ الْعِصْيَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى الْجَنَانِ، وَالْمُحَذِّرُ عَنِ

طَرِيقَةَ الشَّقِيِّ وَالنَّيِّرَانِ، وَالْمَبْعُوثُ إِلَى كَافَّةِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِرْفَانِ. صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ قِيَامِ الْأَبْدَانِ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ
مِنَ الْحَقِّ﴾ الْآيَةِ، يَقُولُ تَعَالَى: أَمَا أَنْ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ؟
أَيُّ تَلِينَ عِنْدَ الذِّكْرِ وَالْمَوْعِظَةِ وَسَمَاعِ الْقُرْآنِ، فَتَفْهَمُهُ وَتَتَقَادُّ لَهُ وَتَسْمَعُ لَهُ
وَتُطِيعُ؟

رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَاتَبَهُمْ
عَلَى رَأْسِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ نَزُولِ الْقُرْآنِ».

أَعْلَمَ أَنَّ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، لَهُ طَلَاوَةٌ وَحَلَاوَةٌ لِمَنْ
هَدَاهُ اللَّهُ وَوَقَّعَهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى قِرَاءَتِهِ، وَيَتَلَذَّذَ بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ بِكَلَامِهِ،
وَيَكُونَ خَاشِعًا عَامِلًا بِأَوَامِرِهِ مُنْتَهِيًا عَنْ زَوَاجِرِهِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «لَا تَهْذُوا الْقُرْآنَ هَذَا الشَّعْرَ، وَتَنْشُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ،
فَقُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَيْضًا: «إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
فَأُضْغِ لَهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ تُؤْمَرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ تُصَرَفُ عَنْهُ».

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخِذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا.

وَكَانَ النَّبِيُّ صلی اللہ علیہ وسلم يُرْتَلُ السُّورَةُ حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلُ مِنْ أَطْوَلِ مِنْهَا، وَقَامَ بِآيَةٍ
يُرَدِّدُهَا حَتَّى الصَّبَاحِ.

سُئِلَ دُو الثُّونِ الْمِضْرِيُّ عَنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ أُمِطِرَتْ
عَلَيْهِمْ سَحَابُ الْأَشْجَانِ، وَنَصَبُوا الرُّكْبَ وَالْأَبْدَانِ، وَتَسَرَّبَلُوا بِالْخَوْفِ
وَالْأَحْزَانِ، وَشَرِبُوا بِكَأْسِ الْيَقِينِ، وَرَاضُوا أَنْفُسَهُمْ رِيَاضَةَ الْمُتَّقِينَ، كَحَلُّوا

أَبْصَارُهُمْ بِالسَّهَرِ، وَغَضُوهَا عَنِ النَّظَرِ، وَالزَّمُوهَا الْعَبْرَ، وَأَشْعَرُوهَا الْفِكَرَ،
فَقَامُوا لَيْلَهُمْ أَرْقًا وَتَبَادَرَتْ دُمُوعُهُمْ فَرَقًا، حَتَّى ضَيَّيَتْ مِنْهُمْ الْأَبْدَانُ، وَتَغَيَّرَتْ
مِنْهُمْ الْأَلْوَانُ، صَحِبُوا الْقُرْآنَ بِأَبْدَانٍ نَاحِلَةٍ، وَشَفَاءٍ ذَابِلَةٍ، وَزَقَرَاتٍ قَاتِلَةٍ؛
فَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَعِيمِ الْمُتَنَعِّمِينَ، وَشَغَلَهُمْ عَنْ مَطَامِعِ الرَّاعِبِينَ، فَفَاضَتْ
عَبْرَاتُهُمْ مِنْ وَعِيدِهِ، وَشَابَتْ ذَوَائِبُهُمْ مِنْ تَحذِيرِهِ، فَكَانَ زَفِيرُ النَّارِ تَحْتَ
أَقْدَامِهِمْ، وَكَانَ الْوَعِيدُ نُضْبَ قُلُوبِهِمْ، جَعَلُوا التُّرَابَ لِلْجَبَاهِ وَسَادًا وَلِلرُّكَبِ
مِهَادًا، وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ صِرَاطَهُمُ الْمُسْتَقِيمَ، فَكَانَ بِهِمْ إِلَى الْخَيْرَاتِ دَاعِيَا،
وَالِى النِّجَاةِ دَلِيلًا هَادِيَا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.
أَسْمَعْ يَا هَذَا صِفَاتِ الْقَوْمِ، وَأَنْتَبِهْ يَا أَسِيرَ الْغَفْلَةِ وَالنَّوْمِ، ذَهَبَ السَّادَةُ، وَبَقِيَ
قُرْنَاءُ الْوِسَادَةِ.

وَيَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، وَيَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ
وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ.

قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ أَحَدَهُمْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ
يَلْعَنُ نَفْسَهُ، قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَقْرَأُ ﴿لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وَهُوَ
يَكْذِبُ ﴿أَلَا لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وَهُوَ يَظْلِمُ.

وَوَرَدَ أَنَّ الْقُرْآنَ غَرِيبٌ فِي جَوْفِ الظَّالِمِ، وَأَنَّهُ كَمَنْ مِنْ قَارِئٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ
وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ، يَعْنِي: لِمُخَالَفَتِهِ لَهُ، وَعَمَلِهِ عَلَى خِلَافِ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ.

وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِنَاسٍ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ إِلَى النَّارِ، قَبْلَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ،
فَيَقُولُونَ: يُبْدَأُ بِنَا قَبْلَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ فَيَقَالُ لَهُمْ: لَيْسَ مَنْ يَعْرِفُ كَمَنْ لَا
يَعْرِفُ!

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّ قَارِئَ الْقُرْآنِ إِذَا رَكِبَ الْمَعَاصِيَ يُنَادِيهِ الْقُرْآنُ فِي
جَوْفِهِ: أَيْنَ زَوَاجِرِي؟ أَيْنَ قَوَارِعِي؟ أَيْنَ مَوَاعِظِي؟

وَمِنْ آدَابِ الْقَارِئِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ قَطْعِ الْفِرَاقَةِ، وَيَأْخُذَ فِي الْكَلَامِ الَّذِي

لَا يَغْنِي مَعَ صَاحِبِهِ الْقَرِيبِ إِلَى جَنِّهِ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي، بَلْ هُوَ مَكْرُوهٌ
وَمُسْتَفْبَحٌ سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ، ذَكَرَ مَعْنَى ذَلِكَ فِي النَّصَائِحِ
الدِّينِيَّةِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ هُمُ الْعَامِلُونَ بِهِ وَالْعَامِلُونَ بِمَا فِيهِ، وَإِنْ لَمْ
يَحْفَظُوهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَأَمَّا مَنْ حَفِظَهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، فَلَيْسَ مِنْ
أَهْلِهِ، وَإِنْ أَقَامَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ، فَفِي الْقُرْآنِ تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيْبٌ، وَفِيهِ مِنَ
الْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ أَمْرٌ عَجِيبٌ، وَفِيهِ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَتَخْوِيفٌ وَتَقْرِيعٌ وَتَهْدِيدٌ،
وَلَكِنَّ الْعَافِلَ عَنْ تَدَبُّرِهِ فَهْمُهُ بَعِيدٌ.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ كَلَامَهُ لِأَذْوَاءِ الصُّدُورِ شَافِيًا؛ وَإِلَى الْإِيمَانِ وَحَقَائِقِهِ
مُنَادِيًا، وَإِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ دَاعِيًا، وَإِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ هَادِيًا.
لَقَدْ أَسْمَعَ مُنَادِي الْإِيمَانِ لَوْ صَادَفَ آذَانًا وَاعِيَةً، وَشَفَتْ مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ لَوْ
وَأَفَقَتْ قُلُوبًا مِنْ غِيَّهَا خَالِيَةً، وَلَكِنْ عَصَفَتْ عَلَى الْقُلُوبِ أَهْوِيَةُ الشُّبُهَاتِ
وَالشَّهَوَاتِ، فَأَظْفَأَتْ مَصَابِيحَهَا، وَتَمَكَّنَتْ مِنْهَا أَيْدِي الْغَفْلَةِ وَالْجَهَالَةِ، فَأَغْلَقَتْ
أَبْوَابَ رُشْدِهَا، وَأَضَاعَتْ مَفَاتِيحَهَا، وَرَانَ عَلَيْهَا كَسْبُهَا فَلَمْ يَنْفَعْ فِيهَا الْكَلَامُ
وَسَكِرَتْ بِشَهَوَاتِ الْغِيِّ وَشُّبُهَاتِ الْبَاطِلِ، فَلَمْ تُضْغِ بَعْدَهُ إِلَى مَلَامٍ، وَوَعِظَتْ
بِمَوَاعِظِ أَنْكَى فِيهَا مِنَ الْأَسِنَّةِ وَالسَّهَامِ، وَلَكِنْ مَاتَتْ فِي بَحْرِ الْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ
وَأَسْرَ الْهَوَى وَالشَّهْوَةَ، وَمَا لِحَرْجٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٌ.

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۖ لَا يُفَرِّجُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ۖ وَمَا ظَنَنْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۖ﴾ وَنَادَا يَمَّاكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْكُ
قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ۖ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُم نَارًا
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

يُؤْمَرُونَ ﴿١٦﴾. يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَعَدَّ لِأَعْدَائِهِ الْأَشْقِيَاءِ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ وَاتَّبَاعِهِمُ الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِهِ الْمُتَرَكِّبِينَ لِنَهْيِهِ، بِأَنَّهُ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْخِزْيِ وَالنَّكَالِ، وَالْبَوَارِ وَالْمَقَامِيعِ وَالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَمَا أَخْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ وَالزُّقُومِ وَالضَّرِيعِ وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَالْأَهْوَالِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْكَالِ وَالْأَنْكَادِ، وَالْمَلَايِكَةِ الشَّدَادِ الْغَلَاظِ، وَمَا هَيَّأَ لِأَهْلِهَا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي لَا مُصَبِّرَ لِأَحَدٍ عَلَى بَعْضِهِ، فَعِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِهِ.

رَوَى عَنْ سَمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا فِي أَقْصَى السُّوقِ لَسَمِعَهُ، وَسَمِعَ أَهْلُ السُّوقِ صَوْتَهُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَتُهُ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ، عِنْدَ رَجُلَيْهِ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.

وَقَامَ ﷺ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿١٧﴾ جَعَلَ يَخُصُّ وَيَعُمُّ وَيَقُولُ: «أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ».

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، قَالَ: أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى أَبْيَضَتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى أَحْمَرَتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى أَسْوَدَتْ، فَهِيَ سَوْدَاءٌ لَا يُضِيءُ لَهَا» أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِجَبْرِيلَ: «مَا لِي لَا أَرَى مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ، قَالَ: مَا ضَحِكَ مِيكَائِيلُ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ».

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ: «أَنَّ كَعْبَ الْأَخْبَارِ جَعَلَ يَذْكُرُ نَعِيمَ الْجَنَّةِ؛ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ عُمَرُ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ! هَذِهِ الْقُلُوبُ قَدْ اسْتَرْسَلَتْ فَأَقْبِضْهَا، فَقَالَ كَعْبُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ لِحَبْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَزُفْرَةً مَا يَبْقَى مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ إِلَّا يَخِرُّ لِرُكْبَتَيْهِ، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ يَقُولُ: رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي، حَتَّى لَوْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ سَبْعِينَ نَبِيًّا إِلَى عَمَلِكَ لَطَنَنْتَ أَنَّكَ لَا تَنْجُو»،

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ يَوْمًا لِكَعْبٍ: يَا كَعْبُ خَوْفُنَا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْمَلْ عَمَلًا وَجَلًّا، وَلَوْ وَاقَيْتَ الْقِيَامَةَ بِعَمَلٍ سَبْعِينَ نَبِيًّا لَا زِدْرَيْتَ عَمَلَكَ مِمَّا تَرَى؛ فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: زِدْنَا يَا كَعْبُ! فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدْرُ مِنْحَرِ ثَوْرٍ بِالْمَشْرِقِ وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَغَلَى دِمَاغُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا؛ فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: زِدْنَا يَا كَعْبُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ جَهَنَّمَ لَتَزْفِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَفْرَةً لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا خَرَّ جَائِيًّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا».

وَرَوَى الْبَزَّازُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ - فَسَاقَ الْحَدِيثَ - إِلَى أَنْ قَالَ: «ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتًا مُنْكَرًا، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا الصَّوْتُ؟ قَالَ: هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ: يَا رَبِّ أَتَيْتَنِي بِأَهْلِي، وَبِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَتْ سَلَاسِلِي وَأَغْلَالِي وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَغَسَاقِي وَغَسْلِينِي، وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي وَأَشْتَدَّ حَرِّي. أَتَيْتَنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، قَالَ: لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ، وَخَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ، وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَوْلَا أَنَّهَا أُظْفِئَتْ بِالْمَاءِ مَرَّتَيْنِ مَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا، وَإِنَّهَا لَتَدْعُو اللَّهَ ﷻ أَلَّا يُعِيدَهَا فِيهَا» رَوَاهُ أَبُو مَاجَه.

وَرَوَى أَبُو حَاتِمٍ بِسَنَدِهِ إِلَى الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: إِذَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: «خُذُوهُ، أَتَبَدَّرَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِنَّ الْمَلَكَ مِنْهُمْ لَيَقُولُ هَكَذَا، فَيُلْقِي سَبْعِينَ أَلْفًا فِي النَّارِ».

وَرُوِيَ أَنَّ الْخَازِنَ مِنْ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ مِنْكَبَيْهِ مَسِيرَةُ سَنَةٍ، فَيَضْرِبُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الضَّرْبَةَ فَيَتْرُكُهُ طَحِينًا مِنْ لَدُنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ خَازِنًا مِنْ خُزَّانِ جَهَنَّمَ أَشْرَفَ عَلَى الْأَرْضِ لَمَاتَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ تَشْوِيهِ خَلْقِهِ».

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُضْعَبٍ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ فَسَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُبَسَّطٍ﴾ (٧٦)، فَتَمَائِلَ، فَلَمَّا قَالَ التَّالِي: ﴿لَا يُقَرَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٧)، سَقَطَ فِي الْمَاءِ فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ.

وَعَنْ لُقْمَانَ الْحَنْفِيِّ قَالَ: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَابٍّ يُنَادِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ: وَاعْوِثَاهُ مِنَ النَّارِ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: يَا شَابُّ، لَقَدْ أَبْكَيْتَ الْبَارِحَةَ مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَثِيرًا».

وَرُوِيَ أَنَّهُ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، وَعِنْدَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ شَيْخٌ، فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حِجَارَةُ جَهَنَّمَ كَحِجَارَةِ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَصَخْرَةٌ مِنْ صَخَرِ جَهَنَّمَ أَعْظَمَ مِنْ جِبَالِ الدُّنْيَا كُلِّهَا؛ فَوَقَعَ الشَّيْخُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى قُودِهِ، فَإِذَا هُوَ حَيٌّ فَنَادَاهُ: يَا شَيْخُ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَهَا فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ بَيْنِنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾».

إِخْوَانِي: أَمَا تَعْتَبِرُونَ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ؟ أَمَا تُشْفِقُونَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْأَنْكَالِ؟ أَمَا تَحْذَرُونَ سَلَاسِلَهَا وَالْأَغْلَالَ؟ وَاعْجَبًا لِمَنْ يَقْرَعُ سَمْعَهُ ذِكْرَ السَّعِيرِ، وَهُوَ مِنْ عَذَابِهَا بِاللَّهِ غَيْرُ مُسْتَجِيرٍ! أَفِيكَ جَلْدٌ عَلَى الْحَمِيمِ وَالصَّدِيدِ وَالزَّمْهَرِيرِ؟ أَفِيكَ جَلْدٌ عَلَى نَارِ وَقُودِهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ؟ أَمْ قَدْ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِهَذِهِ الْخَسَارَةِ؟ فَيَا وَيْحَ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ دَارَهُ، أَلَا إِنَّهَا نَارٌ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ.

شعر:

النَّارُ مَنْزِلُ أَهْلِ الْكُفْرِ كُلِّهِمْ
جَهَنَّمَ وَلَظَى مِنْ بَعْدِهَا حُطْمَةٌ
وَتَحْتَ ذَاكَ جَحِيمٌ ثُمَّ هَاوِيَةٌ
فِيهَا غِلَاطٌ شِدَادٌ مِنْ مَلَائِكَةٍ
لَهُمْ مَقَامِعٌ لِلتَّغْذِيبِ مُرَصَّدَةٌ
سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ شَعْنَاءُ مُوَحِّشَةٌ
فِيهَا الْعَقَارِبُ وَالْحَيَّاتُ قَدْ جُمِعَتْ
لَهَا إِذَا مَا عَلَتْ فَوْرٌ يُقَلِّبُهُمْ

قِيلَ لِرَزِيدِ بْنِ مَزِيدٍ: مَا لَنَا نَرَاكَ بَاكِيًا وَجَلًّا خَائِفًا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ
تَوَعَّدَنِي أَنْ أَعَصِيَهُ أَنْ يَسْجُنَنِي فِي النَّارِ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدَنِي أَنْ يَسْجُنَنِي
إِلَّا فِي الْحَمَامِ لَبَكَيْتُ حَتَّى لَا تَجِفَّ لِي عَبْرَةٌ.

فَحَزَنَةُ جَهَنَّمَ غِلَاطٌ شِدَادٌ، أَيْ طَبَاعُهُمْ فِي غَايَةِ الْغِلْظَةِ وَالشَّدَّةِ، قَدْ
نَزَعَتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةَ بِالْكَافِرِينَ، وَخَلَقَتْهُمْ فِي غَايَةِ الْكُفَّافَةِ، وَتَرَكِيهِمْ فِي
غَايَةِ الشَّدَّةِ وَالْمَنْظَرِ الْمُرْعِجِ، سُودُ الْوُجُوهِ، كَالِحَةُ أُنْيَابِهِمْ، نَسَأُ اللَّهُ السَّلَامَةَ
إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

شعر:

وَفِي الْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَشْرُ صَحَائِفَ
وَنَشْرُ يَشِيبُ الطُّفْلُ مِنْ عَظَمِ هَوْلِهِ
وَنَارٌ تَلْظَى فِي لَطَاهَا سَلَاسِلُ
شَرَابُ دَوِي الْأَجْرَامِ فِيهَا حَمِيمُهَا
حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ وَآخِرُ مِثْلُهُ
يَزِيدُ هَوَانًا مِنْ هَوَاهَا وَلَمْ يَزَلْ

وَفِي نَارِهِ يَبْقَى دَوَامًا مُعَذَّبًا
عَلَيْهَا صِرَاطٌ مُدْحَضٌ وَمَزَلَّةٌ
وَفِيهِ كَلَالِيبٌ تَعْلَقُ بِالْوَرَى
فَلَا مُجْرِمٌ يَفْدِيهِ مَا يَفْتَدِي بِهِ
فَهَذَا جَزَاءُ الْمُجْرِمِينَ عَلَى الرَّدَى
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ لَطَى وَعَذَابِهَا
وَمِنْ حَالٍ مَنْ فِي زَمْهِرٍ مُعَذَّبًا
يَصِيحُ ثُبُورًا وَيَلَهُ يَتَوَلَّوْ
عَلَيْهِ الْبَرَايَا فِي الْقِيَامَةِ تُحْمَلُ
فَهَذَا نَجَا مِنْهَا وَهَذَا مُخْرَدَلُ
وَإِنْ يَعْتَذِرُ يَوْمًا فَلَا عُذْرَ يُقْبَلُ
وَهَذَا الَّذِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْصُلُ
وَمِنْ حَالٍ مَنْ يَهْوَى بِهَا يَتَجَلَّجَلُ
وَمَنْ هُوَ بِالْأَغْلَالِ فِيهَا مُكَبَّلُ

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْأَرْبَابِ، وَيَا مُسَبِّبَ الْأَسْبَابِ، وَيَا رَاحِمَ الْمُذْنِبِ إِذَا
أَنْظَرَ حَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَأَنَابَ، وَيَا مُجْزِلَ الثَّوَابِ لِلْأَخْبَابِ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنَا مِنْ
الْهَلَكَاتِ، وَمِنْ دَارِ السَّعِيرِ وَالذَّرَكَاتِ، وَتُبَاعِدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَغْلَالِ
وَاللَّفَحَاتِ، وَأَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُكْرَمُ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ.

إِلَهَنَا، مَنْ لَنَا إِذَا طَرَدْتَنَا عَنْ بَابِكَ؟ وَإِلَى مَنْ نَقْصِدُ إِذَا لَمْ نَتَّعَلَقْ
بِجَنَابِكَ؟ فَمَا تَعُوذُنَا مِنْكَ إِلَّا الْجَمِيلَ، وَمَا لَنَا قَلْبٌ عَنْ جَمَالِكَ يَمِيلُ. فَلَا
نَلْتَجِئُ إِلَّا لِرُكْنِكَ الْعَظِيمِ، وَلَا نَعْلُقُ آمَالَنَا إِلَّا بِكَرَمِ جُودِكَ الْعَمِيمِ.

اللَّهُمَّ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ، يَا رَحِيمُ يَا سَتَّارُ، أَعِزَّنَا مِنْ دَارِ الْبَوَارِ، وَخَفَّفْ
ظُهُورَنَا مِنْ حَمْلِ الْأَوْزَارِ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ. وَأَغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِلْوَالِدَيْنَا وَلِلْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ

فِي الْحَثِّ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَفَضْلِ آثَارِهَا وَعَوَاقِبِهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَوَى لَدَيْهِ الظَّاهِرُ وَالْمَكْنُونُ، وَأَحَاطَ عِلْمًا بِالْحَرَكَاتِ
وَالسُّكُونِ، وَتَنَزَّاهُ عَنِ التَّكْيِيفِ وَتَقَدَّسَ عَنْ خَوَاطِرِ الظُّنُونِ، الْحَكِيمُ الَّذِي قَرَّبَ

بَعِيدًا وَأَبْعَدَ قَرِيبًا، وَأَقْصَى عَدُوًّا وَأَدْنَى حَبِيبًا، وَأَذَلَّ عَاصِيًا وَأَعَزَّ طَائِعًا مُنِيبًا،
الَّذِي مَا دَعَاهُ دَاعٌ إِلَّا وَكَانَ لَهُ مُجِيبًا، وَلَا سَأَلَهُ سَائِلٌ إِلَّا وَأَعْطَاهُ سُؤْلُهُ،
وَوَفَّرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ نَصِيبًا.

فَيَا أَيُّهَا الْعَاصِي تَذَكَّرْ حُلُولَ رَمْسِكَ، وَكُنْ عَلَى نَفْسِكَ رَقِيبًا، وَأَعْمَلْ
لِيَوْمِ عَرْضِكَ مَا دَامَ غُضُنُ الْحَيَاةِ رَطِيبًا؛ فَإِلَى مَتَى أَنْتَ سَقِيمٌ بِدَاءِ زَلَّتِكَ، وَلَا
تَجِدُ لِعِلَّتِكَ شَافِيًا وَلَا طَبِيبًا، أَنْهَضَ فِي ظُلْمِ الدِّيَاجِي وَنَادٍ مَنْ لَمْ يَزَلْ سَمِيعًا
قَرِيبًا، وَتَضَرَّعَ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَاكَ وَكُنْ فِي دُنْيَاكَ غَرِيبًا، وَالتَّجَى إِلَى ظِلِّ رَحْمَتِهِ
مَسَاءً وَصَبَاحًا، وَفَفَّ عَلَى بَابِهِ تَجِدُهُ بَابًا مُبَاحًا، وَجَنَابًا رَحِيمًا، وَنَادٍ فِي
الْأَسْحَارِ بِلِسَانِ الْاِغْتِدَارِ، وَقُلْ: يَا إِلَهِي، أَنَا الْعَبْدُ الْمُسْكِينُ أَسِيرُ الْأَوْزَارِ،
وَمَا زِلْتُ تَجُودُ عَلَى الْمُخْبِتِينَ بِمَا كَانُوا فِيكَ يُؤْمَلُونَ.

فَسُبْحَانَ مَنْ وَفَّقَ خُلَاصَةً مِنْ خَلْقِهِ وَأَنَالَهُمْ مَا يَطْلُبُونَ، عَاهَدُوا مَوْلَاهُمْ
فَوَجَدُوهُ وَفِيًّا، وَعَامَلُوهُ فَوَجَدُوهُ مَلِيًّا؛ فَهُمْ الَّذِينَ ﴿إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ
خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، قَدْ عَقَرَ كُلُّ مِنْهُمْ وَجْهَهُ الْمَصُونُ، إِذَا خَلَا خَرِيبَتُهُمْ بِنَفْسِهِ
أَنْ وَشَكَا، وَإِذَا تَفَكَّرَ فِي ذُنُوبِهِ تَضَرَّعَ وَبَكَى، وَقَرَّحَ بِالْمَدَامِيعِ الْجُثُونَ، أَقْلَقَهُمُ
الْخَوْفُ فَهُمْ مِنَ الْبُكَاءِ لَا يَمْلُونَ، وَلَزِمُوا الْحَذَرَ، فَهُمْ فِي النَّهَارِ صَائِمُونَ،
وَالْفُؤَا السَّهَرُ، فَهُمْ فِي اللَّيْلِ قَائِمُونَ، إِذَا رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ كَلًّا يَبْكِي عَلَى زَلَّتِهِ،
يَخَافُ مِنْ بَطْشِ اللَّهِ وَسَطَوْتِهِ، وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ.

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا يَتَقَرَّبُ بِهِ
الْمُقَرَّبُونَ، وَلِلزِّيَادَةِ مِنْ فَضْلِهِ يَطْلُبُونَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَدَّجَرَهَا لِيَوْمٍ لَا
يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَأَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ يَتَّبِعُونَ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِيسٍ ۖ ﴿٧﴾ فَكَفَّهِمْ يَمَّا ءَانَهُمْ رَيْحُ رَوْقَتِهِمْ رَيْحُهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ۖ ﴿٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ ﴿٩﴾

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا ءَسَلَفْتُمْ فِي الْآيَاتِ ۖ ﴿٢٤﴾﴾، أَي: هَذَا بِذَلِكَ، تَفَضُّلاً عَلَيْهِمْ وَأَمْتِنَانًا وَإِحْسَانًا، فَلَمَّا أَنَّ قَامُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَاجْتِهَادُوا فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: مِنْ صِيَامٍ وَقِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَتِلَاوَةِ قُرْآنٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، قِيلَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ ذَلِكَ: أَيَّ جَزَاءٍ عَلَى صَنِيعِكُمْ.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الصَّائِمِينَ تُوَضَّعُ لَهُمْ مَائِدَةٌ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، نَحْنُ نَحَاسِبُ وَهَؤُلَاءِ يَأْكُلُونَ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ طَالَمَا صَامُوا وَأَفْطَرْتُمْ، وَقَامُوا وَنِمْتُمْ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ: رَائِحَةُ مَا يَتَصَاعَدُ مِنْهُ مِنَ الْأَبْحَرَةِ لِخُلُوفِ الْمَعِدَةِ مِنَ الطَّعَامِ بِالصَّيَامِ، وَهِيَ رَائِحَةٌ مُسْتَكْرَهَةٌ فِي مَشَامِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، لِكِنَّهَا طَيِّبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، حَيْثُ كَانَتْ نَاشِئَةً عَنْ طَاعَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ مَرْضَاتِهِ.

كَمَا أَنَّ دَمَ الشَّهِيدِ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَغَبُّ دَمًا: لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ، وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ.

وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ مَنْ كَرِهَ السُّوَاكَ لِلصَّائِمِ، أَوْ لَمْ يَسْتَجِبْهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَفِي الْمَسْأَلَةِ خِلَافٌ مَشْهُورٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّمَا كَرِهَهُ مَنْ كَرِهَهُ فِي آخِرِ نَهَارِ الصَّوْمِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ خُلُوفِ الْمَعِدَةِ وَتَصَاعُدِ الْأَبْحَرَةِ.

وَعِنْدَنَا: أَنَّهُ يُسَنُّ قَبْلَ الزَّوَالِ لِلصَّائِمِ، وَيُكْرَهُ بَعْدَهُ، لِقَوْلِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَا أَحْصِي يَتَسَوَّكُ وَهُوَ صَائِمٌ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيلًا.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ حِصَالِ الصَّائِمِ السَّوَاكُ»
رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه.

وَهَذَانِ مَحْمُولَانِ عَلَى مَا قَبْلَ الزَّوَالِ لِحَدِيثِ عَلِيٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «إِذَا صُمْتُمْ فَاسْتَاكُوا بِالْعَدَاةِ، وَلَا تَسْتَاكُوا بِالْعَشِيِّ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.
وَيُكْرَهُ بَعْدَ الزَّوَالِ لِحَدِيثِ الْخُلُوفِ. وَعَنْهُ يُسَنُّ مُطْلَقًا، وَهُوَ اخْتِيَارُ
الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ، قَالُوا: وَهُوَ أَظْهَرُ دَلِيلًا.

وَفِي طَيْبِ رِيحِ خُلُوفِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ مَعْنِيَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الصِّيَامَ لَمَّا كَانَ سِرًّا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ فِي الدُّنْيَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ
فِي الْآخِرَةِ عَلَانِيَةً لِلْخَلْقِ، لِيَسْتَهْرَ بِذَلِكَ أَهْلُ الصِّيَامِ وَيُعْرِفُوا بِصِيَامِهِمْ بَيْنَ
النَّاسِ جَزَاءً لِإِحْقَاقِهِمْ صِيَامَهُمْ فِي الدُّنْيَا، كَمَا رَوَى أَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ
بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «يَخْرُجُ الصَّائِمُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يُعْرَفُونَ
بِرِيحِ أَفْوَاهِهِمْ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

قَالَ مَكْحُولٌ: يَرُوحُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِرَائِحَةِ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا وَجَدْنَا رِيحًا
مُنْذُ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ أَطْيَبَ مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَيَقَالُ: هَذِهِ رَائِحَةُ أَفْوَاهِ الصُّوَامِ.

وَقَدْ تَفُوحُ رَائِحَةُ الصِّيَامِ فِي الدُّنْيَا وَتُسْتَنْشَقُ قَبْلَ الْآخِرَةِ، وَهُوَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ، وَقَدْ وَجَدَ ذَلِكَ. فَقَدْ كَانَ
عَبْدُ اللَّهِ بِنُ غَالِبٍ مِنَ الْعِبَادِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، فَلَمَّا دُفِنَ كَانَ
يَفُوحُ مِنْ ثَرَابِ قَبْرِهِ رَائِحَةُ الْمِسْكِ، فَرُئِيَ بِالْمَنَامِ، فَسُئِلَ عَنْ تِلْكَ الرَّائِحَةِ
الَّتِي تُوجَدُ مِنْ قَبْرِهِ، فَقَالَ: تِلْكَ رَائِحَةُ التَّلَاوَةِ وَالظَّمَا.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: مَا تَسْتَنْشِقُهُ الْأَرْوَاحُ وَالْقُلُوبُ، فَيُوجِبُ ذَلِكَ لِلصَّائِمِينَ
الْمُخْلِصِينَ الْمَوَدَّةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَفِي حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَمَرُكُمْ بِالصَّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يُعْجِبُهُمْ رِيحُهُ، وَإِنَّ رِيحَ الصَّيَامِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

لَمَّا كَانَتْ مُعَامَلَةُ الْمُخْلِصِينَ بِصِيَامِهِمْ لِمَوْلَاهُمْ سِرًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَظْهَرَ اللَّهُ سِرَّهُمْ لِعِبَادِهِ فَصَارَ عَلَانِيَةً، وَصَارَ هَذَا التَّجَلِّي وَالْإِظْهَارُ جَزَاءً لِذَلِكَ الصَّوْنِ وَالْإِسْرَارِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا أَسْرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا عَلَانِيَةً».

قَالَ يُونُسُ بْنُ أَسْبَاطٍ: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: قُلْ لِقَوْمِكَ يُخْفُونَ لِي أَعْمَالَهُمْ وَعَلَيَّ إِظْهَارُهَا».

الْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَأَطَاعَهُ وَطَلَبَ رِضَاهُ فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُ فَنَشَأً مِنْ عَمَلِهِ آثَارٌ مَكْرُوهَةٌ لِلنُّفُوسِ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ تِلْكَ الْأَثَارَ غَيْرُ مَكْرُوهَةٍ عِنْدَ اللَّهِ، بَلْ هِيَ مَحْبُوبَةٌ لَهُ، وَطَيِّبَةٌ عِنْدَهُ، لِكُونِهَا نَشَأَتْ عَنْ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ، فَإِخْبَارُهُ بِذَلِكَ لِلْعَامِلِينَ فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِ تَطْيِيبٌ لِقُلُوبِهِمْ، لِئَلَّا يُكْرَهَ مِنْهُمْ مَا وَجَدَ فِي الدُّنْيَا، فَمَا يَنْشَأُ مِنَ الطَّاعَاتِ فَإِنَّهُ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِهَذَا كَانَ دَمُ الشَّهِيدِ رِيحُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَرِيحِ الْمِسْكِ، وَغَبَارُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذُرِّيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

إِخْوَانِي: خُلُوفُ أَفْوَاهِ الصَّائِمِينَ لَهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، عُرْيُ الْمُحْرَمِينَ لِزِيَارَةِ بَيْتِهِ أَجْمَلُ مِنْ لِبَاسِ الْحُلَلِ، نَوُحُ الْمُذْنِبِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ خَشْيَتِهِ أَفْضَلُ مِنَ التَّسْبِيحِ. انْكِسَارُ الْمُحِبِّينَ لِعَظَمَتِهِ هُوَ الْجَبَرُ. ذُلُّ الْخَائِفِينَ مِنْ سَطَوْتِهِ هُوَ الْعِزُّ. تَهْتِكُ الْمُحِبِّينَ فِي مَحَبَّتِهِ أَحْسَنُ مِنَ السُّتْرِ. بَذْلُ النُّفُوسِ لِلْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ هُوَ الْحَيَاةُ. جُوعُ الصَّائِمِينَ لِأَجْلِهِ هُوَ الشَّبَعُ. عَطَشُهُمْ فِي طَلَبِ مَرْضَاتِهِ هُوَ الرَّيُّ. نَصَبُ الْمُجْتَهِدِينَ فِي خِدْمَتِهِ هُوَ الرَّاحَةُ؛ كَمَا قِيلَ:

ذُلُّ الْفَتَى فِي الْحُبِّ مَكْرَمَةٌ وَخُضُوعُهُ لِحَبِيبِهِ شَرَفٌ

سُبْحَانَ مَنْ أَيْقَظَ الْمُتَّقِينَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ خِلَعَ الْيَقِينِ، وَالْحَقَّهُمْ بِتَوَفِّيهِ فِي السَّابِقِينَ، فَبَاتُوا فِي جِلْبَابِ الْجِدِّ مُسَابِقِينَ، كُلَّمَا لَاحَتْ لَهُمْ فِي مِرَاةِ الْفِكْرِ دُنُوبُهُمْ تَجَافَتْ عَنِ الْمَضَاجِعِ جُنُوبُهُمْ، وَكُلَّمَا نَظَرُوا فَسَاءَهُمْ مَكْتُوبُهُمْ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ، دُمُوعُهُمْ عَلَى الدَّوَامِ تَجْرِي، وَعِزَّتِي لِأُتَيْبَتُهُمْ جَنَاتٍ فِيهَا الْأَنْهَارُ تَجْرِي، عَظُمَتْ قُدْرَتِي فِي صُدُورِهِمْ وَقَدْرِي، فَاسْتَعَادُوا بِوَصَالِي مِنْ هَجْرِي، عَامَلُوا مَوْلَاهُمْ مُعَامَلَةً مَنْ يَفْهَمُ وَيَدْرِي. إِذَا نَامَ أَهْلُ الْبِطَالَةِ فَهُمْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ، وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ، أَمَوَاتٌ عَنِ الدُّنْيَا مَا دَفُنُوا، قَدْ عَمَّضُوا عَنْهَا عُيُونَهُمْ وَحَزَنُوا، وَلَوْ فَتَحُوا أَجْفَانَ الشَّرِّ لَفَتِنُوا، بَاغَوْهَا بِمَا يَبْقَى فَلَا وَاللَّهِ مَا عُيِنُوا، تَاللَّهِ لَقَدْ حَصَلَ مَطْلُوبُهُمْ ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

فَيَا وَيْحَ مَنْ كَانَ مَطْرُودًا عَنِ الْبَابِ، وَيَا خَجَلَةً مَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِتِلَاوَةِ الْكِتَابِ، وَيَا سَوْءَةً مَنْ تَنْقُضِي الْمَوَاعِظَ وَهِيَ مَا تَابَ. أَمَا آنَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يُبْصِرَ وَيَسْمَعَ؟ أَمَا آنَ لِلْجَافِي أَنْ يُنِيبَ إِلَى مَوْلَاهُ وَيَخْشَعَ؟ أَمَا لَكَ عَيْنٌ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ تَذْمَعُ؟ تَاللَّهِ إِنَّ مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ لَوْ خُوطِبَ بِهَا جَبَلٌ لَتَصَدَّعَ، وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَى الْقُلُوبِ الْهَوَى وَالْعَفْلَةُ، فَالْوَعُظُ فِيهِ لَا يَنْفَعُ، وَأَسْتَوَلَى عَلَيْهَا حُبُّ الدُّنْيَا فَهِيَ لَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ.

شِعْر:

فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَادِرْ إِلَى التَّقَى	وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُهْمَلُ
وَأَكْثِرْ مِنَ التَّقْوَى لِتَحْمَدَ غِبَّهَا	بِدَارِ الْجَزَا دَارُ بِهَا سَوْفَ تَنْزِلُ
وَقَدِّمْ لِمَا تُقَدِّمُ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا	غَدَا سَوْفَ تُجْزَى بِالَّذِي أَنْتَ تَفْعَلُ
وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ لَا تُهْمِلَنَّهَا	فَإِنَّكَ إِنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمَلُ
فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وَأَهْدَى سَبِيلَهَا	بِهَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانُ مَا كَانَ يَعْمَلُ

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾

قَالَ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ: فَتَأَمَّلْ جَلَالَهَ الْمُبَشِّرِ وَمَنْزِلَتَهُ وَصِدْقَهُ، وَعَظَمَتَهُ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْكَ بِهَذِهِ الْبِشَارَةِ، وَقَدَّرَ مَا بَشَّرَكَ بِهِ وَضَمَّنَهُ لَكَ عَلَى أَسْهَلِ شَيْءٍ عَلَيْكَ وَأَيْسَرِهِ، وَجَمَعَ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْبِشَارَةِ بَيْنَ نَعِيمِ الْبَدَنِ بِالْجَنَّاتِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْهَارِ وَالثَّمَارِ، وَنَعِيمِ النَّفْسِ بِالْأَزْوَاجِ الْمُطَهَّرَةِ، وَنَعِيمِ الْقَلْبِ بِقُرَّةِ الْعَيْنِ، بِمَعْرِفَةِ دَوَامِ هَذَا الْعَيْشِ أَبَدَ الْأَبَادِ، وَعَدَمِ انْقِطَاعِهِ.

وَالْأَزْوَاجُ: جَمْعُ زَوْجٍ، وَالْمَرْأَةُ: زَوْجُ الرَّجُلِ، وَهُوَ زَوْجُهَا، هَذَا هُوَ الْأَفْصَحُ. وَالْمُطَهَّرَةُ: الَّتِي طُهِرَتْ مِنَ الْحَيْضِ وَالْبَوْلِ وَالنَّفَاسِ وَالْعَائِطِ وَالْمُخَاطِ وَالْبُصَاقِ، وَكُلُّ قَذَرٍ وَكُلُّ أَذَى يَكُونُ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا، وَطَهَّرَ مَعَ ذَلِكَ بَاطِنَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَالصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ، وَطَهَّرَ لِسَانَهَا مِنَ الْفُحْشِ وَالْبَذَاءِ، وَطَهَّرَ طَرَفَهَا مِنْ أَنْ تَظْمَحَ بِهِ إِلَى غَيْرِ زَوْجِهَا، وَطَهَّرَ أَثْوَابَهَا مِنْ أَنْ يَغْرِضَ لَهَا دَنَسٌ أَوْ وَسَخٌ.

وَقَالَ أَيْضًا بَعْدَ سِيَاقِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ رَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾، فَجَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ حُسْنِ الْمَنْزِلِ وَحُصُولِ الْأَمْنِ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَأَشْتَمَالِهِ عَلَى الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَحُسْنِ اللَّبَاسِ، وَكَمَالِ الْعِشْرَةِ بِمُقَابَلَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَتَمَامِ اللَّذَّةِ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَدُعَائِهِمْ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ مَعَ أَمْنِهِمْ مِنْ انْقِطَاعِهَا وَمَضَرَّتِهَا وَعَائِلَتِهَا، وَخِتَامُ ذَلِكَ أَعْلَمُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ هُنَاكَ مَوْتًا.

وَالْحُورُ: جَمْعُ حَوْرَاءَ، وَهِيَ الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ الْحَسَنَاءُ الْجَمِيلَةُ الْبَيْضَاءُ، شَدِيدَةُ سَوَادِ الشَّعْرِ. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: الْحَوْرَاءُ: الَّتِي يَحَارُ فِيهَا الطَّرْفُ. وَعَيْنٌ: حِسَانُ الْأَعْيُنِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْحَوْرَاءُ: الَّتِي يَحَارُ فِيهَا الطَّرْفُ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ وَصَفَاءِ
الَّلَّوْنِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْحَوْرَاءُ: شَدِيدَةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ، شَدِيدَةُ سَوَادِ الْعَيْنِ، وَلَا
تُسَمَّى الْمَرْأَةُ حَوْرَاءَ حَتَّى تَكُونَ مَعَ حَوْرٍ عَيْنُهَا بَيَضَاءٌ لَوْنِ الْجَسَدِ.

وَالْعَيْنُ: جَمْعُ عَيْنَاءٍ، وَهِيَ الْعَظِيمَةُ الْعَيْنِ مِنَ النِّسَاءِ؛ وَالصَّحِيحُ: أَنَّ
الْعَيْنَ اللَّاتِي جَمَعَتْ أَغْيُنُهُنَّ صِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْمَلَا حَةَ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: الْعَيْنُ: حِسَانُ الْأَعْيُنِ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيَن خَيْرَاتُ
حِسَانٍ﴾ ٥٧، الْخَيْرَاتُ: جَمْعُ خَيْرَةٍ، وَهِيَ مُحَفَفَةٌ مِنْ خَيْرَةٍ كَسَيِّدَةٍ وَلَيِّنَةٍ.
وَحِسَانٌ: جَمْعُ حَسَنَةٍ، فَهِنَّ خَيْرَاتُ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشَّيَمِ، حِسَانُ
الْوُجُوهِ. اُنْتَهَى.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ حَوْرَاءَ يُقَالُ لَهَا:
الْعَيْنَاءُ، إِذَا مَشَتْ مَشَى حَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفٍ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا
كَذَلِكَ، وَهِيَ تَقُولُ: أَيْنَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟».

وَقَالَ عَطَاءُ السُّلَمِيِّ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: يَا أَبَا يَحْيَى، شَوْقُنَا، قَالَ: يَا
عَطَاءُ، إِنَّ فِي الْجَنَّةِ حَوْرَاءَ يَتَبَاهَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بِحُسْنِهَا، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
كَتَبَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ أَلَّا يَمُوتُوا لَمَاتُوا مِنْ حُسْنِهَا، فَلَمْ يَزَلْ عَطَاءُ كِمْدًا مِنْ
قَوْلِ مَالِكٍ.

وَذَكَرَ أَبُو الدُّنْيَا عَنْ صَالِحِ الْمُرِّي عَنْ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ
نُورًا سَطَعَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يَبْقَ مَوْضِعٌ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا دَخَلَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ فِيهِ،
فَقِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: حَوْرَاءُ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا.

قَالَ صَالِحٌ: فَشَهِقَ رَجُلٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْهَقُ حَتَّى مَاتَ.

وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةٍ قَالَ: إِنَّ مِنَ الْمَزِيدِ أَنْ تَمُرَّ السَّحَابَةُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ

فَتَقُولُ: مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ أُمْطِرَكُمْ؟ فَلَا يَتَمَنَّوْنَ شَيْئًا إِلَّا أُمْطِرُوا، قَالَ - يَقُولُ
كَثِيرٌ - لَيْنَ أَشْهَدَنِي اللَّهُ ذَلِكَ لَأَقُولَنَّ أُمْطِرِنَا حَوَارِي مَرْيَنَاتِ.

وَقَدْ رَوِيَ أَنَّ الْحُورَ يَدْعُونَ لِأَزْوَاجِهِنَّ يَقُلْنَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّهِ عَلَى دِينِكَ،
وَأَقْبِلْ بِقَلْبِهِ عَلَى طَاعَتِكَ، وَبَلِّغْهُ بِعِزَّتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ مُعَاذِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُؤْذِي أَمْرَأَةً زَوْجَهَا فِي
الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلُكَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ
دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا».

رَوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي
بَعْضِ اللَّيَالِي أَخَذَتْهُ دَلَالَةٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ فَقَالَ: إِلَهِي أَرِنِي مَا أَعَدَدْتَ لِي فِي
الْجَنَّةِ، وَأَخْبِرْنِي بِمَا أَعَدَدْتَ لِي مِنَ الْحُورِ الْحَسَنَاتِ، فَمَا اسْتَتَمَ كَلَامَهُ حَتَّى
انْشَقَّ الْمَخْرَابُ فَخَرَجَتْ مِنْهُ حُورِيَّةٌ لَوْ خَرَجَتْ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا لَفَتَنَتْهُمْ، فَقَالَ
لَهَا: إِنْسِيَّةٌ أَنْتِ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

شَكُوتُ إِلَى الْمَوْتِ وَقَدْ عَلِمَ الشُّكْوَى وَأَعْطَاكَ مَا تَرْجُو وَقَدْ كَشَفَ الْبَلْوَى
وَأَرْسَلَنِي أَنْسَا إِلَيْكَ وَإِنِّي أَنَا جِيكَ طُولَ اللَّيْلِ لَوْ تَسْمَعُ التَّجْوَى

فَقَالَ: يَا جَارِيَّةُ، لِمَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا لَكَ، فَقَالَ: كَمْ لِي مِثْلِكَ؟
قَالَتْ: مِائَةُ حُورِيَّةٍ، وَلِكُلِّ حُورِيَّةٍ مِائَةُ خَادِمَةٍ، وَلِكُلِّ خَادِمَةٍ مِائَةُ وَصِيفَةٍ،
وَلِكُلِّ وَصِيفَةٍ مِائَةُ فَهْرَمَانَةٍ، فَفَرَحَ وَقَالَ: يَا حُورِيَّةُ، هَلْ أُعْطِيَ أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنِّي؟
قَالَتْ: يَا مِسْكِينُ، عَطَاؤُكَ عَطَاءُ الْبَطَالِينِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَيَغْفِرُ
لَهُمْ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ:

وَلَهُ خَصَائِصُ مُصْطَفُونَ بِحُبِّهِ اخْتَارَهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
اخْتَارَهُمْ مِنْ قَبْلِ فِطْرَةِ خَلْقِهِ فَهُمْ وَدَائِعُ حِكْمَةٍ وَبَيَانِ

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ، وَأَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ الْمُقَرَّبِينَ
وَالْأَبْرَارِ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ، وَأَرْشِدْنَا بِرُشْدِكَ حَتَّى تُقِيمَنَا عَلَى مَا يُرْضِيكَ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ، وَأَسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ، وَأَسْتَنْصِرَكَ فَتَنْصَرْتَهُ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ فَارْحَمْتَهُ، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ، رَعُوفٌ رَحِيمٌ.

اللَّهُمَّ أَحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ السُّعْدَاءِ وَالْمُتَّقِينَ، وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي الدِّينِ، وَلَا مِنْ رَحْمَتِكَ مَحْرُومِينَ، وَلَا عَنْ بَابِكَ مَظْرُودِينَ، وَأَغْفِرْ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الْعِشْرُونَ

فِي فَضْلِ الْاِغْتِكَافِ وَلِزُومِ الْمَسَاجِدِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْضَحَ سُبُلَ هِدَايَتِهِ لِأَرْبَابِ وَلَايَتِهِ وَأَبْهَجَ، وَحَرَّكَ أَهْلَ عِبَادَتِهِ إِلَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَأَزْعَجَ، وَأَبْدَى بَدَائِعَ قُدْرَتِهِ فِي مُحْكَمِ صَنْعَتِهِ وَأَخْرَجَ، وَنَزَّلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَأَيَّنَ الَّذِي بِالْمُنَاجَاةِ وَالْاِسْتِغْفَارِ يُلْهَجُ، لِيُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، وَيَغْفِرَ الزَّلَّاتِ، وَيُعْطِيَ الْمَسْئُولَاتِ، وَهُوَ أَهْلُ الْكَرَمِ وَالسَّمَاحِ، الْغَنِيُّ الَّذِي مِنْ فَضْلِهِ الْعَطَايَا تُرْتَقَبُ، وَالْمَصَائِبُ فِي جَنْبِ أَجْرِهِ تُحْتَسَبُ، وَالْخَيْرَاتُ مِنْ نَيْلِهِ تُكْتَسَبُ، وَالْمَوْفُوقُ الَّذِي هَيَّا قُلُوبَ أَحْبَابِهِ لِلْإِيمَانِ وَكَتَبَ، وَحَلَّى لَهُمْ فِي طَاعَتِهِ التَّعَبَ وَالنَّصَبَ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْفَتَّاحُ، الْمُجْزِلُ لِمَنْ عَامَلَهُ جَزِيلَ الْأَرْبَاحِ، الَّذِي لَا يَخِيبُ مَنْ رَجَاهُ، وَلَا يَظْرُدُ مَنْ عَصَاهُ إِذَا تَابَ مِمَّا جَنَاهُ، وَمَنْ قَرَعَ بَابَهُ أَجَابَ دُعَاهُ، وَعَلَى عَتَبَاتِ بَابِهِ يَزْدَجِمُ الطَّالِبُونَ لِنَيْلِ الْمَطَالِبِ وَالنَّجَاحِ. فَالِقُ الْإِصْبَاحِ، وَخَالِقُ الْأَرْوَاحِ، وَمُصَوِّرُ الْأَشْبَاحِ، وَفِي بَحَارِ كَرَمِهِ تَجْرِي مَرَائِبُ الْخَلْقِ لِاِكْتِسَابِ الْأَرْبَاحِ، هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، الْمُنْفَرِدُ بِحَقِيقَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْعَالِمُ بِكُلِّ الْأَمْرِ خَفِيٍّ وَجَلِيٍّ، وَسَاتِرُ الْعَاصِي وَهُوَ إِلَيْهِ نَاطِرٌ، وَمُطَّلِعٌ عَلَى أَفْعَالِهِ الْقِيَاحِ.

فُسْبَحَانَهُ مِنْ مُسَبِّحٍ فِي الْآثَاءِ وَالْأَوْقَاتِ، وَالْعُدُوِّ وَالرَّوَّاحِ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا يَسَّرَ لَنَا مِنَ الْأُمُورِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ قَبِلَ مِنَّا الْيَسِيرَ
وَضَاعَفَ لَنَا الْأَجُورَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا صَرَفَ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَأَزَاحَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَسْتَفْتِحُ بِهَا بَابَ
الْجَنَّةِ، فَهِيَ لَهُ مِفْتَاحٌ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى
وَالصَّلَاحِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخَصَّ مِنْهُمْ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبَ
الْمُخْتَارِ وَثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ، الَّذِي وَقَى الرَّسُولَ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ
وَكَانَ ضَجِيعُهُ فِي الرَّمْسِ وَفَضَائِلُهُ جَلِيلَةً، وَهِيَ خَلِيَّةٌ مِنَ اللَّبْسِ. يَا عَجَبًا مَنْ
يُعْطِي عَيْنَ الشَّمْسِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ. وَعَلَى عُمَرَ الْفَارُوقِ وَفَاتِحِ الْأُمُصَارِ،
وَسَيْفِ اللَّهِ الْمَسْلُوبِ عَلَى أَغْنَاكِ الْكُفَّارِ. وَعَلَى عُثْمَانَ ذِي الثَّوَرَيْنِ وَشَهِيدِ
الدَّارِ، وَعَلَى زَوْجِ الْبَتُولِ وَرَابِعِ الْخُلَفَاءِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ.

يَا وَنَحْ مَنْ طَعَنَ عَلَى الصَّحَابَةِ فَقَدْ بَاءَ بِالْحَسَارِ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ، وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ مِنَّا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَا بَدَأَ نَجْمٌ وَلَا حَ، فَصَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّم تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ وَنُفَعُوا فِيهَا أَنْفُسُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ
فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ۖ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ يَحَدُّ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۖ﴾.

هَذِهِ الْآيَاتُ فِي ذِكْرِ الْمَسَاجِدِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ
الْأَرْضِ، وَهِيَ بُيُوتُهُ الَّتِي يُعْبَدُ فِيهَا وَيُؤَخَذُ، وَفِيهَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
بِتَعَاهِدِهَا وَتَطْهِيرِهَا مِنَ الدَّنَسِ وَاللَّغْوِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهَا.

وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ بِأَنَّهُمْ فِي بُيُوتِهِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْ
تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ.

قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: يُتْلَى كِتَابُهُ، وَهَذَا فِيهِ إِشْعَارٌ بِهِمَمِهِمُ السَّامِيَةِ وَنِيَّاتِهِمْ

وَعَزَائِمُهُمُ الْعَالِيَةِ الَّتِي صَارُوا بِهَا عُمَارًا لِلْمَسَاجِدِ، وَيُسَبِّحُونَ لَهُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
وَأَخِرِهِ فِيهَا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: الْمُرَادُ بِهِ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، وَأَمْتَدَحَهُمُ تَعَالَى
بَأَنَّهُمْ لَا تُلْهِيُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، أَيْ
يُقَدِّمُونَ طَاعَتَهُ وَمُرَادَهُ وَمَحَبَّتَهُ، عَلَى مُرَادِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ.

قَالَ مَطَرُ الْوَرَّاقِ: كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ، وَلَكِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا سَمِعَ
النِّدَاءَ وَمِيزَانَهُ فِي يَدِهِ خَفَضَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّلَاةِ.

قَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي فَضْلِ لُزُومِ الْمَسَاجِدِ وَبِنَائِهَا، وَالتَّرَدُّدِ إِلَيْهَا
وَتَنْظِيفِهَا، فَتُشِيرُ إِلَى بَعْضِهَا لِلْفَائِدَةِ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ
اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ،
وَرَجُلٌ مَعْلُقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا
عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ أَمْرَاءُ دَاثَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ
تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ
خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمْ
الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ فَأَشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ، قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَعْمرُ مَسْجِدَ
اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَأَبْنُ مَاجَهَ
وَعِثْرُهُمَا.

وَعَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَلِفَ الْمَسْجِدَ أَلِفَهُ اللَّهُ» رَوَاهُ
الطَّبْرَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا قَدَّرَ
مِفْحَصَ قِطَاعٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَأَبْنُ حِبَّانَ.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ - عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ - حِينَ بَنَى مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ أَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ لِقَى اللَّهَ بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَفِي لَفْظِ ابْنِ حِبَّانَ قَالَ: «مَنْ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ آتَاهُ اللَّهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَهُوَ زَائِرُ اللَّهِ وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرُهُ».

وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ أَبِي قُرْصَافَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِخْرَاجُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمَسْجِدِ مُهُورُ الْحُورِ الْعَيْنِ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ.

وَأَخْرَجَ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُنْسُ الْمَسَاجِدِ مُهُورُ الْحُورِ الْعَيْنِ».

وَلَمَّا رَأَى ﷺ نُخَامَةً فِي قُبْلَةِ الْمَسْجِدِ تَغَيِّظُ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَكَّهَا، قَالَ الرَّائِي: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: فَدَعَا بِزَعْفَرَانٍ فَلَطَّخَهُ بِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَبَلَ وَجْهَ أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى فَلَا يَبْصُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ.

فَمِمَّا تُصَانُ عَنْهُ الْمَسَاجِدُ الْقَادُورَاتُ، كَالْبَصَاقِ وَالْمُخَاطِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ.

وَمِمَّا تُصَانُ عَنْهُ الْمَسَاجِدُ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ وَرَفْعُ الْأَصْوَاتِ وَإِنْشَادُ الضَّالَّةِ، وَيُمْنَعُ مِنْهَا جُنُبٌ وَحَائِضٌ، فَلَا يَلْبَثَانِ بَعِيرٌ وَضُوءٌ.

وَتُصَانُ الْمَسَاجِدُ عَنِ الْخَوْضِ بِكَلَامٍ لَا فَائِدَةَ فِيهِ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ وَحَدِيثِ الدُّنْيَا، وَعَنِ الصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ، وَيَحْرُمُ التَّكْسُبُ فِي جَمِيعِ الصَّنَاعَاتِ فِيهَا.

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُقَدِّمَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، وَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ إِنْ كَانَ غَيْرَ وَقْتِ نَهْيٍ وَهُوَ عَلَى وَضُوءٍ، وَأَنْ يَسْتَغْلَلَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالْقِرَاءَةِ وَالصَّلَاةِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ: وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ. وَمِنْ لُزُومِ الْمَسَاجِدِ الْأَعْتِكَافُ فِيهَا.

رُويَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَعْتَكَفَ عَشْرًا فِي رَمَضَانَ كَانَ كَحَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَأَخْرَجَ هُوَ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ عليه السلام عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَةَ خَنَادِقَ، أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْخَافِقِينَ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشَرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ أَعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ».

وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: «السَّنَةُ لِلْمُعْتَكِفِ أَلَّا يَعُودَ مَرِيضًا، وَلَا يَشْهَدَ جَنَازَةً، وَلَا يَمَسَّ أَمْرًا، وَلَا يُبَاشِرَهَا، وَلَا يَخْرُجَ لِحَاجَةٍ إِلَّا لِمَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، وَلَا أَعْتَكَفَ إِلَّا بِصَوْمٍ، وَلَا أَعْتَكَفَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَآخِرُهُ مَوْقُوفٌ.

وَكَانَ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشَرَ الْأَوَّخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ﷻ،
وَتَرَكَهُ مَرَّةً فَقَضَاهُ فِي شَوَّالٍ، وَأَعْتَكَفَ مَرَّةً فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ الْوُسْطَى، ثُمَّ
الْعَشْرِ الْآخِرَةِ يَلْتَمِسُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرَةِ، فَدَاوَمَ
عَلَى أَعْتِكَافِهِ حَتَّى لَحِقَ بِرَبِّهِ ﷻ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِخَبَاءٍ فَيُضْرَبُ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ
يَخْلُو فِيهِ بِرَبِّهِ ﷻ.

إِخْوَانِي: سَارَ الْمُتَّقُونَ وَرَجَعْنَا، وَوَصَلُّوا وَأَنْقَطَعْنَا، وَأَصَابُوا بِأَجْتِهَادِهِمْ
وَبِالتَّقْرِيطِ أَخْطَأْنَا، وَنَجَّوْا مِنْ حَبَائِلِ الشَّهَوَاتِ وَوَقَعْنَا. يَا نَائِمًا كَمْ هَذَا
الْمُجُوعُ، إِلَى مَتَى بِالْهَوَى هَذَا الْوُلُوعُ، أَتَنْفَعُكَ وَقْتُ الْمَوْتِ الدُّرُوعُ، إِلَى مَتَى
عَنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا لَا تُشْمَرُ إِلَى التُّرُوعِ؟ فَمَلِكُ الْمَوْتِ إِذَا جَاءَ لَيْسَ بِمَمْنُوعِ،
هَيْهَاتَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ الذُّلُّ وَلَا الْخُضُوعُ، وَلَيْسَ لَكَ شَافِعٌ وَلَا مَشْفُوعٌ. هَذَا
وَمَلِكُ الْمَوْتِ يَسْلُهَا مِنْ بَيْنِ الضُّلُوعِ، وَتَأَسَّفْتَ عَلَى مَالِكَ الْمَجْمُوعِ. شَقَّكَ
سَهْمُ الْمُنُونِ وَمَا أَغْنَتْ الدُّرُوعُ. وَخَلَّتْ مِنْكَ الْمَسَاكِينُ وَفَرَعَتِ الرُّبُوعُ،
وَتَمَتَّتِ الزِّيَادَةَ مِنَ السُّجُودِ وَالرُّكُوعِ. شِعْر:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ يَا كَاشِفَ الضَّرِّ وَالْبَلَوَى مَعَ السَّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفَدَكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَأَنْتَبَهُوا وَأَنْتَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنِمِ
هَبْ لِي بِجُودِكَ مَا أَخْطَأْتُ مِنْ جُرْمِ يَا مَنْ إِلَيْهِ أَشَارَ الْخَلْقُ بِالْكَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَمْ يَسْبِقْ لِمُجْتَرِمِ فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالنِّعَمِ؟

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝ لَهُمْ فِيهَا فَنَكَّهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ۝﴾، وَقَالَ ﷻ:
﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝﴾.

عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ ۝﴾. قَالَ: فِي اقْتِضَاضِ الْأَبْكَارِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: شَعَلَهُمْ أَفْتِضَاضُ الْعَذَارَى.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ مِائَةِ فِي الْجَمَاعِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَّازُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْهُ أَيْضًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «أَنْطَأُ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا؛ فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ لَقِيطِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ نَطْلُعُ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: عَلَى أَنْهَارٍ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَأَنْهَارٍ مِنْ خَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ مَا بَهَا صُدَاعٌ وَلَا نَدَامَةٌ، وَأَنْهَارٍ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَفَاكِهَةٍ لَعَمْرُ إِلَهِكُمْ مِمَّا تَعْلَمُونَ وَخَيْرٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَأَزْوَاجٍ مُطَهَّرَةٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَنَا فِيهَا أَزْوَاجٌ مُصْلِحَاتٌ؟ قَالَ: الصَّالِحَاتُ لِلصَّالِحِينَ، تَلَذُّونَ بِهِنَّ مِثْلَ لَذَاتِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَيَلَذَّنَ بِكُمْ غَيْرَ أَلَّا تَوَالِدَ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو الشَّيْخِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا أَشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي».

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُوْتَى الْحَمْلَ وَالْوِلَادَةَ فِي الْجَنَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْفِيهِ.

وَعَنِ الطَّبْرَانِيِّ «أَنَّهُ ﷺ سُئِلَ: هَلْ يَتَنَاقَحُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بِذِكْرِ لَا يَمَلُّ وَشَهْوَةٌ لَا تَنْقُطُ دَحْمًا دَحْمًا».

وَقَدْ رَوَى أَنَّ شَهْوَتَهُ لَتَجْرِي فِي جَسَدِهَا سَبْعِينَ عَامًا يَجِدُ اللَّذَّةَ، وَلَا

يَلْحَقُهُمْ بِذَلِكَ جَنَابَةٌ فَيَحْتَاجُونَ لِلتَّطْهِيرِ، وَلَا ضَعْفٌ وَلَا أَنْحِلَالٌ قُوَّةً، بَلْ وَظُؤُهُمْ وَظَاءُ التِّدَاذِ وَنَعِيمٌ، لَا آفَةَ فِيهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَأَكْمَلُ النَّاسِ فِيهِ أَضْوَانُهُمْ لِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَنِ الْحَرَامِ، فَمَنْ أَسْتَوْفَى طَيِّبَاتِهِ وَلَذَاتِهِ وَأَذْهَبَهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ حُرْمَهَا هُنَاكَ، كَمَا نَفَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَنْ أَذْهَبَ طَيِّبَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعَ بِهَا.

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَغَيْرُهُ عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَطْمِئْنَنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾، قَالَ: «هُنَّ نِسَاءُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَلَقَهُنَّ اللَّهُ فِي الْخَلْقِ الْآخِرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْسًا ۖ فَعَلَّاهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرْيًا اتِّبَابًا ۖ﴾ (١٧)، لَمْ يَطْمِئْنَنْ حِينَ عُدْنَ فِي الْخَلْقِ الْآخِرِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ».

وَأُخْتُفِلَ هَلِ الْمُرَادُ بِذَلِكَ نِسَاءُ الدُّنْيَا أَمْ الْحُورُ الْعَيْنُ؟

قَالَ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ: قُلْتُ: ظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّ هَؤُلَاءِ النِّسَاءَ لَسْنَ مِنَ نِسَاءِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا هُنَّ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَانَتْهُنَّ أَلْيَافُتُ وَالْمَرْحَانُ ۖ﴾ (٥٨)، قَالَ: «يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ، وَإِنْ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتَضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَإِنَّهُ يَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا يَنْقُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مَخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ.

فَهَذَا نَعْتُ أَزْوَاجِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا خُلِقْنَ لِأَقْوَامِ كِرَامٍ، قَدْ أَدَامُوا الصِّيَامَ وَلَا زَمُوا الْقِيَامَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ۖ﴾ (٣١).

لِلَّهِ دَرُّ أَقْوَامٍ امْتَثَلُوا مَا أُمِرُوا، وَزَجَرُوا عَنِ الزَّلَلِ فَانْتَزَجَرُوا، فَإِذَا لَاحَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا غَابُوا وَإِذَا بَانَ حَضَرُوا، فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا حُشِرُوا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ فَسَهَرُوا، وَطَالَعُوا صُحُفَ الذُّنُوبِ فَانْكَسَرُوا، وَطَرَفُوا

بَابُ الْحَبِيبِ وَاعْتَذَرُوا، وَبَالَغُوا فِي الْمَطْلُوبِ ثُمَّ حَذَرُوا، فَأَنْظَرُوا بِمَاذَا
وَعُدُوا فِي الذِّكْرِ وَذَكِّرُوا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

قُلُوبُهُمْ فِي الْخِدْمَةِ حَضَرَتْ، أَسْرَارُهُمْ بِالصَّدَقِ عُمِرَتْ، كَمْ شَهْوَةٍ فِي
صُدُورِهِمْ أَنْكَسَرَتْ، أَخْبَارُهُمْ تُحْيِي الْقُلُوبَ إِذَا نُشِرَتْ، وَيُقَالُ عَنِ الْقَوْمِ إِذَا
نُشِرُوا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

جَدُّوا وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَلْعَبُ، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا وَتَرَكُوهَا تَخْرُبُ، وَأَذَابُوا
أَبْدَانَهُمْ بِقِلَّةِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، فَعَدَا يُقَالُ كُلُّ يَا مَنْ لَمْ يَأْكُلْ، وَأَشْرَبَ يَا
مَنْ لَمْ يَشْرَبْ، أَذْكَارُهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ قُبِرُوا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَأَنَّ مَنْ وَافَقَ مُرَادَهَا أَضَرَ دِينَهُ،
فَحَقَرُوا غُرُورًا يَغُرُّ غَيْبُهُ، فَرَكِبُوا مِنَ الثَّقَى سَفِينَةً قَدْ شَحَنُوهَا بِالزَّادِ وَعَبَرُوا
﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

طُوبَى لَهُمْ وَالْأَمْلاكُ تَتَلَقَّاهُمْ، خَافُوا أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ فَوَقَّاهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ
ظَمَأً فَسَقَّاهُمْ، كَشَفَ الْحِجَابَ عَنْ قُلُوبِهِمْ فَأَرَاهُمْ، هَذَا وَالْحُورُ الْعَيْنُ فِي
الْجَنَّاتِ تَتَلَقَّاهُمْ، فَيَا طُوبَى لَهُمْ قَدْ بَلَغُوا وَقَدْ ظَفِرُوا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا
صَبَرُوا﴾.

شِعْر:

فَمَا لَكَ مَطْرُودٌ وَغَيْرُكَ مُزْلَفٌ وَتَسْعَى لِمَا تَهْوَى عَلَى غَيْرِ حَاصِلٍ
فَهَلْ لَكَ سَهْمٌ فِي أَغْتِنَامِ مَوَاسِمٍ بِهَا نَيْلُ أَرْبَاحٍ لِأَهْلِ الْفَضَائِلِ

اللَّهُمَّ يَا كَرِيمُ يَا جَوَادُ، يَا رَءُوفًا بِالْعِبَادِ، يَا مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا
أَوْعَدَ عَفَا وَجَادَ. نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَأَنْ
تُعِيدَنَا مِنَ النَّارِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَعْمَالِ.

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْكَرَمِ الْعَمِيمِ، وَالرُّكْنِ الْعَظِيمِ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنَا فِي جَنَّتِ

النَّعِيمِ، وَتُمَتَّعَنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَأَجْزِلَ مِنْ رِضْوَانِكَ حَظَّنَا، وَعَافِنَا
وَأَعْفَ عَنَّا، وَأَغْفِرْ لِرِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ،
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ فِي ذِكْرِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَفَضْلِ الْاِغْتِكَافِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ مُتَّصِفًا، وَبِآثَارِ رُبُوبِيَّتِهِ وَآلَائِهِ
إِلَى عِبَادِهِ مُتَعَرِّفًا، وَأَحَاطَ عِلْمًا بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا اخْتَفَى،
وَأَظْلَعَ عَلَى الظَّوَاهِرِ وَالْأَسْرَارِ، الْمَلِكِ الَّذِي تَقَرَّدَ بِالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَالْحَفْضِ
وَالرَّفْعِ، وَالْوَصْلِ وَالْقَطْعِ، وَبِتَوْفِيقِهِ وَفَضْلِهِ قَارَ الْأَبْرَارُ. اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ
خُلَاصَةً وَجَعَلَ حَظَّهُمْ لَدَيْهِ حَظًّا مَوْفُورًا، وَنَصَبَ أَقْدَامَهُمْ لِيَخْدُمَتِهِ، وَجَعَلَ
وَقْتَهُمْ فِي الطَّاعَةِ مَعْمُورًا. وَالسَّعِيدُ مَنْ اسْتَقَامَ قَلْبُهُ عَلَى الْحَقِّ وَاسْتَنَارَ،
أَنْقَظَهُمْ مِنْ بَيْنِ النَّائِمِينَ، وَنَبَّهَهُمْ مِنْ بَيْنِ الرَّاقِدِينَ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَافِلِينَ
فُرُوقًا لِأَهْلِ الْأَعْتِبَارِ، اسْتَعَذَّبُوا مَا يُرْضِي الْحَبِيبَ، وَقَامُوا بِقَلْبٍ لِلْمَوْلَى
مُنِيبٍ، يُرَاقِبُونَ رَبًّا جَلَّ أَنْ تُحِيطَ بِهِ الْأَفْكَارُ.

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ تَقَرَّدَ بِالْإِبْجَادِ وَالْإِخْتِيَارِ، وَتَنَزَّاهُ عَنْ مُشَابَهَةِ الْأَغْيَارِ،
وَتَوَحَّدَ بِالْبَقَاءِ عَلَى مَمَرِّ الزَّمَانِ وَتَوَالِي الْأَعْصَارِ، الْمَلِكُ الْقَهَّارُ، الْعَظِيمُ
الْجَبَّارُ، الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ، الَّذِي يَرْحَمُ مَنْ قَصَدَ جَنَابَهُ، وَيُقَرِّبُ أَوْلِيَائَهُ وَأَحْبَابَهُ،
وَيَفْتَحُ لِلتَّوَابِ أَبْوَابَهُ، لِيَجْزِيَ الْكَاسِيرَ، وَيُعْنِيَ الْفَقِيرَ، وَيَغْفِرَ الْأَوْزَارَ.

أَحْمَدُهُ عَلَى جَزِيلِ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى سَوَابِغِ كَرَمِهِ وَأَمْتِنَانِهِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ وَسُلْطَانِهِ، شَهَادَةً أَدْخَرَهَا لِيَوْمٍ لَا تَنْفَعُ فِيهِ الْأَعْدَارُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ، نَبِيُّ شَرَحَ اللَّهُ

صَدْرُهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وَزْرَهُ، وَجَعَلَ الذَّلَّ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبِرَّةِ الْأَظْهَارِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الْآيَةَ، هَذِهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ، وَشَهَادَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ لِعُمَارِ الْمَسَاجِدِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ» وَالْمُرَادُ بِعِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ عِمَارَتُهَا بِالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَالتَّوْحِيدِ، لَا مُجَرَّدُ الْعِمَارَةِ بِالْبِنَاءِ مَعَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ. فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ شَدَّ الْمُتَزَرَ وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ الْمُتَزَرَ». وَلِمُسْلِمٍ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ».

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْصُصُ الْعَشْرَ الْآخِرَ مِنْ رَمَضَانَ بِأَعْمَالٍ لَا يَعْمَلُهَا فِي بَقِيَّةِ الشَّهْرِ. فَمِنْهَا: الْاِعْتِكَافُ، فَإِنَّهُ كَانَ يُدَاوِمُ عَلَيْهِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَطْلُبُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَعْتَكِفُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ الَّتِي يَطْلُبُ فِيهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَطْعًا لِاشْتِغَالِهِ، وَتَفْرِيعًا لِبَالِهِ، وَتَخَلُّيًا لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ، وَذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ.

وَكَانَ يَحْتَجِزُ حَصِيرًا يَتَخَلَّى فِيهَا عَنِ النَّاسِ فَلَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَشْتَعِلُ بِهِمْ، وَلِهَذَا ذَهَبَ إِمَامُ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ إِلَى أَنَّ الْمُعْتَكِفَ لَا يُسْتَحَبُّ لَهُ مُحَالَظَةُ النَّاسِ، حَتَّى وَلَا لِتَعْلِيمِ عِلْمٍ وَإِقْرَاءِ قُرْآنٍ، بَلِ الْأَفْضَلُ لَهُ الْانْفِرَادُ بِنَفْسِهِ، وَالتَّخَلِّي بِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ، وَذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ. وَهَذَا الْاِعْتِكَافُ هُوَ الْخُلُوءُ الشَّرْعِيُّ، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَسَاجِدِ، لِئَلَّا يَتْرَكَ بِهِ الْجُمُعَ وَالْجَمَاعَاتِ، فَإِنَّ الْخُلُوءَ الْقَاطِعَةَ عَنِ الْجُمُعِ وَالْجَمَاعَاتِ مِنْهَى عَنْهَا.

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَلَا يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ
وَالْجَمَاعَةَ؟ فَقَالَ: هُوَ فِي النَّارِ.

فَالْخُلُوةُ الْمَشْرُوعَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ هُوَ الْاِغْتِكَافُ فِي الْمَسَاجِدِ، خُصُوصًا فِي
شَهْرِ رَمَضَانَ، خُصُوصًا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ؛
فَالْمُعْتَكِفُ قَدْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ، وَقَطَعَ عَنْ نَفْسِهِ كُلَّ شَاغِلٍ
يَشْغَلُهُ عَنْهُ، وَعَكَفَ بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ عَلَى رَبِّهِ وَمَا يُقَرِّبُهُ مِنْهُ، فَمَا بَقِيَ لَهُ هَمٌّ
سِوَى اللَّهِ وَمَا يُرْضِيهِ عَنْهُ، كَمَا كَانَ دَاوُدُ الطَّائِي يَقُولُ فِي لَيْلِهِ: هَمُّكَ عَظَلَ
عَلَيَّ الْهُمُومَ، وَحَالَفَ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادِ. وَشَوَّقِي إِلَى النَّظَرِ إِلَيْكَ أَوْثَقَ مِنِّي
اللَّذَاتِ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ.

فَمَعْنَى الْاِغْتِكَافِ وَحَقِيقَتُهُ: قَطْعُ الْعَلَائِقِ عَنِ الْخَلَائِقِ لِاتِّصَالِ بِخِدْمَةِ
الْخَالِقِ، وَكُلَّمَا قَوِيَتْ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ وَالْمَحَبَّةُ لَهُ وَالْأُنْسُ بِهِ أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا
الْاِنْقِطَاعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

كَانَ بَعْضُهُمْ لَا يَزَالُ مُنْفَرِدًا فِي بَيْتِهِ خَالِيًا بِرَبِّهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَمَا تَسْتَوْحِشُ؟
قَالَ: كَيْفَ أَسْتَوْحِشُ؟ وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا جَلِيسٌ مَن ذَكَرْنِي. شِعْر:

أَوْحَشَتْ نِي خَلَوَاتِي بِكَ مِنْ كُلِّ أَنْيَسٍ
وَتَفَرَّدْتُ فَعَايَنُ شُكَّ بِالْغَيْبِ جَلِيسِي

فَهَذَا الْمُعْتَكِفُ قَدْ فَارَقَ الْخَلْقَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْخُلُوةِ بِالْإِلَهِ الْحَقِّ، وَتَخَلَّى
عَنِ النَّاسِ طَرًّا إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً
لَهُوْنَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى
وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً
خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى، عَلَيْهِ يَغِيبُ
دُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ دُنُوبُ
وَيَأْذُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَنُتُوبُ
إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ

نَسِيبُكَ مَنْ نَاجَاكَ بِالْوُدِّ قَلْبُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيبُ
فَأَحْسِنْ جَزَاءَ مَا اجْتَهِدْتَ، فَإِنَّمَا بِقَرْضِكَ تُجْزَى وَالْقُرُوضُ ضُرُوبُ
وَلِنَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ أَسْرَارِ الْاِغْتِكَافِ، وَهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
الْاِغْتِكَافِ:

لَمَّا كَانَ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُتَوَقِّفًا
عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَلَمْ شَعْنُهُ بِإِقْبَالِهِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شَعْنَ
الْقَلْبِ لَا يَلْمُهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ، وَكَانَ فَضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَفُضُولُ
مُخَالَطَةِ الْأَنَامِ، وَفُضُولُ الْكَلَامِ، وَفُضُولُ الْمَنَامِ مِمَّا يَزِيدُهُ شَعْنًا، وَيُسْتَتِيهِ فِي
كُلِّ وَادٍ، وَيَقْطَعُهُ عَنْ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ، أَوْ يُضَعِّفُهُ أَوْ يُعَوِّقُهُ، أَقْتَضَتْ رَحْمَةً
الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بَعَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمُ الصَّوْمَ. وَتَقَدَّمَ أَسْرَارُ الصَّوْمِ. وَشَرَعَ لَهُمُ
الْاِغْتِكَافَ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ
وَالْخُلُوعُ بِهِ، وَالانْقِطَاعُ عَنِ الْاِشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ، وَالْاِشْتِغَالُ بِهِ وَخَدُّهُ، بِحَيْثُ
يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ هُمُومِ الْقَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ
بَدَلَهَا وَيَصِيرُ الِهْمُ بِهِ كُلُّهُ، وَالْخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِهِ وَالْفِكْرَةُ فِي تَحْصِيلِ مَرَاذِيهِ
وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ، فَيَكُونُ أُنْسُهُ بِاللَّهِ بَدَلًا مِنْ أُنْسِهِ بِالْخَلْقِ؛ فَيَعُدُّ ذَلِكَ لِأُنْسِهِ بِهِ
يَوْمَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ حِينَ لَا أُنْسَ لَهُ، وَلَا مَا يُفَرِّجُ بِهِ سِوَاهُ.

فَهَذَا مَقْصُودُ الْاِغْتِكَافِ الْأَعْظَمِ؛ فَكَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ الْاِغْتِكَافَ يَأْمُرُ
بِحَبَاءٍ فَيَضْرِبُ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ يَخْلُو فِيهِ بِرَبِّهِ ﷻ، فَإِذَا صَلَّى الْفَجْرَ دَخَلَهُ،
وَاعْتَكَفَ فِي الْعَامِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عِشْرِينَ يَوْمًا. وَكَانَ إِذَا اعْتَكَفَ دَخَلَ قُبَّتَهُ
وَخَدَّهُ. وَكَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ فِي حَالِ اِغْتِكَافِهِ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ، وَكَانَ يُخْرِجُ
رَأْسَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ فَتَرْجُلُهُ وَتَغْسِلُهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهِيَ
حَائِضٌ، وَكَانَ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَإِذَا قَامَتْ تَذْهَبُ قَامَ مَعَهَا
يُوصِّلُهَا، وَذَلِكَ لَيْلًا.

وَلَمْ يُبَاشِرِ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ لَا يَقْبَلُهُ وَلَا غَيْرَهَا، وَكَانَ إِذَا
اعْتَكَفَ طُرِحَ لَهُ فِرَاشُهُ وَوُضِعَ لَهُ سَرِيرُهُ فِي مُعْتَكِفِهِ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ
مَرَّ بِالْمَرِيضِ وَهُوَ عَلَى طَرِيقِهِ فَلَا يَعْجُجُ لَهُ إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ. وَاعْتَكَفَ مَرَّةً فِي قُبَّةِ
تُرْكِيَّةٍ وَجَعَلَ عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرًا. كُلُّ هَذَا تَحْصِيلٌ لِمَقْصُودِ الْإِعْتِكَافِ
وَوَجْهِهِ، عَكْسَ مَا يَفْعَلُهُ الْجُهَالُ مِنْ اتِّخَاذِ الْمُعْتَكِفِ مَوْضِعَ عَشْرَةٍ وَمَجْلَبَةٍ
لِلزَّائِرِينَ، وَأَخَذَهُمْ بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَهُمْ. فَهَذَا لَوْنٌ، وَالْإِعْتِكَافُ النَّبَوِيُّ
لَوْنٌ، وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ.

فَهَذَا هَدْيُهُ ﷺ وَسُنَّتُهُ فِي الْإِعْتِكَافِ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وَقِيلَ:

فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِمَا يُكْسِبُ الْعُلَا
وَفِي خُلُوءِ الْإِنْسَانِ بِالْعِلْمِ أَنْسُهُ
وَيَسْلَمُ مَنْ قَالَ وَقِيلَ وَمَنْ أَدَى
وَحَيْرُ مَقَامٍ قُبَّتْ فِيهِ وَحَلِيَّةٍ
وَلَا تَرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةَ بِالرَّيِّ
وَيَسْلَمُ دِينَ الْمَرْءِ عِنْدَ التَّوْحِدِ
جَلِيسٍ وَمِنْ وَاشٍ بَغِيْظٍ وَحُسْدٍ
تَحَلَّيْتَهَا: ذَكَرُ الْإِلَهِ بِمَسْجِدٍ

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: إِحْيَاءُ اللَّيْلِ. فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْيِي لَيَالِيَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ
رَمَضَانَ.

وَقَالَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لَمَّا ذَكَرَ رَمَضَانَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا
وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ،
فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرَغِّبُ

فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَإِحْيَاءُ اللَّيْلِ يَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ: إِحْيَاءُ اللَّيْلِ كُلِّهِ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ مِنْ وَجْهِ ضَعِيفٍ، وَفِيهِ: «وَأَحْيَا اللَّيْلَ كُلَّهُ» وَيُحْتَمَلُ أَنْ الْمُرَادَ بِإِحْيَاءِ اللَّيْلِ: إِحْيَاءُ غَالِبِهِ، فَقَدْ فَسَّرَهُ بَعْضُهُمْ بِإِحْيَاءِ نِصْفِ اللَّيْلِ، وَقَالَ: مَنْ أَحْيَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَقَدْ أَحْيَا اللَّيْلَ. وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيِّ: أَنَّهُ تَحْصُلُ فَضِيلَةُ الْإِحْيَاءِ بِمُعْظَمِ اللَّيْلِ.

وَكَانَ ﷺ يُوقِظُ أَهْلَهُ لِلصَّلَاةِ فِي لَيَالِي الْعَشْرِ، دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللَّيَالِي. وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَامَ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ، وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ، ذَكَرَ أَنَّهُ دَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلَاةَ».

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «أَحَبُّ إِلَيَّ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ، أَنْ يَتَهَجَّدَ بِاللَّيْلِ وَيَجْتَهِدَ فِيهِ، وَيُنْهَضَ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ إِلَى الصَّلَاةِ إِنْ أَطَاقُوا ذَلِكَ».

فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ لِلْمُؤْمِنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ جِهَادَانِ لِنَفْسِهِ: جِهَادٌ بِالنَّهَارِ عَلَى الصَّيَامِ، وَجِهَادٌ بِاللَّيْلِ عَلَى الْقِيَامِ؛ فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْجِهَادَيْنِ، وَوَفَّى بِحَقُوقِهِمَا وَصَبَرَ عَلَيْهِمَا وَوَفَّى أَجْرَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ فِي الْقِيَامِ وَالْقِرَاءَةِ وَالِدُّعَاءِ؛ فَهَذِهِ عَادَةُ السَّلَفِ فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ، لَا سِيَّمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْعَشْرِ.

يَا مَنْ طَلَعَ فَجْرُ شَيْبِهِ بَعْدَ بُلُوغِ الْأَرْبَعِينَ، يَا مَنْ مَضَى عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَيَالِي عَشْرِ سِنِينَ حَتَّى بَلَغَ الْخَمْسِينَ، يَا مَنْ هُوَ فِي مُعْتَرَكِ الْمَنَآيَا مَا بَيْنَ السِّتِينَ وَالسَّبْعِينَ. مَا تَنْتَظِرُ بَعْدَ هَذَا الْخَبَرِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيكَ الْيَقِينُ؟ يَا مَنْ ذُنُوبُهُ يَبْعَدُ الشَّفْعَ وَالْوَتْرَ أَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ أَمْ أَنْتَ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِیَوْمِ الدِّينِ؟ يَا مَنْ ظَلَمَ قَلْبُهُ كَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ أَمَا أَنْ لِقَلْبِكَ أَنْ يَسْتَنِيرَ أَوْ يَلِينُ؟

تَعَرَّضَ لِنَفَحَاتِ مَوْلَاكَ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ، فَإِنَّ فِيهَا لِلَّهِ نَفَحَاتٍ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، فَمَنْ أَصَابَتْهُ سَعِدَ بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ.

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ حَتَّى أَقْعَدَ مِنْ رِجْلَيْهِ، فَكَانَ يُصَلِّي أَلْفَ رَكْعَةٍ جَالِسًا، فَإِذَا صَلَّى الْعَصْرَ جَنَّا وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَهُوَ يَقُولُ: عَجِبْتُ لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ أُنْسَتْ بِسِوَاكَ؟ بَلْ عَجِبْتُ لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ اسْتَنَارَتْ قُلُوبُهَا بِذِكْرِ سِوَاكَ.

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَمُرُّ بِالْآيَةِ فِي وَرْدِهِ بِاللَّيْلِ فَتَخَنُّقُهُ الْعَبْرَةُ فَيَقْبَى فِي الْبَيْتِ أَيَّامًا وَيُعَادُ يَحْسِبُونَهُ مَرِيضًا. وَكَانَ فِي وَجْهِهِ رضي الله عنه خَطَّانِ أَسْوَدَانِ مِنَ الْبُكَاءِ. وَقَرَأَ مَرَّةً قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ فَبَكَى، وَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ حَتَّى مَرَضَ فَعَادُوهُ.

وَلَمَّا تَعَبَدَ عُتْبَةُ الْغُلَامُ كَانَ لَا يَتَهَنَأُ بِطَعَامٍ وَلَا بِشَرَابٍ. فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ ارْفُقْ بِنَفْسِكَ. فَقَالَ: الرَّفْقُ أَطْلُبُ، دَعِينِي أَتَعَبُ قَلِيلًا وَأَتَنَعَّمَ طَوِيلًا. وَكَانَتْ مُعَادَةُ الْعَدَوِيَّةِ تُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا النَّوْمُ تَقُولُ: يَا نَفْسُ أَمَامَكَ وَلَوْ مِتَّ لَطَالَتْ رَفْدُكَ عَلَى حَسْرَةٍ أَوْ سُورٍ.

وَكَانَ لَابْنِ سِيرِينَ ابْنَةُ تَعَبَدَتْ، فَأَقَامَتْ فِي مُصَلَّاهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً لَا تَخْرُجُ إِلَّا لِلْوُضُوءِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سِطَّامٍ: دَخَلْنَا عَلَى شَعْوَانَةَ نَأْمُرُهَا أَنْ تَرْفُقَ بِنَفْسِهَا وَنَلُومُهَا فِي كَثْرَةِ بُكَائِهَا. فَبَكَتْ. ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَبْكِي حَتَّى يَنْفَدَ دَمْعِي، ثُمَّ أَبْكِي دَمًا حَتَّى لَمْ يَبْقَ قَطْرَةٌ دَمٍ فِي جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِي، وَأَنَّى لِي بِالْبُكَاءِ؟ فَلَمْ تَزَلْ تَقُولُ: وَأَنَّى لِي بِالْبُكَاءِ؟ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا.

فَلِلَّهِ دَرُهُمْ مِنْ أَقْوَامٍ تَصَوَّرُوا مَالَهُمْ، وَاسْتَقْلَوْا أَعْمَالَهُمْ، وَيَكُونُوا عَلَى نَفْسِهِمْ كَأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُمْ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ ۝﴾ وَيَلْأَسْتَخَارُ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَبِالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ يَضْجُونَ. وَلَا قَدَامِهِمْ إِذَا هَجَعَ الْأَنَامُ

يَنْصُبُونَ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَبَاهِ يُرَاوَحُونَ: تَعْبُوا قَلِيلًا وَاسْتَرَاخُوا كَثِيرًا، وَتَبَوَّءُوا مِنْ رِيَاضِ الرُّضَا مَقِيلًا. وَالْبَائِسُ الْمُسْكِينُ مَنْ لَمْ يَجِدْ إِلَى لِحَاقِهِمْ سَبِيلًا. وَالْمَغْبُوثُ مَنْ رَضِيَ بِحَظِّهِ الْعَاجِلِ بَدِيلًا، يَا مَنْحُوسَ الْحَظِّ قِفْ بِالْبَابِ طَوِيلًا، ﴿وَاذْكُرْ أَمْرَ رَبِّكَ وَبَقِلْ إِلَيْهِ بُتًى﴾ (٨) وَاتَّخِذْ فِي هَذَا الشَّهْرِ إِلَى رَبِّكَ الْحَبِيبِ سَبِيلًا، وَأَلْحِ عَلَى الْمَوْلَى فِي خَلَوَاتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُ بِخِيَلٍ. وَنَادِ إِلَهَا لَمْ يَزَلْ مُتَفَضِّلًا جَلِيلًا، وَقُلْ إِلَهِي، أَنْتَ الْكَرِيمُ، وَكُلُّ مَغْبُودٍ سِوَاكَ بَاطِلٌ، إِلَيْكَ رَغَبُ الْقَاصِدُونَ بِرَفْعِ الْمَسَائِلِ. وَأَنَاخُوا بِبَابِكَ يَنْتَظِرُونَ عَظَايَاكَ الْجَزَائِلَ. وَقَدْ اتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ وَسَائِلَ. وَهَا أَنَا عَبْدُكَ خَاضِعٌ وَسَائِلٌ، وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي أَنْتَظِرُ الْوَصَائِلَ، وَأَكْتَسِبُ لِنَيْلِ الْعَفْوِ وَالْفَضَائِلِ، وَلَيْسَ مِنْ عَادَتِكَ أَنْ تَرُدَّ السَّائِلَ.

إِلَهِي، فِيكَ تَوَلَّهَ الْقَاصِدُونَ، وَوَثِقَ بِعَفْوِكَ الْمُذْنِبُونَ، وَعَكَفَتْ بِبَابِكَ أَمَالُ الْمُؤْمِلِينَ، وَخَرَقَتْ سَبْعَ الطَّبَاقِ دَعَوَاتُ التَّائِبِينَ.

أَجَلُ ذُنُوبِي عِنْدَ عَفْوِكَ سَيِّدِي حَقِيرٌ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي عَظَايِمًا
فَمَا زِلْتُ غَفَّارًا وَمَا زِلْتُ رَاحِمًا وَمَا زِلْتُ سَتَّارًا عَلَيَّ الْجَرَائِمَا
لَيْنُ كُنُتُ قَدْ تَابَعْتُ جَهْلِي فِي الْهَوَى وَقَضَيْتُ أَوْتَارَ الْبَطَالَةِ هَائِمًا
فَهَا أَنَا قَدْ أَقْرَرْتُ يَا رَبِّ بِالَّذِي جَنَيْتُ وَقَدْ أَضْبَحْتُ حَيْرَانَ نَادِمًا
فَتُبْ وَأَعْفُ عَنِّي يَا إِلَهِي تَكْرُمًا وَكُنْ بِي يَا رَبَّ الْبَرِيَّةِ رَاحِمًا

اللَّهُمَّ يَا حَبِيبَ كُلِّ غَرِيبٍ، وَيَا أُنَيْسَ كُلِّ كَثِيبٍ، ارْحَمْنَا إِذَا قُمْنَا مِنْ الْقُبُورِ، وَسَكُنْ رُغْبَنَا يَوْمَ الْحُشْرِ وَالنُّشُورِ، فَأَيُّ مُنْقَطِعِ إِلَيْكَ فَلَمْ تَصِلْهُ، وَأَيُّ دَاعٍ دَعَاكَ فَلَمْ تُجِبْهُ، فَأَنْتَ الَّذِي ذَلَّلْتَ بِجُودِكَ عَلَيْنَا، وَأَطْلَقْتَ أَلْسِنَةَ السَّائِلِينَ بِالسُّؤَالِ لَدَيْكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا عَلَى الصِّرَاطِ مِنَ الْعَابِرِينَ، وَعَلَى حَوْضِ نَبِيِّكَ مِنَ الْوَارِدِينَ، وَلِكَاسِهِ مِنَ الشَّارِبِينَ، وَأَعْطِنَا صَحَائِفَنَا بِالْيَمِينِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَةِ نَبِيِّكَ الْأَمِينِ.

اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ سَائِلٍ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ مُرَادَهُ، وَأَنْلِنَا الْحُسْنَى وَالزِّيَادَةَ،
وَأَمَحْ سَيِّئَاتِنَا، وَارْفَعْ دَرَجَاتِنَا، وَثَقِّلْ مِيزَانَ حَسَنَاتِنَا، فَأَنْتَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ،
وَأَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ، وَاعْفُزِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

هَذِهِ فُصُولُ قِيَامِ اللَّيْلِ

الفصل الأول

وفيه فضل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَوَحِّدِ فِي جَلَالِ الْبَهَاءِ، الْمُتَعَالِي عَنِ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ،
الْعَلِيمِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، الَّذِي جَلَّ عَنِ الْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ. السَّمِيعُ الَّذِي لَا
تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ بِالْدُّعَاءِ. الْبَصِيرُ الَّذِي يُبْصِرُ دَيْبَ لَنْمَلٍ عَلَى
الرَّمْلِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ. الْعَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثَالُ ذَرَّةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. الْحَلِيمُ الَّذِي يُسَبِّلُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ حَمِيلَ السَّيْرِ
وَالْغَطَاءِ، الْمُنْعِمُ عَلَى مَنْ اتَّقَاهُ بِجَزِيلِ الْعَطَاءِ. الْحَكِيمُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ فِي جَوْ الْهَوَاءِ. وَبَسَطَ الْأَرْضَ بِحُكْمَتِهِ عَلَى تَيَّارِ الْمَاءِ. الَّذِي تَعَالَى
عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ وَالْقُرْنَاءِ. وَجَلَّ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ وَالشُّرَكَاءِ،
الْمُطَّلِعُ الَّذِي لَا يَسْتَتِرُ عَنْهُ الضَّمِيرُ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَالْآنَاءِ، وَلَا يَخْفَى
عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

شعر:

وَأَجِدُ مَا جِدُّ بِغَيْرِ خَفَاءٍ	جَلَّ رَبُّ أَحَاطَ بِالأَشْيَاءِ
وَتَعَالَى حَقًّا عَنِ الْقُرْنَاءِ	جَلَّ عَنْ شِبْهِهِ لَهُ وَنَظِيرِ
عَنْ قَبِيحِ الْأَفْعَالِ يَوْمَ الْجَزَاءِ	عَالِمُ السَّرِّ كَاشِفُ الضَّرِّ يَغْفُو
هُوَ مِنْ خَلْقِهِ سَمِيعُ الدُّعَاءِ	مَا عَلَى بَابِهِ حِجَابٌ وَلَكِنْ

لُذِّ بِهِ أَيُّهَا الْعُفُولُ وَبَادِرْ تَحْظَ مِنْ فَضْلِهِ بَنِيْلَ الْعَطَاءِ
فَسُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ الْأَزْمَانَ وَفَصَّلَ الْفُصُولَ، وَأَغْرَقَ فِي بَحْرِ مَعْرِفَتِهِ
الْأَفْكَارَ وَالْعُقُولَ، وَخَيَّرَ فِي كُنْهِ ذَاتِهِ الْأَفْهَامَ فَمَا لَهَا إِلَى مَعْرِفَةِ صَمَدِيَّتِهِ
وُضُوءٌ، وَخَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، وَالْبِشْرِ وَالرِّضْوَانِ وَالسُّرُورِ
وَالْقُبُولِ، وَوَعَدَ مَنْ صَامَهُ يُلُوعُ الْمُقْصُودِ وَالْمَأْمُولِ، فَطُوبَى لِمَنْ تَلَقَّاهُ بِالْعَمَلِ
الصَّالِحِ، وَظَهَرَ فِيهِ الْجَوَارِحُ مِنَ الشُّكِّ وَالْعُلُولِ.

فَانْتَبِهْ أَيُّهَا الْعَافِلُ مِنْ سِنَةِ الْعَقْلَةِ، وَبَادِرْ مَا دَامَ فِي الْوَقْتِ مُهْلَةً قَبْلَ
مَسِيرِ الْقُفُولِ، قَدْ مَضَى الْعُمْرُ فَبَادِرْ يَا عُفُولُ، وَادْكُرِ الرَّبَّ الَّذِي لَيْسَ يَزُولُ.
وَضَعَ الْخَدَّ عَلَى بَابِ الرَّجَاءِ وَابْكُ فِي اللَّيْلِ بِدَمْعِ كَالسُّيُولِ، وَاجْتَهِدْ فِي صَوْمِ
ذَاكَ الشَّهْرِ عَسَى تَلْقَى فِيهِ مِنَ اللَّهِ الْقَبُولَ، وَاتَّبِعْ خَيْرَ سَبِيلٍ وَاقْتَدِ بِالنَّبِيِّ
الْمُصْطَفَى الْهَادِي الرَّسُولِ، فَعَلَيْهِ الْإِلَهُ صَلَّى كُلَّمَا تَرَدَّدَتْ الْكَوَاكِبُ بَيْنَ
الطُّلُوعِ وَالْأَفُولِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ اخْتَصَّ أَقْوَامًا بِخِدْمَتِهِ، وَشَغَلَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ، فَمَا لَهُمْ بِغَيْرِهِ
اشْتِغَالٌ، صَامُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ، فَمَجَا عَنْهُمْ السَّيِّئَاتِ، وَبَلَّغَهُمُ الْمَقَاصِدَ
وَالْأَمَالَ. أَعَانَهُمْ عَلَى الصِّيَامِ فَصَامُوا، وَأَقَامَهُمْ فِي نِظَامٍ فَقَامُوا إِلَى خِدْمَتِهِ
فِي اللَّيَالِي الطَّوَالِ، سَمِعُوا فِي صَحِيحِ السَّنَةِ «أَنَّ الصَّوْمَ جَنَّةٌ» فَحَمَوْا أَنْفُسَهُمْ
مِنْ قَبِيحِ الْفِعْلِ وَالْمَقَالِ.

فَيَا سَعَادَةَ مَنْ قُبِلَتْ مِنْهُ فِي شَهْرِ الْأَعْمَالِ، وَيَا شَقَاوَةَ مَنْ فَرَّطَ فِي
صِيَامِهِ بِالْإِهْمَالِ، وَلَمْ يَحْظَ فِي شَهْرِهِ بِفِطْرِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَلَالِ، وَلَمْ يَزَلْ
مُنْكَبًا عَنِ الطَّرِيقِ، مُكِبًّا عَلَى مَا لَا يَلِيْقُ، مِنْ قَبِيحِ الْخِلَالِ. اسْمَعْ يَا مَنْ هَذِهِ
صِفَاتُهُ وَقَدْ قُرِبَتْ وَفَاتُهُ، وَهُوَ لَا عِبَّ بَطَّالٌ، يَا مَنْ عُمُرُهُ طَالٌ، إِلَى كَمْ أَنْتَ
بَطَّالٌ؟ جَمِيعَ الدَّهْرِ نَقَّالٌ، عَلَى ظَهْرِكَ أَثْقَالٌ، تُبَارِزُ بِالْمَعَاصِي، وَعَنَا أَنْتَ
قَاصِي، وَتَدْعُو بِالْخَلَاصِ، وَمَا عِنْدَكَ إِقْبَالٌ، إِلَى الْغِيْبَةِ تَرْتَاخُ، وَمَا عِنْدَكَ

إِصْلَاحٌ، وَمَا يُرْضِيكَ يَا صَاحِبَ، سِوَى قَدْ قِيلَ وَقَالَ، تَمُدُّ الطَّرْفَ فِي الصَّوْمِ،
وَلَا تَخْشَى مِنَ اللُّومِ، لِيُكْتَبَ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ أَفْعَالٌ. فَتُبَ فِي هَذَا
الشَّهْرِ كَيْ تَحْطَى، وَكَمُلَ صَوْمُهُ فَرَضًا، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْضَى، وَتَصْلَحَ مِنْكَ
أَحْوَالٌ.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَيْقَظَ بِتَوْفِيْقِهِ أَقْوَامًا عَنْ لَذِيذِ الرُّقَادِ، وَشَغَلَهُمْ بِخِدْمَتِهِ مِنْ
بَيْنِ سَائِرِ الْعِبَادِ، يُنَاجُونَ مَوْلَاهُمْ إِذَا هَجَعَ النَّائِمُونَ، وَيَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ إِذَا
عَقَلَ الْعَافِلُونَ، فَأَنَالَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا يَطْلُبُونَ، وَلَذَذَهُمْ بِخَلْوَةِ مُنَاجَاتِهِ إِذَا قَامُوا
يَتَهَجَّدُونَ، عَلِمُوا أَنَّ الرَّبَّحَ فِي مُعَامَلَاتِهِ فَهُمْ مَعَهُ يَتَاجَرُونَ، وَبَانَتْ لَهُمْ أَعْلَامُ
جَنَّتِهِ فَقَامُوا إِلَيْهَا يُسْمَرُونَ.

فَسُبْحَانَ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ، الَّذِي ائْتَمَّنَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِتَمَامِ إِحْسَانِهِ،
وَجَادَ عَلَيْهَا بِفَضْلِهِ الْوَافِرِ وَامْتِنَانِهِ. وَجَعَلَ شَهْرَهَا مَخْصُوصًا بِعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ،
وَعَتَقَهُ مِنْ نِيرَانِهِ.

أَحْمَدُهُ عَلَى صُنُوفِ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً خَفِيفَةً عَلَى
اللِّسَانِ، ثَقِيلَةً فِي الْمِيزَانِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ
الْأَكْوَانِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَدُرَرِيِّهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ؕ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ﴾.

رَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: ذَاكَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه.

إِنَّمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ صَلَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِاللَّيْلِ
وَقِرَاءَتِهِ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ. وَفِي هَذَا مَدْحٌ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ
صِفَتُهُ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ صَلَاةِ اللَّيْلِ أَفْضَلُ؟
قَالَ: نِصْفُ اللَّيْلِ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ».

وَقَالَ دَاوُدُ عليه السلام: يَا رَبِّ، أَيُّ سَاعَةٍ أَقُومُ لَكَ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا
دَاوُدُ لَا تَقُمْ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَلَا آخِرَهُ، وَلَكِنْ قُمْ فِي شَطْرِ اللَّيْلِ حَتَّى تَخْلُوَ بِي
وَأَخْلُوَ بِكَ وَارْفَعْ إِلَيَّ حَوَائِجَكَ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُوقِفِ الَّذِي يَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ وَيَخَافُ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ أَنْ لَا
تَقْوَتَهُ هَذِهِ الْعَنَائِمُ، خُصُوصًا لِيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ الَّذِي صِيَامُهُ
رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ.

وَكَانَ ﷺ يُطِيلُ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ وَكَانَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنْ
اللَّيْلِ بِهَذَا الاسْتِفْتَاخِ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وَقَامَ مَعَهُ حُذَيْفَةُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ، فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ، لَا يَمُرُّ
بِآيَةٍ تَخْوِيفٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ تَبْشِيرٍ إِلَّا وَقَفَ يَسْأَلُ. فَمَا صَلَّى
الرُّكْعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَهُ بِلَالٌ فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلصِّيَامِ وَالْقِيَامِ آدَابًا.

فَأَدَابُ الصِّيَامِ يَجْمَعُهَا: حِفْظُ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، وَحِرَاسَةُ الْخَوَاطِرِ
الْبَاطِنَةِ.

فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَلَقَّى رَمَضَانُ بِتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ وَطَاعَةٍ وَعَزِيمَةٍ مُوَافِقَةٍ. وَلَا بُدَّ مِنْ
مُلَازِمَةِ الصَّمْتِ عَنِ الْكَلَامِ الْفَاحِشِ وَالْغَيْبَةِ. فَإِنَّهُ مَا صَامَ مَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لُحُومَ
النَّاسِ، وَلَا بُدَّ مِنْ كَفِّ الْبَصَرِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْحَرَامِ.

شِعْر:

حَقُّ شَهْرِ الصَّيَامِ شَيْئَانِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُوجِبِينَ حَقَّ الصَّيَامِ
تَقْطَعُ الصَّوْمَ فِي نَهَارِكَ بِالدُّكْرِ وَتُفْنِي ظِلَامَهُ فِي الْقِيَامِ
وَمِنْ آدَابِ الْقِيَامِ: أَنْ يُخْلِصَ أَوَّلًا عَمَلُهُ لِلَّهِ، وَلَا يَمْشِي عَلَى الْعَوَائِدِ،
وَيُطِيلَ الْقِرَاءَةَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ شَهْرَكُمْ هَذَا لَا قِيمَةَ لَهُ، وَلَا يُمَكِّنُ اسْتِدْرَاكَ مَا ضَاعَ
بِالتَّفْرِيطِ.

فَيَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ فِيمَا مَضَى عَلَى إِحْسَانِكَ قَدُمْ، وَيَا أَيُّهَا الْمُسِيءُ، وَبِخُ
نَفْسِكَ عَلَى التَّفْرِيطِ وَلَمْ. إِذَا خَسِرْتَ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَمَتَى تَرْبِحُ؟ وَإِذَا لَمْ
تُسَافِرْ فِيهِ نَحْوَ الْفَوَائِدِ فَمَتَى تَبْرَحُ؟

يَا هَذَا، إِنَّمَا شُرِعَ الصَّوْمُ لِيَقَعَ التَّقَلُّلُ فَإِذَا اسْتَوْفَيْتَ الْعِشَاءَ تَكَدَّرَ اللَّيْلُ
بِالنُّومِ، وَإِذَا اسْتَوْفَيْتَ السُّحُورَ ضَيَّعْتَ النَّهَارَ بِالكَسَلِ. وَمَا أَرَى رَمَضَانَ إِلَّا
زَادَكَ شِبَعًا وَعَقْلَةً، تَاللَّهِ لَوْ قِيلَ لِأَهْلِ الْقُبُورِ: تَمَنُّوا لَتَمَنُّوا يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ
وَأَنْتَ مُضَيِّعُهُ بِالتَّفْرِيطِ وَالْكَسَلَانِ.

كَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه يَقُولُ لِلنَّاسِ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَرَادَ سَفَرًا، أَلَيْسَ
يَتَّخِذُ مِنَ الزَّادِ مَا يُصْلِحُهُ وَيُبَلِّغُهُ، قَالُوا: بَلَى! قَالَ: فَسَفَرُ طَرِيقِ الْقِيَامَةِ أَبْعَدُ،
فَاحْذَرُوا مَا يُصْلِحُكُمْ: حُجُّوا لِعِظَائِمِ الْأُمُورِ، وَصُومُوا يَوْمًا شَدِيدًا حَرَّهُ لِحَرِّ
يَوْمِ النُّشُورِ. صَلُّوا رَكْعَتَيْنِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِظُلْمَةِ الْقُبُورِ. تَصَدَّقُوا بِصَدَقَةِ السَّرِّ
لِيَوْمِ عَسِيرٍ».

وَسَيِّئَتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلُ صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ، وَأَنَّهَا
أَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَأَشَدُّ مُوَاطَاةً بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَتَطْرُدُ الدَّاءَ عَنِ
الْجَسَدِ وَتُخَفِّفُ الْحِسَابَ.

شعر:

أَدِمِ الصَّيَّامَ مَعَ الْقِيَامِ تَعَبُداً
قُمْ فِي الدُّجَى وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنْمَ
فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَمِيَّةُ بَغْتَةً
يَا حَبَّذا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
فَاللَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ
فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَجِيبُهُ؟
فَكِلَاهُمَا عَمَلَانِ مَقْبُولَانِ
إِلَّا كَنُومَةٌ حَائِرٍ وَلَهَانِ
فَتُسَاقُ مِنْ فَرْشٍ إِلَى أَكْفَانِ
مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيتَانِ
لِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِلَا كِثْمَانِ
فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ لَيْسَ لَهُ فِرَاشٌ لِلنَّوْمِ. وَكَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ
وَسَمَّوْهُ: «الْوَتْدَ» لِكَثْرَةِ صَلَاتِهِ، وَصَلَّى الصُّبْحَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً،
وَكَانَ عَامَّةَ اللَّيْلِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ، وَكَانَ يُسْمَعُ بُكَاءُوه حَتَّى يَرْحَمَهُ
جِيرَانُهُ، وَخَتَمَ الْقُرْآنَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ سَبْعَةَ آلَافٍ مَرَّةً.

وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى الْخَمْسَ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ.

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِذَا دَخَلَ بَيْتُهُ يَكُونُ شُغْلُهُ الْمُضْحَفَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ.

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ قَدْ جَزَأَ اللَّيْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: الثَّلَاثُ الْأَوَّلُ يَكْتُبُ. وَالثَّانِي:
يُصَلِّي. وَالثَّلَاثُ: يَنَامُ.

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ لَهُ بِالنَّوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ
رَكْعَةٍ، وَبَاتَ عِنْدَهُ أَبُو عِصْمَةَ؛ فَجَاءَ أَحْمَدُ بِمَاءٍ فَوَضَعَهُ عِنْدَهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ
نَظَرَ أَحْمَدُ الْمَاءَ الَّذِي وَضَعَهُ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالَتِهِ فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، رَجُلٌ
يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَلَا يَكُونُ لَهُ وَرْدٌ بِاللَّيْلِ.

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، أَيَّامُكُمْ قَلَالِيلُ، وَأَنَامُكُمْ غَوَائِلُ، وَأَنْتُمْ لَا شَكَّ رَاحِلُونَ
كَمَا رَحَلَ الْأَوَائِلُ، وَمَالُكُمْ إِلَى اللَّحُودِ فَهِيَ الْمَنَازِلُ؛ فَلْيَغْتَبِرِ الْأَوَائِلُ
بِالْأَوَائِلِ.

فَاسْمَعْ يَا مَنْ يُوقِنُ أَنَّهُ لَا شَكَّ رَاحِلٌ، وَمَا لَهُ زَادٌ وَلَا رَوَاحِلٌ.

فَقُمْ يَا أَخِي فِي الدُّجَى قِيَامَ مُشْفِقِ سَائِلٍ، وَأَجِبْ مُنَادِي: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟» لَعَلَّكَ تَحْظَى بِالْقَبُولِ، وَتَقُوزُ بِالمَسْئُولِ، وَتُذَرِّكُ المَظْلُوبَ وَالمَأْمُولَ.

أَيَا مَعَشَرَ الصُّوَامِ فِي الحُرُورِ، طَلَبًا لِلثَّوَابِ وَالأُجُورِ. احْفَظُوا صِيَامَكُمْ عَنْ كُلِّ سَبٍّ وَرَفَثٍ وَقَوْلٍ زُورٍ. فَإِنَّ مِنَ الخُسْرَانِ العَاجِلِ أَنْ يَكُونَ العَبْدُ صَامًا وَلَا صَامَ عَنِ الزُّورِ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ العُرْفَ فِي الجَنَانِ وَالقُصُورِ، فَجِدُوا ثُمَّ اجْتَهِدُوا بِالاستِغْفَارِ مَعَ السُّحُورِ، فَفِيهِ بَرَكَةٌ. وَرَدَ ذَلِكَ فِي الخَبَرِ المَأْثُورِ. وَجَانِبُوا المَعَاصِيَ القَوْلِيَّةَ وَالفِعْلِيَّةَ، فَوَيْلٌ لِمَنْ صَامَ وَلَمْ يَصُمْ عَنِ المَعَاصِي وَقَوْلِ الزُّورِ. وَارْغَبُوا إِلَى مَوْلَاكُمْ فِي هَذَا الوَقْتِ بِتَعْظِيمِ الأُجُورِ.

شعر:

لِلَّهِ دُرُّ القَائِمِينَ بِلَيْلِهِمْ	يَدْعُونَ رَبًّا لِلْقَلِيلِ شُكُورًا
قَوْمٌ أَقَامُوا لِلَّهِ نُفُوسَهُمْ	فَكَسَا وَجُوهَهُمُ الوَسِيمَةَ نُورًا
تَرَكُوا النِّعِيمَ وَطَلَّقُوا لَذَائِهِمْ	زُهْدًا فَعَوَّضَهُمْ بِذَاكَ سُورًا
قَامُوا يُنَاجُونَ الحَبِيبَ بِأَذْمِجٍ	تَجْرِي فَتَحْكِي لَوْلَا مَنْثُورًا
سَتَرُوا وَجُوهَهُمْ بِأَسْتَارِ الدُّجَى	لَيْلًا، فَأَضْحَتْ فِي النَّهَارِ بُدُورًا
وَإِذَا بَدَا لَيْلٌ سَمِعَتْ أُنِينَهِمْ	وَشَهِدَتْ وَجَدًا مِنْهُمْ وَزَفِيرًا
تَعَبُوا قَلِيلًا فِي رِضَا مَحْبُوبِهِمْ	فَأَرَاخَهُمْ يَوْمَ المَعَادِ كَثِيرًا

فَضْلٌ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾.

قَالَ العُلَمَاءُ: «التَّهَجُّدُ» لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ النَّوْمِ «وَالنَّاشِئَةُ» لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ رَقْدَةٍ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَقَالَ النَّخَعِيُّ: «صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ، وَتَسْبِيحَةُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ تَسْبِيحَةٍ، وَرُكْعَةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رُكْعَةٍ».

شِعْر:

وَحَافِظٌ عَلَى فِعْلِ الْفُرُوضِ بِوَقْتِهَا وَخُذْ بِنَصِيبٍ فِي الدُّجَى مِنْ تَهَجُّدِ
وَنَادِ إِذَا مَا قُمْتَ فِي اللَّيْلِ سَامِعًا قَرِيبًا مُجِيبًا بِالْفَوَاضِلِ يَبْتَدِي
وَمُدَّ إِلَيْهِ كَفَّ فَفَرِكَ ضَارِعًا بِقَلْبٍ مُنِيبٍ وَادَّعُ: تُعْطَى وَتُسْعَدِ
وَفِي اللَّيْلِ تَخْتَلِفُ مُعَامَلَةُ الْعِبَادِ، وَتَتَنَوَّعُ أَعْمَالُ الرُّهَادِ؛ فَمَنْ لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي خِدْمَتِهِمْ فَلَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ مَضْرُوبًا بِالطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ «يُنْزِلُ اللَّهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَ دَعْوَتَهُ؟ إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ» فَلِذَلِكَ كَانُوا يُفَضِّلُونَ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ عَلَى أَوَّلِهِ.

شِعْر:

نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا أَتَانَا سَائِلٌ نُؤَلِّيهُ إِنْعَامًا وَحُسْنَ تَكْرِمِ
وَنَقُولُ فِي الْأَسْحَارِ هَلْ مِنْ تَائِبٍ مُسْتَغْفِرٍ لِيَنَالَ خَيْرَ الْمَغْنَمِ
يَا قُورَامَ اللَّيْلِ، اشْفَعُوا فِي النَّوَامِ، يَا أَحْيَاءَ الْقُلُوبِ، تَرَحَّمُوا عَلَى الْأَمْوَاتِ.

قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ بَابِ دَارِي إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِي، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لِي وَلَدٌ مِنَ الْمُبْرِزِينَ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْمُخْلِصِينَ فِي الْإِرَادَةِ. يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَفْتَرُّ عَنِ الْبُكَاءِ. وَقَدْ أَضْرَّ ذَلِكَ بِيَدَيْهِ، وَأَنَا عَلَيْهِ خَائِفٌ أَنْ يَهْلِكَ؛ فَأُحِبُّ أَنْ تَسْأَلَهُ الرَّفْقَ بِنَفْسِهِ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَنَامَ فِي اللَّيْلِ نَوْمَةً وَاحِدَةً يَقْوَى بِهَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ. قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ: فَقُلْتُ: نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ فَيَسْنِمَا هُوَ يُخَاطِبُنِي إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا شَابٌّ لَهُ نُورٌ كَالْبَدْرِ، وَوَجْهُهُ قَدْ عَلَاهُ اصْفِرَارٌ، نَاجِلُ الْجِسْمِ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، هَذَا وَلَدِي، فَقُلْتُ لَهُ: حَبِيبِي، إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكَ طَاعَةَ أَبِيكَ، وَنَهَاكَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَقَدْ سَأَلَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا هِيَ أَيُّهَا الشَّيْخُ؟ قَالَ: قُلْتُ: تُفْطِرُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَتَنَامُ فِي اللَّيْلِ نَوْمَةً فَإِنَّكَ تَقْوَى بِذَلِكَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ، لَقَدْ طَلَبَ مِنِّي التَّقْصِيرُ فِي الْعَمَلِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجْلِ، أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ: إِنِّي بَايَعْتُ إِخْوَانًا لِي عَلَى السَّبَاقِ، فَأَخْشَى أَنْ تُعْرَضَ أَعْمَالِي وَأَعْمَالُهُمْ فَيُوجَدَ فِي أَعْمَالِي تَقْصِيرٌ: فَيَا سُوءَ حَالِي إِنْ بَادَرَنِي أَجْلِي قَبْلَ أَنْ أَبْلُغَ مَا بَلَغُوهُ، يَا أَبَا بَكْرٍ: لَوْ رَأَيْتَ إِخْوَانِي الَّذِينَ بَايَعْتُهُمْ، وَقَدْ تَجَافَتْ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ فَرَكِبُوا رَوَاجِلَ الظَّلَامِ، وَقَطَعُوا عَلَيْهَا اللَّيْلَ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَدْ وَصَلُوا الْكِلَالَ بِالْكِلَالِ، اشْتِيَاقًا إِلَى ذِي الْجَلَالِ، أَفْتَشِيرُ عَلَيْ أَيُّهَا الشَّيْخُ بِالتَّقْصِيرِ؟ وَاللَّهِ لَأَجْتَهِدَنَّ وَأَجْتَهِدَنَّ، ثُمَّ لَأَجْتَهِدَنَّ حَتَّى أَلْحَقَ بِهِمْ.

وَحَيَاةٍ مَنْ مَلَكَتْ يَدَاهُ قِيَادِي لِأُخَالِفَنَّ عَلَى الْهَوَى حُسَادِي
وَلَأُعْصِيَنَّ عَوَازِلِي فِي حُبِّهِ وَلَأَهْجُرَنَّ لَذَائِظِي وَرُقَادِي
وَلَأَجْعَلَنَّ نَزَاهَتِي فِيهِ الْبُكَاءِ وَلَأُكْحَلَنَّ مَحَاجِرِي بِسَهَادِي
وَلَأُخْفِرَنَّ لِسِرَّهُ ضَمْنَ الْحَشَا قَبْرًا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَاكَ فُؤَادِي
إِخْوَانِي: الْعَنِيمَةُ الْعَنِيمَةُ، لَا نْتِهَازِ الْفُرْصَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَظِيمَةِ، فَمَا مِنْهَا عَوْضٌ وَلَا لَهَا قِيمَةٌ. الْمُبَادَرَةُ الْمُبَادَرَةُ بِالْعَمَلِ، وَالْعَجَلُ الْعَجَلُ قَبْلَ

هُجُومِ الْأَجَلِ، قَبْلَ أَنْ يَنْدَمَ الْمُفَرِّطُ عَلَى مَا فَعَلَ، قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجْعَةَ
فَيَعْمَلَ صَالِحًا فَلَا يُجَابُ إِلَى مَا سَأَلَ، قَبْلَ أَنْ يَحُولَ الْمَوْتُ بَيْنَ الْمُؤْمَلِ
وَبُلُوغِ الْأَمَلِ، قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ الْمَرْءُ مُرْتَهَنًا فِي حُفْرَتِهِ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ لَمْ يَدْعَ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ
وَشَرَابَهُ».

وَهَذَا الْحَدِيثُ هُوَ مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ:
أَنَّ الْغِيَّةَ تُفْطِرُ الصَّائِمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي
الْجَنَّةِ بَابًا يُدْعَى مِنْهُ الصَّائِمُونَ، فَمَنْ كَانَ مِنَ الصَّائِمِينَ دَخَلَهُ وَمَنْ دَخَلَهُ لَمْ
يُظْمَأْ أَبَدًا».

إِخْوَانِي: هَذَا شَهْرُ الصَّفَا، شَهْرُ الْمُعَامَلَةِ وَالْوَفَا؛ فَطُوبَى لِأَقْوَامٍ صَامُوا
عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَقَامُوا فِي الْخَلَوَاتِ، يَتْلُونَ مِنْ آيَاتِ ذِكْرِهِ صُحُفًا، ضَاعَفَ
لَهُمْ بِصِيَامِهِمْ أَجُورًا، وَوَعَدَهُمْ فِي الْجَنَّةِ قُصُورًا وَغُرَفًا، وَقَبِلَ الْيَسِيرَ مِنْ
أَعْمَالِهِمْ وَتَجَاوَزَ عَنْ قِيَحِ أَعْمَالِهِمْ وَعَفَا.

فَيَا حَيِّةَ الْعَافِلِينَ فِيهِ عَنِ الْأَعْمَالِ، لَقَدْ حُرِّمُوا الْوِصَالَ وَخُصُّوا بِالْقَطِيعَةِ
وَالْجَفَا.

يَا نَاقِضِينَ الْعَهْدَ كَمْ هَذَا الْجَفَا	تُوبُوا فَقَدْ وَافَاكُمْ شَهْرُ الصَّفَا
شَهْرُ الرِّضَا وَالْعَفْوِ عَنْ زَلَّاتِكُمْ	وَاللَّهُ فِيهِ عَنِ الْجَرَائِمِ قَدْ عَفَا
شَهْرٌ عَلَى الْأَيَّامِ فَضَّلَ قَدْرُهُ	وَأَتَى عَلَى كُلِّ الشُّهُورِ مُشْرِقًا
فَأَحْيُوا لِيَالِيَهُ الْمُنِيرَةَ كُلَّهَا	وَأَجْرُوا لِفُرْقَتِهِ الدُّمُوعَ تَأْسَفَا
فَعَسَى إِلَهُهُ يَجُودُ فِيهِ بِفَضْلِهِ	فَهُوَ الَّذِي يَمْحُو الذُّنُوبَ تَلْطَفَا

كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يُوَاطِّبُونَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، لَا سِيَّمَا لِيَالِي رَمَضَانَ.

فَيَتَّبِعُنِي لِلْقَائِمِ أَنْ يَكُونَ حَاضِرَ الْقَلْبِ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي قِيَامِهِ، وَأَنْ
يَخْرِصَ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِ. فَالْخُشُوعُ لُبُّ الصَّلَاةِ.
وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ
حَتَّى لَا تَرَى فِيهَا خَاشِعًا».

فَيَا غَافِلَ الْقَلْبِ عَنْ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ، وَيَا مَنْ جَسَمُهُ فِي مَكَانٍ وَقَلْبُهُ فِي
مَكَانٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَالْأَبْدَانِ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ
وَالْأَذْيَانِ.

مَرِضْتُ رَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ مَرَّةً، فَصَارَتْ تُصَلِّي وَرَدَهَا بِالنَّهَارِ فَعُوفِيَتْ. وَقَدْ
أَلْفَتْ ذَلِكَ وَانْقَطَعَ عَنْهَا قِيَامُ اللَّيْلِ، فَرَأَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي نَوْمِهَا كَأَنَّهَا أُدْخِلَتْ
إِلَى رَوْضَةٍ خَضِرَاءَ عَظِيمَةٍ، وَفُتِحَ لَهَا فِيهَا بَابُ دَارٍ، فَسَطَعَ مِنْهَا نُورٌ حَتَّى كَادَ
يَخْطِفُ بَصَرَهَا، فَخَرَجَ مِنْهَا وَصَفَاءُ كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ اللَّوْلُؤُ، بِأَيْدِيهِمْ مَبَاجِمُ،
فَقَالَتْ لَهُمْ امْرَأَةٌ كَانَتْ مَعَ رَابِعَةٍ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ فَلَانًا قُتِلَ شَهِيدًا
فِي الْبَحْرِ فَنُجِّمَرُهُ. فَقَالَتْ: أَفَلَا تُجْمَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ - تَعْنِي: رَابِعَةَ - فَنَظَرُوا
إِلَيْهَا، وَقَالُوا: قَدْ كَانَ لَهَا حَظٌّ فِي ذَلِكَ فَتَرَكَتُهُ، فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ إِلَى
رَابِعَةَ وَأَشْدَتْ:

صَلَاتُكَ نُورٌ وَالْعِبَادَةُ رُقُودٌ وَنَوْمُكَ ضِدٌّ لِلصَّلَاةِ عَنِيدٌ
كَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُومُ السَّحَرِ: فَنَامَ عَنْ ذَلِكَ لَيْالِي، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ
رَجُلَيْنِ وَقَفَا عَلَيْهِ، وَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: هَذَا كَانَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ
فَتَرَكَ ذَلِكَ.

يَا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَانْقَلَبَ، يَا مَنْ كَانَ لَهُ وَقْتُ مَعَ اللَّهِ فَذَهَبَ. قِيَامُ
الْأَسْحَارِ يَسْتَوْجِبُ لَكَ. صِيَامُ النَّهَارِ يَسْأَلُ عَنْكَ. لَيْالِي الْوَصَالِ تُعَاتِيكَ.
أَمَا يُؤْلِمُكَ الْهَجْرُ؟ أَمَا تَشْتَاقُ إِلَى الْوَصْلِ؟ طَالَ هَجْرُكَ لَنَا فَحُلِّ بِوَادِينَا
وَلَا تَتَّخِذْ غَيْرَ حُبِّنَا دِينًا.

يَا قَوْمِ: أَلَا خَاطِبٌ إِلَى الرَّحْمَنِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ أَلَا رَاغِبٌ فِيَمَا أَعَدَّ اللَّهُ
لِلظَّالِمِينَ فِي الْجَنَانِ؟ أَلَا طَالِبٌ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ
الْخَبَرُ كَالْعَيَانِ.

شِعْر:

مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الْجِنَانِ فَلْيَدْعُ عَنْهُ التَّوَانِي
وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِي إِلَى نُورِ الْقُرْآنِ
وَلْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْمٍ إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَاانِ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جَوَارُ اللَّهِ فِي دَارِ الْأَمَانِ

رُوي عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ لِي وَرْدٌ
فِي اللَّيْلِ أَقْرَأُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ، فَنِمْتُ عَنْهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا بِجَارِيَةٍ جَاءَتْنِي فِي الْمَنَامِ
تَأْخَسِّنُ مَا يَكُونُ مِنَ الْجَمَالِ وَيَبْدِهَا رُقْعَةً فَقَالَتْ لِي: أَتُحْسِنُ الْقِرَاءَةَ؟ فَقُلْتُ:
نَعَمْ، فَدَفَعَتْ إِلَيَّ الرُّقْعَةَ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ:

لَهَاكَ النَّوْمُ عَنْ طَلَبِ الْأَمَانِي وَعَنْ تِلْكَ الْكَوَانِسِ فِي الْجِنَانِ
تَعِيشُ مُخَلَّدًا لَا مَوْتَ فِيهَا وَتَلْهُو فِي الْخِيَامِ مَعَ الْحَسَانِ
تَيْقُظُ مِنْ مَنَامِكَ، إِنَّ خَيْرًا مِنَ النَّوْمِ التَّهْجُدِ بِالْقُرْآنِ

يَا مُبْعَدًا عَنْ صِفَاتِ الْمُجِبِّينَ، يَا مُتَأَخِّرًا عَنْ رُقْفَةِ الْمُتَّقِينَ. يَا غَائِبًا عَنْ
أَحْوَالِ أَهْلِ الْيَقِينِ، يَا مُقْصِرًا عَنْ مُقَارَاةِ الْعَابِدِينَ، اسْمَعْ صِفَاتِهِمْ ثُمَّ اعْرِفِ
الصَّادِقَ مِمَّنْ يَمِينُ. قَوْمٌ هَجَرُوا الدُّنْيَا وَتَرَكُوهَا، وَطَلَبُوا الْآخِرَةَ بِالْجِدِّ
وَأَثَرُوهَا، إِنْ جَاءَ النَّهَارُ قَطَعُوهُ بِالصِّيَامِ، وَإِنْ جَاءَ اللَّيْلُ أَشْهَرُوهُ بِالْقِيَامِ،
أَبْصَرَتْ بَصَائِرُهُمْ غُيُوبَ الدُّنْيَا وَمَيَّزُوهَا، وَعَلِمُوا سُرْعَةَ خَرَابِهَا فَمَا عَمَرُوهَا،
وَلَا حَتَّ لَهَا أَعْلَامُ الْهُدَى فَأَمُوهَا، وَطَلَبُوا مَرَاذِي مَوْلَاهُمْ بِمَا وَجَدُوا
فَأَدْرَكُوهَا. إِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ نَصَبُوا أَقْدَامَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ وَأَنْصَبُوهَا، وَإِنْ أَقْبَلَ
النَّهَارُ صَانُوهُ بِصِيَامِ الْأَجَوَافِ وَالْجَوَارِحِ عَنِ الْحَرَامِ وَكَفَّوْهَا.

وَرَوَى عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ يُوضَعُ مَائِدَةٌ لِلصُّوَامِ، يَأْكُلُونَ عَلَيْهَا وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا نَحْنُ نَحَاسِبُ وَهَؤُلَاءِ يَأْكُلُونَ؟ فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ طَالَمَا صَامُوا وَأَفْطَرْتُمْ، وَقَامُوا وَنِمْتُمْ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْكِرَامَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ صَامَ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، لَا مِنْ صَامَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الصَّائِمِ الَّذِي يَرْجُو ثَوَابَ صِيَامِهِ أَنْ يُخْلِصَ أَوَّلًا أَعْمَالَهُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَغُضَّ بَصَرَهُ، وَيَصُومَ سَمْعَهُ، وَيَحْفَظَ لِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ كَيْدِيهِ وَرِجْلِيهِ، وَجَمِيعَ أَعْضَائِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

إِخْوَانِي: هَذِهِ بَشَارَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّاتِ، عَلَى الصَّبْرِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، بِالصِّيَامِ وَالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَاتِ، فَمَنْ صَبَرَ نَالَ أَجْرًا، وَمَنْ شَكَرَ وَجَدَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَمَنْ تَصَدَّقَ نَالَ فَضْلًا وَبِرًّا، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى الْعِبَادِ أَعَدَّ لِلْمَعَادِ دُخْرًا، وَمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فِي صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ كَفَّرَ عَنْهُ ذُنُوبًا وَوِزْرًا، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِي نَفْسِهِ وَجَدَ لَهُ بَيْنَ مَلَائِكَةِ قُدْسِهِ ذِكْرًا، وَمَنْ لَزِمَ التَّقْوَى نَالَ الْقُورَ وَالْبُشْرَى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

شعر:

وَقَدْ نَشَرَ الْبَارِي بِمَدْحِكُمْ ذِكْرًا	أَيَا مَعْشَرَ الصُّوَامِ وَافْتَكُمُ الْبُشْرَى
وَقَدْ أَجْزَلَ الرَّحْمَنُ لِلصَّائِمِ الْأَجْرًا	خُصِّصْتُمْ بِشَهْرٍ فِيهِ عِتْقٌ وَرَحْمَةٌ
وَذَكَرٍ وَكَانَتْ قَبْلَهُ تَشْتَكِي الْهَجْرًا	مَسَاجِدُهُ مَأْنُوسَةٌ بِتَلَاوَةٍ
لَقَدْ عَظُمَتْ قَدْرًا كَمَا مُلِئَتْ خَيْرًا	وَلِلَّهِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ لَيْلَةٌ
تَنْزِلُ أَمْلَاكٌ بِهَا آيَةٌ كُتِبَتْ	فَطُوبَى لِقَوْمٍ أَدْرَكُوهَا وَشَاهَدُوا
يَشْمُ عَلَيْهِمْ مِنْ شِدَا عَرْفِهَا عِطْرًا	وَفَازُوا بِغُفْرَانِ الْإِلَهِ فَأَضْبَحُوا

اللَّهُمَّ وَفِّ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَدَاءِ فَرَضِكَ، وَلَا تُخْرِجْهُمْ بِقَبِيحِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ عَرْضِكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ تَعَبِ وَاجْتِهَادٍ وَلَمْ يُرْضِكَ.

اللَّهُمَّ وَهَبْ مُسِيئِينَ لِمُحْسِنِينَ . وَمُفَرِّطِينَ لِمُتَّقِينَ . وَارْحَمْنَا يَا مَوْلَانَا وَلَا تُخْزِنَا .

اللَّهُمَّ وَمَنْ كَانَ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَعْدَلِ الْوَافِي ، فَرِزْهُ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ ، وَأَنْتَ الْكَافِي ، وَمَنْ كَانَ عَلَى ضَلَالٍ وَزَيِّغٍ عَنِ الْاِعْتِدَالِ ، فَاهْدِهِ وَأَرْشِدْهُ إِلَى خَيْرِ فِعْلٍ وَمَقَالٍ ، وَتُبْ عَلَيْنَا أَجْمَعِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

البَابُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ فِي فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَسَمَ فِي جَمِيعِ مَصْنُوعَاتِهِ عَلَى وُجُودِهِ وَكَمَالِهِ ذَلِيلًا ، وَوَسَمَ بِالْعَجْزِ سَائِرَ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَكُلًّا تَرَاهُ إِلَيْهِ مُفْتَقِرًا ذَلِيلًا ، وَحَسَمَ الْأَفْكَارَ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ ، فَأَقْرَأَتْ عُقُولُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَجْزِ عَنْ تَكْيِيفِهِ ، وَأَمَنْتْ بِوُجُودِهِ وَإِثْبَاتِهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْأَفْكَارِ فِي الْإِحَاطَةِ بِهِ سَبِيلًا .

ذَلِكَ بِأَنَّهُ رَبُّ تَعَالَى عَنْ جُحُودِ الْمُعْطَلِينَ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ تَكْيِيفِ الْمُشَبِّهِينَ ، وَأَعَدَّ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ عَذَابًا وَتَنْكِيلًا .

هُوَ الْمَلِكُ الْكَبِيرُ ذُو الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، وَالْعِزُّ وَالْجَبَرُوتِ ، وَالْبَاقِي الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَلَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ عَظِيمًا مُقْتَدِرًا جَلِيلًا .

الْجَبَّارُ الَّذِي قَهَرَ الْمُتَجَبِّرِينَ ، وَجَبَرَ كَسَرَ الْمُنْكَسِرِينَ ، وَأَغَاثَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَجُودِهِ وَمِنْتَهَى الْمَغْلُوبِينَ وَالْمَلْهُوفِينَ ، وَلَمْ تَزَلْ سَحَائِبُ جُودِهِ تَسْخُ الْخَيْرَاتِ سَخًا جَزِيلًا . الْمُؤَفَّقُ الَّذِي أَثَارَ بِمَحَبَّتِهِ الْهَمَمَ السَّامِيَةَ ، وَالْعَزَمَاتِ الْعَالِيَةَ ، إِلَى أَشْرَفِ غَايَاتِهَا تَحْصِيلًا لَهَا وَتَأْهِيلًا .

فَيَا أَيُّهَا الْعَبْدُ ، قُمْ لِمُنَاجَاتِهِ عَلَى عَتَبَةِ بَابِهِ ، وَتَنَعَّمْ بِلَذِيذِ خُطَابِهِ ، فَكَفَاكَ أَنْ يَرَاكَ مِنَ الْوَاقِفِينَ وَاللَّائِذِينَ بِجَنَابِهِ ، وَتَكَلَّفَهُ بِاللَّيْلِ وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَتَبُّلًا .

مَوْلَىٰ إِنْ أَطَعْتَهُ أَذْنَاكَ، وَإِنْ اكْتَفَيْتَ بِهِ أَغْنَاكَ، وَإِنْ دَعَوْتَهُ لَبَّاكَ، وَإِنْ
أَذْبَرْتَ عَنْهُ نَادَاكَ، وَإِنْ ثُبْتَ إِلَيْهِ قَبْلَكَ وَارْتَضَاكَ، وَسَلَكَ بِكَ مَعَ حَزْبِهِ سَبِيلًا.

فَسُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ عَطَاءُهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فَمِنْهُمْ كَافِرٌ وَمِنْهُمْ مُنِيبٌ، وَمِنْهُمْ عَاصٍ وَمِنْهُمْ مُقْبِلٌ عَلَى مَوْلَاهُ مُجِيبٌ ﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ وَوَفَّقَ مَنْ ارْتَضَاهُ لِخِدْمَتِهِ، وَأَعَدَّ لَهُ أَجْرًا جَزِيلًا.

أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى جُمْلَةً وَلَا تَفْصِيلًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ لَمْ يَزَلْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَالْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ كَانَ لَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، صَلَاةٌ دَائِمَةٌ بِدَوَامِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، مُقِيمَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ لَا تَرُومُ انْتِقَالَ وَلَا تَحْوِيلًا وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١١) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْآيِلِ مَا يَجْعَلُونَ﴾ (٤) ﴿وَبِالْأَشْكَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٥).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمِنَ الْآيِلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿٧١﴾.

هَذَا مَدْحٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْقَائِمِينَ بِاللَّيْلِ، وَحَثٌّ وَتَرْغِيبٌ فِي قِيَامِ
اللَّيْلِ لِذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِعْفَارِهِ وَمُنَاجَاتِهِ، أَتُنَى عَلَيْهِمْ، وَنَوَهَ بِذِكْرِهِمْ، فَيَنْبَغِي
لِلْإِنْسَانِ أَلَّا تَفُوتَهُ هَذِهِ الْعَنَائِمُ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «قِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُكْفِّرُ
الْحَاطِيَةَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾».

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْمُتَهَجِّدِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَاءَ مُنَادٍ يُنَادِي بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ: سَيَعْلَمُ الْخَلَائِقُ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُنَادِي: أَيُّنَ الَّذِينَ كَانُوا لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ؟ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُنَادِي: لِيَقُمْ الَّذِينَ كَانُوا يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، ثُمَّ يُحَاسَبُ سَائِرُ النَّاسِ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا.

وَأُخْرِجَ الْبَيْهَقِيُّ نَحْوَهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فَيَقُولُ: أَيُّنَ الَّذِينَ كَانَتْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ؟ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ. فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ؟ قَالَ: أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ، لَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِلَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ، وَلَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ: وَنَحْنُ نَقْرَأُهَا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَاتَ لَيْلَةً فِي خِفَّةٍ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يُصَلِّي تَذَارَكَتْ حَوْلَهُ الْحُورُ الْعِينُ حَتَّى يُصْبِحَ».

وَأُخْرِجَ ابْنُ مَاجَهَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسَنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ».

قَالَ قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ: رَأَيْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ:

نَظَرْتُ إِلَى رَبِّي عَيَانًا، فَقَالَ لِي هَنِيئًا رِضَائِي عَنْكَ يَا ابْنَ سَعِيدٍ
لَقَدْ كُنْتَ قَوَامًا إِذَا اللَّيْلُ قَدْ دَجَا بِعَبْرَةٍ مَحْزُونٍ وَقَلْبٍ غَمِيدٍ
قَدُونِكَ فَاخْتَرْتُ أَيَّ قَصْرِ تُرِيدُهُ وَزُرْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدٍ

كَانَ نَبِيُّكُمْ ﷺ يُوَاطِبُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَلَمْ يَكُنْ يَدْعُهُ لَا حَضْرًا وَلَا
سَفَرًا. وَكَانَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَرْبَعُونَ رَكْعَةً يُدَاوِمُ عَلَيْهَا وَلَا يَتْرُكُهَا، وَتَارَةً
يَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَسَبْعَةَ عَشَرَ رَكْعَةً الْفَرَايِضِ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً قِيَامَ
اللَّيْلِ عَلَى الدَّوَامِ، وَعَشْرَ رَكْعَاتِ السُّنَنِ الرَّائِيَةِ أَوْ اثْنَتَا عَشْرَةَ، ذَلِكَ سِوَى
صَلَاةِ الضُّحَى وَتَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُوَاطِبَ عَلَى هَذَا الْوَرْدِ دَائِمًا إِلَى الْمَمَاتِ. فَمَا أَسْرَعَ
الْإِجَابَةَ وَأَعْجَلَ فَتْحَ الْبَابِ لِمَنْ يَفْرَعُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَرْبَعِينَ مَرَّةً.
وَكَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَقْفَظَ أَهْلَهُ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ،
أَيُّ: جَدًّا وَاجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ عَلَى قَوْلِ مَنْ فَسَّرَهُ بِالْمَعْنَى.
وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ يَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، كَمَا وَرَدَ مُفَسَّرًا بِأَنَّهُ لَمْ يَأُو إِلَى فِرَاشِهِ
حَتَّى يَنْسَلِخَ رَمَضَانُ.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ: «وَطَوَى فِرَاشَهُ وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ».

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ غَالِيَا الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ.

وَالْمُعْتَكِفُ مَمْنُوعٌ مِنْ قُرْبَانِ النِّسَاءِ بِالنِّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَلَا تُبَيِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ بَلْ كَانَ يُصِيبُ مِنْ أَهْلِهِ فِي الْعِشْرِينَ
الْأُولَى، ثُمَّ يَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، وَيَتَفَرَّغُ لِطَلَبِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ.

كَانَ يَطْرُقُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا فَيَقُولُ لَهُمَا: «أَلَا تَقُومَانِ فَتُصَلِّيَانِ؟»، وَكَانَ
يُوقِظُ عَائِشَةَ بِاللَّيْلِ إِذَا قَضَى تَهَجُّدَهُ، وَأَرَادَ أَنْ يُوتَرَ.

وَقَدْ وَرَدَ التَّرْغِيبُ فِي إِقَاطِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ الْآخَرَ لِلصَّلَاةِ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَ
الْمَاءَ فِي وَجْهِهِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيَّقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ».

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وَقَالَ ﷺ: «أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ».

وَفِي الْمَوْطَأِ: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ، حَتَّى إِذَا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلَاةِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَيَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾».

كَانَتْ امْرَأَةٌ حَبِيبِ أَبِي مُحَمَّدٍ تَقُولُ لَهُ بِاللَّيْلِ: قَدْ ذَهَبَ اللَّيْلُ وَبَيَّنَّ أَيْدِينَا طَرِيقُ بَعِيدٍ، وَزَادْنَا قَلِيلٌ وَقَوَافِلُ الصَّالِحِينَ قَدْ سَارَتْ قُدَّامَنَا وَنَحْنُ قَدْ بَقِينَا.

شِعْر:

يَا نَائِمَ اللَّيْلِ كَمْ تَرْقُدُ	فُمْ يَا حَبِيبِي قَدْ دَنَا الْمَوْعِدُ
وَأُخِذَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَوْقَاتِهِ	وَرَدًا إِذَا مَا هَجَعَ الرُّقْدُ
مَنْ نَامَ حَتَّى يَنْقُضِي لَيْلُهُ	لَمْ يَبْلُغِ الْمَنْزِلَ لَوْ يَجْهَدُ
قُلْ لِذَوِي الْأَلْبَابِ أَهْلُ الثَّقَى	فَنَظَرُهُ الْعَرَضُ لَكُمْ مَوْعِدُ

فَضْلُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَعَيْرُهُ عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ
الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ
تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ،
فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ
أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِسَنَدٍ رَوَاهُ ثِقَاتٌ: «أَنَّ أَبَا
هُرَيْرَةَ قَالَ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَسْأَلُ اللَّهَ: أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سَوْقِ
الْجَنَّةِ، قَالَ سَعِيدٌ: أَوْفِيهَا سَوْقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَنَّ
أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤَدُّنَ لَهُمْ فِي مَقْدَارِ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيُزَوَّرُونَ اللَّهُ ﷻ، وَيَبْرُزُ لَهُمْ عَرْشُهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي
رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَتَوْضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ وَمَنَابِرُ مِنْ لَوْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ
يَاقُوتٍ وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ. وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ. وَيَجْلِسُ أَذْنَاؤُهُمْ
- وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ - عَلَى كُثْبَانٍ مِسْكِ وَكَافُورٍ مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكِرَاسِيِّ
أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَجْلِسًا.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، هَلْ
تَتَمَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قُلْنَا: لَا. قَالَ ﷺ: كَذَلِكَ لَا
تَتَمَارُونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ ﷻ، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضِرُهُ اللَّهُ
مُحَاضِرُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لِلرَّجُلِ: أَلَا تَذْكُرُ يَا فُلَانُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا،
يُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى،
فَسِعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغَتْ مَنَزِلَتَكَ هَذِهِ، فَيَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ قُورِهِمْ
فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طَيْبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ، ثُمَّ يَقُولُ رَبَّنَا تَبَارَكَ
وَتَعَالَى: قُومُوا إِلَيَّ مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ فَخُذُوا مَا اسْتَهَيْتُمْ، قَالَ:
فَنَاتِي سَوْقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ
الْأَذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ. قَالَ: فَيَحْمِلُ لَنَا مَا اسْتَهَيْنَا لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ

شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ:
 فَيَقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ دُونَهُ - وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ - فَيُرْوَعُهُ مَا
 يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللَّبَاسِ، فَمَا يَنْقُضِي آخِرَ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ لَهُ أَنَّ مَا عَلَيْهِ أَحْسَنُ
 مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا. ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا فَيَتَلَقَّانَا
 أَرْوَاجُنَا فَيَقْلَنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيِبِ أَفْضَلَ
 مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ. فَيَقُولُ: إِنَّا جَالِسْنَا الْيَوْمَ الْجَبَّارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَقَلَّبَ
 بِمِثْلِ مَا انْتَقَلَبْنَا».

إِخْوَانِي، مَا أَشْرَفَ مَنْ أَكْرَمَهُ الْمَوْلَى الْعَظِيمُ، وَمَا أَعْلَى مَنْ مَدَحَهُ فِي الْكَلَامِ
 الْكَرِيمِ، وَمَا أَسْعَدَ مَنْ خَصَّهُ بِالتَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ، وَمَا أَقْرَبَ مَنْ أَهْلَهُ لِلْفُوزِ
 وَالتَّقْدِيمِ، وَمَا أَجَلَ مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝﴾.

نَعْمُوا فِي الدُّنْيَا بِالْإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ، وَفَارِزُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالرَّبْحِ فِي
 الْبِضَاعَةِ، وَتَنَزَّهُوا عَنِ التَّقْصِيرِ وَالْعَفْلَةِ وَالْإِضَاعَةِ. فَلَبَسُوا ثِيَابَ التَّقَى وَارْتَدَّوْا
 بِالْقَنَاعَةِ، وَدَامُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى السَّهْرِ وَالْمَجَاعَةِ. فَيَا فَخْرَهُمْ إِذَا قَامَتِ
 السَّاعَةُ، إِذَا قُدِّمَتْ إِلَيْهِمْ مَطَايَا التَّكْرِيمِ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝﴾.

نَعْمُوا فِي الدُّنْيَا بِالْوَحْدَةِ وَالْخُلُوةِ. وَاعْتَزُّوْا فِي الْأَسْحَارِ مِنْ كُلِّ زَلَّةٍ
 وَهَفْوَةٍ، وَحَذَرُوا مِنْ مُوجِبَاتِ الْإِبْعَادِ وَالْجَفْوَةِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُخْتَارُونَ
 وَالصَّفْوَةُ، الصَّدُوقُ قَرِينُهُمْ وَالصَّبْرُ نَدِيمُهُ، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝﴾.

طَالَمَا تَعَبَتْ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ الْجُوعِ وَالسَّهْرِ، وَكَفَّتْ جَوَارِحُهُمْ عَنِ اللَّهْوِ
 وَالْأَشْرِ، وَحَبَسُوا أَغْرَاضَهُمْ عَنِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ مَوْلَاهُمْ
 وَامْتَثَلُوا مَا أَمَرَ، فَقَبِلُوا مَفْرُوضَاتِهِ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَتَعَنَّوْا بِكَلَامِهِ وَالْقَلْبُ قَدْ
 حَضَرَ، وَأَعَدُّوا مِنَ الزَّادِ مَا يَضْلُحُ لِلسَّفَرِ. فَالْخَوْفُ أَقْلَقَهُمْ فَمَنَعَهُمْ قَضَاءَ
 الْوَطَرِ، وَالْعِبْرَةُ تَجَرَّى وَالْقَلْبُ قَدْ اعْتَبَرَ. فَيَا حُسْنَهُمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَوَقْتُ
 السَّحْرِ. السَّرُّ صَادِقٌ، وَالْحَالُ مُسْتَقِيمٌ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝﴾.

قُصُورُهُمْ فِي الْجَنَانِ عَالِيَةٍ، وَعِيشَتُهُمْ فِي الْقُصُورِ صَافِيَةٌ، وَهُمْ فِي عَفْوٍ
مَمْرُوجٍ بِعَافِيَةٍ، وَقُطُوفُ الْأَشْجَارِ مِنَ الْقَوْمِ دَانِيَةٌ، وَأَقْدَامُهُمْ عَلَى أَرْضِ
الْمِسْكِ سَاعِيَةٌ. وَأَبْدَانُهُمْ مِنَ السُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ كَاسِيَةٌ، وَالْعَيْشُ لَذِيذٌ،
وَالْمُلْكُ عَظِيمٌ ﴿إِنَّ الْأَثَرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢).

كَانُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمُجَاهَدَةِ يَصْبِرُونَ، وَفِي دِيَارِجِي اللَّيْلِ يَسْهَرُونَ،
وَيَصُومُونَ وَهُمْ عَلَى الطَّعَامِ يَقْدِرُونَ، وَيُسَارِعُونَ إِلَى مَا يُرْضِي مَوْلَاهُمْ
وَيُبَادِرُونَ.

فَبِمَا حُسْنَتُهُمْ وَالْوِلْدَانُ بِهِمْ يَحْفُونَ، وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَقْفُونَ، وَقَدْ آمَنُوا بِمَا
كَانُوا يَخَافُونَ، وَبِالْحُورِ الْحِسَانِ فِي حَيَامِ اللُّؤْلُؤِ يَتَنَعَّمُونَ، وَعَلَى أَسِرَّةِ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ يَتَزَاوَرُونَ، وَبِالْوُجُوهِ النَّاصِرَاتِ يَتَقَابَلُونَ.

قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣). كَانُوا يَحْمِلُونَ أَعْبَاءَ الْجَهْدِ
وَالْعَنَاءِ، وَيَفْرَحُونَ بِاللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ وَدَنَا، وَيَرْفُضُونَ الدُّنْيَا لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا تَصِيرُ إِلَى
الْفَنَاءِ، وَيُخْلِصُونَ الْأَعْمَالَ مِنْ شَوَائِبِ الْآفَاتِ لَنَا. فَعَدَا يَتَحَكَّمُونَ عَلَى الْأَرَايِكِ
وَقُطُوفُهُمْ دَانِيَةٌ الْمُجْتَنَى. وَأَعْظَمَ مِنْ هَذَا النَّعِيمِ أَنِّي أَتَجَلَّى لَهُمْ أَنَا. وَكَفَى
فَخْرًا أَنَّهُمْ عِنْدِي يَخْضَرُونَ ﴿عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣).

كَانَتْ جُنُوبُهُمْ تَتَجَافَى عَنِ الْمَضَاجِعِ، وَعَلَى الْخُدُودِ تَنْحَدِرُ الْمَدَامِغُ،
فَهُمْ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَسَاجِدٍ وَرَاكِعٍ. فَهَيْهَاتَ وَأَنَا مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ وَسَامِعٌ، فَجَزَاؤُهُمْ
لَأَجْعَلَنَّهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣).

قُلُوبٌ طَالَمَا أَفْزَعَتْهَا مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ. وَجُوهٌ طَالَمَا غَسَلَتْهَا دُمُوعُ
الْأَحْزَانِ. وَجُوهٌ طَالَمَا غَيَّرَتْهَا حَرَاقَاتِ الْأَشْجَانِ. وَجُوهٌ تُخْبِرُ عَنِ الْقُلُوبِ
إِخْبَارَ الْعُنُوتَانِ. حَرَسُوا الْوَقْتَ بِالْيَقَظَةِ وَحَفِظُوا الزَّمَانَ، وَشَعَلُوا الْعُيُونَ بِالْبُكَاءِ
وَالْأَلْسُنَ بِالْقُرْآنِ. فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ يَوْمَ الْجَزَاءِ رَأَيْتَ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤).

وُجُوهَ مَا تَوَجَّهَتْ لِغَيْرِي وَلَا اسْتَدَارَتْ؛ وَقُلُوبَ بَغِيرِي قَطُّ مَا
اسْتَجَارَتْ، وَأَفْنِدَةً بَغِيرِ ذِكْرِي مَا اسْتَنَارَتْ؛ لَوْ رَأَتْ عَيُونُ الْغَافِلِينَ مَا أَعْدَدَتْ
لَهُمْ لِحَارَتْ، مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ وَمُلْكٍ جَسِيمٍ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
النَّعِيمِ﴾ (٢٤).

أَيُّهَا الْغَافِلُ، رِيحَ الْقَوْمِ وَخَسِرْتَ، وَسَارُوا إِلَى الْحَبِيبِ مُسْرِعِينَ وَمَا
أَسْرَعَتْ، وَقَامُوا بِالْأَوَامِرِ وَضَيَّعَتْ مَا بِهِ أُمِرْتَ، وَسَلِمُوا مِنْ رِقِّ الْهَوَى
فَاغْتَرَزْتَ فَأَسِرْتَ، فَالْدُّنْيَا تَخْدُمُهُمْ وَالسَّعَادَةُ تَقْدُمُهُمْ فَهُمْ فِي سُورٍ مَا فِيهِ مَا
يَصِيمُ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤).

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْكَرَمِ الْعَمِيمِ، وَالْعَطَاءِ الْجَسِيمِ، وَالْإِحْسَانِ الَّذِي غَمَرَ
النَّاطِقَ وَالْبَهِيمَ. نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ، وَتَجْعَلَ مَأْلَنَا إِلَى
جَنَاتِكَ وَتُعِيدَنَا مِنْ عَذَابِكَ وَنِيرَانِكَ. إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ. رَعُوفٌ رَحِيمٌ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَآمِنْ خَوْفَنَا مِنْ فَرَعِ يَوْمِ الْمَعَادِ.
وَوَقَّفْنَا لِمَا تُنَجِّنَا بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي ظُلَمِ الْأَلْحَادِ، وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ
لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِلْوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ،
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الفصل الثاني

وَفِيهِ فَضْلٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّءُوفِ الْمَنَّانِ، الْكَرِيمِ الْقَدِيمِ الْإِحْسَانِ، الْعَلِيِّ الْغَنِيِّ الْقَوِيِّ
السُّلْطَانِ. الْأَوَّلُ وَلَا زَمَانَ. الْآخِرُ وَلَا أَكْوَانَ. الْبَاقِي وَلَا إِنْسٌ وَلَا جَانٌ.
الَّذِي كَتَبَ بِأَقْلَامِ الْأَحْكَامِ، فِي أَلْوَحِ أَرْوَاحِ الْأَنْامِ، آيَاتِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ.
أَوْقَدَ مَصَابِيحَ التَّوْفِيقِ. بِقُلُوبِ أَهْلِ التَّصَدِيقِ، فَرَأَوْا جَمَالًا لَا يُمَثَّلُ لِلْعَيَانِ،
وَلَا يُحَيَّلُ لِلْجَنَانِ.

صَفَى أَسْرَارَ قَوْمٍ وَكَدَّرَ أَسْرَارَ آخَرِينَ وَشَانَ. فَأَهْلُ الْكَدْرِ يَتَعَادُونَ،
وَأَهْلُ الصَّفَاءِ يَتَهَادُونَ وَيَتَدَاعَوْنَ كَالْإِخْوَانِ، وَيَتَلَقَّوْنَ بِالْقُلُوبِ وَإِنْ تَبَاعَدَتْ
الْأَوْطَانُ، وَيَتَلَقَّوْنَ بِالْإِخْلَاصِ لِلصَّمَائِرِ وَإِنْ نَأَى بِهِمُ الْمَكَانُ، وَيُحَذِّرُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا مَوَاطِنَ الْإِثْمِ وَالْحُسْرَانِ. وَيَتَوَاصُونَ بِالْبِرِّ وَالْإِثَارِ وَالْإِحْسَانِ.

كَمَا أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ خَالِقُ الْخَلْقِ وَمُكَوِّنُ الْأَكْوَانِ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي
مُحْكَمِ الْقُرْآنِ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وَمَنْحَهُمُ
الْخَيْرَ الدَّائِمَ وَجَعَلَ كُلَّ دَهْرِهِمْ رَمَضَانَ.

فَالْحَائِفُونَ وَاقِفُونَ عَلَى أَقْدَامِ الْأَلْطَافِ، مُتَصِفُونَ بِأَحْسَنِ الْأَوْصَافِ،
يُنَادِيهِمْ مُنَادِي الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾،
فَهُمْ فِي مَحَارِيبِ عِبَادَتِهِمْ يَتَمَايَلُونَ وَقْتَ السَّحَرِ مِثْلَ الشَّجَرِ بِالْأَغْصَانِ، هَزَّ
الشَّوْقُ أَفْتَانَ قُلُوبِهِمْ فَتَنَازَرَتِ الْأَفْئَانُ؛ فَاللسانُ يَضْرَعُ، وَالْقَلْبُ يَخْشَعُ. وَالْعَيْنُ
تَدْمَعُ. وَالْوَقْتُ بُسْتَانٌ. خَلَوْتُهُمْ بِالْحَبِيبِ شَغَلَتْهُمْ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ.
وَسُرُورُهُمْ بِحَضْرَتِهِ مَنَعَهُمْ مِنْ لَذِيذِ الْمِهَادِ. يُرَاوِحُونَ بَيْنَ الْأَرْجُلِ وَالْجِبَاهِ إِذَا
انْطَبَقَتِ الْأَجْفَانُ.

طَالَتْ عَلَيْهِمْ أَيَّامُ الْحَيَاةِ، وَتَدَارَكُوا مَوَاسِمَ الْخَيْرَاتِ قَبْلَ الْفَوَاتِ.
وَالْمُحِبُّ إِلَى الْحَبِيبِ ظِمَانٌ. قَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ قِصَارًا، فَعَوَّضَهُمْ بِهِ شَيْئًا
أَوْدَعَ عُقُولَ الْعَالَمِينَ حَيَارَى. وَيَا قُورَهُمْ يَوْمَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ
وَرِضْوَانٍ.

فَتَلَمَّحَ بَعْضُ الْبَصِيرَةِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، وَاجْلُ مِرَاةِ السَّرِيرَةِ تَرَى الْبُرْهَانَ. أَيْنَ
أَنْتَ مِنْهُمْ؟ مَا نَائِمٌ كَيْفَظَانُ، كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؟ أَيْنَ الشُّجَاعُ مِنَ الْجَبَانِ؟ مَا
لِلْمَوَاعِظِ فِيكَ مَوْضِعٌ، وَالْقَلْبُ مِنْكَ بِالْهَوَىٰ مَلَانٌ. قَفْتُ عَلَى بَابِ الْحَبِيبِ
وُقُوفٌ وَلَهَانٌ. وَنَكَّسَ رَأْسَ الْحَيَاءِ تَنَكَّيسَ نَدْمَانٍ، وَارَكَبَ سَفِينَةَ الصَّدْقِ فَهَذَا
الْمَوْتُ طُوفَانٌ، وَأَفْقٌ مِنْ خِمَارِ الْهَوَىٰ، فَإِلَى مَتَى أَنْتَ بِدَاءِ الرَّدَى سَكْرَانٌ؟
أَتَبِيعَ مَا يَبْقَى بِمَا يَفْنَى؟ هَذَا وَاللَّهِ عَيْنُ الْحُسْرَانِ.

شعر:

أَتَيْتُكَ سَائِلًا فَارْحَمْ عَنَائِي فَعِنْدَكَ يَا كَرِيمُ دَوَاءُ دَائِي
فَلَا أَحَدٌ سِوَاكَ إِلَيْهِ أَشْكُو فَيَرْحَمُ عَبْرَتِي وَيَرَى بُكَائِي
فَيَا مَوْلَى الْوَرَى جُدْ لِي بِعَفْوٍ وَمَنْ بِنَظَرَةٍ فِيهَا شِفَائِي
رَأَيْتُ كَثِيرَ مَا أَهْدِي قَلِيلًا لِمِثْلِكَ فَاقْتَصَرْتُ عَلَى الثَّنَاءِ

فُسَبِّحَانَ مَنْ مَنَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِهَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ، وَاخْتَصَّهُ بِالْفَضْلِ
وَالتَّشْرِيفِ، وَمَنْحَهُمْ فِيهِ الْخَيْرَ وَالْإِحْسَانَ، وَأَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ الْقُرْآنَ فَكَفَى
بِهَذَا شَرْفًا، وَأَعَدَّ لِمَنْ قَامَهُ وَصَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا جَنَانًا وَغُرَفًا فِي فَسِيحِ
الْجَنَانِ.

أَحْمَدُهُ وَهُوَ وَلِيُّ الْحَمْدِ وَمُسْتَحِقُّهُ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا عَلَى إِحْسَانِهِ لَا يُودَى
حَقُّهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مِنْ قَلْبٍ ظَهَرَ
صِدْقُهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي فَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ.
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَاتَّبَاعِهِ مَا تَعَاقَبَتِ الْأَرْمَانُ. صَلَاةٌ
دَائِمَةٌ إِلَى يَوْمِ قِيَامِ الْأَبْدَانِ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ
مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنَ
الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْصُرُ رَمَضَانَ بِالاجْتِهَادِ، وَكَانَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ
مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَامَ ﷺ فِي اللَّيْلِ حَتَّى تَفْطَرَتْ قَدَمَاهُ، وَرُوِيَ: «أَنَّهُ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى
تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَتَقُولُ لَهُ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟».

وَكَانَ يُسْمَعُ لِمَصْدَرِهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَزِيدُ كَأَزِيدِ الْمَرْجُلِ مِنَ الْبُكَاءِ،
وَقَالَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: «وَمَا يُؤْمِنُنِي يَا عَائِشَةُ وَقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ
الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلْبَهُ؟».

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يُمَسِّكُ بِلِسَانِ نَفْسِهِ وَيَقُولُ: «هَذَا الَّذِي
أُورِدَنِي الْمَوَارِدَ». وَكَانَ يَبْكِي كَثِيرًا وَيَقُولُ: «ابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا»،
فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَانَتْهُ عُودٌ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَمُرُّ بِالْآيَةِ فِي وَرْدِهِ بِاللَّيْلِ فَتَحْنُقُهُ الْعَبْرَةُ؛
فَيَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَيَّامًا وَيُعَادُ.

وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه يَبْكِي حَتَّى تَبْتَلَّ لِحْيَتُهُ، وَقَالَ: «لَوْ أَنَّنِي بَيْنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَا أَذْرِي إِلَى أَيَّتَهُمَا يُذْهَبُ بِي، لَاحْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ
أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتَهُمَا أَصِيرُ».

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه لَهُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالْخَوْفِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ
وَأَخْبَارُهُ مَشْهُورَةٌ.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ. وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ
أُخْلَقْ».

وَكَانَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ يُنَادِي فِي اللَّيْلِ: هَمَّكَ عَظَلَ عَلَيَّ الْهُمُومُ، وَحَالَ
بَيْتِي وَبَيْنَ الرُّقَادِ. وَشَوْقِي إِلَى لِقَائِكَ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّذَاتِ، وَأَنَا فِي سِجْنِكَ
يَا كَرِيمُ.

وَكَانَ سَرِيُّ السَّقَطِيُّ يَقُومُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى وَقْتِ السَّحَرِ، ثُمَّ يَجْلِسُ
فَيَبْكِي حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

وَسَمِعَ بَعْضُهُمْ قَارِئًا يَقْرَأُ: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٩ فَاضْطَرَبَ
وَمَاتَ.

وَسَمِعَ آخِرُ قَارِنًا يَقْرَأُ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ فَصَاحَ وَمَاتَ.

هَؤُلَاءِ مَعَ الطَّاعَاتِ وَالْاجْتِهَادِ خَائِفُونَ، وَعَلَى بَابِ الدُّلِّ وَالْاِفْتِقَارِ وَاقِفُونَ، وَبَيْنَ يَدَيِ مَوْلَاهُمْ بِأَسْرَارِهِمْ عَاكِفُونَ، يَسْأَلُونَ مَوْلَاهُمْ صَرْفَ الْعَذَابِ، وَيَخَافُونَ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ وَالتَّوْبِخِ وَالْعِتَابِ، وَيَخْشَوْنَ سَطْوَةَ الْقَهْرِ وَصَوْلَةَ الْعِزِّ وَالْمَنْعِ وَالْحِجَابِ.

وَالْعَافِلُ مِثْلُنَا - مَعَ تَفْرِيطِهِ وَإِهْمَالِهِ، وَتَقْصِيرِهِ فِي أَعْمَالِهِ - قَلِيلُ الْفِكْرَةِ فِي حَالِهِ وَمَالِهِ.

فَشَتَانِ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَمَا أَبْعَدَ هَاتَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ.

فَيَا إِخْوَانِي، اغْنَمُوا زَمَنَكُمْ، وَبَادِرُوا الصَّحَّةَ قَبْلَ سَقَمِكُمْ، وَخُذُوا مِنْ وُجُودِكُمْ قَبْلَ عَدَمِكُمْ، وَاحْفَظُوا أَمَانَةَ التَّكْلِيفِ لِمَنْ أَمَّنَكُمْ، فَكَأَنَّكُمْ بِالْحَمِيمِ وَقَدْ دَفَنَكُمْ، وَالْعَمَلِ بِالضَّرِيحِ قَدْ ارْتَهَنَكُمْ.

شعر:

وَنَادِ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ مُتَضَرِّعًا	بِمَا شِئْتَ مِنْ كُلِّ الدُّعَا غَيْرَ مُعْتَدٍ
وَتَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِتَوْبَةٍ	وَتَرْفَعُ كَفَّ الْمُسْتَغِيثِ الْمُجْهَدِ
وَتَدْعُو دُعَاءَ الْمُخْبِتِينَ بِرَغْبَةٍ	دُعَاءَ غَرِيقٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ مُفْرَدٍ
فَإِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ يَرْزُقُ مَنْ عَصَى	وَفَاتِحُ بَابِ لِلْمُطِيعِ وَمُعْتَدِي
وَلَكِنَّمَا صِدْقُ الرَّجَاءِ مَفَاتِحُ الْ	خَزَائِنِ فَادْعُهُ وَابْتَغِ الْفَضْلَ وَاجْهَدِ
وَقُلْ بِإِنْكَسَارٍ قَارِعًا بَابَ رَاحِمِ	قَرِيبٍ مُجِيبٍ بِالْفَوَاضِلِ يَبْتَدِي
إِلَهِي، أَتَى الْعَاصُونَ بِأَبْكَ مَلَجًا	لِيَرْجُونَ عَفْوًا مِنْكَ رَبِّي وَسَيِّدِي
إِلَيْكَ فَرَرْنَا مِنْ عَذَابِكَ رَهْبَةً	فَلَا تَطْرُدْنَا عَنْ جَنَابِكَ وَاسْعِدِ
دَعْوَنَّاكَ لِلْأَمْرِ الَّذِي أَنْتَ ضَامِنٌ	إِجَابَتَهُ يَا غَيْرَ مُخْلِفٍ مَوْعِدِ
إِلَيْكَ مَدَدْنَا بِالرَّجَاءِ أَكْثَفْنَا	فَحَاشَاكَ مِنْ رَدِّ الْفَتَى صَافِرِ الْيَدِ

وَأَمَّا مَا ذَكَرَ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي الصَّيَامِ، فَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجُوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَغْتَنِمُونَ الْعُمْرَ، فَيَسْرُدُونَ الصَّوْمَ، وَلَا يُفْطِرُونَ إِلَّا الْأَيَّامَ الْمُحَرَّمَاتِ.

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَسْرُدُ الصَّوْمَ. وَسَرَدَهُ أَبُو طَلْحَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَسَرَدَتْهُ عَائِشَةُ وَعُرْوَةُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَبْكِي عِنْدَ الْمَوْتِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي عَلَى يَوْمٍ مَا ضُمْتُهُ، وَعَلَى لَيْلَةٍ مَا قُمْتُهَا.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الصَّائِمَ نَوْمُهُ عِبَادَةٌ، وَنَفْسُهُ تَسْبِيحٌ، وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ. وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَقَدْ مَنَعَ نَفْسَهُ الشَّهَوَاتِ، وَتَرَكَ اللَّذَاتِ، فَاتَرَ نَصِيبَ مَوْلَاهُ عَلَى نَصِيبِهِ مِنَ الْمَلَادِ وَالشَّهَوَاتِ، وَأَطَاعَ أَمْرَ مَعْبُودِهِ وَتَلَذَّذَ بِرُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ؟ كَمَا قِيلَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَامَ فِي سُجُودِهِ يُبَاهِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: يَا مَلَايِكَتِي، انظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رُوْحُهُ عِنْدِي وَجَسَدُهُ بَيْنَ يَدَيَّ. أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُ.

فَمَا أَحْسَنَ سُجُودَ السَّاجِدِينَ، وَمَا أَعَزَّ أَنْفَاسَ الصَّائِمِينَ، وَمَا أَرْبَحَ بَضَائِعَ الْعَابِدِينَ، وَمَا أَطْيَبَ مُنَادِمَةَ الْمُحِبِّينَ، وَمَا أَنْفَعَ جُوعَ أَكْبَادِ الصَّائِمِينَ! كَمَا قِيلَ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَامَ وَهُوَ جَوْعَانٌ مِنَ الصَّيَامِ هَرَبَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ.

فَانْظُرْ يَا أَحْيَى إِلَى بَرَكَاتِ الْجُوعِ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ وَنَفْعِهِ كَيْفَ يَفِرُّ مِنْكَ الشَّيْطَانُ.

حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ الصَّالِحِينَ كَانَ يَمْشِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَأَى رَجُلًا يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ وَرَجُلًا نَائِمًا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، وَالشَّيْطَانُ قَائِمٌ يَتَحَيَّرُ وَيَلْتَهُبُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ: مَا لِي أَرَاكَ حَائِرًا؟ فَقَالَ: فِي هَذَا الْمَسْجِدِ رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي وَكُلَّمَا هَمَمْتُ أَنْ أَدْخُلَ إِلَيْهِ أُغْوِيهِ وَأَشْغَلُهُ فِي صَلَاتِهِ تَمْنَعُنِي أَنْفَاسُ هَذَا الصَّائِمِ الَّذِي عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ. وَالتَّائِمُ الَّذِي عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ كَانَ صَائِمًا.

فَلِلَّهِ دُرُّ أَنْفَاسِ الصَّائِمِينَ كَيْفَ تَحْرُسُ الْقُلُوبَ وَالْأَجْسَادَ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا وَلَا يُقَدِّمُ عَلَيْهَا.

فُسَبِّحَانَ مَنْ وَفَّقَ الْأَحْبَابَ لِلْهِدَايَةِ وَالصَّوَابِ. قَالَ:

أَنْتَ وَقَفْتَ مَنْ إِلَيْكَ أَنْبَا أَنْتَ أَصْلَحْتَ مَنْ أَصَابَ الصَّوَابَا
أَنْتَ حَبَبْتَ مَا تُحِبُّ إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَغْطَيْتَهُمْ عَلَيْهِ ثَوَابَا
أَنْتَ عَرَفْتَهُمْ كُنُوزَ الْمَعَالِي فَعَدَّوْا يَبْحَثُونَ عَنْهَا طَلَابَا
وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ أَجُودُ الْأَجُودِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَجُودُهُ وَكَرَمُهُ يَخْتَصُّ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ.

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْمُسَابَقَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَيَحْرِصَ عَلَى نَفْعِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ: مِنْ صَدَقَةٍ، وَفِعْلٍ مَعْرُوفٍ، وَبَذْلِ مَيْسُورٍ مِمَّا يَنْشُطُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقِيَامِ وَالصَّيَامِ: مِنْ بُخُورٍ وَطِيبٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بَطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا. قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصَّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

أَيُّهَا الْغَافِلُ عَنْ فَضِيلَةِ هَذَا الشَّهْرِ، اعْرِفْ زَمَانَكَ، يَا كَثِيرَ الْحَدِيثِ فِيمَا يُؤْذِي، احْفَظْ لِسَانَكَ، يَا مَسْئُولًا عَنْ أَعْمَالِهِ، اعْقِلْ شَأْنَكَ، يَا مُتَلَوِّنًا بِالزَّلَّلِ، اغْسِلْ بِالتَّوْبَةِ مَا شَانَكَ، يَا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ كُلُّ قَبِيحٍ، تَصَفَّحْ دِيوَانَكَ، يَا مَنْ قَدْ شَانَتْ بِالْمَعَاصِي أَخْبَارُهُ، يَا مَنْ قَدْ قَبِحَ إِعْلَانُهُ وَإِسْرَارُهُ، يَا فَقِيرًا مِنَ الْهُدَى أَهْلَكَهُ إِعْسَارُهُ، يَا كَثِيرَ الذُّنُوبِ وَقَدْ دَنَا إِحْصَارُهُ، يَا مُحْتَرِقًا بِنَارِ الْحَرِصِ مَتَى تَخْبُو نَارُهُ، يَا كَثِيرَ الْقَبَائِحِ، غَدَا تَنْطِقُ الْجَوَارِحُ. أَيْنَ الدُّمُوعُ السَّوَافِحُ عَلَى تِلْكَ الْفَضَائِحِ؟ يَا ذَا الدَّاءِ الشَّدِيدِ الْفَاضِحِ، مَا أَغَسَرَ مَرَضَ الْجَوَانِحِ، هَذَا الشَّيْبُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى عَذُولٌ نَاصِحٌ.

أَيْنَ زَادُكَ يَا أَيُّهَا الرَّائِحُ؟ أَيْنَ مَا حَصَلَتْ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ هَلْ أَنْتَ رَائِحٌ؟ يَا أَسَفًا لِهَذَا النَّارِجِ، كَيْفَ حَالُهُ فِي الضَّرَائِحِ؟ وَمَنْ لَهُ إِذَا أُوثِقَهُ الذَّابِحُ؟ مَنْ لَهُ إِذَا قَامَ النَّائِحُ؟ وَلَمْ يَنْفَعُهُ فِي بُطُونِ الصَّفَائِحِ، إِلَّا عَمَلٌ - إِنْ كَانَ لَهُ - صَالِحٌ.

إِخْوَانِي، أَيْنَ مَنْ كَانَ مَعَكُمْ فِي رَمَضَانَ الْمَاضِي؟ أَمَا أَتَتْهُ آفَاتُ الْمُنُونِ الْقَوَاضِي؟ أَيْنَ مَنْ كَانَ يَتَرَدَّدُ فِي الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ؟ سَافَرَ عَنْ دِيَارِهِ مُنْذُ زَمَانٍ وَلَمْ. أَيْنَ مَنْ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْأَدْعِيَةِ؟ خَرَجَتْ تِلْكَ الْجَوَاهِرُ مِنْ تِلْكَ الْأَوْعِيَةِ.

قَالَ أَبُو طَارِقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: شَهِدْتُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مَاتُوا فِي مَجَالِسِ الذُّكْرِ، يَمْشُونَ بِأَرْجُلِهِمْ صَبَاحًا إِلَى الْمَجْلِسِ، وَأَجْوَأُهُمْ وَاللَّهُ قَرِيحَةً، فَإِذَا سَمِعُوا الْمَوْعِظَةَ انْصَدَعَتْ قُلُوبُهُمْ فَمَاتُوا.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الْخَوْفُ يَمْنَعُنِي مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَلَا أَشْتَهِيهِ.

يَا مَنْ أَرْكَانُ إِخْلَاصِهِ وَاهِيَّةٌ، أَمَا لَكَ مِنْ عَقْلِكَ نَاهِيَّةٌ؟ إِلَى مَتَى نَفْسُكَ سَاهِيَّةٌ مُعْجَبَةٌ بِالدُّنْيَا زَاهِيَّةٌ، مُفَاخِرَةٌ لِلْأَقْرَانِ مُضَاهِيَّةٌ؟ أَمَا لَكَ عِبْرَةٌ فِيمَا خَلَا قَبْلَكَ مِنَ الْأَقْرَانِ الْمَاضِيَةِ؟ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ:

وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ	فَيَحْزَنُ فِيهَا الْقَاطِنُ الْمُتَرَحِّلُ
هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا كَمَفَازَةٍ	أَنَاحَ بِهَا رَكْبٌ وَرَكْبٌ تَحَوُّلُ
وَمَا خَلَفْنَا فِيهَا مَفَرًّا لِهَارِبٍ	فَكَيْفَ لِمَنْ رَامَ النِّجَاةَ تَحِيلُ
وَكُلُّ وَإِنْ طَالَ الثَّوَاءُ مَصِيرُهُ	إِلَى مُورِدٍ مَا عَنْهُ لِلْخَلْقِ مَعْدِلُ

فَضْلٌ

إِخْوَانِي: هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ. يَا لَهُ مِنْ وَقْتٍ عَظِيمِ الشَّانِ. تَجِبُ حِرَاسَتُهُ مِمَّا إِذَا حَلَّ شَانَ. كَأَنَّكُمْ بِهِ قَدْ رَحَلَ وَبَانَ. وَوَجْهُ الصَّالِحِ مَا بَانَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ عَيْنُكَ مُطْلَقَةٌ فِي الْحَرَامِ، وَلِسَانُكَ مُنَبِّسٌ فِي الْآثَامِ، وَلَا أَقْدَامُكَ عَلَى الذُّنُوبِ إِقْدَامٌ. وَمَا لِمَوَاسِمِ الْفَضْلِ عِنْدَكَ احْتِرَامٌ. وَالْكُلُّ مُثَبَّتٌ فِي الدِّيَوَانِ. تَاللَّهِ لَوْ عَقَلْتَ حَالَكَ أَوْ ذَكَرْتَ ارْتِحَالَكَ، أَوْ تَصَوَّرْتَ أَعْمَالَكَ. لَبَنَيْتَ بَيْتَ الْأَحْزَانِ. سَيَشْهَدُ رَمَضَانُ عَلَيْكَ بِنُطْقِ لِسَانِكَ. وَنَظَرِ عَيْنِكَ، وَسِيَّارِ يَوْمِ الْجَمْعِ إِلَيْكَ: شَقِيَّ فُلَانٍ أَوْ سَعِدَ فُلَانٍ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ. وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ. حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَغْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «صَلُّوا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ رَكَعَتَيْنِ لِظُلْمَةِ الْقُبُورِ. صُومُوا يَوْمًا شَدِيدًا حَرُّهُ لِحَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ. تَصَدَّقُوا بِصَدَقَةِ السَّرِّ لِيَوْمِ عَسِيرٍ».

كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ يُوَاطِبُونَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ. وَيَجْتَهِدُونَ عَلَى إِخْفَاءِ تَهَجُّدِهِمْ.

قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ عِنْدَهُ زُورَةٌ فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي لَا يَعْلَمُ بِهِ زُورُهُ.

وَكَانُوا يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يُسْمَعُ لَهُمْ صَوْتُ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَنَامُ مَعَ امْرَأَتِهِ عَلَى وِسَادَةٍ فَيَكِي لَيْلَتَهُ وَهِيَ لَا تَشْعُرُ.

وَلِصَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ فَضْلٌ، لِأَنَّهَا أَبْلَغُ فِي الْإِسْرَارِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَأَشَقُّ عَلَى النَّفُوسِ، فَإِنَّ اللَّيْلَ مَحَلُّ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ مِنَ التَّعَبِ بِالنَّهَارِ، وَلِأَنَّ الْقِرَاءَةَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ أَقْرَبُ إِلَى التَّدَبُّرِ وَأَحْضَرُ لِلْقَلْبِ، وَيَتَوَاطَأُ هُوَ وَاللِّسَانُ عَلَى الْفَهْمِ.

وَصَلَاةُ اللَّيْلِ مِنْهَا عَنِ الْإِثْمِ، وَلِهَذَا لَمَّا قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ؛ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ؟ قَالَ: «سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ».

وَلَاِنَّ وَقْتَ التَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ أَوْقَاتِ التَّطَوُّعِ بِالصَّلَاةِ، وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ وَقْتُ فَتْحِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، وَاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَاسْتِعْرَاضِ حَوَائِجِ السَّائِلِينَ.

وَفِي اللَّيْلِ سَاعَةُ الْإِجَابَةِ، وَفِيهِ النُّزُولُ الْإِلَهِيُّ؛ فَيَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْرِصَ عَلَى اغْتِنَامِ فُرْصِ الْخَيْرَاتِ.

فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ كَانَ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ فِي اللَّيْلِ خَاصَّةً أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ.

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ وَمَعَهُ حُذِيفَةُ فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ ثُمَّ النِّسَاءَ ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ تَخْوِيفٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ، وَلَا آيَةَ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ يَسْأَلُ، قَالَ: فَمَا صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَ بِبَلَالٍ وَأَذَنُهُ بِالصَّلَاةِ».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدِهِ إِلَى ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْعَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنِطَرِينَ» يَعْنِي: أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الْأَجْرِ، وَأَنْشَدَ ذُو الثُّونِ الْمِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَنْعَ الْقُرْآنِ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ مَقَلَ الْعُيُونِ بِلَيْلِهَا لَا تَهْجَعُ
فَهَمُّوا عَنِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ كَلَامَهُ فَهَمَّا تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

يَا مَنْ ضَيَّعَ عُمرَهُ فِي غَيْرِ الطَّاعَةِ، يَا مَنْ فَرَطَ فِي شَهْرِهِ بَلْ فِي دَهْرِهِ
وَأَضَاعَهُ، يَا مَنْ بِضَاعَتُهُ التَّفْرِيطُ وَالتَّسْوِيفُ، وَبَيْسَتِ الْبِضَاعَةُ، يَا مَنْ جَعَلَ
خَصْمَهُ الْقُرْآنَ وَشَهْرَ رَمَضَانَ، كَيْفَ تَرْجُو مِمَّنْ جَعَلَتْهُ خَصْمَكَ الشَّفَاعَةُ؟ وَلِمَنْ
شَفَعَاؤُهُ خُصَمَاؤُهُ.

رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ، وَقَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ التَّعَبُ
وَالسَّهَرُ. كُلُّ قِيَامٍ لَا يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَا يَزِيدُ صَاحِبَهُ إِلَّا بُعْدًا.
وَكُلُّ صِيَامٍ لَا يَنْهَى عَنِ قَوْلِ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ لَا يُوْرِثُ صَاحِبَهُ إِلَّا مَقْتًا وَرَدًّا.
يَا قَوْمِ أَيْنَ آثَارُ الصِّيَامِ؟ أَيْنَ أَنْوَارُ الْقِيَامِ؟

هَذَا - عِبَادَ اللَّهِ - شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، فِي بَقِيَّتِهِ لِلْعَابِدِينَ
مُسْتَمِعٌ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ يُتْلَى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَيُسْمَعُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي لَوْ أُنْزِلَ
عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا يَتَصَدَّعُ، وَمَعَ هَذَا فَلَا قَلْبَ يَخْشَعُ، وَلَا عَيْنٌ تَدْمَعُ،
وَلَا صِيَامٌ يُصَانُ عَنِ الْحَرَامِ فَيَنْفَعُ، وَلَا قِيَامٌ اسْتِقَامَ فَيُرْجَى فِي صَاحِبِهِ أَنْ
يَشْفَعَ. قُلُوبٌ خَلَّتْ مِنَ التَّقْوَى فَهِيَ خَرَابٌ بَلَقَعَ، وَتَرَكَمَتْ عَلَيْهَا ظُلْمَةُ
الذُّنُوبِ فَهِيَ لَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ: اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
قَدْ خَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِخَصَائِصٍ كَثِيرَةٍ:

الأولى: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَهُ شَهْرًا مُبَارَكًا.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ جَعَلَ فِيهِ لَيْلَةً خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ جَعَلَ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ جَعَلَ مَنْ تَقَرَّبَ فِيهِ بِخُصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ
أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً.

وَتَقَدَّمَ قَوْلُ النَّخَعِيِّ: صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا

سِوَاهُ، وَتَسْبِيحُهُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ تَسْبِيحَةٍ، وَرَكْعَتُهُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ.
وَتَقْدَمُ حَدِيثُ التَّرْمِذِيِّ فِي الصَّدَقَةِ فِي رَمَضَانَ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ جَعَلَهُ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ شَهْرُ الْمُوَاسَاةِ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ شَهْرٌ يَزَادُ فِيهِ رِزْقُ الْمُؤْمِنِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ مَنْ فَطَرَ فِيهِ صَائِمًا، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، وَمَنْ أَشْبَعَ فِيهِ
صَائِمًا أَوْ سَقَاهُ شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ، سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ
بَعْدَهَا أَبَدًا.

التَّاسِعَةُ: أَنَّهُ شَهْرُ أَوَّلِهِ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ.

وَفِيهِ خَصَائِصٌ كَثِيرَةٌ، وَمَا ذَكَرْنَا فِيهِ كِفَايَةً لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَهَدَاهُ،
فَاسْتَكْثَرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصَلْتَيْنِ تُرْضَوْنَ بِهِمَا رَبُّكُمْ، وَخَصَلْتَيْنِ لَا
غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا.

فَأَمَّا الْخَصَلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضَوْنَ بِهِمَا رَبُّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ.

وَأَمَّا الْخَصَلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَهُ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذُونَ بِهِ
مِنَ النَّارِ.

إِخْوَانِي: آوِ عَلَى مَنْ كَانَتْ النَّارُ مَثْوَاهُ. آوِ عَلَى مَنْ عَصَى مَوْلَاهُ. آوِ عَلَى
مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ. آوِ عَلَى مَنْ كَانَ التَّعْذِيبُ عُقْبَاهُ. آوِ عَلَى مَنْ اسْتَهْوَاهُ غِيَّةُ
فَاسْتَعْبَدَهُ هَوَاهُ. آوِ عَلَى الْمَطْرُودِ فِي هَذَا الشَّهْرِ ثُمَّ آوَاهُ. آوِ عَلَى الْمُذْنِبِينَ
أَوَّاهُ. آوِ عَلَى مَنْ جَفَاهُ مَوْلَاهُ. آوِ عَلَى مَنْ عَصَى بِعَقْلَتِهِ وَمَا تَابَ مِنْ خَطَايَاهُ.
آوِ عَلَى الْمُذْنِبِ الْحَزِينِ إِذَا لَمْ يَخَفِ اللَّهَ ثُمَّ يَخْشَاهُ. آوِ عَلَى مَنْ يَفُوتُهُ فِي مِثْلِ
هَذَا الشَّهْرِ عَفْوُ مَوْلَاهُ. آوِ عَلَى مَنْ يَبِيعُ مُعْتَبِنًا بِدَارِ دُنْيَاهُ دَارَ أَخْرَاهُ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ: «مَرْحَبًا بِشَهْرِ خَيْرٍ كُلِّهِ، صِيَامُ نَهَارِهِ، وَقِيَامُ لَيْلِهِ، النَّفَقَةُ فِيهِ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «يُخْرَجُ الصَّائِمُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُعْرِفُونَ بِرِيحِ الْمِسْكِ، تُنْقَلُ إِلَيْهِمُ الْمَوَائِدُ وَالْأَبَارِيقُ، مَخْتُومَةٌ أَقْوَاهُهَا بِالْمِسْكِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: كُلُوا فَقَدْ جُعْتُمْ حِينَ شَبَعَ النَّاسُ، وَاشْرَبُوا فَقَدْ عَطِشْتُمْ حِينَ رَوِيَ النَّاسُ، وَاسْتَرِيحُوا فَقَدْ تَعَبْتُمْ حِينَ اسْتَرَاخَ النَّاسُ، قَالَ: فَيَسْرُبُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ، وَالنَّاسُ مَشْغُولُونَ فِي الْحِسَابِ».

وَرَأَى بَعْضُهُمْ بَشَرَ بْنِ الْحَارِثِ فِي الْمَنَامِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مَائِدَةٌ وَهُوَ يَأْكُلُ، وَيُقَالُ لَهُ: كُلْ يَا مَنْ لَمْ يَأْكُلْ، وَاشْرَبْ يَا مَنْ لَمْ يَشْرَبْ.

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: مَنْ تَرَكَ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا طَعَامًا أَوْ شَرَابًا وَتَرَكَ شَهْوَةً مُدَّةً قَلِيلَةً اسْتَرَاخَ وَالنَّاسُ مَشْغُولُونَ فِي الْحِسَابِ.

لَبِستُ ثَوْبَ الدُّجَى وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا	وَبِثْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَقُلْتُ: يَا أَمَلِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ	وَمَنْ عَلَيْهِ لِكُشْفِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ
أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا	مَا لِي عَلَى حَمْلِهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالذُّلِّ مُبْتَهِلًا	إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ
فَلَا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبَّ خَائِبَةً	فَبَحْرُ جُودِكَ يُرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ

إِخْوَانِي: أَيُّنَ مَنْ صَامَ عَنِ الْحَرَامِ وَأَفْطَرَ عَلَى الْحَلَالِ؟ أَيُّنَ مَنْ مَنَعَ لِسَانَهُ عَنِ الْغِيْبَةِ وَالْقِيلِ وَالْقَالَ؟ أَيُّنَ مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَاتَّبَعَ أَحْسَنَ الْحَلَالِ؟ أَيُّنَ مَنْ أَخْلَصَ صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ لِمَوْلَاهُ ذِي الْجَلَالِ؟

يَا مُطْلِقًا نَفْسَهُ فِيمَا يَشْتَهِي وَيُرِيدُ، اذْكُرْ عِنْدَ خَطَرَاتِكَ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ، وَخَفْتُ فُتُوحَ مَا جَرَى فَالْمَلِكُ يَرَى وَالْمَلِكُ شَهِيدٌ. هَلَّا اسْتَحَيْتَ مِمَّنْ يَرَاكَ؟ إِذَا رَكِبْتَ مِنْ هَوَاكَ مَا عَنْهُ نَهَاكَ: سَتَبْكِي عَيْنَاكَ عَلَى مَا جَنَّتْ يَدَاكَ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّهُ بِالْمِرْصَادِ، فَقُلْ لِي: أَيُّنَ تَحِيدُ؟

يَا هَذَا؛ كَلَامُكَ مَكْتُوبٌ، وَفِعْلُكَ كُلُّهُ مَحْسُوبٌ، وَأَنْتَ عَدَا مَطْلُوبٌ،
وَلَكَ ذُنُوبٌ وَلَا تَتُوبُ، وَسَمْسُ الْحَيَاةِ قَدْ أَخَذَتْ فِي الْغُرُوبِ، فَمَا أَقْسَى
قَلْبِكَ مِنْ بَيْنِ الْقُلُوبِ، وَقَدْ أَتَاهُ مَا يَصْدَعُ الْحَدِيدَ وَ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رِقِيبٌ عَيْنٌ﴾.

كَانَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ يَخْتِمُ كُلَّ لَيْلَةٍ خَتْمَةً؛ فَقَامَ لَيْلَةً فَرَأَى شَخْصًا فِي
الْمَنَامِ أَخَذَ بِمُقَدِّمِ رَأْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: قُمْ يَا ابْنَ زِيَادٍ فَادْكُرِ اللَّهَ يَذْكُرْكَ. فَمَا
زَالَتْ تِلْكَ الشَّعْرَاتُ قَائِمَةً حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى.

وَفِي حَدِيثٍ عَطِيَّةٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَضْحَكُ
إِلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَأَحْسَنَ الطُّهُورَ ثُمَّ صَلَّى، وَرَجُلٌ نَامَ
وَهُوَ سَاجِدٌ، وَرَجُلٌ فِي كَتِيبَةٍ مُنْهَزِمَةٌ عَلَى فَرَسٍ جَوَادٍ لَوْ شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ
لَذَهَبَ».

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَحَرَمْتُ بِهِ قِيَامَ اللَّيْلِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ،
مَا تُؤْهِلُ الْمُلُوكَ لِلْخُلُوةِ بِهِمْ إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ فِي وَدْهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ؛ فَأَمَّا مَنْ
كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمُخَالَفَةِ فَلَا يُؤْهِلُونَهُ.

قَامَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ فَضْرَبَهُ الْبَرْدُ فَبَكَى،
فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: أَقْمَنَّاكَ وَأَنْمَنَاهُمْ ثُمَّ تَبَكَّى عَلَيْنَا؟

إِخْوَانِي: هَذِهِ بَشَارَةٌ لِلصَّائِمِينَ وَالْقَائِمِينَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِذَا حَمَوْا
نَفْسَهُمْ عَنِ الرَّلَلِ وَالْعُضْيَانِ، وَأَخْلَصُوا أَعْمَالَهُمْ لِلْوَاحِدِ الْمَنَّانِ. فَكَيْفَ حَالُ
الْمُقَرَّبِ الَّذِي يَصُومُ وَيَأْكُلُ لِحُومِ الْإِخْوَانِ؟ وَيُصَلِّي وَجِسْمُهُ فِي مَكَانٍ وَقَلْبُهُ فِي
مَكَانٍ، وَيَذْكُرُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبُهُ مَشْغُولٌ بِذِكْرِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟

فَيَا مَنْ أَصْبَحَ إِلَى مَا يَضُرُّهُ مُتَقَدِّمًا، يَا مَنْ أَمْسَى بِنَاءَ أَمَلِهِ بِكَفِّ أَجَلِهِ
مُتَهَدِّمًا، يَا مَنْ كَانَ عَنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ مُحْجِمًا. سَتَعَلَّمَ عَدَا مَنْ يَعُضُّ عَلَى
الْكُفِّ نَادِمًا، وَيَبْكِي عَلَى التَّفْرِيطِ بَعْدَ الدُّمُوعِ دَمًا. لَقَدْ قَرُبَ الْقَوْمُ وَأَنْتَ
مُتَبَاعِدٌ، وَحَصَلُوا عَلَى الطَّرِيقِ وَأَنْتَ بِالْعُقْلَةِ رَاقِدٌ.

شَهْرَ الصَّيَامِ لَقَدْ عَلَوْتَ مُكْرَمًا وَغَدَوْتَ مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ مُعَظَّمًا
يَا صَائِمِي رَمَضَانَ هَذَا شَهْرُكُمْ فِيهِ أَبَاحُكُمْ الْمُتَهِمِينَ مَعْنَمًا
يَا قُوزَ فِيهِ مَنْ أَطَاعَ إِلَهَهُ مُتَقَرِّبًا مُتَجَنِّبًا مَا حَرَّمَ
وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِلْعَاصِي الَّذِي فِي شَهْرِهِ أَكَلَ الْحَرَامَ وَأَجْرَمَا
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي بَدَأْتَ بِهَا الطَّائِعِينَ حَتَّى قَامُوا بِطَاعَتِهِمْ:
أَنْ تَمُنَّ بِهَا عَلَى الْعَاصِينَ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِمْ.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ، ارْحَمْنَا يَا مَوْلَانَا فِي
هَذِهِ السَّاعَةِ. وَتَعَطَّفْ عَلَى أَيْدٍ امْتَدَّتْ إِلَيْكَ بِالذُّلِّ وَالضَّرَاعَةِ، وَأَيِّقِظْنَا يَا
مَوْلَانَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ، وَتَبَهَّنَا لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ، وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا،
وَاعْصِمْنَا مِنْ ذُنُوبِنَا وَقَبَائِحِنَا، وَاسْتَعْمِلْ فِي طَاعَتِكَ جَمِيعَ جَوَارِحِنَا، وَلَا
تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا، وَأَكْتَنَتْ سَرَائِرُنَا. وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا سَيِّدَنَا بِتُوبَةٍ
تَمْحُو عَنَّْا كُلَّ ذَنْبٍ وَحَوْبَةٍ، وَتَقْبَلُ مِنَّا أَجْمَعِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

فِي ذِكْرِ السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ وَطَلَبِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَفَضْلِ الاجْتِهَادِ فِي الْأَعْمَالِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَوَّرَ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ بِأَنْوَارِ الْوِفَاقِ، وَرَفَعَ قَدْرَ أَصْفِيَائِهِ، فَعَلَا
ذِكْرَهُمْ فِي الْآفَاقِ، وَطَيَّبَ أَسْرَارَ الْقَاصِدِينَ بِطِيبِ ثَنَائِهِ، فَسَمَّا فَضْلُهُمْ فِي الدِّينِ
وَفَاقَ، وَسَقَى أَرْبَابَ مُعَامَلَاتِهِ مِنْ لَذِيذِ مُنَاجَاتِهِ، شَرَابًا عَذْبَ الْمَذَاقِ فَأَقْبَلُوا
لِطَلَبِ مَرَاضِيهِ عَلَى أَفْدَامِ السَّبَاقِ. وَهَانَ عَلَيْهِمْ حَمْلُ الْمَشَقَّةِ لِمَا تَحَمَّلُوهُ مِنْ
الْأَشْوَاقِ. رَضِيَ قُلُوبُهُمْ لِعَرْسِ وَلَايَتِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا غَيْثَ عِنَايَتِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ
وَرَعَاهُمْ بِرَأْفَتِهِ، وَمَنْحَهُمُ الرِّضَا يَوْمَ التَّلَاقِ. وَأَظْهَرَ عَذْلَهُ بِإِبْعَادِ قَوْمٍ فَحَكَمَ عَلَيْهِمْ
بِالْمُخَالَفَةِ وَالشَّقَاقِ. وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ أَغْلَالًا جَمَعَتِ الْأَيْدِي وَالْأَعْنَاقُ
﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٤﴾﴾.

يا وَنَحْ مَنْ قُطِعَ عَنِ الْحَسَابِ، يا رَزِيَّةَ مَنْ أُغْلِقَ فِي وَجْهِهِ الْبَابُ، يا شَقَاوَةَ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ. تَاللَّهِ إِنَّ كَسْرَهُ لَا يُطَاقُ.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَيْقَظَ الْأَبْرَارَ، وَحَثَّ مَطَايَا شَوْقِهِمْ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، وَاسْتَنْهَضَ عِزَائِمَهُمْ إِلَى الْمُسَارَعَةِ وَالْبِدَارِ، فَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِ الْجِدِّ يَتَنَافَسُونَ فِي السَّبَاقِ. وَتَعَالَى مِنْ إِلَهٍ نَفَذَ مَقَادِيرَهُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْكَفَّارِ، وَقَضَى عَلَى الْخَلَائِقِ بِمَصَائِبِ تَزْعُجُهُمْ عَنِ الرُّكُونِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، وَجَعَلَ لِلْفَضْلِ أَوْقَاتًا يَغْنَمُهَا أَهْلُ الْحُبِّ وَالْإِشْفَاقِ.

أَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الْمِدْرَارِ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ مُعْتَرِفٍ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِهِ مُتَذَلِّلٍ بَيْنَ خَجَلٍ وَإِطْرَاقٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً صَفَا مَوْرِدُهَا وَرَاقَ، أَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنْ نَارِ شَدِيدَةِ الْإِحْرَاقِ، وَأَنْ يَهْوَنَ بِهَا عَلَيَّ كَرْبُ السِّيَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفَ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ عَلَى الْبِرَاقِ، حَتَّى جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ السَّبَاقِ، صَلَاةً وَسَلَامًا إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مَنِ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٣٧﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٨﴾﴾.

هَذَا فِيهِ مَدْحٌ لِأَتْبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ - وَهُمْ الْمَنْعُوتُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ - أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ مُطِيعَةٌ لِشَرْعِهِ وَمُتَّبِعَةٌ لِنَبِيِّ اللَّهِ فَهِيَ قَائِمَةٌ، يَعْنِي: مُسْتَقِيمَةٌ، يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، أَي: يَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيُكْثِرُونَ التَّهَجُّدَ وَيَتْلُونَ الْقُرْآنَ فِي صَلَوَاتِهِمْ فَهُمْ يَتَهَجَّجُونَ بِلَيْلِهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا، يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَيَتَذَبَّرُونَهَا، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ. وَفِي هَذَا مَدْحٌ لَهُمْ وَتَنْوِيهٌ بِذِكْرِهِمْ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا. وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَتَخْتَصُّ بِالْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ وَلِيَالِي الْوِثْرِ أَكْثَرُ، وَلَكِنْ اخْتَلَفَ فِي تَعْيِينِهَا.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما «أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَأَوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ. فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْتِمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلَا يُغْلِبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي».

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيثٍ عَائِشَةَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «فِي الْوِثْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْتِمِسُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ: فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى».

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «هِيَ فِي الْعَشْرِ؛ فِي سَبْعٍ يَمْضِينَ. أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَمْ مَضَى مِنَ الشَّهْرِ؟ قُلْنَا: مَضَتْ ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ وَبَقِيَ ثَمَانٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَا بَلْ مَضَتْ ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ وَبَقِيَ سَبْعٌ، اظْلُبُوهَا اللَّيْلَةَ» وَلَكِنَّ فِيهِ اخْتِمَالًا لِمَنْ أَرَادَ الْخُصُوصَ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ حَدِيثَ أَبِي بَكْرَةَ. وَفِيهِ أَنَّهَا تُطْلَبُ فِي الْأَوْتَارِ.

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَيْسٍ: «أَنَّهُمْ سَأَلُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَذَلِكَ مَسَاءَ لَيْلَةٍ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ. فَقَالَ: الْتِمِسُوهَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ

رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: فَهِيَ إِذَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُولَى ثَمَانٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
إِنَّهَا لَيْسَتْ بِأُولَى ثَمَانٍ؛ وَلَكِنَّهَا أُولَى سَبْعٍ، إِنَّ الشَّهْرَ لَا يَتِمُّ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.

وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ السُّخْتِيَانِيُّ يَغْتَسِلُ لَيْلَةً ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعَ وَعِشْرِينَ،
وَيَلْبَسُ ثَوْبَيْنِ جَدِيدَيْنِ، وَيَمْسُ طَبِيًّا وَيَقُولُ: لَيْلَةٌ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ هِيَ لَيْلَةُ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ، وَلَيْلَةُ أَرْبَعَ وَعِشْرِينَ لَيْلَتُنَا، يَعْنِي أَهْلَ الْبَصْرَةِ.

وَقَدْ عَلِمْتَ مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ، وَإِنَّمَا
أَخْفَاهَا اللَّهُ تَعَالَى لِيَجْتَهِدَ النَّاسُ فِي الْعَمَلِ كَمَا فِي سَاعَةِ الْجُمُعَةِ.

فَأَمَّا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ فَهِيَ عِنْدَهُ لَيْلَةٌ إِحْدَى وَعِشْرِينَ. وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ
مَذْهَبِهِ.

وَقَدْ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: «أَنَّهَا تُطْلَبُ لَيْلَةٌ إِحْدَى وَعِشْرِينَ
وَتَلَاثَ وَعِشْرِينَ».

وَلِلشَّافِعِيِّ قَوْلٌ: إِنَّهَا لَيْلَةُ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ. وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.
وَاحْتَجُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ».

وَقَالَ أَيْضًا: «لَا آمَنُ أَنْ تَكُونَ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ»، وَهَذَا مِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ
مَنْ رَجَحَ لَيْلَةَ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ عَلَى لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ؛ فَإِنَّ لَيْلَةَ إِحْدَى
وَعِشْرِينَ لَيْسَتْ مِنَ السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ بَلَا تَرُدُّ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ
الْقَدْرِ: «أُرِيتُ أَنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَاَنْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ
صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ وَعَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ». وَقَدْ رَوَى
عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِقِيَامِهَا.

وَرَوَى رُشْدُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ زَهْرَةَ بْنِ مَعْبُدٍ قَالَ: «أَصَابَنِي اخْتِلَامٌ فِي أَرْضِ
الْعَدُوِّ وَأَنَا فِي الْبَحْرِ لَيْلَةَ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَذَهَبْتُ لِأَغْتَسِلَ فَسَقَطَتْ

فِي الْمَاءِ، فَإِذَا الْمَاءُ عَذِبٌ، فَتَادَيْتُ أَصْحَابِي أَعْلَمُهُمْ أَنِّي فِي مَاءٍ عَذِبٍ» قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: تُعْرَفُ هَذِهِ اللَّيْلَةُ بِلَيْلَةِ الْجُهَنِيِّ بِالْمَدِينَةِ - يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَسٍ الْجُهَنِيَّ.

وَقَدْ رَوَى مَالِكٌ فِي الْمُوطَّأِ عَنْهُ: «أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ شَاسِعُ الدَّارِ، فَمُرْنِي لَيْلَةً أَنْزِلُ لَهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْزِلْ لَيْلَةً ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ». وَسَيَأْتِي بِقِيَّةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَصْلٌ

قَالَ فِي اللَّطَائِفِ: لَمَّا سَمِعَ الصَّحَابَةُ ﷺ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فَهَمُّوا أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَجْتَهِدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ هُوَ السَّابِقُ لِغَيْرِهِ إِلَى هَذِهِ الْكِرَامَةِ، وَالْمُسَارَعُ إِلَى بُلُوغِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ. فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا رَأَى مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا يَعْجِزُ عَنْهُ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ ذَلِكَ الْعَمَلِ هُوَ السَّابِقُ لَهُ فَيَحْزَنُ لِفَوَاتِ سَبْقِهِ، فَكَانَ تَنَافُسُهُمْ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَاسْتِبَاقَتُهُمْ إِلَيْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ فَعَكَسُوا الْأَمْرَ، فَصَارَ تَنَافُسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَحُظُوظِهَا الْفَانِيَةِ.

قَالَ الْحَسَنُ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُنَافِسُكَ فِي الدُّنْيَا فَنَافِسُهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَسْبِقَكَ إِلَى اللَّهِ أَحَدٌ فَافْعَلْ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ بِرَجُلٍ أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْهُ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْزِنَهُ ذَلِكَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ بِرَجُلٍ أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْهُ، فَانْصَدَعَ قَلْبُهُ فَمَاتَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِعَجَبٍ.

قَالَ رَجُلٌ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ مُنَادِيًا يُنَادِي: أَيُّهَا النَّاسُ،
الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ؛ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَرْتَحِلُ إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ، فَصَاحَ مَالِكٌ
وَعُشِيَ عَلَيْهِ ﴿وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ﴾ ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿١٧﴾.

صَاحِبُ الْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ التَّوَّافَةِ، لَا يَرْضَى بِالْأَشْيَاءِ
الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ. وَإِنَّمَا هِمَّتُهُ الْمُسَابَقَةُ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْبَاقِيَةِ الرَّائِكَةِ، الَّتِي لَا تَفْنَى
وَلَا يَرْجِعُ عَنْ مَطْلُوبِهِ وَلَوْ تَلَفَتْ نَفْسُهُ فِي طَلَبِهِ، وَمَنْ كَانَ فِي اللَّهِ تَلَفُهُ كَانَ
عَلَى اللَّهِ خَلْفُهُ.

قِيلَ لِبَعْضِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الطَّاعَاتِ: لِمَ تُعَذِّبُ هَذَا الْجَسَدَ؟ قَالَ:
كَرَامَتُهُ أُرِيدُ.

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِنَّ لِي نَفْسًا تَوَافَقَ مَا نَالَتْ شَيْئًا إِلَّا تَأَقَّتْ إِلَى
مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَإِنَّهَا لَمَّا نَالَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، يَعْنِي: الْخِلَافَةَ، وَلَيْسَ فِي
الدُّنْيَا مَنْزِلَةٌ أَعْلَى مِنْهَا، تَأَقَّتْ إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهَا، يَعْنِي الْآخِرَةَ.

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَجَاءَتْ مَوْلَاةٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَصَّتْ عَلَيْهِ أَنَّهَا رَأَتْ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ
الصُّرَاطَ قَدْ مَدَّ عَلَى جَهَنَّمَ وَهِيَ تَزْفِرُ عَلَى أَهْلِهَا، وَذَكَرَتْ أَنَّهَا رَأَتْ رِجَالًا
مَرُّوا عَلَى الصُّرَاطِ فَأَخَذَتْهُمْ النَّارُ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ جِيءَ
بِكَ. فَوَقَعَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ، وَبَقِيَ زَمَانًا يَضْطَرِبُّ، وَهِيَ تَصِيحُ فِي أُذُنِهِ: رَأَيْتُكَ
وَاللَّهِ قَدْ نَجَوْتَ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ: رَأَيْتُ شَابًّا فِي سَفْحِ جَبَلٍ
عَلَيْهِ آثَارُ الْقَلْقِ، وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟
قَالَ: عَبْدُ أَبِيكَ مِنْ مَوْلَاهُ، فَقُلْتُ: تَعُودُ وَتَعْتَذِرُ، قَالَ: الْعُذْرُ يَحْتَاجُ إِلَى إِقَامَةٍ
حُجَّةٍ، فَكَيْفَ يَعْتَذِرُ الْمُقْصِرُ؟ قُلْتُ: يَتَعَلَّقُ بِمَنْ يَشْفَعُ لَهُ، قَالَ: كُلُّ الشُّفَعَاءِ

يَخَافُونَ مِنْهُ، قُلْتُ: فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: مَوْلَى رَبَّانِي صَغِيرًا فَعَصَيْتُهُ كَبِيرًا، فَوَاحِيَائِي مِنْهُ حِينَ أَلْقَاهُ مِنْ حُسْنِ صُنْعِهِ وَفُتِحَ فِعْلِي، ثُمَّ صَاحَ وَخَرَّ مَيِّتًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَخَرَجْتُ عَجُوزٌ وَقَالَتْ: مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ الْبَائِسِ الْحَزِينِ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ أَنْ أُعِينِكَ عَلَى تَجْهِيزِهِ، فَقَالَتْ: خَلِّهِ ذَلِيلًا بَيْنَ يَدَيِ قَاتِلِهِ عَسَى أَنْ يَرَاهُ ذَلِيلًا فَيَرْحَمَهُ.

فَهَذِهِ حَالُ الْقَوْمِ فِي مُعَامَلَتِهِمْ لِمَوْلَاهُمْ، وَنَحْنُ جَمَعْنَا بَيْنَ الْإِسَاءَةِ وَالْأَمْنِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأُخْرِجَ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «لَمْ يَشْهَدْ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِ وَقَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غِبْتُ عَنْهُ، لَكِنِّي أَرَانِي اللَّهَ تَعَالَى مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيَرَيْنَ اللَّهُ ﷻ مَا أَصْنَعُ، قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا، فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَاسْتَقْبَلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ﷺ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: فَقَاتَلْتُهُمْ حَتَّى قُتِلَ ﷺ، قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعُ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ عَمَّتِي الرُّبَيْعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ؛ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مَنْ الْتَمَسَ رِجَالًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ (٣٣)».

قَالَ: فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ ﷺ.

وَأُخْرِجَ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُرَاحُ رَائِحَةُ الْجَنَّةِ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَلَا يَجِدُ رِيحَهَا مَنَّا بِعَمَلِهِ وَلَا عَاقٍ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ».

وَعَنْهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ سَبْعِينَ خَرِيفًا»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَأَخْرَجَ عَنْ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتَ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ: وَرِيحُ الْجَنَّةِ نَوْعَانِ: رِيحٌ يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا تَشْمُهُ الْأَرْوَاحُ وَأَخْيَانًا لَا تُذَرِّكُهُ الْعِبَارَةُ، وَرِيحٌ يُذَرِّكُ بِحَاسَةِ الشَّمِّ لِلْأَبْدَانِ كَمَا تُشَمُّ رَوَائِحُ الْأَزْهَارِ وَغَيْرِهَا، وَهَذَا يَشْتَرِكُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي إِذْرَاكِهِ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قُرْبٍ وَبُعْدٍ. وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ يُذَرِّكُهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَهَذَا الَّذِي وَجَدَهُ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَوَّلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ أَشْهَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الدَّارِ آثَارًا مِنْ آثَارِ الْجَنَّةِ وَأَنْمُودَجًا مِنَ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ، وَاللَّذَاتِ الْمُشْتَهِيَاتِ، وَالْمَنَاظِرِ الْبَهِيَّةِ، وَالْفَاكِهَةِ الْحَسَنَةِ وَالنَّعِيمِ وَالسُّرُورِ وَقَرَّةِ الْعَيْنِ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو نَعِيمٍ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُوْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ: طَيِّبِي لِأَهْلِكَ، فَتَزْدَادُ طَيِّبًا؛ فَذَلِكَ الْبَرْدُ الَّذِي يَجِدُهُ النَّاسُ بِالسَّحَرِ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا جَعَلَ سُبْحَانَهُ نَارَ الدُّنْيَا وَالْآمَةِا وَعُغْمُومَهَا وَأَخْزَانَهَا مُذَكَّرَةً بِنَارِ الْآخِرَةِ».

قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ مِنْ أَنْفَاسِ جَهَنَّمَ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَشْهَدَ عِبَادَهُ أَنْفَاسَ جَنَّتِهِ، وَمَا يُذَكِّرُهُمْ بِهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

كَانَ الْعَارِفُونَ يَتَلَذَّذُونَ بِخَلَوَاتِهِمْ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُشَاهِدُونَ نَعِيمًا تَقَرَّرَ أَغْنِيئُهُمْ بِهِ، وَهُوَ غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا؛ فَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ يَقُولُ: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ.

وَكَانَ آخَرُ يَقُولُ: مَسَاكِينُ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا دَأَفُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا، قِيلَ: وَمَا أَطْيَبَ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتُهُ وَذِكْرُهُ.

وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا طَرَبًا.

وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا النَّعِيمِ إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.

وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ: إِنْ فِي الدُّنْيَا جَنَّةٌ مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَا يَدْخُلُ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَشْهَدَ عِبَادَهُ جَنَّتَهُ قَبْلَ لِقَائِهِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَهَا فِي دَارِ الْعَمَلِ فَأَتَاهُمْ مِنْ رَوْحِهَا وَنَسِيمِهَا وَطَيْبِهَا مَا اسْتَفْرَغَ قُورَاهُمْ لَطْلِبُهَا وَالْمُسَابَقَةُ إِلَيْهَا.

شِعْر:

لَوْ أَنَّكَ أَبْصَرْتَ أَهْلَ الْهَوَى إِذَا غَارَتْ الْأَنْجُمُ الطَّلَعُ
فَهَذَا يَنْوَحُ عَلَى ذَنْبِهِ وَهَذَا يُصَلِّي وَذَا يَرْكَعُ
وَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ الْمُسَابِقَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَالْمُنَافَسَةُ فِي نَيْلِ الدَّرَجَاتِ.

رَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ عليه السلام: «يَا دَاوُدُ، إِنْ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَيَّ إِذَا اسْتَعْنَى عَنِّي. وَأَنَا أَرْحَمُ مَا أَكُونُ بِعَبْدِي إِذَا أَذْبَرَ عَنِّي، وَإِنْ أَجَلَ مَا يَكُونُ عَبْدِي إِذَا رَجَعَ إِلَيَّ، يَا دَاوُدُ، قُلْ لِسَبَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: لِمَ شَغَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِغَيْرِي وَأَنَا الْمُسْتَأَقُّ إِلَيْهِمْ، مَا هَذَا يَا دَاوُدُ؟ لَوْ يَعْلَمُ الْمُذْبِرُونَ كَيْفَ أَنْتَظَرِي لَهُمْ وَرَفَقِي بِهِمْ، وَشَوْقِي إِلَى تَرْكِ مَعَاصِيهِمْ لَطَارُوا شَوْقًا إِلَيَّ، وَلَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُمْ مِنْ مَحَبَّتِي، هَذِهِ إِرَادَتِي فِي الْمُذْبِرِينَ عَنِّي، فَكَيْفَ إِرَادَتِي فِي الْمُقْبِلِينَ عَلَيَّ؟».

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَفَاتِحِ الْأَبْوَابِ، الَّذِي يَعْلَمُ خَفِيِّ أَنْسِنِ الْمُذْنِبِينَ، وَتَضَرُّعِ الْخَائِفِينَ، وَيُبْصِرُ جَرِيَانَ الدَّمْعِ فِي أَمَاقِ الْمَحْزُونِينَ، يُبْصِرُ وَيَسْتُرُ، وَيَمْنَحُ وَيَمْدَحُ، وَيَنْعِمُ وَيُعْطِي، وَالْعَبْدُ يُجْرِمُ وَيُخْطِي، يَغْفِرُ

الْكَثِيرَ، وَيَقْبَلُ الْيَسِيرَ، وَيَقْبَلُ عَثْرَةَ النَّادِمِ عَلَى التَّقْصِيرِ، وَيَمُنُّ بِإِطْلَاقِ الْأَسِيرِ،
فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

شعر:

تَعَطَّفَ بِفَضْلِ مِنْكَ يَا فَاطِرَ الْوَرَى فَأَنْتَ مَلَاذِي سَيِّدِي وَمُعِينِي
لَيْسَ أَبْعَدْتَنِي عَنْ حِمَاكَ خَطِئْتَنِي فَإِنَّ رَجَائِي شَافِعِي وَيَقِينِي
فَظَنَنْتِي جَمِيلٌ أَنَّنِي بِكَ وَائِثٌ وَإِنَّ جَمِيلَ الْعَفْوِ مِنْكَ يَقِينِي
ذَكَرْتُ زَمَانَ الْوَصْلِ فِي رَوْضَةِ الرِّضَا فَطَالَ حَنِينِي نَحْوَهُ وَأَنِينِي
وَرَوَّقْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ حَتَّى كَأَنَّهَا دُمُوعٌ دُمُوعِي لَا دُمُوعَ جُفُونِي

اللَّهُمَّ يَا ذَا الْكَرَمِ وَالْجَلَالِ، يَا ذَا الْفَضْلِ وَالنَّوَالِ، رُدَّنَا إِلَيْكَ بِفَضْلِكَ
وَرَحْمَتِكَ، وَوَفَّقْنَا لِلْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالِاشْتِعَالِ بِخِدْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ السَّرَائِرِ، وَيَا مُطَّلِعًا عَلَى الضَّمَائِرِ، اغْفِرْ لَنَا مُوبِقَاتِ
الْجَرَائِرِ، وَاسْتُرْ عَلَيْنَا يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، وَثَبَّتْنَا عَلَى الْيَقِينِ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا
وَلَوْلَا دِينُنَا وَلَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

الفصل الثالث

وفيه فضل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ صَلَحَ لِلْعِبَادَةِ وَانْتَقَى، وَجَعَلَهُمْ
خُدَّامًا وَقَسَمَهُمْ أَقْسَامًا وَفَرَقًا. خَصَّهُمْ بِعِنَايَتِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَرَعَاهُمْ بِرِعَايَتِهِ،
وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ عَهْدًا وَمَوثِقًا، وَنَادَاهُمْ فَأَذَنَاهُمْ وَحَيَّاهُمْ بِالْوَصْلِ وَاللِّقَاءِ، وَرَفَعَهُمْ
مِنْ حَضِيضِ نُفُوسِهِمْ إِلَى حَضْرَةِ أَنْبِيَائِهِمْ، وَسَقَاهُمْ بِكَأْسِ تَسْبِيحِهِمْ وَتَقْدِيرِهِمْ
شَرَابًا قَدِيمًا مُرَوَّقًا؛ فَطَابَ كُلُّ مَنْهُمْ لِنَشْوَةِ شَرَابِهِ، وَسَكَّرَ عِنْدَ سَمَاعِ خِطَابِهِ،
وَسَمَّا إِلَى حَضْرَةِ أَحْبَابِهِ وَارْتَقَى، أَوْدَعَهُمْ سَرَائِرَ مَحَبَّتِهِ فَخَافُوا مِنْ غَيْرَتِهِ

فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ بَابًا مُغْلَقًا؛ فَفَاحَ أَرْجُهَا إِلَى مَشَامِ الْقُلُوبِ، فَاسْتَنْشَقَتْ مِنْ جَنَابِهِ الْمَحْبُوبِ نَشْرًا عَبَقًا.

أَحْمَدُهُ وَهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ وَالْجُودِ وَالْبَقَا، وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ إِلَى أَعْلَى جَنَابِهِ ارْتَقَى.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَفُوزُ بِهَا يَوْمَ اللَّقَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَاقُوا أَهْلَ الْأَرْضِ غَرْبًا وَشَرْقًا.

ذَكَرَ الْإِمَامُ الْوَاعِظُ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجُوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي بَعْضِ كُتُبِ وَعْظِهِ الْمَشْهُورَةِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا عِيسَى! مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؟ فَقَالَ عِيسَى: هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَالَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى آجِلِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى عَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا فِيهَا مَا خَشَوْا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرَكَوْا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، فَصَارَ اسْتِكْثَارُهُمْ مِنْهَا اسْتِفْلَالًا، وَذِكْرُهُمْ إِيَّاهَا فِرَاقًا، وَفَرَحُهُمْ بِمَا أَصَابُوا مِنْهَا حُزْنًا، فَمَا عَارَضَهُمْ مِنْ نَائِلِهَا رَفْضُوهُ، وَمَا عَارَضَهُمْ مِنْ رَفْعَتِهَا بِغَيْرِ الْحَقِّ وَضَعُوهُ، خَلَقَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ فَلْيَسُوا يُجَدِّدُونَهَا، وَخَرِبَتْ فَلْيَسُوا يَغْمُرُونَهَا، وَمَاتَتْ فِي صُدُورِهِمْ فَلْيَسُوا يُحْيُونَهَا، يَهْدُمُونَهَا وَيَبْنُونَ بِهَا آخِرَتَهُمْ، وَيَبْيَعُونَهَا فَيَشْتَرُونَ مَا يَبْقَى لَهُمْ. رَفَضُوهَا فَكَانُوا بِرَفْضِهَا فَرِحِينَ. وَبَاعُوهَا فَكَانُوا بِبَيْعِهَا رَابِحِينَ. نَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرَغَى قَدْ حَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ، فَأَحْيَا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ، يُحِبُّونَ اللَّهَ وَيُحِبُّونَ ذِكْرَهُ وَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ. لَهُمْ خَبَرٌ عَجِيبٌ، وَعِنْدَهُمُ الْخَبَرُ الْعَجِيبُ. بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا. وَبِهِ صَلُّوا وَبِهِ صَامُوا. وَبِهِ نَطَقُوا. لَيْسُوا يُرِيدُونَ نَائِلًا دُونَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَخْذَرُونَ. أَدَامُوا لِرَبِّهِمُ الصِّيَامَ، وَلَا زَمُوا الْقِيَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. فَهُمْ عَلَى مَهْدِ الْهُدَى

وَالسُّرُورِ يَتَقَلَّبُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّكَ أَوْلَىٰكَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾
 إِخْوَانِي: سَمِعُوا صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ، كَتَمُوا الْغَرَامَ، وَلَزِمُوا الْقِيَامَ،
 وَأَفْشَوْا السَّلَامَ، وَبَذَلُوا الطَّعَامَ، وَأَدَامُوا الصِّيَامَ، وَصَلَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ،
 وَجَانَبُوا الْآثَامَ، وَانْفَرَدُوا عَنِ الْأَنَامِ، وَخَلَوْا بِالْمُنَاجَاةِ لِلْمَلِكِ الْعَلَامِ، أَطَاعُوهُ
 فِي الْخَلَوَاتِ، فَمَحَا عَنْهُمْ السَّيِّئَاتِ، وَرَفَعَ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ، طَهَّرَ قُلُوبَهُمْ، وَسَتَرَ
 عُيُوبَهُمْ، وَغَفَرَ ذُنُوبَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ مَطْلُوبَهُمْ، عَرَفُوهُ فَأَلْفُوهُ، وَرَأَوْهُ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ
 فَعَبَدُوهُ، وَوَجَدُوا الرِّبْحَ فِي مُعَامَلَتِهِ فَعَامَلُوهُ، وَعَلَى الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ بَايَعُوهُ.
 نَادَوْا فِي وَقْتِ الْأَسْحَارِ - وَقَدْ أَسْبَلُوا الْعِبَرَاتِ عَلَى الْوَجَنَاتِ - يَا مَنْ لَا
 تُحِيطُ بِهِ الْجَهَاتُ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ. أَنْقَذْنَا مِنْ ظُلْمِ الْآفَاتِ، يَا
 مَنْ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ.
 فَيَا غَايِبًا عَنْ قِسْمَةِ الْعَنَائِمِ، وَيَا مَنْ قَدْ قَنَعَ بِمُشَارَكَةِ الْبَهَائِمِ. أَمَا لَكَ
 هِمَّةٌ فِي السَّعْيِ إِلَى نَيْلِ عُلوِّ الدَّرَجَاتِ؟

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ
 مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَنْ فِيهِنَّ. وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ. وَلَكَ
 الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ. وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ،
 وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ،
 وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ
 تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُ رُبِّي مَا قَدَّمْتُ
 وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ.
 لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ: أَنَّ بَعْضَ الصَّالِحِينَ كَانَ
 ذَاتَ لَيْلَةٍ قَائِمًا يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ سَجَدَ وَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، فَقَالَ
 فِي مُنَاجَاتِهِ:

إِلَهِي أَغْلَقْتَ الْمُلُوكَ أَبْوَابَهَا . وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ .

إِلَهِي، غَارَتِ النُّجُومُ، وَنَامَتِ الْعُيُونُ، وَأَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ .

إِلَهِي فُرِشَتِ الْفُرُشُ، وَخَلَا كُلُّ حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ . وَأَنْتَ حَبِيبُ الْمُتَهَجِّدِينَ وَأَنْيَسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ .

إِلَهِي، إِنْ طَرَدْتَنِي عَنْ بَابِكَ فَإِلَى بَابٍ مِّنَ الْتَحِي، وَإِنْ قَطَعْتَنِي عَنْ خِدْمَتِكَ فِخْدَمُهُ مِّنَ أَرْتَحِي .

إِلَهِي إِنْ عَذَّبْتَنِي فَإِنِّي مُسْتَحِقُّ الْعَذَابِ وَالنِّقَمِ، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنِّي فَأَنْتَ أَهْلُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ .

ثُمَّ جَلَسَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَكَى وَقَالَ: يَا سَيِّدِي، لَكَ أَخْلَصَ الْعَارِفُونَ، وَبِفَضْلِكَ نَجَا الصَّالِحُونَ، وَبِرَحْمَتِكَ أَنْابَ الْمُقْصِرُونَ، يَا جَمِيلَ الْعَفْوِ أَذْنِي بَرَدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِذَلِكَ فَأَنْتَ أَهْلُ التَّقْوَى وَالْمَغْفِرَةِ .

إِخْوَانِي: اَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا شَهْرٌ مُبَارَكٌ الْأَيَّامِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، فِيهِ يَتَوَقَّرُ جَزِيلُ الْأَجْرِ وَالْإِنْعَامِ، وَفِي آخِرِهِ يُنْجِي إِلَهُ عِبَادَهُ مِنَ النَّيرَانِ .

إِخْوَانِي: هَذَا شَهْرُ الصِّيَامِ، أَتْرَاكُمْ مِمَّنْ حَفِظَ حُدُودَ صَوْمِهِ فِيهِ، وَأَمْسَكَ عَنِ اللَّغْوِ وَالزُّورِ عَلَى فِيهِ، وَأَعَدَّ عَمَلًا صَالِحًا لِيَوْمِ الْحَشْرِ يُنْجِيهِ، فَكَمْ صَوْمٌ فَسَدَ فَلَمْ يَسْقُطْ بِهِ الْفَرَضُ، وَكَمْ مِنْ صَائِمٍ يَفْضَحُهُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْعَرْضِ، وَكَمْ مِنْ عَاصٍ فِي هَذَا الشَّهْرِ تَسْتَغِيثُ مِنْهُ الْأَرْضُ، وَتَشْكُو مِنْ أَعْمَالِهِ السَّمَاءُ؟ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْمَقْبُولُ وَمَنِ الْمَطْرُودُ؟ وَمَنِ الْمُقَرَّبُ وَمَنِ الْمُبْعَدُ الْمَذُودُ؟ وَمَنِ الشَّقِيّ وَمَنِ الْمَسْعُودُ؟ لَقَدْ عَادَ الْأَمْرُ مُبْهَمًا، تَالَلَّهِ لَقَدْ سَعَدَ فِي هَذَا الشَّهْرِ - بِحِرَاسَةِ أَيَّامِهِ - مَنْ كَفَّ جَوَارِحَهُ عَنْ كَسْبِ آثَامِهِ؛ وَلَقَدْ

خَابَ مَنْ لَمْ يَنْتَهِ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْظَّمَأُ، فَلِلَّهِ دُرُّ أَقْوَامٍ وَقَقَّهْمُ مَوْلَاهُمْ
لِلصَّيَامِ فَصَامُوا، وَأَعَانَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ فَقَامُوا لَيْلًا طَوِيلًا، أَظْمَأُوا لِأَجَلِهِ
الْأَكْبَادَ، فَأَرَاكَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْكَادِ، وَكَانَ لَهُمْ يَبْلُوغُ الْمُرَادِ كَفِيلًا؛ شَغَلَهُمْ
بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ وَالسَّعِيدُ مَنْ بَاتَ بِخِدْمَتِهِ مَشْغُولًا، وَلَذَّذَهُمْ بِطِيبِ الْمُنَاجَاةِ،
فَنَالُوا فَضْلًا جَزِيلًا، يَحْزَنُونَ لِمُفَارَقَةِ شَهْرِ الصَّيَامِ، وَيَتَأَسَّفُونَ عَلَى انْقِضَاءِ
لَيَالِي التَّهَجُّدِ وَالْقِيَامِ، لِأَنَّهُ مُوسِمٌ يَلْقَوْنَ فِيهِ رَحْمَةً وَقَبُولًا.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: قِيَامُ اللَّيْلِ يَهْوُنُ طُولَ الْقِيَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَدْ وَرَدَ
أَنَّ الْمُتَهَجِّدِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَإِذَا كَانَ أَهْلُهُ كَذَلِكَ فَقَدْ
اسْتَرَاخُوا مِنْ طُولِ الْمَوْقِفِ لِلْحِسَابِ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ».

شعر:

مَنْ لَمْ يَقُمْ لِلْجِدِّ قَبْلَ مَشْيِهِ وَخُمُودِ شَرِّهِ، فَلَيْسَ بِقَائِمٍ
وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ
رَجُلٌ يَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ».

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: لَوْ بَكَى عَبْدٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
لَرَحِمَ اللَّهُ مِنْ حَوْلِهِ وَلَوْ كَانُوا عِشْرِينَ أَلْفًا.

وَكَانَ مَجْرَى الدُّمُوعِ مِنْ خَدِّ ابْنِ عَبَّاسٍ كَالشَّرَاكِ الْبَالِي.

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَبْكِي بِاللَّيْلِ حَتَّى فَسَدَتْ عَيْنَاهُ، وَمِمَّا قَالَ بَعْضُ
الْوَاعِظِينَ فِي الزَّجْرِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى اغْتِنَامِ أَفْعَالِ الْخَيْرِ فِي
مَوَاسِمِهَا:

اذْكُرْ وَتُوفِكَ يَوْمَ الْحَشْرِ عُرْيَانَا
 النَّارُ تَزْفِرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَنَقٍ
 فِي مَوْقِفٍ قَدْ تَجَلَّى فِيهِ حَاكِمُهُ
 اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهْلٍ
 لَمَّا قَرَأْتُ كِتَابًا لَا يُغَادِرُ لِي
 قَالَ الْجَلِيلُ: خُذُوهُ يَا مَلَائِكَتِي
 يَا رَبِّ. لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَلَا
 مُسْتَضْعَفًا فَارِغَ الْأَحْشَاءِ حَيْرَانَا
 عَلَى الْعَصَاةِ وَتَلَقَّى الرَّبَّ غَضَبَانَا
 وَقِيلَ فِيهِ لِمَنْ قَدْ لَجَّ طُغْيَانَا:
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى فِيهِ الَّذِي كَانَا
 مَا كَانَ فِي السِّرِّ أَوْ مَا كَانَ إِعْلَانَا
 مُرُوا بِعَبْدِي إِلَى النَّيِّرَانِ عَظْمَانَا
 تَجْعَلْ لِنَارِكَ فِينَا الْيَوْمَ سُلْطَانَا

فَمَثَلُ نَفْسِكَ يَا أَخِي وَقَدْ حَلَّتْ بِكَ السَّكَرَاتُ، وَنَزَلَ بِكَ الْآئِنُ
 وَالْغَمَرَاتُ، فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ: إِنَّ فُلَانًا قَدْ أَوْصَى، وَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ: إِنَّ فُلَانًا
 ثَقُلَ لِسَانُهُ، وَنَسِيَ جِيرَانَهُ، وَلَا يَكَلِّمُ إِخْوَانَهُ، وَهُوَ يَسْمَعُ الْخِطَابَ، وَلَا يَقْدِرُ
 عَلَى رَدِّ الْجَوَابِ، وَكَذَلِكَ مَثَلُ نَفْسِكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ فِرَاشِكَ، إِلَى لَوْحِ
 مُغْتَسِلِكَ، وَجَرَّدُوكَ مِنْ أَثْوَابِكَ. وَقَدِّمُوا لَكَ كَفَنَكَ، ثُمَّ غَسِّلُوكَ وَأَلْبَسُوكَ
 الْأَكْفَانَ، وَيَكِي عَلَيْكَ الْأَهْلُ وَالْجِيرَانُ، وَفَقَدْتَ الْأَصْحَابَ وَالْإِخْوَانَ،
 وَصِرْتَ إِلَى الْعَدَمِ بَعْدَ الْوُجْدَانِ، فَبَادِرْ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ فِي زَمَنِ
 الْإِمْكَانِ، وَتَعَرَّضْ لِنَفَحَاتِ الْمَلِكِ الْمَنَّانِ، وَقِفْ بِيَابَ مَنْ بِيَدِهِ الْفَضْلُ
 وَالْإِحْسَانُ، فَإِنَّ لَهُ نَفَحَاتٍ خُصُوصًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلِلَّهِ دُرُّ أَقْوَامٍ قَطَعُوا
 أَوْقَاتَهُ بِالطَّاعَاتِ، وَتَلَذَّذُوا فِي خُلُوتِهِمْ بِالْمُنَاجَاةِ.

شعر:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعُ
 أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ
 لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودُ أَنْيُنْ مِنْهُ تَنْفَرُجُ الضُّلُوعُ

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْوَاعِظُ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ قَالَ: كَتَبَ يُوسُفُ بْنُ
 أَسْبَاطٍ إِلَى حَذِيفَةَ الْمَرْعَشِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَوْصِيكَ

يَتَّقُوا اللَّهَ وَالْعَمَلَ بِمَا عَلَّمَكَ اللَّهُ، وَالْقِيَامَ بِفُرُوضِ اللَّهِ، وَالْمُرَاقَبَةَ حَيْثُ لَا يَرَاكَ إِلَّا اللَّهُ. فَاحْسِرْ عَنْ رَأْسِكَ قِنَاعَ الْغَافِلِينَ، وَانْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةِ الْمَوْتَى، وَشَمِّرْ لِلسَّبَاقِ غَدًا، فَإِنَّ الدُّنْيَا مِيدَانُ الْمُتَسَابِقِينَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَنْ أَظْهَرَ التُّسُكَ وَتَشَاغَلَ بِالْوُضْفِ وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِالْمَوْصُوفِ. وَاعْلَمْ أَخِي أَنَّهُ لَا بُدَّ لِي وَلَكَ مِنَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، يَسْأَلُنَا عَنِ الدَّقِيقِ الْخَفِيِّ، وَعَنِ الْجَلِيلِ الْخَافِيِّ، وَلَسْتُ أَمِنُ أَنْ يَسْأَلَنِي وَإِيَّاكَ عَنِ وَسَاوِسِ الصَّدْرِ، وَلَحَظَاتِ الْعُيُونِ، وَالْإِضْغَاءِ لِلْإِسْتِمَاعِ. وَعَلَيْكَ أَخِي بَاغِتِنَامِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي مَوَاسِمِهَا وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبِّ الْمَسَاكِينِ كَمَا أُرْشَدُ إِلَى ذَلِكَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

وَمِمَّا قَالَ بَعْضُهُمْ:

أَيَقْظَانِ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمْ أَنْتَ نَائِمٌ وَكَيْفَ يُطِيقُ النَّوْمَ حَيْرَانُ هَائِمٌ
فَلَوْ كُنْتَ يَقْظَانِ الْغَدَاةَ لَأَحْرَقْتَ مَحَاجِرَ عَيْنَيْكَ الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ
نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهُوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ
يَغْرُكَ مَا يُغْنِي وَتُشْغَلُ بِالْمُنَى كَمَا غُرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ
وَتُشْغَلُ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ

وَذَكَرَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ زَادَانَ كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَيَخْتِمُ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَيَقْطَعُ بَاقِي لَيْلِهِ بِالْقِيَامِ. وَكَانَ يَبْكِي وَيَمْسَحُ بِعِمَامَتِهِ عَيْنَيْهِ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَهَا كُلُّهَا بِدُمُوعِهِ، ثُمَّ يَلْفُهَا وَيَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَبَقِيَ يُصَلِّي الْفَجْرَ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ عِشْرِينَ سَنَةً، وَلَوْ قِيلَ لَهُ: إِنَّكَ مَيِّتُ الْيَوْمِ أَوْ غَدَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مَزِيدٌ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «يَنْبَغِي لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ يُفْطِرُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِوَرَعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوضُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ».

وَقَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوُرْدِ: قِيلَ لِرَجُلٍ: أَلَا تَنَامُ؟ قَالَ: إِنَّ عَجَائِبَ الْقُرْآنِ أَظَرْنَ نَوْمِي.

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَصْلَحَ أَحْوَالَ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ، فَلَا نَحْنُ إِلَيْهِمْ وَلَا هُمْ إِلَيْنَا إِلَّا إِنْ كَانَتِ الثَّرِيًّا بِالْأَيْدِي تُرَامُ، كَمْ تُتْلَى عَلَيْنَا آيَاتُ الْقُرْآنِ وَقُلُوبُنَا كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً؟ وَكَمْ تَوَالَتْ عَلَيْنَا أَشْهُرُ رَمَضَانَ وَحَالُنَا فِيهِ كَحَالِ أَهْلِ الشَّقْوَةِ، لَا الشَّابُّ مِنَّا يَنْتَهِي عَنِ الصَّبْوَةِ، وَلَا الشَّيْخُ يَنْزَجِرُ عَنِ الْقَبِيحِ فَيَلْتَحِقُ بِالصَّفْوَةِ. أَيْنَ نَحْنُ مِنْ قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا دَاعِيَ اللَّهِ أَجَابُوا الدَّعْوَةَ؟ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَجَلَّتْهَا جَلْوَةٌ، وَإِذَا صَامُوا صَامَتِ مِنْهُمْ الْأَلْسِنَةُ وَالْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ فَمَا لَنَا فِيهِمْ أَسْوَةٌ، كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الصَّفَا أْبَعْدُ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، كُلَّمَا حَسُنَتْ مِنَّا الْأَقْوَالُ سَاءَتْ مِنَّا الْأَعْمَالُ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

فَصْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ آتَلَ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٧٨) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾.

اعْلَمْ أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ بِقِيَامِ اللَّيْلِ. وَقَدْ كَانَ يَقُومُ بِاللَّيْلِ عَلَى الدَّوَامِ مُمْتَنِلًا أَمْرَ رَبِّهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ قِيَامِهِ.

وَلِقِيَامِ اللَّيْلِ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ:

مِنْهَا: الْاِفْتِدَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالتَّأْسِّي بِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِرَجُلٍ: «لَا تَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَدْعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرَضَ - أَوْ قَالَتْ: كَسِلَ - صَلَّى قَاعِدًا».

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا قَالَتْ: بَلَّغْنِي عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: إِنَّ أَدَيْنَا الْفَرَائِضَ لَمْ نُبَالِ إِلَّا نَزْدَادَ، وَلَعَمْرِي لَا يَسْأَلُهُمُ اللَّهُ إِلَّا عَمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا مِنْ نَبِيِّكُمْ وَمَا نَبِيِّكُمْ إِلَّا مِنْكُمْ، وَاللَّهُ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ، وَنَزَعَتْ كُلَّ آيَةٍ فِيهَا قِيَامُ اللَّيْلِ.

فَأَشَارَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ فِيهِ فَايِدَتَانِ عَظِيمَتَانِ:

الأولى: الافتِدَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالتَّأْسِي بِهِ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وَالثَّانِيَةُ: تَكْفِيرُ الذُّنُوبِ، وَقَدْ وَرَدَ: «أَنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ مِنْهَا عَنِ الْإِثْمِ وَمَظَرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْإِخْلَاصِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ».

وَقَالَ الْحَسَنُ: صَحِبْتُ أَقْوَامًا كَانُوا لِحَسَنَاتِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ أَخُوفٌ مِنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ تُعَذِّبُوا بِهَا.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ».

وَمِمَّا قَالَهُ بَعْضُهُمْ:

يَا نَفْسُ، فَارِ الصَّالِحُونَ بِالتَّقَى	قَدْ أَبْصَرُوا الْحَقَّ وَقَلْبِي قَدْ عَمِيَ
يَا حُسْنَهُمْ وَاللَّيْلُ قَدْ جَنَّهُمْ	وَنُورُهُمْ يَفُوقُ نُورَ الْأَنْجَمِ
تَرَنَّمُوا بِالذِّكْرِ فِي لَيْلِهِمْ	فَعَيَّشُهُمْ قَدْ طَابَ بِالتَّرَنُّمِ
قُلُوبُهُمْ لِلذِّكْرِ قَدْ تَفَرَّغَتْ	دُمُوعُهُمْ كَلُولُ مُنْتَظَمِ

أَسْحَارُهُمْ بِهِمْ لَهُمْ قَدْ أَشْرَعَتْ وَخَلَعَ الْغُفْرَانِ خَيْرُ الْقِسَمِ
وَنَحَكَ يَا نَفْسُ، أَلَا تَيْقُظُ يَنْفَعُ قَبْلَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي؟
مَضَى الزَّمَانُ فِي تَوَانٍ وَهَوَى فَاسْتَدْرِكِي مَا قَدْ بَقِيَ وَاعْتَنِي

إِخْوَانِي اغْتَنِمُوا زَمَنَ الْأَرْبَاحِ، فَأَيَّامُ الْمَوَاسِمِ مَعْدُودَةٌ. اسْتَدْرِكُوا مَا بَقِيَ
مِنْ لَيَالِي الصَّوْمِ فَسَاعَاتُهُ مَشْهُودَةٌ. جِدُّوا فِي طَلَبِ الْغَنَائِمِ فَأَعْمَالُ الصَّائِمِ
مَنْقُودَةٌ.

كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ رَكَعَتَيْنِ يَخْتِمُ فِيهِمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُتِمُّ
اللَّيْلَ بِالْبُكَاءِ.

فَيَا دَائِمَ الْعُضْيَانِ، مَتَى يُقَالُ: تَابَ فُلَانٌ؟

يَا مَنْ نَسِيَ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ وَخَانَ، مَنْ الَّذِي سَوَّاكَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ؟ مَنْ
الَّذِي غَذَّاكَ فِي أَعْجَبِ مَكَانٍ؟ مَنْ الَّذِي بِقُدْرَتِهِ اسْتَقَامَتِ الْأَرْكَانُ؟ مَنْ الَّذِي
بِحِكْمَتِهِ أَبْصَرَتِ الْعَيْنَانِ؟ مَنْ الَّذِي بِصُنْعَتِهِ سَمِعَتِ الْأُذُنَانِ؟ مَنْ الَّذِي وَهَبَ
الْعَقْلَ فَاسْتَبَانَ لِلرُّشْدِ وَبَانَ؟ مَنْ الَّذِي بَارَزَتْهُ بِالْخَطَايَا وَهُوَ يَسْتُرُ الْعُضْيَانِ؟ مَنْ
الَّذِي تَرَكْتَ شُكْرَهُ فَلَمْ يُؤَاخِذْ بِالْكَفْرَانِ؟

إِلَى كَمْ تُخَالِفُنِي وَمَا يَضِرُّ عَلَى الْخِلَافِ الْأَبْوَانِ، وَتُعَامِلُنِي بِالْغَدْرِ الَّذِي
لَا يَرْضَاهُ الْإِخْوَانُ؟ أَمَا تَأْنَفُ مِنْ هَذَا وَتَحْمِيكَ مُرُوءَةُ الْإِنْسَانِ، وَلَوْ عَلِمَ
النَّاسُ مِنْكَ مَا أَعْلَمَ مَا جَالَسُوكَ فِي مَكَانٍ، فَارْجِعْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ فَأَنَا
الْمَعْرُوفُ بِالْإِحْسَانِ، وَقِفْ عَلَى بَابِي فَأَنَا الْمُفِضُّ لِمَنْ لَادَ بِي جَزِيلَ الْأَمَانِ.

شِعْر:

بَكَيْتُ عَلَى الذُّنُوبِ لِعَظَمِ جُرْمِي وَحَقَّ لِمَنْ عَصَى مُرَّ الْبُكَاءِ
فَلَوْ أَنَّ الْبُكَاءَ يَرُدُّ هَمِّي لَأَسْعَدَتِ الدُّمُوعُ مَعَ الدَّمَاءِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ

أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَرَوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَّاتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي
السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ.

شعر:

شَهْرُ الصِّيَامِ لَقَدْ كَرُمْتَ نَزِيلًا وَشَفِيتَ مِنْ كُلِّ الْقُلُوبِ غَلِيلًا
شَهْرُ الْأَمَانَةِ وَالصِّيَانَةِ وَالثَّقَى وَالْفَوْزِ فِيهِ لِمَنْ أَرَادَ قَبُولًا
فِيهِ الْجَنَانُ تَفْتَحُ لِقُدُومِهِ وَالْحُورُ فِيهِ تَزِينُ تَخْفِيلًا
طُوبَى لِعَبْدٍ صَحَّ فِيهِ صِيَامُهُ وَدَعَا الْمُهَيِّمِينَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
وَبَلِيلِهِ قَدْ قَامَ يَخْتِمُ وَرَدَهُ مُتَبَيِّلًا لِلَّهِ تَبَتِيلًا
شَهْرٌ يَفُوقُ عَلَى الشُّهُورِ بَلِيلَةَ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فَضَلَتْ تَفْضِيلًا
فَاجْهَدْ عَسَاكَ تَنَالَهَا فِيمَا بَقِيَ بِالْجِدِّ، وَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ غَفُولًا

إِخْوَانِي: كَيْفَ لَا يُرْغَبُ فِي صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ، كَيْفَ لَا يَتَأَسَفُ
عَلَى شَهْرِ تَكْفُرٍ فِيهِ جَمِيعُ ذُنُوبِ الْعَبْدِ وَأَنَامِهِ، كَيْفَ لَا يُبْكِي عَلَى شَهْرِ يَفُوتُ
فِيهِ رِبْحُ الْعَامِلِ وَفُرْصُ اعْتِنَائِهِ.

كَانَ عُتْبَةُ الْعَلَامِ طَوِيلَ الْبُكَاءِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْزُقْ بِنَفْسِكَ. فَقَالَ: إِنَّمَا أَبْكِي
عَلَى تَقْصِيرِي.

وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ مَرْثِدٍ دَائِمَ الْبُكَاءِ. وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ تَقُولُ: وَنَحْيِي مَا
خُصِصْتُ بِهِ مِنْ طُولِ الْحُزَنِ مَعَكَ مَا تَقْرَأُ لِي عَيْنٌ.

وَكَانَ بَشَرُ الْحَافِي لَا يَنَامُ اللَّيْلَ وَيَقُولُ: أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا
نَائِمٌ، قَالَ:

وَكُلَّمَا هَمَّ بِذَوْقِ الْكَرَا صَاحَ بِهِ الْهَجْرَانُ: لَا تَنِمِ
إِخْوَانِي: أَوْ عَلَى قُلُوبٍ أَذَابَهَا حَرُّ الْغَلِيلِ. أَوْ عَلَى نُفُوسٍ أَفْنَاهَا الْبُكَاءُ

وَالْعَوِيلُ. أَوْ عَلَى جَوَارِحَ قَابَلْتُ بِفِعْلِهَا الْقَبِيحَ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ. أَوْ عَلَى أَكْبَادٍ لَمْ
تَنْقَطِعْ خَوْفًا مِنَ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ. أَوْ عَلَى قُلُوبٍ لَمْ تَتَفَكَّرْ فِي الْمَوْتِ وَيَوْمِ
الرَّحِيلِ. أَوْ عَلَى جَنَّةٍ عَذْنٍ وَظِلٍّ ظَلِيلٍ. أَوْ عَلَى قَسْوَةٍ سَلَكَتْ بِالْقَلْبِ إِلَى النَّارِ
وَبِئْسَ السَّبِيلُ. أَوْ عَلَى شَرَابٍ مِنْ سَلْسِيلٍ. أَوْ عَلَى نَعِيمٍ فَنِعَمٌ مُقِيلٌ. أَوْ عَلَى
قَلْبٍ بِالدُّنُوبِ عَلِيلٍ. أَوْ عَلَى مَنْ شَدَّ عَزَمَ الطَّاعَةِ فَأَصْبَحَ وَهُوَ نَبِيلٌ. أَوْ عَلَى
مَا بَقِيَ إِلَى الرُّشْدِ ذَلِيلٌ.

أَمَا أَنْ لَكَ يَا مُسْكِينُ أَنْ تُقْلِعَ عَنْ هَوَاكَ؟ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى بَابِ
مَوْلَاكَ؛ أَنْسَيْتَ مَا حَوَّلَكَ وَأَعْطَاكَ؟ أَمَا خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ؟ أَمَا عَظَّفَ عَلَيْكَ
الْقُلُوبَ وَبَرَزَقَهُ غَدَاكَ؟ أَمَا أَلْهَمَكَ الْإِسْلَامَ وَهَذَاكَ؟ أَمَا قَرَّبَكَ بِفَضْلِهِ وَأَذْنَاكَ؟
أَمَا بَرَّهُ فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ يَغْشَاكَ، فَقَابَلْتَ ذَلِكَ بِالْعُقْلَةِ وَرُكُوبِ الشَّهَوَاتِ،
وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَطَايَا وَالزَّلَّاتِ؟ فَجِدَّ فِي الشَّهْرِ فَعَسَى تُذَرِّكَ بِمَا بَقِيَ مَا
فَاتَ، أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَسْتَحْيِي مِمَّنْ شَاهَدَكَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَرَأَاكَ؟ وَمَعَ هَذَا
الْحِرْمَانِ وَالْبُعْدِ عَنْ مَوْلَاكَ، إِنْ عُدْتَ إِلَيْهِ قَبْلَكَ وَارْتَضَاكَ، وَإِنْ دُمْتَ عَلَى
خِدْمَتِهِ قَرَبَكَ وَأَذْنَاكَ؛ فَإِلَى مَتَى هَذَا التَّوَانِي، وَمَا تُقْلِعُ عَنْ عَيْكَ وَهَوَاكَ.

وَمِمَّا قَالَهُ بَعْضُهُمْ:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ	أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا	يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ مُلْكِهِ فِي قَوْلٍ: كُنْ	أَمْنُنْ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ	فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَذْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ	وَلَكِنْ طَرِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ؟
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ	إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لِحُجُودِكَ أَنْ تُقْنِطَ عَاصِيًا	الْفَضْلُ أَجْزَلُ، وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
بِالذَّلِّ قَدْ وَافَيْتُ بِأَبْكَ عَالِمًا	أَنَّ التَّذَلُّلَ عِنْدَ بَابِكَ يَنْفَعُ

وَجَعَلْتُ مُعْتَمِدِي عَلَيْكَ تَوَكُّلاً
فاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجاً وَالْطُّفَ بِنَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ
وَبَسَطْتَ كَفِّي سَائِلاً أَتَضَرَّعُ

قَفْ بِالْبَابِ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الْحَقِيرُ، وَتَضَرَّعْ إِلَى الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، تَضَرَّعُ الْأَسِيرُ
بِقَلْبٍ كَسِيرٍ، وَقُلْ: يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ، وَأَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، عَبْدُكَ أَسِيرُ الْخَطِيئَاتِ،
وَصَاحِبُ الْهَفَوَاتِ وَالزَّلَّاتِ، وَاقِفْ بَابَ كَرَمِكَ، يَنْتَظِرُ فَوَائِدَ رَحْمَتِكَ،
وَزَوَائِدَ نِعْمَتِكَ، الْخَيْرُ دَأْبُكَ، وَالْحُكْمُ حُكْمُكَ، اجْعَلْ مُتَتَهًى مَطَالِبِنَا رِضَاكَ،
وَأَقْصَى مَقَاصِدِنَا رُؤْيَاكَ، وَعَنِ الشَّهَوَاتِ بَاعِدُنَا لِأَنْ نَلْقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا.

وَتَمَلَّقهُ فَإِنَّهُ يَدْعُو الْمُعْرِضَ فَكَيْفَ لَا يَقْبَلُ الْمُقْبِلُ؟ فَالْعَلَّكَ أَنْ تُصِيبَكَ
نَفْحَةٌ مِنْ نَفْحَاتِ إِفْضَالِهِ، فَتَحْطَى مِنْهُ بِجَمِيلِ إِقْبَالِهِ، فَإِنَّ مَنْ اغْتَرَّ بِحِمَاهُ
حِمَاهُ، وَمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِدَاهُ هِدَاهُ، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ حَظَّ رِحَالَهُ بِبَابِهِ
أَوَاهُ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ نَادَاهُ، وَمَنْ تَمَادَى فِي مُتَابَعَةِ هَوَاهُ أَبْعَدَهُ وَأَقْصَاهُ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ: وَقَدْ قِيلَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى يَلْطَفُ بِأَمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلِهَذَا تُغْلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ
وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، حَتَّى لَا يَقْدِرُوا عَلَى مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، مِنْ تَسْوِيلِ
الذُّنُوبِ؛ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

وَلِهَذَا - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - تَقِلُّ الْمَعَاصِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَفَائِدَتُهُ: أَنَّ
الصَّوْمَ يَمْنَعُ مِنْ إِتْيَانِ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ
اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةً
خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حَرَّمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حَرَّمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ» رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ.

وَرَوَايَةُ ابْنِ مَاجَهَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ

شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ.

وَقَالَ جُوَيْرٌ: سَأَلْتُ الضَّحَّاكَ: أَرَأَيْتَ النُّفْسَاءَ وَالْحَائِضَ وَالْمُسَافِرَ
وَالنَّائِمَ لَهُمْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ نَصِيبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَنْ يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَهُ سَيُعْطِيهِ
نَصِيبَهُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ النُّفْسَاءَ وَالْحَائِضَ وَالْمُسَافِرَ وَالنَّائِمَ يَتَعَلَّقُ إِعْطَاءُ نَصِيبِهِمْ مِنْ
لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِالدُّكْرِ. وَأَمَّا النَّائِمُ فَلَيْسَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ كُلَّ نَائِمٍ يُعْطَى حَظَّهُ مِنْهَا.
إِنَّمَا هُوَ النَّائِمُ الَّذِي قَلْبُهُ ذَاكِرٌ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ رَجِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى:
رُبَّ قَائِمٍ مَحْرُومٍ، وَنَائِمٍ مَرْحُومٍ. أَمَّا الْقَائِمُ الْمَحْرُومُ، فَإِنَّهُ قَائِمٌ وَقَلْبُهُ فَاجِرٌ،
وَالنَّائِمُ الْمَرْحُومُ، نَائِمٌ وَقَلْبُهُ ذَاكِرٌ؛ فَافْهَمْ سِرَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ هَذَاكَ اللَّهُ
لِلصَّوَابِ.

إِخْوَانِي: الْمُعَوَّلُ عَلَى الْقَبُولِ لَا عَلَى الِاجْتِهَادِ، وَالِاعْتِبَارُ بِيَرِّ الْقُلُوبِ
لَا بِعَمَلِ الْأَبْدَانِ. رُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهْرُ. كَمَنْ مِنْ قَائِمٍ
مَحْرُومٍ، وَنَائِمٍ مَرْحُومٍ؟ هَذَا نَائِمٌ وَقَلْبُهُ ذَاكِرٌ. وَهَذَا قَائِمٌ وَقَلْبُهُ فَاجِرٌ. لَكِنَّ
الْعَبْدَ مَأْمُورًا بِالسَّعْيِ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرَاتِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَاتِ. وَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَالْمُبَادَرَةُ الْمُبَادَرَةُ إِلَى اغْتِنَامِ الْعَمَلِ فِيمَا
بَقِيَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ، فَعَسَى أَنْ تَسْتَدْرِكُوا مَا فَاتَ مِنْ ضِيَاعِ الْعُمْرِ.

شِعْر:

تَوَلَّى الْعُمْرُ فِي سَهْوٍ	وَفِي لَهْوٍ وَفِي خُسْرِ
فَيَا ضَيْعَةً مَا أَنْفَقُ	تُ فِي الْأَيَّامِ مِنْ عُمْرٍ
وَمَا لِي فِي الَّذِي ضَيَّعُ	تُ مِنْ عُمْرِي مِنْ عُذْرٍ
فَمَا أَغْفَلْنَا عَنْ وَ	جِبَاتِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
أَمَا قَدْ خَصَّنَا اللَّهُ	بِشَهْرِ أَيَّامِ شَهْرِ
بِشَهْرِ أَنْزَلَ الرَّحْمَ	نُ فِيهِ أَشْرَفَ الدُّكْرِ

وَهَلْ يُشَبِّهُهُ شَهْرٌ فَكَمْ خَبِرَ لَهَا قَدْ صَ رَوَيْنَا عَنْ ثِقَاةٍ أَنَّهُ قَطُوبَى لَا مَرِيءَ قَدْ بَا فَفِيهَا تَنْزِلُ الْأَمْلا وَقَدْ قَالَتْ: سَلَامٌ هِيَ أَلَا فَاذْخِرُوهَا إِنَّكُمْ فَكَمْ مِنْ مُعْتَقٍ فِيهَا

وَفِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ حَ مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ هَا تُطْلَبُ فِي الْوُثْرِ تَ يَطْلُبُهَا مِنَ الْعَشْرِ كُ بِالْأَنْوَارِ وَالْبِيرِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ هَا مِنْ أَنْفَسِ الذُّخْرِ مِنَ النَّارِ وَمَا يَذْرِ؟

رَأَى بَعْضُ السَّلَفِ خَيَامًا ضُرِبَتْ وَهُوَ فِي الْمَنَامِ، فَسَأَلَ: لِمَنْ هِيَ؟ فَقِيلَ: لِلْمُتَهَجِّدِينَ بِالْقُرْآنِ. فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ.

وَوَرَدَ أَنَّ جِبْرِيلَ يُنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ: أَقِمِ فُلَانًا، وَأَنِمْ فُلَانًا.

فَسُبْحَانَ مَنْ اخْتَصَّ بِفَضْلِهِ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ، وَثَبَّتَ عَزْمَهُمْ فَاسْتَقَامُوا عَلَى الْيَقِينِ، وَخَذَلَ مَنْ شَاءَ فَأَبْعَدَهُ عَنْ أَحْوَالِ الْمُتَّقِينَ ﴿كَرِهَ اللَّهُ أُنْعَاثَهُمْ فَثَبَّتَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

شعر:

قَطُوبَى لِمَنْ أَرْضَى إِلَهَ مُسَارِعَا وَقَامَ وَصَلَّى فِي الدِّيَاجِي، وَدَمَعُهُ وَأَخْلَصَ لِلَّهِ الْعَظِيمِ قِيَامُهُ وَأَحْيَا لِيَالِي شَهْرِهِ بِقِيَامِهِ فَذَاكَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي طَيْبِ عَيْشِهِ

إِلَى سُبُلِ تَهْدِيهِ لِلرُّحَلَةِ الْأُخْرَى عَلَى خَدِّهِ يَجْرِي بِمُقْلَتِهِ الْعَبْرَى وَعَاهِدُهُ سِرًّا وَرَاقِبُهُ جَهْرًا إِلَى رَبِّهِ فِي اللَّيْلِ وَامْتَثِلَ الْأَمْرَا يَفُوزُ بِهَا صَوْمًا وَيَخْطِئُ بِهَا فِطْرًا

اللَّهُمَّ وَاقْبَلْ مِنْ عِبِيدِكَ الْمُخْلِصِينَ لَوَجْهِكَ مَا عَمِلُوا، وَلَا تُخْزِهِمْ وَارْحَمْهُمْ فَإِنَّهُمْ فِيكَ الرَّحْمَةُ قَدْ أَمَلُوا، وَاعْفِرْ لَهُمْ مَا جَنَوْا مِنَ الذُّنُوبِ وَانْتَحَلُوا.

إِلَهِي، إِنْ كُنْتُ لَا تَرْحُمُ إِلَّا الْمُجْتَهِدِينَ، فَمَنْ لِلْمُقْصِرِينَ؟ وَإِنْ كُنْتُ لَا
تَقْبَلُ إِلَّا الْمُخْلِصِينَ فَمَنْ لِلْمُخْلِطِينَ؟ وَإِنْ كُنْتُ لَا تُكْرِمُ إِلَّا الْمُحْسِنِينَ، فَمَنْ
لِلْمُسِيئِينَ؟

إِلَهِي، أَحْيِ قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْهَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ.
إِلَهِي جُدْ بِالْعَفْوِ عَلَى مُذَكِّرٍ مُتَكَلِّفٍ، وَسَامِعٍ مُتَخَلِّفٍ.
إِلَهِي، عُمِّنَا بِالْفَضْلِ أَجْمَعِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْبَابُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ فِي اغْتِنَامِ الْأَوْقَاتِ الشَّرِيفَةِ لِلدُّعَاءِ وَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى الْكَبِيرِ. الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ. السَّمِيعِ
الْبَصِيرِ الْخَافِضِ الرَّافِعِ، وَالْمُعْطِي الْمَانِعِ، وَالْإِلَهِ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ الْقَدِيرِ. أَحَاطَ
عِلْمًا بِالْجَلِيلِ وَالْحَقِيرِ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١).
جَبَّارٌ جَبَرَ أَحْوَالَ مَنْ رَحِمَهُ، وَتَجَبَّرَ عَلَى مَنْ أَقْصَاهُ وَحَرَمَهُ، وَالْحَكَمُ
الَّذِي لَا يَظْلُمُ الْفَتِيلَ وَالنَّقِيرَ. اللَّطِيفُ الَّذِي يَعْلَمُ خَفَايَا تَصْنَعِ الْعَالَمِينَ، وَيَغْفِرُ
عَظَائِمَ ذُنُوبِ التَّائِبِينَ، وَيُحِبُّ أَيْنِ الْمُذْنِبِينَ بِالْقَلْبِ الْحَزِينَ، وَالْعَفْوُ عَنِ
الذُّنُوبِ وَالْخَطَا وَالْتَّقْصِيرِ.

أَرْوَاحُ الْمُحِبِّينَ لِذِكْرِهِ أَلْفَتْ، وَرِجَالُ الْمُؤَحِّدِينَ بِسَاحَاتِ كَرَمِهِ وَقَفَتْ،
وَنُفُوسُ الْعَابِدِينَ بِالْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِّهِ انْتَصَفَتْ، وَعُقُولُ الْعَارِفِينَ بِالْعَجْزِ عَنْ
إِدْرَاكِ كُنْهِهِ اعْتَرَفَتْ.

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ، تَعَالَى عَنْ نَظِيرٍ وَتَقَدَّسَ عَنْ وَزِيرٍ، قَدَّرَ فَهْدَى، وَأَغْنَى
وَأَقْنَى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٢) لَمْ يَأْمَرْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٣) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٤) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٥). يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا يُخْفِي الضَّمِيرُ.

أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ضِدُّ وَلَا نِدٌّ وَلَا ظَهِيرٌ، شَهَادَةٌ أَذْخَرُهَا لِلْيَوْمِ الْعَسِيرِ، وَأَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنْ دَارِ السَّعِيرِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ. وَالسَّرَاجُ الْمُنِيرُ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْجِدِّ وَالشَّعِيرِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿١٦﴾.

هَذَا مِنْ فَضْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: يَا مَنْ أَحَبَّ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلَهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَكَ يَا رَبُّ.

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ:

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿١٦﴾».

وَلَهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ غَضِبَ عَلَيْهِ».

وَلِلدُّعَاءِ أَوْقَاتٌ كَهَذَا الشَّهْرِ وَأَوْقَاتِهِ الْفَضِيلَةُ. وَقَدْ وَرَدَ: أَنَّ عِنْدَ خَتَمِ الْقُرْآنِ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، كَمَا فِي مُسْنَدِ الدَّارِمِيِّ عَنْ حُمَيْدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ دَعَا أَمَّنَ عَلَى دُعَائِهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مَلَكًا».

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ رَجُلًا يُرَاقِبُ رَجُلًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَإِذَا أَرَادَ الْخَتَمَ أَعْلَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَيَجِيءُ وَيَشْهَدُ ذَلِكَ». وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كَانُوا يَجْتَمِعُونَ عِنْدَ خَتَمِ الْقُرْآنِ، يَقُولُونَ: تَنْزِيلُ الرَّحْمَةِ.

وَرُوِيَ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ: أَنَّ مُجَاهِدًا وَعَبْدَةَ بْنَ أَبِي لُبَابَةَ أَرْسَلَا إِلَى الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، فَقَالَا: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ لِأَنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْتِمَ الْقُرْآنَ. وَالِدُعَاءُ يُسْتَجَابُ عِنْدَ خَتَمِ الْقُرْآنِ، فَيُسْتَحَبُّ حُضُورُ مَجْلِسِ الْخَتَمِ لِمَنْ يَقْرَأُ وَمَنْ لَا يُحْسِنُ.

وَيَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يَتَحَرَّى بِهَا أَوْقَاتَ الْفَضْلِ، لَا سِيَّمَا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَيَخْتِمُ آخِرَ رَكْعَةٍ مِنَ التَّرَاوِيحِ قَبْلَ رُكُوعِهِ، وَيَدْعُو، وَيُؤْمِنُ مَنْ خَلْفَهُ: نَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ رَأَى أَهْلَ مَكَّةَ وَسُقْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَفْعَلُونَهُ. قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ: أَدْرَكْتُ النَّاسَ بِالْبَصْرَةِ يَفْعَلُونَهُ وَبِمَكَّةَ، وَذَكَرَ عَنْ عُثْمَانَ أَيْضًا.

وَيَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يُلِحَّ فِي الدُّعَاءِ رَافِعًا يَدَيْهِ، وَيُطِيلَ. وَأَنْ يَدْعُو بِالْأُمُورِ الْمُهْمَةِ، وَالْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مُعْظَمُ ذَلِكَ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَيَدْعُو لِلْمُسْلِمِينَ، وَبِصَلَاحِ سُلْطَانِهِمْ، وَسَائِرِ وَلَا تِهِمْ.

وَيُسْتَحَبُّ تَطْيِيبُ الْمَسَاجِدِ وَالزَّيْنَةُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. وَيُسْتَحَبُّ الْاِغْتِسَالُ وَالتَّطْيِيبُ وَاللِّبَاسُ الْحَسَنُ، كَمَا يُشْرَعُ ذَلِكَ فِي الْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ.

وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الصَّلَوَاتِ يُسْتَحَبُّ التَّزَيُّنُ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ حُدُوًّا زَيْنَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

كَانَ ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ وَحُمَيْدُ الطَّوِيلُ يَلْبَسَانِ أَحْسَنَ ثِيَابِهِمَا، وَيَتَطَيَّبَانِ، وَيُطَيَّبُونَ الْمَسْجِدَ بِالنُّصُوحِ وَالِدُّخْنَةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

وَكَانَ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ رضي الله عنه حُلَّةٌ اشْتَرَاهَا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، وَكَانَ يَلْبَسُهَا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

يَا مَنْ إِذَا صَلَّى خَفَّفَ، وَإِذَا كَالَ طَفَّفَ، وَإِذَا دُعِيَ إِلَى الْخَيْرَاتِ تَخَلَّفَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ تَبَّ: سَوَّفَ، وَمَا يُؤَثِّرُ عِنْدَهُ قَوْلُ مَنْ حَذَرَ وَخَوَّفَ، ثُمَّ يَظْمَعُ فِي لِحَاقِ الصَّالِحِينَ، كَلَّا فَمَا أَنْصَفَ.

جَدَّ الْقَوْمُ وَأَنْتَ قَاعِدٌ، وَقَرَّبُوا وَأَنْتَ مُتَبَاعِدٌ. كَمْ بَيْنَ رَاغِبٍ وَرَاهِدٍ؟ كَمْ بَيْنَ سَاهِرٍ وَرَاقِدٍ؟ شَغَلَهُمْ حُبُّ مَوْلَاهُمْ عَنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُمْ. اسْمَعْ حَدِيثَهُمْ إِنْ كُنْتَ لَا تَرَاهُمْ.

يَا عَجَبًا لَكَ أَخِي مِنْ هَذَا التَّسْوِيفِ، وَلَا يَنْفَعُ فِيكَ وَغْظٌ وَلَا تَعْنِيفٌ. أَمَا آفَاتُ الْمُنُونِ أَحَاطَتْ بِالْآبَاءِ وَالْبَنِينَ، وَالْإِخْوَةَ وَالْأَقْرَبِينَ، وَالْمُلُوكَ وَالْأَغْنِيَاءَ الْمُقَدَّمِينَ، وَتَسَاوَى فِي اللُّحُودِ الْمَشْرُوفُ وَالشَّرِيفُ.

رَوَى أَبُو نَعِيمٍ عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا شَهِدَ رَمَضَانَ قَامَ وَنَامَ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ لَمْ يَذُقْ غَمْضًا» وَفِيهِ ضَعْفٌ.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «نَزَلَتْ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضْيَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ حَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ».

وَكَانَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَجْتَهِدُونَ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ، مِنْهُمْ أَنَسٌ وَالْحَسَنُ وَأَهْلُ الْبُصْرَةِ.

وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: رَاقَبْتُ الشَّمْسَ عِشْرِينَ سَنَةً لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ، فَكَانَتْ تَطْلُعُ لَا شُعَاعَ لَهَا. وَكَذَا ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقِيلَ: إِنْ الْمَحْفُوظُ عَنْهَا أَنَّهَا لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ.

وَتَقَدَّمَ أَنَّ أَيُّوبَ السُّخْيَانِيَّ كَانَ يَغْتَسِلُ لَيْلَةً ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ وَلَيْلَةً أَرْبَعَ
وَعِشْرِينَ، وَيَتَطَيَّبُ وَيَلْبَسُ ثِيَابَهُ، وَيَقُولُ: لَيْلَةُ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَهْلِ الْمَدِينَةِ،
وَلَيْلَةُ أَرْبَعَ وَعِشْرِينَ لَيْلَتُنَا - يَعْنِي أَهْلَ الْبَصْرَةِ.

وَمَنْ قَالَ: هِيَ لَيْلَةُ أَرْبَعَ وَعِشْرِينَ اخْتَجَّ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ، وَيَأْتِيهَا أَوَّلُ السَّبْعِ
الْبَاقِيَةِ إِذَا كَانَ الشَّهْرُ كَامِلًا.

وَقِيلَ: إِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، وَاخْتَجَّ لِذَلِكَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
«فِي خَامِسَةِ تَبْقَى» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قُلْتُ: الصَّحِيحُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ: أَنَّ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ أَرْجَى مِنْ غَيْرِهَا
كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ أَحَادِيثُ وَأَخْبَارٌ وَآيَاتٌ وَدَلَالَاتٌ سَتَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى، وَهُوَ قَوْلُ إِمَامِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

يَا هَذَا، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ قَوْمٍ تَصُبُّوا الْآخِرَةَ بَيْنَ أَغْيُنِهِمْ فَتَصْبُؤُوا؟ فَوَقَّرَ
النَّصَبُ نَصِيْبَهُمْ. فَلِلَّهِ دُرُّ الْعَارِفِينَ بِزَمَانِهِمْ، إِذَا بَاعُوا مَا شَانَهُمْ، بِإِصْلَاحِ
شَانِهِمْ، مَا أَقَلَّ مَا تَعْبُؤُوا، وَمَا أَيْسَرَ مَا نَصِبُوا، فَمَا زَالُوا حَتَّى نَالُوا مَا
طَلَبُوا، شَمَرُوا عَنْ سُوقِ الْجِدِّ فِي سُوقِ الْعَزَائِمِ، فَصَبَّحُوا مَنَزِلَ النَّجَاةِ وَأَنْتَ
فِي اللَّهْوِ نَائِمٌ، مَتَى تَسْلُكُ طَرِيقَهُمْ يَا ذَا الْمَأْتِمِ؟ مَتَى تَنْدُبُ تَفْرِيطَكَ نَذْبَ
الْمَأْتِمِ:

وَمَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ بَعْدَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ وَشَهْرٌ إِلَى شَهْرٍ
مَطَايَا يُقَرَّبُنَ الْجَدِيدَ إِلَى الْبَلَى وَيُذْنِبِينَ أَشْلَاءَ الصَّحِيحِ إِلَى الْقَبْرِ
وَفِي الْأَثَرِ الْمَشْهُورِ: «كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي، فَإِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي،
أَلَيْسَ كُلُّ مُحِبٍّ يُحِبُّ خَلْوَةَ حَبِيبِهِ؟ فَهَا أَنَا ذَا مُطْلِعٍ عَلَى أَحْبَابِي إِذَا جَنَّهُمُ
اللَّيْلُ جَعَلْتُ أَبْصَارَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ فَخَاطَبُونِي عَلَى الْمُشَاهَدَةِ، وَكَلَّمُونِي عَلَى
حُضُورِي. غَدَا أَقْرُ أَغْيُنَ أَحْبَابِي فِي جَنَانِي».

اللَّيْلُ لِي وَلِأَحْبَابِي أَحَادِثُهُمْ قَدْ اضْطَفَيْتُهُمْ كَيْ يَسْمَعُوا وَيَعُودُوا

لَهُمْ قُلُوبٌ بِأَسْرَارِي بِهَا مُلِئْتُ عَلَى وَدَادِي وَإِرْشَادِي لَهُمْ طَبِعُوا
سَرَوْا فَمَا وَهَنُوا عَجْزًا وَلَا ضَعُفُوا وَوَاصِلُوا حَبْلَ تَقْرِيبي فَمَا انْقَطَعُوا

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلٌ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَانْخَلَطَ
بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْنِدًا ۝﴾.

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَقَارَةِ الدُّنْيَا وَفَنَائِهَا وَاضْمِحْلَالِهَا وَزَوَالِهَا. كَمَا قَالَ
تَعَالَى عَنْ مُؤْمِنٍ آلٍ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿يَقُومُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا
مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝﴾.

وَالْمَتَاعُ هُوَ مَا يُمَتَّعُ بِهِ صَاحِبُهُ بُرْهَةً، ثُمَّ يَنْقَطِعُ وَيَفْنَى، فَمَا عِيبَتِ
الدُّنْيَا بِأَكْثَرٍ مِنْ ذِكْرِ فَنَائِهَا وَتَقَلُّبِ أَحْوَالِهَا، وَهُوَ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى انْقِضَائِهَا
وَزَوَالِهَا فَتَبَدُّلُ صِحَّتِهَا بِالسَّقَمِ، وَوُجُودُهَا بِالْعَدَمِ، وَشَبِيبَتُهَا بِالْهَرَمِ، وَنَعِيمُهَا
بِالْبُؤْسِ، وَحَيَاتُهَا بِالْمَوْتِ، فَتَفَارِقُ الْأَجْسَامُ النُّفُوسَ، وَعِمَارَتُهَا بِالْخَرَابِ،
وَاجْتِمَاعُهَا بِفُرْقَةِ الْأَحْبَابِ، وَكُلُّ مَا فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ - فِي يَوْمِ عِيدٍ، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى كَثَرَةِ النَّاسِ، وَزِينَةِ
لِبَاسِهِمْ -: هَلْ تَرَوْنَ إِلَّا خِرْقًا تَبْلَى، وَلَحْمًا يَأْكُلُهُ الدَّوْدُ غَدًا.

كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: يَا دَارُ تَخْرِيْنٍ، وَيَمُوتُ سُكَّانُكَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «عَجَبًا لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ تَقَلُّبِهَا بِأَهْلِهَا. كَيْفَ
يَظْمِنُ إِلَيْهَا».

رُوي أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي لَيْلَةٍ رَجُلٌ أَعْمَى مِنْ بَنِي
عَبْسٍ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِ عَمَى عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: بَتُّ لَيْلَةٍ فِي بَطْنِ وَادٍ، وَلَمْ أَعْلَمْ
فِي الْأَرْضِ عَبْسِيًّا يَزِيدُ مَالُهُ عَلَى مَالِي فَطَرَقْنَا سَيْلًا، فَذَهَبَ بِمَا كَانَ لِي مِنْ
مَالٍ، وَأَهْلٍ، وَوَلَدٍ، غَيْرَ بَعِيرٍ وَصَبِيٍّ، وَكَانَ الْبَعِيرُ صَعْبًا فَشَرَدَ فَاتَّبَعْتُهُ؛ فَمَا

جَاوَزْتُ الصَّبِيَّ إِلَّا بِسِيرٍ، حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَهُ، فَرَجَعْتُ فَإِذَا رَأْسُ الصَّبِيِّ فِي بَطْنِهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ اتَّبَعْتُ الْبَعِيرَ لِأَخْذِهِ، فَفَنَحَنِي بِرِجْلِهِ فَأَصَابَ وَجْهِي، فَحَطَمَهُ وَأَذْهَبَ عَيْنِي، فَأَصْبَحْتُ لَا أَهْلَ لِي وَلَا مَالَ وَلَا وَلَدَ وَلَا بَعِيرَ.

قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ الْمَوْتَ قَدْ فَضَحَ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَدَعْ لِذِي لُبٍّ بِهَا فَرَحًا.
وَقَالَ مُطَرِّفٌ: إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ قَدْ أَفْسَدَ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ؛
فَالْتَمِسُوهَا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ.

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: مَا تَرَكَ ذِكْرُ الْمَوْتِ لَنَا قُرَّةَ عَيْنٍ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ.

وَقَالَ يَزِيدُ الْهَاشِمِيُّ: أَمِنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَوْتَ فَطَابَ لَهُمُ الْعَيْشُ، وَأَمِنُوا الْأَسْقَامَ فَهَيَّئْنَا لَهُمْ فِي جِوَارِ اللَّهِ طُولَ الْمَقَامِ. عُيُوبُ الدُّنْيَا بَادِيَةٌ وَهِيَ بَتَّعِيرُهَا مَوَاعِظُهَا مُنَادِيَةٌ، لَكِنَّ حُبَّهَا يُعْمِي وَيُصِمُّ. فَلَا يَسْمَعُ مُحِبُّهَا نِدَاءَهَا وَلَا يَرَى كَشْفَهَا لِلْغَيْرِ وَأَذَاهَا.

شِعْر:

قَدْ نَادَتْ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا لَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ مَنْ يَسْمَعُ:
كَمْ وَائِقٍ بِالْعُمْرِ أَفْنِيَّتُهُ وَجَامِعٍ بَدَّدْتُ مَا يَجْمَعُ
كَمْ قَدْ تَبَدَّلَ نَعِيمُهَا بِالضَّرِّ وَالْبُؤْسِ؟ كَمْ أَصْبَحَ مَنْ هُوَ وَائِقٌ بِمُلْكِهَا
وَأَمْسَى وَهُوَ مِنْهَا قَنُوطٌ يَتُوسُّ؟

قَالَتْ بَعْضُ بَنَاتِ مُلُوكِ الْعَرَبِ - الَّذِينَ نُكِبُوا -: أَصْبَحْنَا وَمَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُدُنَا وَيَخْشَانَا، وَأَمْسَيْنَا وَمَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَرْحَمُنَا. تَعْنِي: أَنَّهُمْ أَصْبَحُوا عَلَى مُلْكِهِمْ وَالْخَلَائِقُ يَخَافُونَهُمْ وَيَغِيْطُونَهُمْ، وَمَا أَمْسَوْا إِلَّا وَقَدْ سَلِبَ مُلْكُهُمْ، وَصَارُوا بَعْدَهُ مُسْتَضْعَفِينَ وَمَحْذُولِينَ.

وَرَوِيَ أَنَّهُ اجْتَاَزَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ بِدَارٍ فِيهَا فَرَحٌ، وَقَائِلَةٌ تَقُولُ فِي غَنَائِهَا:

أَلَا يَا دَارُ لَا يَدْخُلُكَ حُزْنٌ وَلَا يُزِرِي بِصَاحِبِكَ الزَّمَانُ
فَذَهَبَ، ثُمَّ اجْتَاَزَ بِهَا عَنْ قَرِيبٍ، وَإِذَا الْبَابُ مُسَوَّدٌ، وَفِي الدَّارِ بُكَاءٌ
وَصُرَاخٌ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ؟ فَقِيلَ: مَاتَ رَبُّ الدَّارِ، فَطَرَقَ الْبَابَ، وَقَالَ: سَمِعْتُ
مِنْ هَذِهِ الدَّارِ قَائِلَةً تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَبَكَتِ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ
يُغَيِّرُ وَلَا يَتَغَيَّرُ، وَالْمَوْتُ غَايَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ، فَانصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِمْ بَاكِيًا.
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا انْقِضَاءَ لِحُكْمِهِ، وَلَا انْتِهَاءَ لِأَبَدِيَّتِهِ.

فَيَا إِخْوَانِي، مَا هَذِهِ الْعَفَلَاتُ وَالْاِغْتِرَارُ؟ وَمَا هَذَا الْإِكْتَابُ عَلَى الدُّنْيَا
وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَصَرُّمَ الْأَعْمَارِ؟ وَمَا هَذَا التَّفْرِيطُ، وَأَنْتُمْ عَلَى الْأَثَارِ؟ وَقَدْ أَيْقَنْتُمْ أَنَّ
دَارَ الْفَنَاءِ لَيْسَتْ لَكُمْ دَارَ قَرَارٍ؟

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، تَاهَبُوا لِلْمَوْتِ الَّذِي مَا طَلَبَ أَحَدًا فَأَعْجَزَهُ، وَلَا تَحَصَّنَ
مِنْهُ مُتَحَصِّنٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ وَأَبْرَزَهُ، فَأَيُّ عَيْشٍ صَفَا وَمَا كَدَّرَهُ؟ وَأَيُّ قَدَمٍ سَعَى
وَمَا عَثَرَهُ؟ وَأَيُّ غُضَنِ عَلَا وَمَا كَسَرَهُ؟ وَأَيُّ بِنَاءٍ أُشِيدَ وَمَا دَمَّرَهُ؟ وَأَيُّ غَافِلٍ
لَاهِ وَمَا دَعَثَرَهُ؟ وَأَيُّ مَلِكٍ آمَرَ نَاهٍ عَالٍ وَمَا حَذَرَهُ؟ وَأَيُّ مُتَعَنِّتٍ جَائِرٍ وَمَا
نَكَّسَهُ وَأَضْعَرَهُ؟ وَأَيُّ غَنِيِّ مَا سَلَبَ مَالَهُ وَأَفْقَرَهُ؟

أَمَّا أَخَذَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ؟ أَمَّا أَخَذَ الشَّبَابَ وَالْأَوْلَادُ؟ أَمَّا مَلَأَ الْقُبُورَ
وَالْأَلْحَادُ؟ أَمَّا أَرْمَلَ النِّسَاءَ وَأَيْتَمَ الْأَوْلَادُ؟ أَمَّا سَلَبَ الْأَجِبَةَ وَقَطَعَ الْوِدَادُ؟

يَا حَزِينًا لِفِرَاقِ أَحِبَّائِهِ، خُذْ لِلْحَاقِقِهِمْ أَحْسَنَ زَادٍ.

عِبَادَ اللَّهِ: أَمَّا أَيْقَنْتُمْ أَنَّكُمْ مِنْ جُمْلَةِ الرَّاحِلِينَ؟ وَاللُّهُودُ الْمَنَازِلُ بَعْدَ
التَّرَفِّ وَاللِّينِ؟ وَالْهَوُلُ فَطِيعٌ؛ فَأَيْنَ الْمُتَفَكِّرُ الْحَزِينُ؟ أَمَّا عَلِمْتُمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ
بَابٌ، وَأَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الدَّاخِلِينَ؟

رُويَ أَنَّ الإسْكَندَرَ مَرَّ بِمَدِينَةٍ فِي سَفَرِهِ، قَدْ مَلَكَهَا سَبْعَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ، وَبَادُوا جَمِيعَهُمْ، فَقَالَ: هَلْ بَقِيَ مِنْ نَسْلِ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ! بَقِيَ رَجُلٌ وَهُوَ فِي الْمَقَابِرِ لَا يَسْكُنُ لِأَحَدٍ، وَلَا يَأْنُسُ إِلَّا بِالْوَاحِدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ، فَقَالَ لَهُمْ: دُلُونِي عَلَى مَكَانِهِ؛ فَدَلُّوهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَتَاهُ رَأَى رَجُلًا قَدْ أَنْحَلَتْهُ الْعِبَادَةُ، وَأَذَابُهُ الْخَوْفُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ دُو الْقَرْنَيْنِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ دُو الْقَرْنَيْنِ: يَا هَذَا، مَا حَمَلَكَ عَلَى لُزُومِ الْمَقَابِرِ؟ فَأَطْرَقَ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَعْزِلَ عِظَامَ الْمُلُوكِ مِنْ عِظَامِ عِبِيدِهِمْ؛ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ الإسْكَندَرُ: هَلْ لَكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي فَأُحْيِيَ بِكَ شَرَفَ آبَائِكَ إِنْ كَانَتْ لَكَ هِمَّةٌ، فَقَالَ: إِنْ هِمَّتِي لَعَلِّيَّةٌ، إِنْ كَانَتْ بُغْيَتِي عِنْدَكَ؟ قَالَ: وَمَا بُغْيَتُكَ؟ قَالَ: أَبْغِي حَيَاةً لَا مَوْتَ بَعْدَهَا، وَشَبَابًا لَا هَرَمَ بَعْدَهُ، وَغِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهُ. قَالَ دُو الْقَرْنَيْنِ: لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَاْمُضْ لِشَأْنِكَ، وَدَعْنِي أَطْلُبُ ذَلِكَ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهِ أَقْدَرُ، وَلَهُ أَمْلُكٌ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ذَهَبَتْ، وَالْآخِرَةُ قَدْ قَرُبَتْ، وَالسَّفَرُ بَعِيدٌ، وَلَيْسَ مَعِيَ زَادٌ، وَالرُّقَادُ طَوِيلٌ، وَأَنَا عَلَى غَيْرِ مِهَادٍ.

شعر:

تَنَبَّهَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
وَتُمْسِي رَهِينًا فِي الْقُبُورِ وَتَنْتَنِي
قُرِيدًا وَحِيدًا فِي الثَّرَابِ، وَإِنَّمَا
فَوَاسِفَا مَا يَعْمَلُ الدُّودُ وَالثَّرَى
وَمَا يَفْعَلُ الْجِسْمُ الْوَسِيمُ إِذَا تَوَى
وَبَطْنٍ بَدَا فِيهِ الرَّدَى ثُمَّ لَوْ تَرَى
أَعْيُنَايَ جُودًا بِالدَّمُوعِ عَلَيْكُمَا
أَيَا مُدْعِي حُبِّي هَلُمَّ بِنَا إِذَا
دَعَى اللَّهُ نَفْسِي وَادْكُرِي حُفْرَةَ الْبِلَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ حَالَتِي
فَعَمَّا قَلِيلٍ لِلْمَقَابِرِ تُنْقَلُ
لَدَى جَدَثٍ تَحْتَ الثَّرَى تَتَجَنَّدَلُ
قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَعْمَلُ
بَوَجْهِ جَمِيلٍ كَانَ لِلَّهِ يَخْجَلُ
وَصَارَ ضَجِيعَ الْقَبْرِ يَغْلُوهُ جَنْدَلُ
دَقِيقَ الثَّرَى فِي مُقْلَةٍ يَتَهَزَّوَلُ
فَحُزْنِي عَلَى نَفْسِي أَحَقُّ وَأَجْمَلُ
بَكَى النَّاسُ نَبْكَى لِلْفِرَاقِ وَنَهَمَلُ
وَكَيفَ بِنَا دُودُ الْمَقَابِرِ يَفْعَلُ
إِذَا صِرْتُ فِي قَبْرِي وَحِيدًا أُمْلَلُ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبًا قَطَعْتَنَا عَنْ بَابِكَ، وَجُدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ، وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَخْبَابِكَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا جَمِيعَ الزَّلَّاتِ، وَاسْتُرْ عَلَيْنَا كُلَّ الْخَطِيئَاتِ، وَسَامِحْنَا يَوْمَ السُّؤَالِ وَالْمُنَاقَشَاتِ.

اللَّهُمَّ يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ، أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوبِنَا، وَاسْتُرْ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عُيُوبَنَا، وَاغْفِرْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوبَنَا، وَتَبَّهْ قُلُوبَنَا مِنْ سِنَةِ الْعَقْلَةِ وَوَفَّقْنَا لِاِغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيْتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الفصل الرابع

وَفِيهِ فَضْلٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَلَا الظُّنُونُ، وَلَا تَنَالُهُ الْأَفَاتُ وَلَا الْمُنُونُ، الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الْمَكْنُونُ، وَأَرْسَلَ السَّحَابَ الْهَثُونُ، وَأَخْرَجَ الثَّمَارَ مِنْ بَابِيسِ الْعُصُونِ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

تَكُونَتْ بِقُدْرَتِهِ الْأَشْيَاءُ، وَتَوَالَتْ بِرَحْمَتِهِ الْآلَاءُ، وَانْشَقَّتْ بِحُكْمَتِهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَكُتِبَ بِمَشِيئَتِهِ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿١٦﴾.

قَدَّرَ الْأَزْمَانَ، وَفَضَّلَ شَهْرَ رَمَضَانَ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

مُبْدِعُ الدُّهُورِ بِالْإِحْدَاثِ، وَمُصَوِّرُ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ ﴿١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ﴿أَجَلًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

الْكَرِيمُ الشَّكُورُ، الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقْدِرُونَ﴾.

مَا لِكَ الْأَشْيَاءِ بِالطُّولِ وَالْعَرْضِ، وَقَابِلٌ مِنْ عِبَادِهِ السَّنَنَ وَالْفَرْضَ، وَإِلَيْهِ الْمَابُ وَالْعَرْضُ ﴿وَلَمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ فَنِينُونَ﴾ (٣١).

فَضَّلَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، وَالرَّحْمَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّيْرَانِ، وَأَنْزَلَ عَلَى سَيِّدِنَا فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٣٢).

أَحْمَدُهُ حَمْدًا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْمُتَقَرَّبُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَنْفَعُ قَائِلَهَا ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٣٣).

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ كُلُّ دَهْرِهِمْ رَمَضَانٌ، وَبِهِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ يَزِيدُونَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣٤) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَتَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٣٥).

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بُتُّ عِنْدَ خَالَاتِي مَيِّمُونَةً، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣٦). ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّنَ، فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَدْنَى بِإِلَاقٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ».

وَقَالَ ابْنُ مَاجَه: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَاقَ بِالإِسْنَادِ إِلَى النَّضْرِ بْنِ شَيْبَانَ قَالَ: لَقِيتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقُلْتُ: حَدَّثَنِي بِحَدِيثِ سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِيكَ يَذْكُرُهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، قَالَ: نَعَمْ! حَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

ذَكَرَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَقَالَ: «شَهْرٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ؛ فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَأَكُّدِ اسْتِحْبَابِ قِيَامِ رَمَضَانَ، لَا سِيَّمَا الْعَشْرَ الْأَوَّالَ مِنْهُ. كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَتِ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ»، قَوْلُهُ: «شَدَّ الْمِئْزَرَ» أَي تَرَكَ الْجَمَاعَ.

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا شَهِدَ رَمَضَانَ قَامَ وَنَامَ؛ فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَمْ يَذُقْ غَمَضًا».

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّالِ مِنْ رَمَضَانَ، وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلَاةَ».

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ عَلِيٍّ أَيْضًا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَخْرُجُ مِنْ أَغْلَاهَا حُلٌّ، وَمِنْ أَسْفَلِهَا خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسَرَّجَةٌ مُلْجَمَةٌ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ، لَا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ، لَهَا أَجْنَحَةٌ، حَظُوهَا مَدُّ الْبَصَرِ، فَيَرْكَبُهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ تَطِيرُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا، فَيَقُولُ الَّذِينَ أَسْفَلَ مِنْهُمْ دَرَجَةً: يَا رَبِّ، بِمَ بَلَغَ عِبَادُكَ هَذِهِ الْكِرَامَةَ كُلَّهَا؟ قَالَ: فَيَقَالُ لَهُمْ: كَانُوا يُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ وَكُنْتُمْ تَنَامُونَ، كَانُوا يَصُومُونَ وَكُنْتُمْ تَأْكُلُونَ، وَكَانُوا يُنْفِقُونَ وَكُنْتُمْ تَبْخُلُونَ، وَكَانُوا يُقَاتِلُونَ وَكُنْتُمْ تَجْتَنِبُونَ».

شِعْر:

يَا رِجَالَ اللَّيْلِ جِدُّوا	رُبَّ دَاعٍ لَا يُرَدُّ
مَا يَقُومُ اللَّيْلَ إِلَّا	مَنْ لَهُ عَزْمٌ وَجَدُّ
لَيْسَ شَيْءٌ كَصَلَاةِ اللَّـ	يَلِ الْقَبْرِ يُعَدُّ

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى، أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ الْقَائِمِ الَّذِي يَرْجُو ثَوَابَ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ أَنْ يَحْفَظَ صِيَامَهُ عَمَّا يَشُوبُهُ مِنَ الْمَعَاصِي، كَقَوْلِ الزُّورِ وَالْكَذِبِ

وَالْغَيْبَةِ، وَالْأَقْوَالِ الَّتِي لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ، وَعَنْ الاستِمَاعِ إِلَى
اللَّهِوِ وَالْأَعَانِي وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَنْ يُخْلِصَ عَمَلَهُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يُرَائي
بِعَمَلِهِ أَحَدًا.

فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ،
فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ
الرَّجُلِ إِلَيْهِ».

وَأَنْ يُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي أَوْقَاتِهَا مَعَ الْجَمَاعَاتِ، وَلَا
يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ غَالِبُ النَّاسِ الْآنَ، فَإِنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَقُومُ بِالنَّافِلَةِ وَيَدْعُ
الْفَرَضَ، كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَنَامُ النَّهَارَ كُلَّهُ وَيَدْعُ الْأَوْقَاتَ الْمَفْرُوضَةَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَى الْإِنْسَانِ: الْمُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَاتِ؛
فَقَدْ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ عَلَى التَّرْغِيبِ فِيهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَالتَّرْهِيْبِ
مِنْ تَرْكِهَا وَالتَّهَؤُنِ بِهَا.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ
عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ بِسَبْعٍ وَعَشْرِينَ دَرَجَةً» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: هَذَا
حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ بِسَنَدِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّهُمَا سَمِعَا
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادٍ مِنْبَرِهِ: «لَيَسْتَهَيَّنَ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ،
أَوْ لَيُخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ».

إِخْوَانِي: طُوبَى لِمَنْ تَنَبَّهَ مِنْ رُقَادِهِ، وَبَكَى عَلَى مَا مَضَى مِنْ فَسَادِهِ،
وَخَرَجَ عَنْ دَائِرَةِ الْمَعَاصِي إِلَى دَائِرَةِ سَدَادِهِ، عَسَاهُ يَمْنَحُو بِصَحِيحِ اعْتِرَافِهِ قَبِيحَ
اعْتِرَافِهِ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ فَلَا يَنْفَعُ، وَيَعْتَدِرَ فَلَا يُسْمَعُ.

شعر:

أَجْنَحَتْ شَمْسُ حَيَاتِي وَتَدَلَّتْ لِلْغُرُوبِ
وَتَوَلَّى لَيْلُ رَأْسِي وَبَدَا فَجْرُ الْمَشْيِبِ
رَبِّ خَلَّصْنِي فَقَدْ لَجَجْتُ فِي بَحْرِ الذُّنُوبِ
وَأَنْلِني الْعَفْوَ يَا أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبِ

رُويَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْعَطَّارِ قَالَ: حَضَرْتُ الْجُنَيْدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا. وَكَانَ قَاعِدًا يُصَلِّي وَيُثْنِي رَجُلَيْهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ وَيَسْجُدَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ رَجُلَيْهِ، فَثَقُلَ عَلَيْهِ تَحْرِيكُهُمَا. وَكَانَتْ رِجْلَاهُ قَدْ تَوَرَّمَتَا؛ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ - مِمَّنْ كَانَ مَعِي -: مَا هَذَا يَا أَبَا الْقَاسِمِ؟ فَقَالَ: هَذِهِ نِعَمٌ، اللَّهُ أَكْبَرُ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، قَالَ لَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، لَوْ اضْطَجَعْتَ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَذَا وَقْتُ يُؤْخَذُ مِنْهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ حَالَهُ حَتَّى خَرَجَتْ رُوحُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ يَصُومُ حَتَّى يَخْضَرَ وَيَضْفَرَّ، وَحَجَّ ثَمَانِينَ حَجَّةً.

وَصَامَ مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقَامَ لَيْالِيهَا. وَكَانَ يَبْكِي طُولَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ، أَقْتَلْتَ قَتِيلًا؟ فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ مَا صَنَعْتَ نَفْسِي.

وَوَقَفَ أَبُو يَزِيدَ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ يَجْتَهِدُ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَا قَدَرَ، إِجْلَالًا وَهَيْبَةً، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصَّبَاحِ نَزَلَ فَبَالَ الدَّمَ.

فَلِلسَانُ حَالِي يَقُولُ: يَا أَرْبَابَ الْمُعَامَلَةِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ، سُبْحَانَ مَنْ أَقَامَكُمْ وَأَقْعَدَنَا، يَا مَعْشَرَ التَّائِبِينَ، سُبْحَانَ مَنْ قَرَّبَكُمْ وَأَبْعَدَنَا ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

شعر:

أَحْسَنُ مِنْ قَيْنَةٍ وَمِزْمَارٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ نَعْمَةُ الْقَارِي

يَا حُسْنَهُ وَالْخَلِيلُ يَسْمَعُهُ
وَحَدُّهُ فِي الثُّرَابِ عَفْرُهُ
يَقُولُ: يَا سَيِّدِي وَيَا أَمَلِي
اغْفِرْ ذُنُوبِي لِأَنَّهَا عَظُمَتْ
ذَاكَ عَدَا فِي الْجَنَانِ مَسْكَنُهُ
يَسْكُنُ مَعَ رَوْجَةِ تُشَاكِلُهُ
يَحْسُنُ صَوْتٍ وَدَمْعُهُ جَارِي
وَقَلْبُهُ فِي مَحَبَّةِ الْوَاحِدِ الْبَارِي
شَغَلْتَنِي عَنْكَ ثِقْلُ أَوْزَارِي
وَلَمْ تَزَلْ يَا جَلِيلُ غَفَّارِي
بِدَارِ قُدْسٍ بِقُرْبِ جَبَّارِ
يَا حُسْنَ مُحْتَارَةٍ لِمُخْتَارِ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ هِنْدِ بِنْتِ الْحَارِثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ لَيْلَةً، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتْنَةِ؟ مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ؟ يَا رَبِّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَّةٌ فِي الْآخِرَةِ».

يَا مُقَرَّطًا فِي سَاعَاتِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَوْ عَلِمْتَ مَا فَاتَكَ شَابَهَتْ دُمُوعُكَ
الْأَنْهَارَ.

يَا طَوِيلَ النَّوْمِ عَدِمْتَ جِيرَانَ الْأَسْحَارِ، لَوْ رَأَى طَرْفُكَ مَا نَالَ الْأَبْرَارُ
حَارَ.

يَا مُخْدُوعًا بِالْهَوَى سَاكِنًا فِي دَارٍ، قَدْ حَامَ حَوْلَ سَاكِنِيهَا طَارِقُ الْفَنَاءِ
وَدَارٍ، سَارَ الصَّالِحُونَ وَأَقْعَدْتِكَ الْأَوْزَارُ. وَيَحْكُ فَاجْتَهِدْ فِي اتِّبَاعِ الْأَنْبَاءِ،
وَأَذْكُرْ بِظِلَامِ اللَّيْلِ ظِلَامِ الْقَبْرِ الْحَالِي فَحُلِّ الدِّيَارِ، وَحَارِبِ عَدُوِّ قَدْ قَتَلَكَ
بِالْهَوَى وَاطْلُبِ النَّارَ. قَدْ أَرَيْتُكَ طَرِيقًا إِنْ سَلَكَتَهَا أَمِنْتَ الْعِثَارَ. وَإِنْ فُزْتَ
بِالْمَرَادِ فَادْكُرْنِي فَالصَّيْدُ لِمَنْ أَثَارَ.

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْوَاعِظُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ
الْمَشْهُورِ فِي التَّبَصُّرَةِ، قَالَ: بَكَى عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ لَمَّا اخْتُصِرَ، وَقَالَ: إِنَّمَا
أَبْكِي عَلَى ظَمِئِ الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ لَيْلِ الشِّتَاءِ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَبَكَى أَبُو الشَّعْثَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقِيلَ لَهُ:
مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: لَمْ أَشْفَ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ.

وَقَالَ أَيُّضًا: وَبَكَى يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي عَلَى مَا يَفُوتُنِي مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: يَا يَزِيدُ، مَنْ يُصَلِّيَ لَكَ؟ مَنْ يَصُومُ لَكَ؟ مَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؟ وَيَحْكُمُ يَا إِخْوَانِي، لَا تَغْتَرُّوا بِشَبَابِكُمْ فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ حَلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِي. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيَءَ الْفَجْرُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

إِخْوَانِي: مَا أَحْسَنَ حَالَ مَنْ التَّجَأَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، مَا أَصْبَحَ وَجْهَهُ الْمُتَهَجِّدِينَ، مَا أَعَزَّ أَنْفَاسَ الصَّائِمِينَ، مَا أَحْلَى مُنَاجَاةَ الْقَائِمِينَ، وَمَا أَغْطَرَ أَنْفَاسَ الذَّاكِرِينَ، وَمَا أَنْفَعَ بُكَاءَ الْمَحْزُونِينَ، مَا أَحْلَى عَيْشَ الْمُقْبُولِينَ، وَمَا أَمَرَ عَيْشَ الْمَطْرُودِينَ، وَمَا أَذَلَّ نَفُوسَ الْخَاطِئِينَ، وَمَا أَسْوَأَ حَالَ الْمَحْرُومِينَ، وَمَا أَغْطَمَ حَسْرَةَ الْغَافِلِينَ، وَمَا أَشْنَعَ عَيْشَ الْمُحْجُوبِينَ، وَمَا أَعَمَّى قُلُوبَ الظَّالِمِينَ، وَمَا أَقْبَحَ وَجْهَ الْعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ لَهُ وَرْدٌ بِاللَّيْلِ فَتَامَ عَنْهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَتَى فِي مَنَامِهِ، فَقَالَ لَهُ هَذِهِ الْأَيَّاتُ بِصَوْتٍ مَحْزُونٍ:

تَقِظْ بِسَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ يَا فَتَى	لَعَلَّكَ تَحْظَى فِي الْجَنَانِ بِحُورِهَا
فَتَنْعَمَ فِي دَارٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا	مُحَمَّدٌ فِيهَا وَالْخَلِيلُ يَزُورُهَا
فَقُمْ فَتَقِظْ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ	عَسَاكَ تُقْضَى مَا بَقِيَ مِنْ مُهُورِهَا

فَصْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَسْتَكُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝﴾.

هَذَا نَعَتْ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مِنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي اسْتَحَقُّوا بِهَا الْجَنَاتِ
الْعُلَى، وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمَ، أَنَّهُمْ يَبِيتُونَ يُصَلُّونَ لِلَّهِ مَا بَيْنَ سُجُودٍ وَقِيَامٍ وَرُكُوعٍ،
فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ يَتَقَلَّبُ فِيهِ إِلَى أَنْ يَقُومَ إِلَى تَهَجُّدِهِ. كُلُّ
ذَلِكَ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ.

كَانَ طَاوُوسٌ يَتَقَلَّبُ عَلَى فِرَاشِهِ ثُمَّ يُدْرِجُهُ وَيَطْوِيهِ، وَيَقُولُ: طَيْرَ ذِكْرُ
جَهَنَّمَ نَوْمَ الْعَابِدِينَ.

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ
الْجَنَّةِ نَامَ طَالِيهَا، وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، فَكَانَ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ قَالَ:
أَذْهَبَ حَرُّ النَّارِ النَّوْمَ، فَمَا يَنَامُ حَتَّى يُضْهِحَ، وَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ قَالَ: أَذْهَبَ حَرُّ
النَّارِ النَّوْمَ؛ فَمَا يَنَامُ حَتَّى يُمْسِيَ.

وَرُويَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَتَلَوَّى كَمَا يَتَلَوَّى الْحَبُّ فِي الْمِقْلَى، ثُمَّ يَقُومُ
فَيُنَادِي: اللَّهُمَّ إِنَّ النَّارَ قَدْ مَنَعَتْنِي مِنَ النَّوْمِ فَاعْفِرْ لِي.

وَفِي الْمُسْنَدِ وَصَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ أَحَدُهُمَا مِنَ اللَّيْلِ فَيُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطُّهُورِ، وَعَلَيْهِ عُقْدَةٌ
فَيَتَوَضَّأُ، فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، وَإِذَا مَسَحَ
رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَتُهُ. فَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ لِلَّذِينَ وَرَاءَ
الْحِجَابِ: انظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ بِنْتُ دَاوُدَ: لَا تُكْثِرُوا النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ
تَتْرُكُ الرَّجُلَ فَقِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ كَانُوا يُحَافِظُونَ عَلَى
قِيَامِ اللَّيْلِ فِي كُلِّ الزَّمَانِ، لِكِنَّ جُودَهُمْ وَمُحَافَظَتَهُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَكْثَرُ مِنْ
غَيْرِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ مَكَثَ غَالِبَ عُمُرِهِ لَا يَقْتَرُ لَيْلَةً وَاحِدَةً.

فَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مَكَثَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ خَمْسِينَ سَنَةً

لَمْ يُفَرِّشْ لَهُ فِرَاشٌ؛ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بَكَى ابْنُهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، مَا يُبْكِيكَ؟
أَتَرَى اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ لِأَبِيكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَحْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ؟ وَبَكَتْ أُخْتُهُ،
فَقَالَ لَهَا: انْظُرِي إِلَى تِلْكَ الزَّائِيَةِ، خَتَمَ أَخُوكَ فِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ خَتْمَةٍ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ يَصُومُ الدَّهْرَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ
كُلَّهُ وَيَبْكِي، فَقَالَتْ جَارِيَةٌ فِي دَارِهِ: لَوْ كَانَ هَذَا قَدْ قَتَلَ أَهْلَ الدُّنْيَا مَا زَادَ
عَلَى هَذَا، وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ كَانَتْ لِلذُّنُوبِ رَائِحَةٌ مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَذْنُوبُوا مِنِّي.

يَا بَطَّالُ لَا تَطْمَعَنَّ فِي مَنَازِلِ الْأَبْطَالِ، إِنَّ لَذَّةَ الرَّاحَةِ لَا تُنَالُ بِالرَّاحَةِ. مَنْ
زَرَعَ حَصَدًا، وَمَنْ جَدَّ وَجَدَ، أَيُّ مَطْلُوبٍ نِيلَ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، وَأَيُّ مَرْغُوبٍ لَمْ تَبْعُدْ
عَلَى طَالِبِهِ الشَّقَّةَ؛ الْمَالُ لَا يُحْصَلُ إِلَّا بِالتَّعَبِ، وَالْعِلْمُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالطَّلَبِ،
وَأَسْمُ الْجُودِ لَا يَنَالُهُ بِخَيْلٍ، وَلَقَبُ الشُّجَاعِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ طَوِيلٍ.

شِعْر:

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ
لَوْ لَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
إِنَّا لَفِي زَمَنِ قَوْلِ الْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانُ وَإِجْمَالُ

يَا هَذَا، مَا الَّذِي أَبْعَدَكَ عَنْ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ؟ أَبْعَدَكَ وَاللَّهِ حُبُّ الْأَكْلِ
وَالْوِسَادَةِ، طَاعَاتُكَ فِي نُقْصَانٍ، وَمَعَاصِيكَ فِي زِيَادَةٍ.

إِخْوَانِي: مَا هَذِهِ الْغَفْلَةُ، وَإِلَى الْبَلَى الْمَصِيرُ؟ وَمَا هَذَا التَّوَانِي وَالْعُمُرُ
قَصِيرٌ؟ وَإِلَى مَتَى هَذَا التَّمَادِي فِي الْبِطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ؟ وَمَا هَذَا الْكَسَلُ وَقَدْ
أَنْذَرَكُمُ النَّذِيرُ؟ وَإِلَى مَتَى تُبْهَرِجُونَ وَالنَّاقِدُ بَصِيرٌ؟ فَتَذَكَّرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَالْأَمْرُ
شَدِيدٌ، وَبَادِرُوا بَقِيَّةَ الْعُمُرِ وَالشَّهْرِ؛ فَالْنَّدَمُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْفُوتُ لَا يُفِيدُ،
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝﴾.

إِخْوَانِي: أَيُّنَ أَحْبَابِكُمُ الَّذِينَ سَلَفُوا؟ أَيُّنَ أَتْرَابِكُمُ الَّذِينَ رَحَلُوا
وَانْصَرَفُوا؟ أَيُّنَ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ وَمَا خَلَفُوا؟ نَدِمُوا عَلَى التَّقْرِيطِ يَا لَيْتَهُمْ عَرَفُوا
هَؤُلَ مَقَامَ يَشِيبُ مِنْ هَوْلِهِ الْوَلِيدُ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝﴾.

وَاعْجَبَا! كُلَّمَا دُعِيَتْ إِلَى اللَّهِ تَوَانَيْتَ، وَكُلَّمَا حَرَّكَتَكَ الْمَوَاعِظُ إِلَى
الْخَيْرَاتِ أَبَيْتَ وَتَمَادَيْتَ. وَكَمْ حَذَرَكِ الْمَوْتُ فَمَا انْتَهَيْتِ، يَا مَنْ جَسَدُهُ حَيٌّ
وَقَلْبُهُ مَيِّتٌ، سَتُعَايِنُ عِنْدَ الْحَسَرَاتِ مَا لَا تُرِيدُ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ
مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾ ❀.

أَخِي، كَمْ أَرْعَجَ الْمَوْتُ نَفُوسًا مِنْ دِيَارِهَا، وَكَمْ أَبَادَ الْبَلَى مِنْ أَجْسَادِ
مُنْعَمَةٍ وَلَمْ يُدَارِهَا، وَكَمْ نَقَلَ إِلَى الْحَفَائِرِ أَرْوَاحًا بِأَوْزَارِهَا، وَكَمْ أَدَلَّ فِي
التُّرَابِ خُدُودًا بَعْدَ نَضَارَتِهَا وَإِسْفَارِهَا؛ فَأَبْكُ يَا أَخِي عَلَى نَفْسِكَ قَبْلَ بُكَاءِ لَا
يُقِيدُ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾ ❀.

انْتَبِهْ يَا هَذَا، فَالْذُّنْيَا أَضْعَافُ أَحْلَامٍ، وَدَارُ الْفَنَاءِ لَا تَصْلُحُ لِلْمُقَامِ،
وَاجْتَهِدْ فِي بَقِيَّةِ هَذَا الشَّهْرِ فَعَسَى أَلَّا تُذَرِّكَ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ. وَيَحْكُ أَمَّا عَلِمْتَ
أَنَّكَ تَرَحَّلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَحَلَةً، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّهُ يُحْصَى عَلَيْكَ مِنَ الْأَعْمَالِ حَتَّى
الْخَرْدَلَةُ؛ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ خَانَهُ الْحِسَابُ مَا أَمَّلَهُ، عَافَصَهُ مُرُّ الْقَضَا وَعَاجَلَهُ، وَلَمْ
تُبْلِغْهُ الْأَمَالَ إِلَى مَا يُرِيدُ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾ ❀.

يَا مُعْرِضًا عَنِ الْمَوْلَى، إِلَى مَتَى هَذَا الْإِعْرَاضُ، وَقَدْ وَلَّى شَبَابُكَ فِي
طَلَبِ الْأَعْرَاضِ، أَمَّا عَلِمْتَ - وَيَحْكُ - أَنَّ عُمرَكَ فِي انْفِرَاضٍ؟ وَقَوَاكُ كُلَّ
سَاعَةٍ فِي انْتِقَاضٍ، وَيَحْكُ تَزَوُّدٌ، فَالْسَّفَرُ وَاللَّهُ بَعِيدٌ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ
ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾ ❀.

يَا مَنْ يَجْلِسُ فِي الْمَسَاجِدِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْأَسْبَابِ، يَا مَنْ تَنْقُضِي
الْمَوَاعِظُ وَهُوَ مَا تَابَ، يَا مَنْ كَسَتْهُ الْمَعَاصِي ظُلْمَةُ الْحِجَابِ. يَا مَنْ أَغْلَقَ
الْهُوَى فِي وَجْهِهِ الْبَابَ، نَحْ عَلَى نَفْسِكَ فَرِيْمًا يَنْفَعُ التَّعْدِيدُ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾ ❀.

أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَوْتَ لَكَ بِالْمِرْصَادِ؟ أَمَّا صَادَ غَيْرَكَ وَلَكَ سَيْضَطَادُ؟ أَمَّا
بَلَعَكَ مَا فَعَلَ بِسَائِرِ الْقُصَادِ؟ أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْمَلِكِ الْمَجِيدِ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدًا﴾ ❀.

عِبَادَ اللَّهِ: تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ، وَأَحْضَرُوا قُلُوبَكُمْ لِفَهْمِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَلَا زِمُوا طَاعَةَ اللَّهِ فَهَذَا شَأْنُ الْعَبِيدِ، وَأَكْبُوا عَلَى تَفْهَمِ الْقُرْآنِ وَالتَّرْوِيدِ؛ فَقَدْ دَلَّكُمْ عَلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ، تَاللَّهِ إِنَّ مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ لَتَذِيبُ الْحَدِيدَ، وَلَوْ نَزَلَ عَلَى الصَّخْرِ لَعَادَ وَهُوَ يَمِيدُ، وَلَكِنَّ الْعَافِلَ عَنْ فَهْمِهِ بَعِيدٌ. أَمَا هُوَ يُبْدِي التَّذْكَارَ عَلَيْكُمْ وَيُعِيدُ، وَقَدْ سَبَقَ الْعَذَابُ وَالتَّهْدِيدُ؟ أَمَا أَخْبَرَكُمْ بِإِهْلَاكِ الْمُلُوكِ الصَّيْدِ؟ وَأَعْلَمَكُمْ أَنَّ الْمَوْتَ مِنْكُمْ بِالْوَصِيدِ؟ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدٌ﴾.

أَيْنَ مَنْ بَنَى وَشَادَ وَطَوَّلَ، وَتَأَمَّرَ عَلَى الْعِبَادِ وَسَادَ فِي الْأَوَّلِ، وَظَنَّ - جَهْلًا مِنْهُ - أَنَّهُ لَا يَتَحَوَّلُ، هِنَهَاتِ عَادَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ سَالِبًا مَا خَوَّلَ. فَسَقُوا إِذْ فَسَقُوا كَأْسًا عَلَى إِهْلَاكِهِمْ عَوَّلَ، وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُمْ الْمَالَ وَالْعَبِيدَ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدٌ﴾.

فَيَا مَنْ أُنْذِرُهُ يَوْمُهُ وَأَمْسُهُ، وَحَادَثُهُ بِالْعَبْرِ قَمَرُهُ وَشَمْسُهُ، وَهُوَ يَسْعَى إِلَى الْخَطَايَا مُسْمِرًا وَقَدْ دَنَا رَمْسُهُ، وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا جَاءَ مِنَ الرَّجْرِ وَالْوَعِيدِ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدٌ﴾.

أَمَا عَلِمْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنَّكَ مَسْئُولٌ عَنِ الزَّمَانِ؟ مَشْهُودٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَنْطِقُ الْأَرْكَانُ؟ مَحْفُوظٌ عَلَيْكَ مَا فَعَلْتَ فِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ؟ مُحَاسَبٌ عَلَى خَطَوَاتِ الْقَدَمِ وَكَلِمَاتِ اللِّسَانِ؟ أَمَا الْمَوْتُ لِلْخَلَائِقِ مُبِيدٌ؟ أَمَا سَوَى فِي الْقُبُورِ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالْعَبِيدِ؟ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدٌ﴾.

فَيَا مَنْ يَرَى الْعَبْرَ بِعَيْنَيْهِ، وَيَسْمَعُ الْمَوَاعِظَ بِأُذُنَيْهِ، وَكَلِمَاتُهُ تُحْصَى عَلَيْهِ، وَنَذِيرُ الْمَوْتِ قَدْ سَعَى إِلَيْهِ، بِالْإِنْذَارِ وَالتَّهْدِيدِ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدٌ﴾.

كَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ وَقَدْ اخْتَطَفَكَ اخْتِطَافَ الْبَرَقِ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِ عَنْكَ بِمُلْكِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ، وَتَأَسَّفْتَ عَلَى الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ الْأَسْفَ الشَّدِيدِ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدٌ﴾.

فَيَهْرُبُ مِنْكَ الْأَخُ وَيَنْسَى إِخَاءَكَ، وَيُغْرِضُ عَنْكَ الصَّدِيقَ وَيَرْفُضُ
وَلَاءَكَ، وَتَذْهَلُ عَنْ أَوْلَادِكَ وَتَنْسَى نِسَاءَكَ. رَجَعُوا يَفْتَسِمُونَ مَتَاعَكَ وَأَنْتَ فِي
اللَّحْدِ وَحِيدٌ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ﴿٦٦﴾.

تَاللَّهِ لَقَدْ رُمِيتِ الْقُلُوبُ بِالْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ، فَلَا بَوْعَظٍ تَنْتَفِعُ وَلَا تَهْدِيدٍ،
فَالِىَ اللَّهِ نَشْكُو قُلُوبَنَا الْقَاسِيَةَ، وَنُفُوسَنَا الظَّالِمَةَ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، وَإِيَّاهُ
نَسْأَلُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّهُ لِنَعْمِ الْمَوْلَى، وَإِنْ كُنَّا لِبِئْسِ الْعَبِيدِ.

رُويَ أَنَّ يَزِيدَ الرَّقَاشِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَكَى عِنْدَ مَوْتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا
يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي عَلَى مَا يَفُوتُنِي مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، لِأَنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى
يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ فَيَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ
يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» وَأَبْكِي عَلَى مَا يَفُوتُنِي مِنْ صِيَامِ
النَّهَارِ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ» وَأَبْكِي عَلَى
مَا يَفُوتُنِي مِنْ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، لِأَنَّ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَا جَلَسَ
قَوْمٌ مَجْلِسًا يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ،
وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وَبَكَى أَبُو الشَّعْثَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ:
اشْتَقْتُ إِلَى قِيَامِ اللَّيْلِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: مَرِضَ بَعْضُ الْعُبَادِ فَدَخَلْنَا
عَلَيْهِ نَعُوذُهُ، فَجَعَلَ يَتَأَسَّفُ؛ فَقُلْتُ: عَلَى مَاذَا أَنْتَ تَتَأَسَّفُ؟ فَقَالَ: عَلَى لَيْلَةٍ
نِمْتُهَا وَيَوْمٍ أَفْطَرْتُهُ، وَسَاعَةً عَقَلْتُ فِيهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَبَكَى بَعْضُ الْعُبَادِ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي عَلَى أَنَّ
يَصُومُ الصَّائِمُونَ وَلَسْتُ فِيهِمْ، وَيَذْكُرُ الذَّاكِرُونَ وَلَسْتُ فِيهِمْ، وَيُصَلِّي الْمُصَلِّونَ
وَلَسْتُ فِيهِمْ.

فَيَا غَافِلًا لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ. عَجَبًا لَكَ نَائِمٌ وَأَنْتَ مَطْلُوبٌ، وَضَاحِكٌ

أَنْتِ أَسِيرُ الذُّنُوبِ، أَمَا تُغَالِبِ الْهَوَى يَا مَغْلُوبٌ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، شَهْرِ التَّجَاوُزِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَنْتِ الْآنَ فِي آخِرِهِ الَّذِي هُوَ الْعَتَقُ مِنَ النَّيرَانِ؛ فَاجْتَهِدِ فَلَا كُلُّ مُسَافِرٍ حَاجٌّ، وَلَا كُلُّ شَهْرِ رَمَضَانُ.

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ كَمَا تَدِينُ تَذَانُ؟ أَمَا لَكَ سَمْعٌ لِلْمَوَاعِظِ يَسْمَعُ؟ أَمَا لَكَ عَيْنٌ عَلَى فِرَاقِ الْحَبَائِبِ تَذْمَعُ؟ أَمَا لَكَ قَلْبٌ مِنَ الْخَوْفِ يَخْشَعُ؟ أَمَا لَكَ فِي التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ مَطْمَعٌ؟

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ إِذَا بَكَى مَسَحَ وَجْهَهُ وَلِحْيَتَهُ بِدُمُوعِهِ؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ النَّارَ لَا تَأْكُلُ مَوْضِعًا مَسَّتَهُ الدَّمُوعُ.

يَا هَذَا؛ الْبُكَاءُ يُطْفِئُ جَمَرَ الذُّنُوبِ، وَيُحْيِي زَرْعَ الْقُلُوبِ، وَيُوصِلُكَ إِلَى الْمَطْلُوبِ. فَأَبْكُ فِي خَلَوَاتِكَ عَلَى جَفَوَاتِكَ. ابْكُ بِعَبْرَاتِكَ عَلَى عَثَرَاتِكَ. ابْكُ فِي لَيَالِكَ عَلَى عَيْكَ وَتَمَادِيكَ. ابْكُ فِي أَيَّامِكَ عَلَى ذُنُوبِكَ وَأَثَامِكَ.

شِعْر:

بَكَى وَحَقَّ لَهُ إِزْسَالُ دَمْعَتِهِ عَبْدٌ تَبَاعَدَ عَنْ مَوْلَاهُ وَانْتَزَحَا
سَقَتُهُ لَوْعَتُهُ أَنْوَاعَ عَبْرَتِهِ إِذَا انْقَضَى قَدَحُ أَهْدَتْ لَهُ قَدَحَا
كَذَا الْمُحِبُّ إِذَا صَحَّتْ مَوَدَّتُهُ أَيَّامَ فُرْقَتِهِ لَا يَعْرِفُ الْفَرَحَا

فَأَهَا عَلَى قُلُوبٍ أَقْسَى مِنَ الْحَدِيدِ. أَهَا عَلَى نُفُوسٍ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ تَحِيدُ. أَهَا عَلَى عُيُونٍ أَضْلَبَ مِنَ الْجَلَامِيدِ. فَلِلَّهِ دُرُّ أَقْوَامٍ قَامُوا يُنَاجُونَ الْحَبِيبَ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، يَتَحَمَّلُونَ أَثْقَالَ الْوَجْدِ وَالْغَرَامِ، وَيَفْرَحُونَ بِاللَّيْلِ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ فَهُمْ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ يَتَنَعَّمُونَ، وَإِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ يَنْظُرُونَ ﴿آلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣١﴾.

بِاللَّهِ يَا إِخْوَانِي ابْسُطُوا الْأَيْدِيَ إِلَى الْمَوْلَى بِالذُّلِّ وَالضَّرَاعَةِ، وَتَضَرَّعُوا

بِالذَّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وَنَادُوا: يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُبَدِّلَ مِنَّا الْفَسَادَ بِالصَّلَاحِ، وَالْخُسْرَانَ بِالْأَرْبَاحِ، وَأَنْ تُعَامِلَنَا بِالْعَفْوِ وَالسَّمَاحِ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ عِبَادًا غَرَّهُمْ طُولُ إِمْهَالِكَ، وَأَظْمَعَهُمْ دَوَامُ إِفْضَالِكَ، وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى كَرَمِ نَوَالِكَ.

إِلَهِي ارْحَمْ غُرَبَتَنَا فِي الْقُبُورِ، وَأَمِنَّا يَوْمَ الْحَشْرِ وَالنُّشُورِ.

إِلَهِي وَفَّقْنَا لِمَا يُرْضِيكَ، وَجَنَّبْنَا مَعَاصِيكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْبَابُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ مَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ، أَوْ يَدُورُ فِي الْخِيَالِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ أَبْوَابَ الْجَنَانِ، وَأَوْدَعَهَا الْحَبْرَةَ وَالسُّرُورَ، وَأَعَدَّهَا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، بِمَا فِيهَا مِنَ الْحُورِ وَالْقُصُورِ. أَجْرَى فِيهَا الْأَنْهَارَ وَشَكَلَ فِيهَا أَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ وَالشَّمَارِ، وَمَلَأَهَا مِنَ النَّعِيمِ. وَهَيَّأَهَا لِكُلِّ مُوَحِّدٍ شَكُورٍ. الْقَدِيرُ الَّذِي شَمَلَتْ قُدْرَتُهُ كُلَّ مَقْدُورٍ، وَجَرَتْ مَشِيئَتُهُ فِي خَلْقِهِ بِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ، وَأَسْمَعَتْ دَعْوَتَهُ لِلْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَأَصْحَابِ الْقُبُورِ.

قَدَّرَ عَلَى خَلْقِهِ مَا أَرَادَ فَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ عَمَّا يُرِيدُ، هُوَ لَا مَثْلَ لَهُ وَهُوَ لَا عَيْدٌ، وَحَكَمَ عَلَى كُلِّ بِمَا أَرَادَ؛ فَهَذَا شَقِيٌّ وَهَذَا سَعِيدٌ، وَهَذَا مَقْبُولٌ وَهَذَا طَرِيدٌ.

فَسُبْحَانَ مَنْ فَاتَتْ بَيْنَ خَلْقِهِ؛ فَهَذَا مَكْسُورٌ وَهَذَا مَجْبُورٌ؛ فَإِذَا رَأَيْتَ هَذَا الْعَيْنَ وَالْفَرْقَ فَقُلْ: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْغَفُورِ.

وَسُبْحَانَ مَنْ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ أَقْوَامًا لِخِدْمَتِهِ، وَأَعَدَّ لَهُمُ الْكَرَامَةَ فِي جَنَّتِهِ، وَرَفَعَ لَهُمُ فِيهَا الْعُرْفَ وَالْقُصُورَ. أَوْدَعَهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. جَزَاءً لِأَوْلِيَائِهِ لَمَّا أَتَعَبُوا الْأَبْدَانَ بِالْجُوعِ وَالسَّهَرِ، وَتَفَضَّلَا عَلَيْهِمْ، وَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ عَلَى خَلْقِهِ وَالْعَفُورُ الشَّاكُورُ.

تَابَ عَلَى آدَمَ بَعْدَ الْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، وَحَمَلَ نُوحًا عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَجِبَالِ.

وَأَلَانَ لِدَاوُدَ الْحَدِيدَ وَسَخَّرَ مَعَهُ الْجِبَالَ، وَرَدَّ عَلَى سُلَيْمَانَ الْمُلْكَ بَعْدَ ذَهَابِ وَزَوَالِ.

وَأَخْرَجَ يُوسُفَ مِنْ لُجَجِ الظُّلَمِ لَمَّا دَعَاهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِبْتِهَالِ؛ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ حُوتٍ فِي قَعْرِ الْبُحُورِ.

أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِ تَجَدُّدِ الرُّوحِ وَالْبُكُورِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَفُورُ الشَّاكُورُ؛ شَهَادَةً أَدْخَرَهَا لِيَوْمِ الْقَزَعِ وَالنُّشُورِ، وَأَوْمَلُ بِهَا مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ جَنَاتٍ فَرَشُ أَهْلِهَا الدِّيْبَاجُ، وَحَلِيَّتُهُمُ الذَّهَبُ، وَلِبَاسُهُمُ الْحَرِيرُ، وَمَسَاكِنُهُمُ الْخِيَامُ وَالْعُرْفُ وَالْقُصُورُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالنُّورِ وَالْهُدَى. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ لِلْإِهْتِدَاءِ نُجُومٌ، وَلِلظُّلَمِ بُدُورٌ. وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَدَّ لِأَوْلِيَائِهِ فِي جَنَاتِهِ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ، وَجَمَعَ لَهُمْ فِيهَا بَيْنَ الْأَمْنِ وَالْخُلُودِ وَالنَّعِيمِ وَالْبَهْجَةِ وَأَصْنَافِ اللَّذَّةِ وَالسَّرُورِ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ،
 وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. مُصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
 مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧)».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ
 خَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ
 قَالَ لَهَا: تَكَلِّمِي، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ.

وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ: «كَانَ عَرْشُ اللَّهِ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ جَنَّةً، ثُمَّ
 اتَّخَذَ دُونَهَا أُخْرَى، وَطَبَقَهُمَا بِلُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يَعْلَمُ الْخَلَائِقُ مَا فِيهِمَا، وَهُمَا
 اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ فِيهِمَا: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾ (٧) فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا يَحْرِمَنَا هَذَا النَّعِيمَ بِذُنُوبِنَا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

فَضْلٌ

قَالَ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ - بَعْدَ سِيَاقِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ
 لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧): فَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَابَلَ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ
 قِيَامِ اللَّيْلِ بِالْجَزَاءِ الَّذِي أَخْفَاهُ لَهُمْ مِمَّا لَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ؟ وَكَيْفَ قَابَلَ قَلْقَهُمْ
 وَاضْطِرَابَهُمْ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ حَتَّى يَقُومُوا إِلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ بِقُرَّةِ الْأَعْيُنِ فِي
 الْجَنَّةِ؟ وَقَالَ ﷺ: «أَلَا هَلْ مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبُّ
 الْكَعْبَةِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ، وَرِيحَانَةٌ تَهْتَرُ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَرِّدٌ وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ،
 وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلُلٌ كَثِيرَةٌ، وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارِ سَلِيعَةٍ، وَفَاكِهَةٌ،
 وَخَضِرَةٌ، وَحَبْرَةٌ، وَنِعْمَةٌ، وَمَحَلَّةٌ عَالِيَةٌ بَهِيَّةٌ» وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ خَطَرِ الْجَنَّةِ
 وَشَرَفِهَا إِلَّا أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ غَيْرُهَا لَكَفَاهَا شَرَفًا وَفَضْلًا، كَمَا فِي سُنَنِ
 أَبِي دَاوُدَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ
 بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ».

وَكَيْفَ يُقَدَّرُ قَدْرُ دَارِ غَرْسِهَا اللَّهُ بِيَدِهِ، وَجَعَلَهَا مَقَرًّا لِأَحْبَابِهِ، وَمَلَأَهَا
مِنْ كَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَوَصَفَ نَعِيمَهَا بِالْفُورِ الْعَظِيمِ، وَمُلْكُهَا بِالْمُلْكِ
الْكَبِيرِ، وَأَوْدَعَهَا جَمِيعَ الْخَيْرِ بِحَذَائِفِرِهِ، وَظَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ غَيْبٍ وَنَقْصٍ؟

فَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَرْضِهَا وَتُرْبَتِهَا، فَهِيَ الْمِسْكُ وَالزَّعْفَرَانُ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ
سَقْفِهَا، فَهُوَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ مِلَاطِهَا فَهُوَ الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَإِنْ
سَأَلْتَ عَنْ حَصْبَائِهَا فَهِيَ اللَّوْلُؤُ وَالْجَوْهَرُ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ بِنَائِهَا، فَلَيْنَةٌ مِنْ
فِضَّةٍ وَلَيْنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَشْجَارِهَا، فَمَا فِيهَا مِنْ شَجَرَةٍ إِلَّا
وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، لَا مِنْ الْحَطَبِ وَالْخَشَبِ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ ثِمَارِهَا؟
فَأَمْثَالُ الْقِلَالِ، أَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ وَرَقِهَا؛
فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ مِنْ رَقَائِقِ الْخُلَلِ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَنْهَارِهَا؛ فَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ
لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ؛ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ؛ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى؛
وَأَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ؛ فَفَاكِهَةٌ مِمَّا
يَتَخَيَّرُونَ؛ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ شَرَابِهِمْ فَالتَّسْنِيمُ وَالزَّنَجِيلُ
وَالْكَافُورُ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ آيَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ؛ فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ سِعَةِ أَبْوَابِهَا؛ فَبَيْنَ الْمِضْرَاعَيْنِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ مِنَ
الْأَعْوَامِ؛ وَلَيَاتَيْنِ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَطِيطٍ مِنَ الرُّحَامِ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ تَضْفِيقِ
الرِّيحِ لِأَشْجَارِهَا؛ فَإِنَّهَا تَسْتَفِزُّ بِالطَّرَبِ مَنْ يَسْمَعُهَا. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ ظِلِّهَا
فَفِيهَا شَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ؛ يَسِيرُ الرَّائِبُ الْمُجِدُّ السَّرِيعُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا
يَقْطَعُهَا.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ سَعَتِهَا؛ فَأَذْنَى أَهْلِهَا يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ وَسُرُرِهِ وَقُصُورِهِ
وَبَسَاتِينِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِي عَامٍ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ خِيَامِهَا وَقِبَابِهَا؛ فَالْخِيَمَةُ الْوَاحِدَةُ
مِنْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ؛ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا مِنْ تِلْكَ الْخِيَامِ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ عَلَالِيهَا
وَجَوَاسِقِهَا؛ فَهِيَ غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ؛ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ ارْتِفَاعِهَا؛ فَانْظُرْ إِلَى الْكَوْكَبِ الظَّالِعِ أَوْ الْعَارِبِ فِي الْأُفُقِ الَّذِي لَا تَكَادُ تَنَالُهُ الْأَبْصَارُ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ لِبَاسِ أَهْلِهَا، فَهُوَ الْحَرِيرُ وَالذَّهَبُ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ فُرُشِهِمْ، فَبَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ مَفْرُوشَةٍ فِي أَعْلَى الرَّتَبِ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَرَائِكِهَا فَهِيَ الْأَسِرَّةُ عَلَيْهَا الْبُشْحَانَاتُ، وَهِيَ الْحِجَالُ مُزَرَّدَةٌ بِأَزْرَارٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَمَا لَهَا فُرُوجٌ وَلَا خِلَالٌ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ وُجُوهِ أَهْلِهَا وَحُسْنِهِمْ، فَعَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ أَسْنَانِهِمْ، فَأَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى صُورَةِ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ سَمَاعِهِمْ، فَعِنَاءُ أَزْوَاجِهِمْ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَأَعْلَى مِنْهُ سَمَاعُ أَصْوَاتِ الْمَلَائِكَةِ وَالنِّسِينَ، وَأَعْلَى مِنْهُمَا خِطَابُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ مَظَايَاهُمْ الَّتِي يَتَزَاوَرُونَ عَلَيْهَا، فَجَنَابُ أَنْشَاءِ اللَّهِ مِمَّا شَاءَ، تَسِيرُ بِهِمْ حَيْثُ شَاءُوا مِنَ الْجَنَانِ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ حُلِيِّهِمْ وَشَارَتِهِمْ، فَأَسَاوِرُ الذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤِ، وَعَلَى الرُّءُوسِ مَلَاسِيسُ التَّيْجَانِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ غِلْمَانِهِمْ، فَوِلْدَانُ مُحَلَّدُونَ، كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُ مَكُونُونَ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ عَرَائِسِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ، فَهُنَّ الْكَوَاعِبُ الْأَثْرَابُ، اللَّائِي جَرَى فِي أَعْضَائِهِنَّ مَاءُ الشَّبَابِ، فِلْلُورِدِ وَالتَّفَاحِ مَا لَبِسَتْهُ الْخُدُودُ، وَلِلرُّمَانِ مَا تَضَمَّنَتْهُ النَّهْودُ، وَلِللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ مَا حَوَتْهُ الثُّغُورُ. وَلِلدَّقَّةِ وَاللِّطَافَةِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْخُصُورُ، تَجْرِي الشَّمْسُ مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَا إِذَا بَرَزَتْ، وَيُضِيءُ الْبَرَقُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيهَا إِذَا ابْتَسَمَتْ. وَإِذَا قَابَلَتْ حَبَّهَا فَقُلْ مَا تَشَاءُ فِي تَقَابُلِ التَّيْرِينَ، وَإِنْ حَادَثَتْهُ فَمَا ظَنُّكَ بِمُحَادَثَةِ الْحَبِيبِينَ، وَإِنْ ضَمَّهَا إِلَيْهِ فَمَا ظَنُّكَ بِتَعَانُقِ الْغُصْنَيْنِ يُرَى وَجْهُهُ فِي صَحْنِ خَدِّهَا، كَمَا يُرَى فِي الْمِرَاةِ الَّتِي جَلَاها صَيْقُلُهَا، وَيُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَلَا يَسْتُرُهُ جِلْدُهَا وَعَظْمُهَا وَلَا حُلْلُهَا، لَوْ اِظْلَعْتَ عَلَى الدُّنْيَا لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ رِيحًا، وَلَا اسْتَطَقَّتْ أَفْوَاهُ الْخَلَائِقِ

تَهْلِيلًا وَتَكْبِيرًا وَتَسْبِيحًا، وَلَتَزْخَرَفَ لَهَا مَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ، وَلَا عَمَصَتْ عَنْ
 غَيْرِهَا كُلَّ عَيْنٍ، وَلَطَمَسَتْ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ،
 وَلَا مَنْ مَنْ عَلَى ظَهْرِهَا بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ. نَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا
 وَمَا فِيهَا، وَوَضَلُّهَا أَشْهَى إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ أَمَانِيهَا، لَا تَزْدَادُ طُولَ الْأَحْقَابِ إِلَّا
 حُسْنًا وَجَمَالًا، وَلَا يَزْدَادُ لَهَا عَلَى طُولِ الْمَدَى إِلَّا مَحَبَّةٌ وَوِصَالًا، مُبْرَأَةٌ مِنَ
 الْحَبْلِ وَالْوِلَادَةِ وَالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ، مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْمُحَاطِ وَالْبُصَاقِ وَالْبَوْلِ
 وَالْعَائِطِ وَسَائِرِ الْأَذْنَسِ. لَا يَفْنَى شَبَابُهَا، وَلَا تُبْلَى ثِيَابُهَا. وَلَا يَخْلُقُ ثَوْبٌ
 جَمَالَهَا، وَلَا يَمْلُ طِيبُ وَصَالِهَا. قَدْ قَصَرَتْ طَرْفُهَا عَلَى زَوْجِهَا فَلَا تَطْمَحُ
 لِأَحَدٍ سِوَاهُ، وَقَصَرَ طَرْفُهَا عَلَيْهَا فَهِيَ غَايَةُ أُمِّيَّتِهِ وَهَوَاهُ: إِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ،
 وَإِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ، فَهُوَ مَعَهَا فِي غَايَةِ الْأَمَانِي
 وَالْأَمَانِ.

هَذَا وَلَمْ يَطْمِئْنِهَا قَبْلَهُ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ. كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهَا مَلَأَتْ قَلْبَهُ سُرُورًا
 وَكُلَّمَا حَادَثَتْهُ مَلَأَتْ أُذُنَهُ لَوْلُؤًا مَنُظُومًا وَمَنْثُورًا، وَإِذَا بَرَزَتْ مَلَأَتْ الْقَصْرَ
 وَالْعُرْفَةَ نُورًا.

وَإِنْ سَأَلَتْ عَنِ السِّنِّ، فَأَثَرَابٌ فِي أَعْدَلِ سِنِّ الشَّبَابِ. وَإِنْ سَأَلَتْ عَنِ
 الْحُسْنِ فَهَلْ رَأَيْتِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْحَدَقِ، فَأَحْسَنُ سَوَادٍ فِي
 أَضْفَى بَيَاضٍ فِي أَحْسَنِ حَوَرٍ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْقُدُودِ فَهَلْ رَأَيْتِ أَحْسَنَ
 الْأَغْصَانِ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ النَّهْودِ، فَهِنَّ الْكَوَاعِبُ، نُهُودُهُنَّ كَأَلْطَفِ الرُّمَانِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ اللَّوْنِ فَكَأَنَّهُ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ. وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ حُسْنِ
 الْخُلُقِ: فَهِنَّ الْخَيْرَاتُ الْحَسَنَاتُ. اللَّاتِي جُمِعَ لَهُنَّ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ.
 فَأَعْطِينَ جَمَالَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، فَهِنَّ أَفْرَاحَ النَّفُوسِ وَقُرَّةَ النَّوَاطِرِ.

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَلَذَّةِ مَا هُنَالِكَ، فَهِنَّ الْعُرُبُ الْمُتَحَبِّبَاتُ
 إِلَى الْأَزْوَاجِ بِلَطَافَةِ التَّبَعْلِ الَّتِي تَمْتَرِجُ بِالرُّوحِ أَيْ امْتِزَاجٍ. فَمَا ظَنُّكَ بِأَمْرَةٍ إِذَا

صَحَّكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا أَضَاءَتِ الْجَنَّةُ مِنْ ضَحِكِهَا. وَإِذَا انْتَقَلَتْ مِنْ قَصْرِ
إِلَى قَصْرِ، قُلْتُ: هَذِهِ الشَّمْسُ مُتَقَلَّةٌ فِي بُرُوجِ فَلَكِهَا. وَإِذَا حَاصَرَتْ زَوْجَهَا،
فَيَا حُسْنَ تِلْكَ الْمُحَاصِرَةِ. وَإِنْ حَاصَرْتُهُ فَيَا لَذَّةَ تِلْكَ الْمُعَانَقَةِ وَالْمُحَاصِرَةِ.

شعر.

وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ، وَإِنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلَّلْ، وَإِنْ هِيَ حَدَّثَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزِ
وَإِنْ عَنَّتْ فَيَا لَذَّةَ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَإِنْ أَنْسَتْ وَأَمْتَعَتْ فَيَا حَبْدَا تِلْكَ
الْمُؤَانِسَةِ وَالْإِمْتَاعِ: وَإِنْ قَبَلَتْ فَلَا شَيْءَ أَشْهَى مِنْ ذَلِكَ التَّقْبِيلِ. وَإِنْ نَوَلَتْ
فَلَا أَلَدَّ وَلَا أَلَدَّ مِنْ ذَلِكَ التَّنْوِيلِ.

هَذَا وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ يَوْمِ الْمَزِيدِ، وَزِيَارَةِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، وَرُؤْيَةِ وَجْهِهِ
الْمُنَزَّهِ عَنِ التَّمَثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، كَمَا تُرَى الشَّمْسُ فِي الظَّهِيرَةِ وَالْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ،
كَمَا تَوَاتَرَ عَنِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ النَّقْلُ فِيهِ. وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي الصَّحَاحِ
وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ، مِنْ رِوَايَةِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَصُهَيْبٍ وَأَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ
وَأَبِي مُوسَى وَأَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنهم.

فَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
يَسْتَزِيرُكُمْ فَحَيَّ عَلَى زِيَارَتِهِ، فَيَقُولُونَ: سَمْعًا وَطَاعَةً، وَيَنْهَضُونَ إِلَى الزِّيَارَةِ
مُبَادِرِينَ. فَإِذَا بِالنَّجَائِبِ قَدْ أُعِدَّتْ لَهُمْ؛ فَيَسْتَوُونَ عَلَى ظُهُورِهَا مُسْرِعِينَ. حَتَّى
إِذَا انْتَهَوْا إِلَى الْوَادِي الْأَفْيَحِ، الَّذِي جُعِلَ لَهُمْ مَوْعِدًا، وَجَمِعُوا هُنَاكَ فَلَمْ
يُغَادِرِ الدَّاعِيَ مِنْهُمْ أَحَدًا، أَمَرَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِكُرْسِيِّهِ فَنَصَبَ هُنَاكَ، ثُمَّ
نُصِبَتْ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرَجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ
ذَهَبٍ وَمَنَابِرُ مِنْ الْفِضَّةِ، وَجَلَسَ أَذْنَاهُمْ - وَحَاشَاهُمْ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ دَنِيٌّ - عَلَى
كُثْبَانِ الْمِسْكِ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ فَوْقَهُمْ فِي الْعَطَايَا، حَتَّى إِذَا
اسْتَقَرَّتْ بِهِمْ مَجَالِسُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمْ أَمَّاكِنُهُمْ، نَادَى الْمُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ

إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ؛ فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ
وُجُوهَنَا؟ وَيُثْقِلْ مَوَازِينَنَا؟ وَيُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ وَيُزْخِرْخَنَا عَنِ النَّارِ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ
إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ أَشْرَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ؛ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ؛ فَلَا تُرَدُّ هَذِهِ التَّحِيَّةُ بِأَحْسَنَ مِنْ قَوْلِهِمْ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ
السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

فَيَتَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؛
فَيَكُونُ أَوَّلَ مَا يَسْمَعُونَ مِنْهُ تَعَالَى: أَيْنَ عِبَادِي الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ وَلَمْ
يَرُونِي؟ فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ. فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: أَنْ قَدْ رَضِينَا فَارَضَ
عَنَّا؛ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنِّي لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ لَمْ أُسْكِنَكُمْ جَنَّتِي، هَذَا
يَوْمُ الْمَزِيدِ فَاسْأَلُونِي: فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ: أَرْنَا وَجْهَكَ نَنْظُرَ إِلَيْهِ،
فَيَكْشِفُ لَهُمُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ الْحُجُبَ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ؛ فَيَعْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ مَا
لَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى إِلَّا يَحْتَرِقُوا لَا حَتَرُقُوا، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ
أَحَدٌ إِلَّا حَاضِرَهُ رَبُّهُ تَعَالَى مُحَاضِرَةً حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: يَا فُلَانُ أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ
كَذَا وَكَذَا. يُذَكِّرُهُ بِبَعْضِ عَدْرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا؛ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟
فَيَقُولُ: بَلَى بِمَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنَزِلَتَكَ هَذِهِ.

فَيَا لَذَّةِ الْأَسْمَاعِ بِتِلْكَ الْمُحَاضِرَةِ، وَيَا قُرَّةَ عُيُونِ الْأَبْرَارِ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ
الْكَرِيمِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَيَا ذِلَّةَ الرَّاجِعِينَ بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ
﴿٢٢﴾ إِنَّ رَحِمًا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا قَافِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾.

شِعْر:

فَاسْمَعْ إِذَا أَوْصَافَهَا وَصِفَاتِهَا تَيْكَ الْمَنَازِلِ رَبَّةِ الْإِحْسَانِ
هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانٍ
أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانُهُ حَقًّا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ بِجَنَانِ

وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ نَظَرَ الْعَيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
وَلَهُمْ مَنَابِرُ لَوْلِيٍّ وَزَبَرَجِدٌ وَمَنَابِرُ الْيَاقُوتِ وَالْعَقْيَانِ
هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ أَبَدًا بِدَارِ الْخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ^(١)

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاعِبِينَ، اجْعَلْ مَا لَنَا إِلَى
دَارِ الْمُقَرَّبِينَ، وَكِتَابَنَا فِي عِلِّيِّينَ، مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَأَعِزَّنَا مِنْ عَذَابِكَ وَانْتِقَامِكَ يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ يَا مُقَدَّرَ الْمَقْدُورِ، وَيَا عَالِمًا بِمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورُ. نَسْأَلُكَ أَنْ
تَجْعَلَنَا مِنْ مُجَاوِرِيكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالْمُنْعَمِينَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمُلْكِ الْكَبِيرِ
وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَالنَّاطِرِينَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ.

وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ،
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الفصل الخامس

وفيه فضل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ بِالْقَدَمِ، قَبْلَ وُجُودِ الْمَوْجُودِ. الْمَوْصُوفِ بِالْكَرَمِ
وَالْفَضْلِ وَالْجُودِ. الْمُنَزَّهَ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ عَنِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْجُدُودِ، الْمُقَدَّسُ
فِي ذَاتِهِ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ وَالْمَوْلُودِ. الْعَلِيمُ بِأَعْدَادِ الرَّمْلِ وَالْقَطْرِ، وَحَبَاتِ
السُّنْبُلِ وَالْعُنُقُودِ. الْبَصِيرُ بِحَرَكَاتِ الدَّرِّ فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ، تَحْتَ ظِلَامِ الدِّيَجُورِ
وَاللَّيَالِ السُّودِ، الْحَكِيمُ الَّذِي فَجَّرَ الْأَنْهَارَ مِنْ صُمِّ الْجَلْمُودِ. وَأَخْرَجَ رَطَبَ
الثَّمَارِ مِنْ يَابِسِ الْعُودِ. الْمُعْطِي الَّذِي لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا دَافِعَ لِمَا

(١) انتهى كلام ابن القيم رحمه الله .

قَضَى . الَّذِي جَادَ لِعَبْدِهِ بِجَزِيلِ رِفْدِهِ ، وَكَمْ رَأَاهُ عَنْ بَابِهِ مُعْرِضًا . الْحَلِيمُ الَّذِي
سَتَرَ الْعَاصِي بِحِلْمِهِ وَرَأْفَتِهِ وَقَدْ رَأَاهُ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُرْتَكِبًا ، وَعَمَّا أَمَرَهُ بِهِ
مُعْرِضًا . الْغَفَّارُ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ ، وَيَسْتُرُ الْعُيُوبَ ، وَيَعْفُو عَمَّا مَضَى .

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ تَعَالَى عَنِ الْمُمَاثِلِ وَالْمُنَاسِبِ ، وَجَلَّ عَنِ الْمُشَارِكِ
وَالْمُصَاحِبِ ، يَقْبَلُ التَّائِبَ وَيُحِبُّ الْآيِبَ ، وَلَيْسَ عَلَى بَابِهِ بَوَابٌ وَلَا حَاجِبٌ .

مَنْ أَمَّلَ سِوَاهُ فَهُوَ الشَّقِيُّ الْخَائِبُ ، وَمَنْ أَنَاخَ بِبَابِ كَرَمِهِ ظَفِرَ بَنِيْلِ
الْمَارِبِ ، وَمَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ أَنْسِهِ رَأَى مِنْ لُطْفِهِ عَجَائِبَ الْغَرَائِبِ ، وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ سِوَاهُ رَفَعَهُ إِلَى أَرْفَعِ الْمَرَاتِبِ .

يُزِيلُ الضَّرَرَ ، وَيَجْبُرُ مَنْ انْكَسَرَ ، وَيُنَادِي فِي وَقْتِ السَّحَرِ : «هَلْ مِنْ
تَائِبٍ؟» .

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ شَهِدَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَأَقَرَّتْ
بِرُّبِّيَّتِهِ الْأَرْضُونَ مَسَارِقُهَا وَالْمَغَارِبُ .

وَاضْطَفَى مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيَّهُ الْمُبْعُوثُ بِالذِّينِ الْوَاصِبِ ، الْمَوْصُوفَ بِأَحْسَنِ
الْأَوْصَافِ وَأَجَلِّ الْمَنَاقِبِ . الَّذِي شَرَّفَ اللَّهُ بِهِ الْوُجُودَ . وَكَمَّلَ بِهِ السُّعُودَ ،
وَبَلَغَهُ أَسْنَى الْمَطَالِبِ وَالْمَارِبِ .

وَاخْتَارَ أَصْحَابَهُ الثُّجَبَاءَ ، وَخُلَفَاءَهُ الْكُرَمَاءَ ، الْأَخْيَارَ الْأَطَايِبَ . وَخَصَّ
التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، مِنْ أُمَّتِهِ الْقَائِمِينَ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى تَوَالِي الزَّمَانِ .
وَخَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ ، وَالْعِتْقِ مِنَ النَّيرَانِ .

أَحْمَدُهُ ، وَحَمْدُهُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْمُضْطَفَى مِنْ عَدَنَانِ ، الْمُرْسَلُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، مَا تَعَاقَبَتِ الدُّهُورُ وَالْأَزْمَانُ ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْزَلُ ①﴾ قُرِ الْإِلَّ إِلَّا قَلِيلًا ② نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ⑦: «نَشَأٌ مَعْنَاهُ: قَامَ، بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ، وَقَوْلُهُ: «وَطْأٌ» قَالَ ⑧: مُوَاطَأَةُ الْقُرْآنِ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَقَلْبِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لِيُوَاطِئُوا» مَعْنَاهُ: لِيُؤَافِقُوا. فَإِنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ بَعْدَ النَّوْمِ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِلْسَمْعِ وَالْقَلْبِ عَلَى تَفْهَمِ الْقُرْآنِ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ⑨ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ - فَذَكَرَ مِنْهُمْ الَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَاءٌ، وَفِرَاشٌ لَيْنٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: يَذُرُّ شَهْوَتَهُ وَلَوْ شَاءَ رَفَقَدَ».

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ⑩ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَمَغْفِرَةٌ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ⑪: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ ⑫ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَيَقُولُ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا».

وَقَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ اخْتَلَفَ
النَّاسُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهَا رُفِعَتْ، وَالْأَحَادِيثُ
الصَّحِيحَةُ تَرُدُّ ذَلِكَ. وَأَقْوَاهَا رَدًّا لِهَذَا الْقَوْلِ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ، حُكِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَطَائِفَةٍ
مِنَ الْكُوفِيِّينَ، وَرَوَى أَيْضًا عَنِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَرَوَى عَنِ الْإِمَامِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ: أَنَّهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ سِنِينَ مَرَّةً، وَفِي إِسْنَادِهِ
ضَعْفٌ. قُلْتُ: وَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ بِشَيْءٍ.

وَقَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: هِيَ فِي رَمَضَانَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ:
هِيَ فِي الشَّهْرِ كُلِّهِ. وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ: أَنَّهَا أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: هِيَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْهُ.

وَقَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: هِيَ مُنْخَصَرَّةٌ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، وَهَذَا الْقَوْلُ
أَصَحُّ الْأَقْوَالِ وَأَرْجَحُهَا.

ثُمَّ اخْتَلَفُوا: فِي أَيِّ لَيَالِي الْعَشْرِ هِيَ؟

فَقَالَ الْحَسَنُ، وَمَالِكٌ: إِنَّهَا تُطْلَبُ فِي جَمِيعِ لَيَالِي الْعَشْرِ أَشْفَاعِهِ
وَأَوْتَارِهِ.

وَرَجَّحَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، وَقَالَ: لِأَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «الْتِمِسُوهَا فِي
تَاسِعَةِ تَبَقَى، أَوْ سَابِعَةِ تَبَقَى، أَوْ خَامِسَةِ تَبَقَى» إِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى تَقْدِيرِ كَمَالِ
الشَّهْرِ كَانَتْ أَشْفَاعًا، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى مَا يَبْقَى مِنْ حَقِيقَتِهِ كَانَ الْأَمْرُ مَوْفُورًا
عَلَى كَمَالِ الشَّهْرِ فَلَا يُعْلَمُ قَبْلَهُ؛ فَإِنْ كَانَ تَامًا كَانَتْ اللَّيَالِي الْمَأْمُورُ بِطَلَبِهَا
أَشْفَاعًا، وَإِنْ كَانَ نَاقِصًا كَانَتْ أَوْتَارًا.

فَيُوجِبُ ذَلِكَ الاجْتِهَادُ الْقِيَامَ فِي كِلْتَا اللَّيْلَتَيْنِ الشَّفْعَ وَالْوَتْرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ اسْتِعَابِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ بَيَانُ أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ خَاصَّةً.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وَافَقَ لَيْلَةٌ مِنْ أَفْرَادِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ، فَهِيَ أَرْجَى مِنْ غَيْرِهَا. كَمَا ذَكَرَ الْوَزِيرُ أَبُو الْمُظَفَّرِ بْنُ هُبَيْرَةَ: أَنَّهُ رَأَى لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ، وَكَانَتْ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ، بَابًا فِي السَّمَاءِ مَفْتُوحًا سَامِيَّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: فَظَنَنْتُهُ حِيَالِ الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، قَالَ: وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ التَفَتُ إِلَى الْمَشْرِقِ لِأَنْظَرِ طُلُوعَ الْفَجْرِ، ثُمَّ التَفَتُ إِلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ قَدْ غَابَ.

وَيُرَوَّى: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ: «يَا عَبْدِي تَأَهَّبْ لِلْقَائِي. فَعَنْ قَرِيبٍ أَلْقَاكَ، وَأَقْبِلْ عَلَى خِدْمَتِي فَإِنِّي أَنَا مَوْلَاكَ».

وَأَعْلَمُ أَنَّ الصِّيَامَ إِذَا كَانَ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ أَجْرًا، وَأَكْثَرَ ثَوَابًا، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَامَ يَوْمًا فِي الْحَرِّ ثُمَّ نَامَ؛ فَرَأَى قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: أَتَبِيعُ ثَوَابَ صَوْمِكَ هَذَا الْيَوْمَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ؟ فَقَالَ: لَا وَعِزَّةَ رَبِّي. قِيلَ لَهُ: فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَبِيعُهُ؟ فَقَالَ: لَا أَبِيعُ الثَّوَابَ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَكِنْ أَبِيعُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ، فَقِيلَ لَهُ: ضُمْ فَسَوْفَ تَرَاهُ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مَثَلْتُ نَفْسِي فِي الْجَنَّةِ أَكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، ثُمَّ مَثَلْتُ نَفْسِي فِي النَّارِ أَكُلُ مِنْ زَقُومِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ صَدِيدِهَا، ثُمَّ قُلْتُ لِنَفْسِي: مَا تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ: أُرِدُّ إِلَى الدُّنْيَا فَأَعْمَلَ صَالِحًا، فَقُلْتُ لَهَا: فَأَنْتِ إِذَا فِي الْأُمْنِيَةِ فَاعْمَلِي.

إِذَا اجْتَمَعَ الْأَحْبَابُ فِي خَلْوَةِ الرِّضَا بِمَقْعَدِ صِدْقٍ وَالنِّسَائِمُ عَاطِرَهُ تَرَى أَعْيُنَ الْعُشَّاقِ نَحْوَ حَبِيبِهِمْ إِلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمُقَدَّسِ نَاطِرَهُ فَيَا نَفْسُ هَذَا مَشْرَبُ الْقَوْمِ فَاشْرَبِي عَسَى أَنْ تَكُونِي عِنْدَ ذَلِكَ حَاضِرَهُ

وَيُرَوَّى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ: «بِأَيِّ عَيْنٍ

يَرَانِي مَنْ بَارَزَنِي وَعَصَانِي؟ بِأَيِّ وَجْهِ يُلْقَانِي مِنْ نَسَبِي عَظَمَةَ شَانِي؟ لَقَدْ خَابَ مَنْ حَجَبْتُهُ عَنِّي إِذَا قَرَّبْتُ الصَّادِقِينَ مِنِّي، وَشَقِيَّ مَنْ طَرَدْتُهُ عَنْ جَنَابِي، إِذَا كَشَفْتُ جَنَابِي، فَتَجَلَّيْتُ لِلْمُتَّقِينَ مِنْ أَحْبَابِي. يَا عَبْدِي قِفْ عَلَى بَابِي فَأَنَا الْكَرِيمُ. وَلِذَلِكَ جَنَابِي فَصِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ.

بَادِرْ إِلَى الْأَعْمَالِ مَا	دُمْتَ بِذِي الدُّنْيَا مُقِيمٌ
يَا مَنْ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ	بِدُخُولِ جَنَاتِ النَّعِيمِ
إِنْ كُنْتَ مُتَّقِيًا فَأَنْتَ	عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمِ
لَا تَرْجُونَ سَلَامَةً	مِنْ غَيْرِ مَا قَلْبِ سَلِيمِ
فَاسْلُكْ طَرِيقَ الْمُتَّقِينَ	وُظُنَّ خَيْرًا بِالْكَرِيمِ
وَادْكُرْ وَقُوفَكَ خَائِفًا	وَالنَّاسُ فِي أَمْرِ عَظِيمِ
إِمَّا إِلَى دَارِ الشَّقَا	وَهُ أَوْ إِلَى الْعِزِّ الْمُقِيمِ
فَاغْنِمْ حَيَاتَكَ وَاجْتَهِدْ	وَتُبْ إِلَى الرَّبِّ الرَّحِيمِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْمَنَامِ الطَّوِيلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطْشًا، كُلَّمَا وَرَدَ حَوْضًا مَنَعَ مِنْهُ. فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ وَأَرْوَاهُ».

إِخْوَانِي: انظُرُوا إِلَى بَرَكَاتِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَنَفْعِهِ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا: فَيَحْجُبُكُمْ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْمُوجِبَةِ لِلنَّارِ وَالْعَذَابِ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَتَقْوُزُونَ بِالْعَفْوِ وَالرِّضَا مِنَ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ.

فَاغْتَنِمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَوْفَاتَهُ قَبْلَ الذَّهَابِ، وَجِدُّوا بِالْاجْتِهَادِ قَبْلَ غَلْقِ الْبَابِ وَإِسْبَالِ الْحِجَابِ.

تَصَرَّمَ الشَّهْرُ وَالْهَفَاءُ وَانْهَدَمَا	وَاخْتَصَّ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَاتِ مَنْ خَدَمَا
وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمُسْكِينُ مُنْكَسِرًا	مِثْلِي فَيَا وَبِحَهِ! يَا عَظَمَ مَا حُرِمَا
مَنْ فَاتَهُ الرَّزْغُ فِي وَقْتِ الْبِدَارِ فَمَا	تَرَاهُ يَخْصِدُ إِلَّا الْهَمَّ وَالنَّدَمَا
طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ التَّقْوَى بِضَاعَتَهُ	فِي شَهْرِهِ وَيَحْبِلُ اللَّهُ مُعْتَصِمَا

رُويَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْتُ إِلَّا أَنَا لَمَ أَتَمَّ مَخَافَةً أَنْ يُنْزَلَ عَذَابٌ وَأَنَا نَائِمٌ، وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ أَعْوَانًا لَفَرَّقْتُهُمْ فِي مَنَارِ الدُّنْيَا يُنَادُونَ: أَيُّهَا النَّاسُ: النَّارُ النَّارُ.

وَقِيلَ لِزَاهِدٍ: مَا الَّذِي زَهَدَكَ فِي الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: خِسَّةُ شُرَكَائِهَا، وَقِلَّةُ وَفَائِهَا، وَكَثْرَةُ جَفَائِهَا.

وَكَانَ الشُّبْلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَا تَغْتَرَّ بِدَارٍ لَا بُدَّ مِنَ الرَّحِيلِ عَنْهَا، وَلَا تُخْرَبْ دَارًا لَا بُدَّ مِنَ الْخُلُودِ فِيهَا.

أَوَّلِيكَ الْبَاكُونَ إِذَا ضَحِكَ الْعَافِلُونَ، وَالتَّارِكُونَ إِذَا أَحَبَّ الْجَاهِلُونَ، وَالسَّاهِرُونَ إِذَا اضْطَجَعَ النَّائِمُونَ. قَطُّعُوا مَفَاوِزَ الدُّنْيَا وَعَقَبَاتِ الْآخِرَةِ. فَوُجُوهُهُمْ بِالنَّعِيمِ نَاصِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ. إِذَا ثَلِيَتْ عَلَيْهِمْ أَوْصَافُ مَحْبُوبِهِمْ قَامُوا وَالْهَيْنَ، وَإِنْ دَعَاهُمْ دَاعِي الشَّوْقِ أَجَابُوا مُسْرِعِينَ، مَنَعَهُمْ هَوْلُ الْمَقَامِ لَذِيذِ الْمَنَامِ، وَقَامُوا بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَةِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَاعْتَنَمُوا بِقِيَّةِ الْعُمَرِ وَالْأَيَّامِ، خَوْفًا وَحَذَرًا مِنْ رُكُوبِ الْقَبَائِحِ وَالْآثَامِ.

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُومُ اللَّيْلَ؛ فَنَامَ لَيْلَةً فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامِهِ، فَقَالَ لَهُ: قُمْ فَصَلِّ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ مَعَ أَصْحَابِ اللَّيْلِ وَهُمْ حُرَّانُهَا؟ فَصُرْتُ فِي الْخُطْبَةِ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمُتَهَجِّدَ إِذَا قَامَ إِلَى تَهَجُّدِهِ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: قَامَ الْخَاطِبُ إِلَى خُطْبَتِهِ؟

كَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ يَقُولُ: أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ، وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْيِيَتْ الْبَقَاءُ فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا بَكَى الْخَائِفُونَ فَقَدْ عَاتَبُوا اللَّهَ بِدُمُوعِهِمْ.

إِذَا أَوْجَعَتْكَ الذُّنُوبُ قَدَاوَهَا بَرِّفِ يَدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ مُظْلِمٌ
وَلَا تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا قُنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ خَطَايَاكَ أَعْظَمُ
فَرَحْمَتُهُ لِلْمُحْسِنِينَ كَرَامَةٌ وَرَحْمَتُهُ لِلْمُذْنِبِينَ تَكْرُمٌ

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَهُ بِالدُّعَاءِ. وَوَعَدَ بِالْإِجَابَةِ، وَلِلدُّعَاءِ أَوْقَاتٌ، وَلِلْأَسْتِجَابَةِ أَوْقَاتٌ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَيَخْتَصُّ هَذَا فِي أَشْرَفِ الْأَزْمَانِ، وَهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَيَخْتَصُّ هَذَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْهُ، وَيَخْتَصُّ هَذَا فِي لَيَالِيهَا الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ فَيَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَغْتَنِمَ هَذِهِ اللَّيَالِي، وَيُلِحَّ عَلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ فِيهَا.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: «أَنَا الْجَوَادُ الَّذِي لَا أَبْخُلُ، وَأَنَا الْحَلِيمُ الَّذِي لَا أَعْجَلُ، وَأَنَا الَّذِي أَسْتُرُ عَلَى الْعَاصِي وَأَقْبَلُ التَّائِبِينَ، وَأَعْفُو عَنِ الْخَاطِئِينَ، وَأَنَا أَرْحَمُ النَّادِمِينَ، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاجِمِينَ. مَنْ ذَا الَّذِي لَجَأَ إِلَى جَنَابِنَا فَطَرَدْنَاهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي تَابَ إِلَيْنَا وَمَا قَبِلْنَاهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي طَلَبَ مِنَّا وَمَا أَعْطَيْنَاهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي اسْتَقَالَ مِن دُنْبِهِ فَمَا غَفَرْنَاهُ، أَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ، وَأَسْتُرُ الْعُيُوبَ وَأُغِيثُ الْمَكْرُوبَ. وَأَرْحَمُ الْبَاكِيِ النَّدُوبَ، وَأَنَا عَلَامُ الْعُيُوبِ. يَا عَبْدِي قِفْ عَلَى بَابِي أَكْتُبْكَ مِنْ أَحِبَّائِي، تَمَتَّعْ فِي الْأَسْحَارِ بِخَطَائِي، أَجْعَلْكَ مِنْ طُلَابِي، لُذْ بِجَنَابِي أَسْقِكَ مِنْ لَذِيذِ شَرَابِي».

فَيَا هَذَا، يَدْعُوكَ مَوْلَاكَ فَلَا تُجِيبُ، وَيَأْمُرُكَ بِالْإِنَابَةِ فَلَا تُنِيبُ.
وَيَسْتَحْضِرُكَ إِلَى حَضْرَاتِ قُرْبِهِ وَأَنْتَ فِي الْمَغِيبِ؟ إِلَى مَتَى تُضِيعُ عُمْرَكَ وَمَا
نَلْتَ مِنْ نَصِيبٍ؟ إِلَى مَتَى أَنْتَ بِعِلَّةِ زَلَّتِكَ وَلَا تَرْفَعُ قِصَّةَ مَرَضِكَ إِلَى طَبِيبٍ.
وَيَحْكُ لُدَّ بِيَابِهِ، وَعَقَرِ الْحَدَّ عَلَى أَعْتَابِهِ، وَادْعُهُ حِينَ تَنَاجِيهِ؛ فَإِنَّهُ
لِدَاعِيهِ يُجِيبُ.

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي فَضْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ وَالِدُعَاءِ فَكَثِيرَةٌ، مِنْهَا: مَا
رَوَى عَنْ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهٍ وَغَيْرِهِمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ:
«لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛
فَعَجْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظَرٍ، فَلَمَّا اسْتَبْنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ
لَيْسَ وَجْهَ كَذَّابٍ؛ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا
السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ
الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ؛ فَصَلَّيَا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ».

وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ
فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ رَسَّ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ
فَصَلَّتْ وَأَيَّقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبِي رَسَّتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ».

وَتَقَدَّمَ: «أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ عَائِشَةَ ؓ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا
قَالَ الْعَبْدُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ. قَالَ اللَّهُ: لَبَّيْكَ عَبْدِي، سَلْ تُعْطَ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ
رَبِّهِ ﷻ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: اخْتَجْتُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى جَارِيَةٍ تَصْنَعُ لَنَا الطَّعَامَ، فَوَجَدْتُ فِي السُّوقِ جَارِيَةً يُنَادِي عَلَيْهَا بِثَمَنِ يَسِيرٍ وَهِيَ مُضْفَرَّةُ اللَّوْنِ، نَحِيفَةُ الْجِسْمِ، يَابِسَةُ الْجِلْدِ، فَاشْتَرَيْتُهَا رَحْمَةً لَهَا، وَأَتَيْتُ بِهَا إِلَى الْمَنْزِلِ فَقُلْتُ لَهَا: خُذِي أَوْعِيَةً وَأَمْضِي مَعِي إِلَى السُّوقِ لِنَشْتَرِيَ حَوَائِجَ رَمَضَانَ. فَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي، أَنَا كُنْتُ عِنْدَ قَوْمٍ كُلِّ رَمَانِهِمْ رَمَضَانَ. فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ الصَّالِحَاتِ. فَكَانَتْ تَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. فَلَمَّا كَانَتْ آخِرَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ قُلْتُ لَهَا: اَمْضِي بِنَا إِلَى السُّوقِ لِنَشْتَرِيَ حَوَائِجَ الْعِيدِ. فَقَالَتْ: يَا مَوْلَايَ، أَيُّ حَوَائِجٍ تُرِيدُ؟ حَوَائِجَ الْعَوَامِّ؟ أَوْ حَوَائِجَ الْخَوَاصِّ؟ فَقُلْتُ لَهَا: صِفِي لِي حَوَائِجَ الْعَوَامِّ وَحَوَائِجَ الْخَوَاصِّ، فَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي حَوَائِجُ الْعَوَامِّ الطَّعَامُ الْمَعْهُودُ فِي الْعِيدِ، وَحَوَائِجُ الْخَوَاصِّ الْأَعْتَزَالُ عَنِ الْخَلْقِ وَالتَّفْرِيدُ، وَالتَّقَرُّعُ لِلْخِدْمَةِ وَالتَّجْرِيدُ، وَالتَّقَرُّبُ بِالطَّاعَاتِ لِلْمَلِكِ الْمَجِيدِ، وَالتَّزَامُ ذُلُّ الْعِيدِ؛ فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّمَا أُرِيدُ حَوَائِجَ الطَّعَامِ، فَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي أَيُّ الطَّعَامِ تَعْنِي؟ طَعَامُ الْأَجْسَادِ أَمْ طَعَامُ الْقُلُوبِ؟ فَقُلْتُ: صِفِيهِمَا لِي، فَقَالَتْ: أَمَّا طَعَامُ الْأَجْسَادِ فَهُوَ الْقُوْتُ الْمُعْتَادُ، وَأَمَّا طَعَامُ الْقُلُوبِ فَتَرْكُ الذُّنُوبِ وَإِصْلَاحُ الْعُيُوبِ، وَالتَّمَتُّعُ بِمُشَاهَدَةِ الْمَحْبُوبِ، وَالرِّضَا بِحُصُولِ الْمَقْصُودِ وَالْمَظْلُوبِ، وَحَوَائِجُ الْخُشُوعِ وَالتَّقْوَى، وَتَرْكُ الْكِبَرِ وَالِدَّعْوَى، وَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَوْلَى وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى.

ثُمَّ إِنَّهَا قَامَتْ تُصَلِّي فَفَرَأَتْ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى سُورَةَ الْبَقَرَةِ إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ شَرَعَتْ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَحْتِمُ سُورَةَ بَعْدَ سُورَةٍ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَحِيَّتٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ وَهِيَ تَبْكِي إِلَى أَنْ أَغْمِيَ عَلَيْهَا وَوَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ؛ فَحَرَّكْتُهَا فَإِذَا هِيَ مَيِّتَةٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا.

فَلِلَّهِ دَرَاهِمٌ مِنْ أَقْوَامٍ غَسَلُوا وُجُوهَهُمْ بِدُمُوعِ الْأَحْزَانِ، وَأَسْهَرُوا أَعْيُنَهُمْ

فِي اللَّيْلِ بِالذِّكْرِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَنَصَبُوا أَقْدَامَهُمْ فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ الدِّيَّانِ، وَاجْتَهَدُوا فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَبَادَرُوا الزَّمَانَ؛ فَكُلُّ زَمَانِهِمْ رَمَضَانٌ. طُوبَى لَهُمْ، فَأَزَوْا بِذِكْرِ حَبِيبِهِمْ وَتَمَتَّعُوا بِذُنُوبِهِ وَوَصَالِهِ. فَهَوَاهُمْ لَا يَنْقُضِي وَغَرَامُهُمْ. وَكَذَا مَحَبَّةُ كُلِّ مُحِبٍّ وَإِلَيْهِ، ذَلُّوا لِعِزِّ حَبِيبِهِمْ؛ وَاسْتَلَذُّوا مَا كَابَدُوا فِي الْحُبِّ مِنْ أَهْوَالِهِ، وَبِهِ قَدْ اسْتَغْلَوْا، وَبِأُشْرَى لِمَنْ قَدْ أَصْبَحَ مَوْلَاهُ أَجَلٌ أَشْغَالِهِ.

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا نُصِبَتْ فِي الطَّاعَةِ وَانْتَصَبَتْ، جَنَّ عَلَيْهَا اللَّيْلُ فَلَمَّا تَمَكَّنَ وَثَبَتْ. كُلَّمَا ذَكَرَتْ جَهَنَّمَ رَهَبَتْ وَهَرَبَتْ. وَكُلَّمَا صَوَّرَتْ قُلُوبُهَا نَاحَتْ عَلَيْهَا وَنَدَبَتْ.

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ وَالتَّدَبُّرُ لِلْقُرْآنِ مِنْ كَثْرَةِ التَّلَاوَةِ فَيَقِفُ فِي الْآيَةِ يُرَدِّدُهَا حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ.

قَامَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ بِآيَةِ وَهْيَ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؟﴾

وَقَامَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ لَيْلَةً بِآيَةِ وَهْيَ: ﴿وَأَمْسِرُوا أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ (٥٩).

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارِيُّ: إِنِّي لَأَتْلُو الْآيَةَ وَأَقِيمُ فِيهَا أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا. وَلَوْ لَا أَنِّي أَقْطَعُ الْفِكْرَ مَا جَاوَزْتُهَا.

وَقَالَ أَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: صَحِبَ رَجُلٌ رَجُلًا شَهْرَيْنِ؛ فَمَا رَأَاهُ نَائِمًا بِلَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، فَقَالَ: مَا لِي لَا أَرَاكَ نَائِمًا؟ قَالَ: إِنَّ عَجَائِبَ الْقُرْآنِ أَطْرَنَ نَوْمِي؛ فَمَا أَخْرُجُ مِنْ أُعْجُوبَةٍ إِلَّا وَقَعْتُ فِي أُخْرَى.

يَا غَائِبًا فِي صَلَاتِهِ، يَا شَتِيَتِ الْهَمِّ فِي حَيَاتِهِ، يَا مَشْغُولًا بِأَنَاتِهِ، عَنْ ذِكْرِ وَقَاتِهِ، يَا قَلِيلَ الزَّادِ مَعَ قُرْبِ مَمَاتِهِ، لَقَدْ رِيحَ الْقَوْمِ وَأَنْتَ نَائِمٌ، وَخَبَتْ وَرَجَعُوا بِالْغَنَائِمِ، بِاللَّيْلِ رَاقِدٌ وَبِالنَّهَارِ هَائِمٌ.

لِلَّهِ دَرٌّ أَقْوَامٍ نَظَرُوا فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ؛ فَقَبَرُوا نَفُوسَهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ،

وَخَرَجُوا مِنْ ظِلَامِ الشُّبُهَةِ إِلَى أَجْلَى نُورٍ. أَطَارَ خَوْفُ النَّارِ نَوْمَهُمْ، وَأَطَالَ ذِكْرُ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ صَوْمَهُمْ، وَهَوَّنَ فِكْرُهُمْ فِي الْعِتَابِ نَصَبَهُمْ، وَنَصَبَهُمْ عَلَى الْأَقْدَامِ ذِكْرُ الْفِيَامِ وَأَنْصَبَهُمْ، أَمَّا الْأَجْسَادُ فَالْخَوْفُ قَدْ أَنْحَلَهَا، وَأَمَّا الْعُقُولُ فَالْحَذَرُ قَدْ أَذْهَلَهَا، وَأَمَّا الْقُلُوبُ فَالْفِكْرُ قَدْ أَشْغَلَهَا، وَأَمَّا الدُّمُوعُ فَالْإِشْفَاقُ قَدْ أَرْسَلَهَا، وَأَمَّا الْأَكُفُّ فَقَدْ كَفَّتْ عَمَّا لَيْسَ لَهَا، وَأَمَّا الْأَعْمَالُ فَقَدْ وَاللَّهِ قَبِلَهَا. حَوَانِيَتْهُمْ الْخَلَوَاتُ، وَبِضَائِعُهُمُ الصَّلَوَاتُ، وَأَرْبَاحُهُمُ الْجَنَّاتُ. عَرَفُوا طَرِيقَ النَّجَاةِ، فَوَقَفُوا عَلَى قَدَمِ الْأَدَبِ فِي الْمُنَاجَاةِ؛ فَنَالَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا رَجَاهُ. فَلَهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُ قَدَرٍ وَجَاهٍ.

كَانَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا يَبْكِي حَتَّى بَدَتْ أَضْرَاسُهُ. قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَتْ الدُّمُوعُ قَدْ اتَّخَذَتْ فِي خَدِّهِ مَجْرَى.

وَقَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ: لَمَّا عَاتَبَ اللَّهُ نُوحًا أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿إِنِّي أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾؛ فَبَكَى ثَلَاثِمِائَةَ عَامٍ حَتَّى صَارَ تَحْتَ عَيْنَيْهِ أَمْثَالُ الْجَدَائِلِ مِنَ الْبُكَاءِ.

مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ تَقْوَاهُمْ، لَمْ يَعْلَمْ مَا الَّذِي أَبْكَاهُمْ، مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ جَمَالَ يُوسُفَ، لَمْ يَدْرِ مَا الَّذِي آَلَمَ قَلْبَ يَعْقُوبَ.

قَالَ:

بَكَى الْبَاكُونَ لِلرَّحْمَنِ لَيْلًا وَبَاتُوا دَمْعُهُمْ لَا يَسْأُمُونَا
بِقَاعِ الْأَرْضِ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِمْ تَحِنُّ مَتَى عَلَيْهَا يَسْجُدُونَا
يُرَوِّى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ: «وَعِزَّتِي
وَجَلَالِي لَا يَبْكِي عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِي مِنْ خَشْيَتِي إِلَّا أَبْدَلْتُهُ ضَحِكًا فِي نُورٍ
قُدْسِي».

قَالَ النَّضْرُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ امْرِئٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَ صَاحِبِهَا عَلَى النَّارِ، فَإِنْ فَاضَتْ عَلَى خَدِّهِ لَمْ يَرْهَقْ

وَجْهَهُ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ، وَلَوْ أَنَّ مَحْزُونًا بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ لَرَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى بِبُكَائِهِ تِلْكَ الْأُمَّةَ، وَمَا مِنْ عَمَلٍ إِلَّا وَلَهُ وَزْنٌ إِلَّا الدَّمْعَةُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا تُظْفِئُ بُحُورًا مِنَ النَّارِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: «لَأَنْ أَدْمَعَ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَلْفِ دِينَارٍ».

وَأَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ سُوقُ مُتَجَرِّ الْأَبْرَارِ، وَحَلَبَةُ السَّبَاقِ بَيْنَ الْمُتَّقِينَ وَالْأَخْيَارِ، وَمَرْزُوعُ التَّقْوَى لِيَوْمِ الْقَرَارِ، وَمَحَلُّ تَحْصِيلِ الزَّادِ لِلسَّفَرِ الَّذِي لَيْسَ كَالْأَسْفَارِ.

فَبَادِرْ أَخِي قَبْلَ فَوَاتِ إِمْكَانِ الْبِدَارِ، وَاعْتَنِمِ أَنْفَاسَكَ الْعَظِيمَةَ الْمِقْدَارِ، وَأَذِرْ مِنْ دُمُوعِكَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ تَفْرِيطِكَ، فَإِنَّ الْقَطْرَةَ مِنَ الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى تُظْفِئُ الْبُحُورَ مِنَ النَّارِ، وَتَيَقِّظُ فِي سَاعَاتِ الْأَسْحَارِ، عِنْدَ نَزُولِ الْعَجَارِ، وَاحْضُرْ بِقَلْبِكَ قَوْلَ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

قُلْ: نَعَمْ يَا رَبِّ، أَنَا السَّائِلُ الْمُحْتَاجُ الْفَقِيرُ الضَّعِيفُ، أَنَا الدَّاعِي الرَّاجِي الْوَاقِفُ بِبَابِكَ، اللَّائِذُ بِجَنَابِكَ، أَنَا الْمُسْتَغْفِرُ لِلذَّنْبِ، الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ، الْوَجِلُ الْخَائِفُ، الْمُسْتَمْطِرُ لِسَحَابِ كَرَمِكَ.

يَا صَاحِبَ الصَّدَقَةِ هَآنَذَا أَنْتَظِرُ جُودَكَ الْعَمِيمَ، وَإِحْسَانَكَ الْقَدِيمَ. ارْحَمْ ضَعْفِي وَكِبَرَ سِنِّي، ارْحَمْ فَقْرِي وَفَاقَتِي، وَحَاجَتِي وَمَسْكَنَتِي، يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ لَا تُخَيِّبْ حُسْنَ ظَنِّي بِكَ، وَلَا تَحْرِمْني سَعَةً مَعْرُوفِكَ، وَلَا تَطْرُدْنِي عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُخْرِجْنِي مِنْ أَجْبَابِكَ؟ فَأَنْتَ الَّذِي أَصْلَحْتَ الصَّالِحِينَ، وَقَرَّبْتَ الْمُقَرَّبِينَ، تَفَضَّلْتَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَثْنَيْتَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ مَدَحْتَهُمْ، لَوْلَاكَ مَا وَصَلُوا إِلَيْكَ، وَلَوْلَا إِحْسَانُكَ مَا فَازُوا لَدَيْكَ.

يَا هَذَا جَرْدُ الْإِفْرَارِ، ثُمَّ أَلْبَسَهُ الْاِعْتِدَارَ، ثُمَّ حَلَّهُ بِحُلِيَةِ الْاِنْكِسَارِ، ثُمَّ

أَقَمُّهُ عَلَى بَابِ الدَّارِ. اكْتُبْ قِصَّةَ الرُّجُوعِ بِقَلَمِ النَّزْوَعِ، بِمِدَادِ الدُّمُوعِ. وَاسِعَ
بِهَا عَلَى قَدَمِ الْخُضُوعِ إِلَى بَابِ الْخُشُوعِ، وَأَتْبِعْهَا بِالْعَطَشِ وَالْجُوعِ، وَارْفَعْهَا
إِلَى بَابِ مَنْ لَيْسَ عَلَى بَابِهِ حِجَابٌ، قَرُبَ سُؤَالِ مَسْمُوعٍ، وَتَوَسَّلْ إِلَيْهِ
بِالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ. نَادِ فِي نَادِي الْأَسْحَارِ وَالنَّاسِ نَائِمُونَ: يَا أَكْرَمَ مَنْ أَمَلَهُ
الْمُؤْمِلُونَ، إِنْ طَرَدْتَنِي فَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟ وَإِنْ أَبْعَدْتَنِي فَلِإِيكَ أَنْسَبُ. عَلِمْتُ
ذَنْبِي وَخَلَقْتَنِي، وَرَأَيْتَ فِعْلِي وَرَزَقْتَنِي:

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبِي وَارْتَكَبْتُ الْمَآثِمَا وَأَصْبَحْتُ فِي بَحْرِ الْخَطِيئَةِ عَائِمًا
فَهَآنَذَا يَا رَبِّ أَقَرَّرْتُ بِالَّذِي جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَأَصْبَحْتُ نَادِمًا
أَجَلُ ذُنُوبِي عِنْدَ عَفْوِكَ سَيِّدِي حَقِيرٌ؛ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي عَظَائِمًا
إِلَهِي وَقَفَ السَّائِلُونَ بِبَابِكَ، وَلَاذَ الْفُقَرَاءُ بِجَنَابِكَ. وَوَقَفَتْ سَفِينَةُ
الْمَسَاكِينِ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ كَرَمِكَ. يَرْجُونَ الْجَوَارَ إِلَى سَاحَةِ رَحْمَتِكَ وَنِعْمَتِكَ.
إِلَهِي؛ إِنْ كُنْتُ لَا تُكْرِمُ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ لَكَ فِي
أَعْمَالِهِ؛ فَمَنْ لِلْمُذْنِبِ الْمُقْصِرِ إِذَا غَرِقَ فِي بَحْرِ ذُنُوبِهِ وَأَثَامِهِ؟
إِلَهِي؛ إِنْ كُنْتُ لَا تَرْحَمُ إِلَّا الطَّائِعِينَ؛ فَمَنْ لِلْعَاصِينَ؟ وَإِنْ كُنْتُ لَا
تَقْبَلُ إِلَّا الْعَامِلِينَ؛ فَمَنْ لِلْمُقْصِرِينَ؟
إِلَهِي؛ رِبْحَ الصَّائِمُونَ الْمُخْلِصُونَ، وَفَارَ الْقَائِمُونَ، وَنَحْنُ عِبِيدُكَ
الْمُذْنِبُونَ؛ فَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ، وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَمِثَّتِكَ، وَاعْفُزْ لَنَا وَتَقَبَّلْ مِنَّا
أَجْمَعِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِي اغْتِنَامِ أَوْقَاتِ رَمَضَانَ فِي الطَّاعَاتِ، وَالْمُنَافَسَةِ فِي سُبُلِ الْخَيْرَاتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَلَّنَا بِدَائِعِ صَنَعَتِهِ، وَعَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، عَلَى
انْفِرَادِهِ بِالْإِبْجَادِ وَالْإِنْشَاءِ. وَذَلَّتْ لِعَظَمَةِ هَيْبَتِهِ وَقَهْرِ سَطَوَتِهِ رِقَابُ الْعُظَمَاءِ،

وَكَلَّتْ عَنْ حَقِيقَةِ مَعْرِفَتِهِ، وَكَمَالَ صَمَدِيَّتِهِ أَفْهَامُ الْعُقَلَاءِ. وَجَلَّتْ صِفَاتُ رُبُوبِيَّتِهِ وَنُعُوتُ وَحْدَانِيَّتِهِ؛ فَلَا تُحْصِيهَا بِلَاغَةُ الْفُصَحَاءِ.

الْأَوَّلُ قَبْلَ ابْتِدَاءِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ. الْآخِرُ بِالْعِزِّ وَالْمُلْكِ وَالْبَقَاءِ. الظَّاهِرُ بِالْإِخْتِرَاعِ وَالْإِبْتِدَاعِ وَالْقَهْرِ وَالْكَبْرِيَاءِ. الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، وَالْأَفْهَامُ عَاجِزَةٌ عَنْ إِدْرَاكِ الْجَلَالِ، وَالْأَلْسِنَةُ قَاصِرَةٌ عَنْ حَقِيقَةِ الثَّنَاءِ. الْقُدُّوسُ الْغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَكُلُّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ بِالْعَطَاءِ.

الْوَاحِدُ الْأَحَدُ. الْقَيُّومُ الصَّمَدُ. الْحَيُّ الَّذِي تَنَزَّهَ عَنْ مُشَابَهَةِ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ. الْعَلِيمُ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ أَصْوَاتُ الْمُلْحِنِينَ بِالْإِدْعَاءِ. أَوْضَحَ أَدِلَّةَ وَجُودِهِ، وَغَمَرَ الْخَلَائِقَ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ. وَخَصَّ الْمُحَقِّقِينَ بِكَشْفِ الْغِطَاءِ. فَتَحَ بَابَ جُودِهِ لِلطَّالِبِينَ. وَبَسَطَ بِسَاطَ الْقَبُولِ لِلْمُذْنِبِينَ. وَمَهَّدَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِحْسَانِهِ مِهَادًا. وَأَكْمَلَ لَهُمُ الْمُنَّةَ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنْ جَزِيلِ الْعَطَاءِ. وَشَرَحَ لِقَبُولِ أَمْرِهِ وَالْإِقْبَالَ عَلَى ذِكْرِهِ صُدُورَ السُّعْدَاءِ، وَفَقَّ الْعَامِلِينَ لِخِدْمَتِهِ، وَوَعَدَهُمْ بِجَزِيلِ مَثُوبَتِهِ الْمَنِّ وَالْجَزَاءِ، فَتَلَدُّوا بِمُنَاجَاتِهِ لِمَا عَلِمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا أَوْلَانَا مِنَ الْفَضْلِ وَالْآلَاءِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَجَدَّدُ بِالْأَنْفَاسِ وَالْأَنَاءِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْإِلَهُ الْمُتَوَحِّدُ فِي جَلَالِ الْبَهَاءِ، شَهَادَةً أَذْخَرَهَا لِيَوْمِ الْمَعَادِ وَاللِّقَاءِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْأَصْفِيَاءِ وَالنُّجَبَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الْصَيَامِ ارْكَبُوا إِلَيْكُمْ مِنْ لَيْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمُ اللَّهِ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا

عَنْكُمْ فَأَلْتَنَ بَشِيرُهُنَّ وَآتَمَتُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْشُرْ
عَنْكُمُونَ فِي الْمَسْجِدِ ﴿١٠﴾ - الْآيَةُ.

اعْلَمْ أَنَّ الْمُعْتَكِفَ مَمْنُوعٌ مِنَ الْوُطْءِ وَدَوَاعِيهِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا مِنْهُ
وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، وَكَانُوا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا يُبَاحُ لِلصَّائِمِ
إِذَا أَفْطَرَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَيَتَكَبَّحَ، مَا لَمْ يُصَلِّ الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ أَوْ يَنْمَ؛ فَإِذَا
صَلَّى الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ أَوْ نَامَ قَبْلَهَا، لَمْ يَحِلَّ لَهُ مَا ذُكِرَ إِلَى اللَّيْلِ الْقَابِلَةِ،
فَوَجَدُوا مِنْ ذَلِكَ مَشَقَّةً؛ فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْحَرَجَ - وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ - بِأَنَّهُ
إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَلَّ لِلصَّائِمِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ بِالصَّيَامِ. وَأَبَاحَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَكْلَ
وَالشُّرْبَ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتِمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ.

وَيُسْتَحَبُّ تَأْخِيرُ الشُّحُورِ مَا لَمْ يَخْشَ طُلُوعَ الْفَجْرِ، وَسَمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ:
«الْعَدَاءُ الْمُبَارَكُ»، وَقَالَ: «اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ الشُّحُورِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ،
وَبِالْقِيلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ»، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
الْمُتَسَحِّرِينَ»، وَقَالَ: «تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي الشُّحُورِ بَرَكَةً».

وَكَذَا يُسْتَحَبُّ تَعْجِيلُ الْفِطْرِ إِذَا تَحَقَّقَ الْغُرُوبُ، كَمَا بَيَّنَّ عَنْهُ ﷺ عَنِ اللَّهِ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا».
وَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يُقِلَّ مِنَ الشَّبَعِ، وَأَنْ يَصُونَ صَوْمَهُ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَتَعَاهَدَ صَوْمَهُ مِنْ لِسَانِهِ وَلَا يُمَارِي
وَيَصُونَ صَوْمَهُ وَلَا يَغْتَابَ أَحَدًا.

وَكَانُوا إِذَا صَامُوا قَعَدُوا فِي الْمَسَاجِدِ، وَقَالُوا: نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ
أَحَدًا. وَيُكْرَهُ الْوِصَالُ إِلَّا إِلَى السَّحَرِ، لَكِنَّ فِيهِ تَرْكُ سُنَّةٍ تَعْجِيلِ الْفِطْرِ.

وَأُخْرِجَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا

رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: وَأَيُّكُمْ مُثْلِي؟ إِنِّي أَبِيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي. فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَتَّهُوا عَنِ الْوَصَالِ وَاصِلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ، فَقَالَ: لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُمْ، كَالْتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَتَّهُوا.

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاصِلَ بِالنَّاسِ فِي آخِرِ الشَّهْرِ.

وَاللُّبْحَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحْرِ». قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيْتُ لِي مُطْعَمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِي». وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي».

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ: «أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْوَصَالِ. قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ: وَمَا يُدْرِيكُمْ، لَعَلَّ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي».

وَظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ كَانَ يُوَاصِلُ اللَّيْلَ كُلَّهُ. وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى إِطْعَامِهِ، فَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ يُؤْتِي بِطَعَامٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُهُ، وَفِي هَذَا نَظَرٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُوَاصِلًا. وَقَدْ أَقْرَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ لَهُ: «إِنَّكَ تُوَاصِلُ» وَلَوْ كَانَ أَكْلًا حَقِيقًا لَكَانَ مُنَافِيًا لِلصِّيَامِ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانَ اللَّهُ يَفْتَحُهُ عَلَيْهِ فِي صِيَامِهِ وَخَلَوْتِهِ بِرَبِّهِ لِمُنَاجَاتِهِ وَذِكْرِهِ مِنْ مَوَارِدِ أَنْسِهِ، وَنَفَحَاتِ قُدْسِهِ. فَكَانَ يَرُدُّ بِذَلِكَ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْمِنْحِ الرَّبَّانِيَّةِ مَا يُغَذِّيهِ وَيُغْنِيهِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ كَمَا قِيلَ:

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا عَنِ الطَّعَامِ وَتُلْهِيَهَا عَنِ الزَّادِ
لَهَا بِوَجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ رَقَّتِ الْمَسِيرِ وَفِي أَعْقَابِهَا حَادِ
إِذَا شَكْتُ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ أَوْعَدَهَا رَوْحَ الْقُدُومِ فَتَحِيَا عِنْدَ مِيعَادِ

قِيلَ: شَبَعَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا لَيْلَةً فَنَامَ عَنْ وَرْدِهِ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ «يَا يَحْيَى، هَلْ وَجَدْتَ دَارَ الدُّنْيَا خَيْرًا مِنْ دَارِي؟ هَلْ وَجَدْتَ جَوَارًا خَيْرًا مِنْ

جَوَارِي؟ وَعَزَّتِي وَجَلَالِي، لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى الْفِرْدَوْسِ أَطْلَاعَةً لَذَابَ جِسْمِكَ وَلَزَهَقَتْ نَفْسُكَ اشْتِيَاقًا، وَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى جَهَنَّمَ أَطْلَاعَةً لَذَابَ جِسْمِكَ وَلَبَكَّيْتَ الصَّدِيدَ بَعْدَ الدَّمُوعِ، وَلَبَسْتَ الْحَدِيدَ بَعْدَ الْمُسُوحِ».

وَرَوَى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رضي الله عنه: «أَنَّهُ عليه السلام مَرَّ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ أَلْقَاهَا أَهْلِهَا، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا». وَكَانَ يَقُولُ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا: «أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ. حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، مَنْ اسْتَعْنَى فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ إِلَيْهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَعَى لَهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ نَأَى عَنْهَا أَتَتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ، وَمَنْ بَصَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ».

وَصَفَّهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ: جَمَّةُ الْمَصَائِبِ. رَنَقَةُ الْمَشَارِبِ. لَا تَقِي لِصَاحِبٍ. فَقَدْ كَانَ سَلَفُ الْأُمَّةِ يَتْرَكُونَ الْحَلَالَ خَشْيَةَ الْحَرَامِ.

قَالَ بَشَرُ الْحَافِي: إِنِّي لَا أَشْتَهِي شِوَاءَ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، مَا صَفَا لِي ذَرْهُمُهُ.

وَقَالَ ابْنُ أُخْتِهِ: سَمِعْتُ بَشْرًا يَقُولُ لِأُمِّي: جَوْفِي وَجِعٌ وَخَوَاصِرِي تَضْطَرِبُ. فَقَالَتْ لَهُ: ائْذَنْ لِي حَتَّى أَضْلِحَ لَكَ قَلِيلَ حِسَاءٍ بِكَفِّ دَقِيقٍ تَحْسَاهُ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ، أَخَافُ أَنْ يَقُولَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الدَّقِيقُ؟ فَلَا أَدْرِي أَيُّ شَيْءٍ أَقُولُ لَهُ؟ فَبَكَتْ أُمِّي وَبَكَى مَعَهَا، وَبَكَّيْتُ مَعَهُمْ. وَرَأَتْ أُمِّي لَيْلَةً مَا بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَجَعَلَ يَتَنَفَّسُ نَفْسًا ضَعِيفًا، فَقَالَتْ لَهُ أُمِّي: يَا أَخِي لَيْتَ أُمْلِكَ لَمْ تَلِدْنِي، فَقَدْ وَاللَّهِ انْقَطَعَتْ كَبِدِي مِمَّا أَرَى بِكَ. فَقَالَ: وَأَنَا فَلَيْتَ أُمْلِكَ لَمْ تَلِدْنِي وَإِذْ وَلَدْتَنِي لَمْ يَدِرْ لَهَا ثَدْيِي عَلَيَّ.

فَيَا هَذَا مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ؟ مَا كَانَ حَالُهُمْ هُنَا إِلَّا كَالْأَحْلَامِ، فَلِلَّهِ دَرَهُمْ مِنْ أَقْوَامٍ أَرَعَجَهُمْ ذِكْرُ هَوْلِ الْمَقَامِ، فَأَذْهَلَهُمْ عَنِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ وَخَافُوا مِنْ مُنَاقَشَةِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْأَقَارِبُ وَالْأَرْحَامُ، فَأَذَامُوا الصِّيَامَ، وَكَابَدُوا لَيْلَهُمْ فِي الْقِيَامِ، وَتَخَلَّوْا عَنِ الْحَرَامِ، وَجَانَبُوا الْمَعَاصِي وَالْآثَامَ.

فَمَا بِأَلَاكَ لَا تَحِنُّ إِلَى أَهْوَالِهِمْ، وَلَا تُحَرِّكَ غُصْنَ هِمَّتِكَ رِيَّاحَ أَقْوَالِهِمْ،
أَمَّا الْمَالُ إِلَى الْقِيَامَةِ، وَفِيهَا الْحَسَرَاتُ وَالنَّدَامَةُ؟

وَلِإِنَّ أَمَامَ النَّاسِ حَشْرًا وَمَوْقِفًا
تَكُونُ بِهِ الْأَطْوَادُ كَالْعِهْنِ أَوْ تَكُنْ
فِيَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مُبْطِلٍ
بِهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَحَدَهَا
بِهِ يَسْأَلُونَ النَّاسَ: مَاذَا عَمِلْتُمْ
حِسَابُ الَّذِي يَنْقَادُ عَرْضُ مُحَقِّقٍ
وَمِنْ قَبْلِ ذَا، فَالْمَوْتُ يَأْتِيكَ بَغْتَةً
كُتُوسُ الْمَنَايَا سَوْفَ يَشْرِبُهَا الْوَرَى
حَنَانِيكَ بَادِرَهَا بِخَيْرٍ فَإِنَّمَا
إِذَا كُنْتَ قَدْ أَتَقَنْتَ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ
أَيُضْلِحُ إِهْمَالُ الْمَعَادِ لِمُنْصِفٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَحُلْ بِزَادٍ مِنَ الثَّقَى
أَتَرْضَى بِأَنْ تَأْتِيَ الْقِيَامَةُ مُفْلِسًا

وَيَوْمًا طَوِيلًا أَلْفَ عَامٍ أَوْ أَطْوَلَ
كَثِيبًا مَهِيلًا إِنْ أَهِيلَ تَهْلَهُلُ
فَطِيعٌ، وَأَهْوَالُ الْقِيَامَةِ تَفْصِلُ
وَمَا غَيْرُهَا مِنْ أَيِّ دِينٍ فَيُنْطَلُ
وَمَا أَجَبْتُمْ مَنْ دَعَا وَهُوَ مُرْسَلُ؟
وَمَنْ لَيْسَ يَنْقَادُ الْحِسَابُ مُثْقَلُ
وَهِيَهَاتَ لَا تَذَرِي مَتَى الْمَوْتُ يَنْزِلُ
عَلَى الرَّغْمِ شَبَّانَ وَشَيْبَ وَأَكْهَلُ
عَلَى آلَةِ الْحَدْبِ سَرِيعًا سَتُحْمَلُ
وَيَا لِبَعْثٍ عَمَّا بَعْدَهُ كَيْفَ تَعْقِلُ؟
وَيَنْسَى مَقَامَ الْحَشْرِ مَنْ كَانَ يَعْقِلُ
أَبْنُ لِي فِي يَوْمِ الْجَزَا كَيْفَ تَفْعَلُ
عَلَى ظَهْرِكَ الْأَوْزَارُ فِي الْحَشْرِ تُحْمَلُ؟

فصل

وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا
مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ أَمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ،
وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ
أَكْبَرُ».

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ، يَقْرَأُ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَيُخْبِرُنَا أَنَّ
الْجَنَّةَ لِمَنْ أَرَادَ الْعُرْسَ فِيهَا.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَلَا بِنِ مَا جِهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ».

وَلَا بِنِ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، بُنِيَ لَهُ بُرْجٌ فِي الْجَنَّةِ».

وَعَنْ الْحَسَنِ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ يَعْمَلُونَ لِبَنِي آدَمَ فِي الْجَنَّةِ: يَغْرِسُونَ وَيَبْنُونَ، فَرُبَّمَا أَمْسَكُوا. فَيَقَالُ لَهُمْ: قَدْ أَمْسَكْتُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى تَأْتِينَا النَّفَقَاتُ. قَالَ الْحَسَنُ: فَأَتَعِبُوهُمْ - بِأَبْيِ أَنْتُمْ وَأُمِّي عَلَى الْعَمَلِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: بَلَغَنِي أَنَّ دُورَ الْجَنَّةِ تُبْنَى بِالذِّكْرِ، فَإِذَا أَمْسَكَ عَنِ الذِّكْرِ أَمْسَكُوا عَنِ الْبِنَاءِ. فَيَقَالُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى تَأْتِينَا نَفَقَةٌ.

أَرْضُ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ قِيَعَانٌ، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لَهَا عُمُرَانٌ. بِهَا تُبْنَى الْقُصُورُ وَتُغْرَسُ أَرْضُ الْجَنَانِ. فَإِذَا تَكَامَلَ الْغِرَاسُ وَالْبُنْيَانُ انْتَقَلَ إِلَيْهِ السَّكَّانُ.

رَأَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ فِي مَنَامِهِ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: قَدْ أَمَرْنَا بِالْفَرَاعِ مِنْ بِنَاءِ دَارِكَ وَأَسْمَهَا دَارُ السُّرُورِ، فَأَبْشِرْ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِتَنْجِيدِهَا وَتَزْيِينِهَا وَالْفَرَاعِ مِنْهَا إِلَى سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَاتَ. فَرُؤِيَ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: أُدْخِلْتُ دَارَ السُّرُورِ، فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا فِيهَا، لَمْ يَرِ مِثْلُ الْكَرِيمِ إِذَا حَلَّ بِهِ مُطِيعٌ.

رَأَى بَعْضُهُمْ كَأَنَّهُ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَعُرِضَ عَلَيْهِ مَنَازِلُهُ وَأَزْوَاجُهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ تَعَلَّقَ بِهِ أَزْوَاجُهُ وَقَالُوا: تَاللَّهِ حَسَنَ عَمَلِكَ، فَكُلَّمَا حَسَنَتْ عَمَلَكَ ارْدَدْنَا نَحْنُ حُسْنًا.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ وَمَنْ قَدَّمَ شَيْئًا قَدِمَ عَلَيْهِ، وَكُلُّ زَارِعٍ سَيَحْصُدُ مَا زَرَعَ. إِنَّ خَيْرًا فَخِيرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَفَسْرٌ، فَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ الْآخِرَةَ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ، فَهِمَّتُهُ عَلَيْهِ، إِذْ هُوَ يَطْلُبُ النَّعِيمَ الْبَاقِي، وَيَزْهَدُ بِالْحَقِيرِ الْفَاقِي.

قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا ذَهَبًا يَفْنَى وَالْآخِرَةُ خَرْفًا يَبْقَى، لَكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُؤَثِّرَ خَرْفًا يَبْقَى عَلَى ذَهَبٍ يَفْنَى، فَكَيْفَ وَالدُّنْيَا خَرْفٌ يَفْنَى وَالْآخِرَةُ ذَهَبٌ يَبْقَى؟

وَأَعْلَى هِمَّةٍ مِنْ ذَلِكَ مَنْ كَانَ يَعْمَلُ وَيَجْتَهِدُ شَوْقًا إِلَى اللَّهِ وَحُبًّا لَهُ، كَمَا قَالَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ: مَا عَبْدتُهُ خَوْفًا مِنْ نَارِهِ، وَلَا حُبًّا لِجَنَّتِهِ، فَأَكُونُ كَأَسِيرِ السُّوءِ، بَلْ عَبْدتُهُ حُبًّا لَهُ وَشَوْقًا إِلَيْهِ.

قَالَ يُونُسُ بْنُ الْحُسَيْنِ: كُنْتُ قَاعِدًا بَيْنَ يَدَيِ ذِي النُّونِ، وَحَوْلَهُ نَاسٌ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ وَالنَّاسُ يَبْكُونَ، وَشَابٌّ يَضْحَكُ. فَقَالَ لَهُ ذُو النُّونِ: مَا لَكَ أَيُّهَا الشَّابُّ، النَّاسُ يَبْكُونَ وَأَنْتَ تَضْحَكُ؟ فَأَنْشَدَ يَقُولُ:

كُلُّهُمْ يَبْكُونَ مِنْ خَوْفِ نَارٍ وَيَرُونَ النِّجَاءَ حَطًّا جَزِيلًا
أَوْ بِأَنْ يَسْكُنُوا الْجِنَانَ فَيَحْظُوا بِرِيَاضِ عُيُونِهَا سَلْسَبِيلًا
لَيْسَ لِي فِي الْجِنَانِ وَالنَّارِ رَأْيٌ أَنَا لَا أَبْتَغِي بِحَبِّي بَدِيلًا
قِيلَ لَهُ: فَإِنْ طَرَدَكَ، فَمَا تَقُولُ؟ فَأَنْشَدَ:

فَإِذَا لَمْ أَجِدْ مِنَ الْحَبِّ وَضْلًا تَبَوَّأْتُ فِي النَّارِ مَنْزِلًا وَمَقِيلًا
ثُمَّ أَرْعَجْتُ أَهْلَهَا بِبُكَائِي بُكْرَةً فِي عِرَاصِهَا وَأَصِيلًا
مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ، نُوحُوا لِأَجْلِي أَنَا عَبْدٌ أَحْبَبْتُ مَوْلَى جَلِيلًا
لَمْ أَكُنْ بِالَّذِي ادَّعَيْتُ مُحِقًّا فَجَزَانِي بِهِ الْعَذَابُ الطَّوِيلًا

إِخْوَانِي، هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرُ الْعِتْقِ مِنَ النَّيرَانِ، لَقَدْ كَانَ مُوسِمًا لِمُضَاعَفَةِ الْأَعْمَالِ وَالْعُفْرَانِ، وَمُنْبَهًا لَذَوِي الْعَقَلَاتِ وَالنُّسْيَانِ، وَمَخْصُوصًا لِفَضِيلَةِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَقَتِ إِفَاضَاتِ الْكَرَمِ مِنَ الْمَوْلَى وَالْإِحْسَانِ، وَقَدْ دَنَا مِنْهُ

الارْتِحَالُ، وَبَقِيَ مِنْهُ الْقَلِيلُ. وَدَنَا مِنْهُ الْإِنْتِقَالُ، بَقِيَ مِنْهُ خَمْسُ لَيَالٍ، وَقَدْ قَارَ الْمُجْتَهِدُونَ بِالنَّوَالِ:

شَهْرَ الصَّيَامِ لَقَدْ كَرُمْتَ نَزِيلًا
وَأَقَمْتَ فِيْنَا نَاصِحًا وَمُؤَدِّبًا
نَبِّكَ يَا شَهْرَ الصَّيَامِ بِأَذْمُعِ
أَسْفَا عَلَى الْأَنْسِ الَّذِي عَوَّدْتَنَا
شَهْرُ الْأَمَانَةِ وَالصَّيَانَةِ وَالثَّقَى
تَبْكِي الْمَسَاجِدُ حَسْرَةً وَتَأْسَفَا
فِيهِ الْجِنَانُ تَفْتَحَتْ لِقُدُومِهِ
وَتَفِيَّاتُ أَشْجَارِهَا بِظِلَالِهَا
وَالْحُورُ لِلصُّوَامِ يَشْتَقْنَ اللَّقَا
وَالنَّارُ يُغْلَقُ بِأَبْهَا مِنْ أَجْلِهِ
وَالْمَارِدُ الشَّيْطَانُ فِيهِ قَدْ غَدَا
طُوبَى لِمَنْ قَدْ صَحَّ فِيهِ صِيَامُهُ
وَبَلِيلُهُ قَدْ قَامَ يَخْتِمُ وَرْدَهُ
يَرْتَاحُ فِيهِ إِلَى الْخِطَابِ وَقَدْ غَدَا
يَبْكِي لِفُرْقَةِ شَهْرِهِ أَسْفَا عَلَى
شَهْرٍ يَفُوقُ عَلَى الشُّهُورِ بَلِيلَهُ
هِيَ لَيْلَةُ مُسْتَعْنَمِ أَوْقَاتِهَا
يَا قَوْزَ عَبْدٍ قَدْ رَأَاهَا مَرَّةً
مَنْ قَامَهَا يُعْفَرُ لَهُ مَا قَدْ مَضَى
فَاجْهَدْ عَسَاكَ تَنَالَهَا فِيمَا بَقِيَ
وَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بَرَّهُ وَنَوَالَهُ

اللَّهُمَّ يَا مُتَوَرِّ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ، يَا قَاضِيَ حَوَائِجِ السَّائِلِينَ، يَا قَابِلَ تَوْبَةِ

التَّائِبِينَ، وَيَا مُفْرَجَ كَرْبِ الْمَكْرُوبِينَ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَقْبَلَ دَعَوَاتِنَا، وَتَرْفَعَ
دَرَجَاتِنَا، وَتَقِيلَ عَثْرَاتِنَا، وَتُغِيثَ لَهْفَاتِنَا، وَتَسْتُرَ ذُنُوبَنَا، وَتَجَاوِزَ عَنْ سَيِّئَاتِنَا.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ، وَأَرْشَدْنَا بِرُشْدِكَ حَتَّى نَقِيمَنَا عَلَى
مَا يُرْضِيكَ. وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ
أَتَمَّةِ الْمُتَّقِينَ، وَمِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ، رَعُوفٌ رَحِيمٌ.
وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ،
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الفصل السادس

وفيه فضل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَيَّرَ أَلْبَابَ الْعُقُولِ بِالذُّهُولِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى تَحْقِيقِ
تَدْقِيقِ مَعْرِفَتِهِ.

السَّمِيعِ الَّذِي يَسْمَعُ أُنِينَ الْجَنِينِ تَحْتَ غِشَاءِ الْحَشَا وَأَعْطِيَتِهِ.
الْبَصِيرِ الَّذِي يُبْصِرُ دَيْبَ النَّمْلِ عَلَى الصَّخْرِ إِذَا أَخْفَى اللَّيْلُ سَوَادَ
ظُلُمَتِهِ.

الْعَلِيمِ بِمَا يُخْفِيهِ الْعَبْدُ فِي سَرِيرَتِهِ.

الْجَبَّارُ الَّذِي خَضَعَ كُلَّ مُتَجَبِّرٍ لِعَظِيمِ هَيْبَتِهِ.

الْقَهَّارُ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ سُلْطَانَ سَطَوَتِهِ، تُقَدِّسُهُ الْكَائِنَاتُ، وَتُجَمِّدُهُ
جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ كَوَّنَ الْأَكْوَانَ، وَدَبَّرَ الْأَزْمَانَ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَعَلَّمَهُ
الْبَيَانَ، وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ فَقَالَ فِي تَنْزِيلِهِ عَلَى سَيِّدِ الْأَكْوَانِ:
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ﴾.

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهِ قَدَّرَ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ، وَالطَّاعَةَ وَالْعِصْيَانَ، لَا يَمُرُّ عَلَيْهِ
النَّسْيَانُ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةٌ تَنْفَعُ قَائِلَهَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَالُوا بِالصِّدْقِ بِهِ يَعْمَلُونَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ﴿٣٦﴾.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي - أَوْ دَعَا - اسْتَجِيبَ لَهُ؛ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ».

وَاعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ وَالذِّكْرَ شَامِلٌ كُلِّ قِيَامٍ؛ فَهُوَ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي
أُخْرَى وَأَوْلَى، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ أَمَرَ بِالِاجْتِهَادِ فِيهَا، وَأَمَرَ
بِالتَّمَاسِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِيهَا.

فَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَيَقُولُ: تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَكُلَّ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ يُطِيقُ الصَّلَاةَ».

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَحَبُّ إِلَيَّ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ
الْأَوَاخِرُ أَنْ يُتَهَجَّدَ فِي اللَّيْلِ، وَيُجْتَهِدَ فِيهِ، وَيُنْهَضَ أَهْلُهُ وَلَدَهُ إِلَى الصَّلَاةِ،
إِنْ أَطَاقُوا ذَلِكَ».

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَطْرُقُ فَاطِمَةُ وَعَلِيًّا لَيْلًا، وَيَقُولُ لَهُمَا:
أَلَا تَقُومَانِ فَتُصَلِّيَانِ؟».

«كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَدْ أَمَرَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ وَتَمِيمَا الدَّارِيَّ: أَنْ يَقُومَا
بِالنَّاسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ فَكَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْمَائَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ، حَتَّى كَانُوا
يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعَصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، وَمَا كَانُوا يَنْصَرِفُونَ إِلَّا عِنْدَ الْفَجْرِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنَّهُمْ كَانُوا يَرِبْطُونَ الْحَبَالَ بَيْنَ السَّوَارِي، ثُمَّ يَتَعَلَّقُونَ بِهَا».

وَرُوي: «أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَعَ ثَلَاثَةَ قُرَاءٍ؛ فَأَمَرَ أَسْرَعَهُمْ قِرَاءَةً أَنْ يَقْرَأَ
بِالنَّاسِ ثَلَاثِينَ آيَةً، وَأَوْسَطَهُمْ بِخَمْسٍ وَعَشْرِينَ، وَأَبْطَأَهُمْ بِعَشْرِينَ، ثُمَّ كَانَ فِي
رَمَنِ التَّابِعِينَ يَقْرَأُونَ بِالْبُقْعَةِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ، فَإِنْ قَرَأَ بِهَا
فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً رَأَوْا أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ».

وَلَمَّا سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَمَّا رُويَ عَنْ عُمَرَ: فِي السَّرِيعِ وَالْبَاطِيءِ؟
فَقَالَ: فِي هَذَا مَشَقَّةٌ عَلَى النَّاسِ، وَلَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْقَصَارِ. وَإِنَّمَا
الْأَمْرُ عَلَى مَا يَتَحَمَّلُهُ النَّاسُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ
ضَعْفَى، اقْرَأْ خَمْسًا، سِتًّا، سَبْعًا. قَالَ: فَقَرَأْتُ فَخَتَمْتُ لَيْلَةً سَبْعَ وَعَشْرِينَ.

وَكَلَامُ أَحْمَدَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرَاعَى فِي الْقِرَاءَةِ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَشُقُّ
عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِيدَ فِي الْقِرَاءَةِ وَيُطِيلَ، وَهُوَ يُصَلِّي لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا
شَاءَ، كَمَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

وَكَذَلِكَ مَنْ صَلَّى بِجَمَاعَةٍ يَرْضُونَ بِصَلَاتِهِ. فَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَخْتِمُ
فِي قِيَامِ رَمَضَانَ فِي كُلِّ ثَلَاثِ لَيَالٍ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ
ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

فَيَا مَنْ يُبَارِزُ بِالْعُضَيَّانِ، وَلَمْ يَسْتَحْ مِنْ رَقِيبِهِ، وَقَدْ دَنَا فِرَاقُ شَهْرِ
رَمَضَانَ وَمَا فَازَ بِمُصَالَحَةِ حَبِيبِهِ، وَقَدْ هَبَّ نَسِيمُ الْقُبُولِ وَمَا نَشَقَّ عَرَفَ طَيْبِهِ،
أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْمَلِكِ الْمَنَانِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟ وَاخْتِصَاصِهِ لِلصَّيَامِ وَحُثِّهِ عَلَيْهِ
وَتَرْغِيهِ؟ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ».

مَنْ كَانَ يَشْكُو عِظَمَ ذُنُوبِهِ فَلَيَاتِ مِنْ رَمَضَانَ بَابَ طَيْبِهِ
وَيَفُوزُ مَنْ عَرَفَ الصَّيَامَ بِطَيْبِهِ أَوْلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ فِي تَرْغِيهِ
الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أُجْزِي بِهِ

يَا صَائِمِي رَمَضَانَ فُوزُوا بِالْمُنَى وَتَحَقَّقُوا نَيْلَ السَّعَادَةِ وَالْغِنَى
وَتَّقُوا بِوَعْدِ اللَّهِ إِذْ فِيهِ الْهَنَاءُ أَوْلَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلُ إِلَهِنَا
الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أُجْزِي بِهِ

مَنْ صَامَ نَالَ الْفَوْزَ مِنْ رَبِّ الْعَلَا وَبَوَّجَهُ أَضْحَى عَلَيْهِ مُقْبِلًا
يَا مَنْ يَرُومُ تَوْسُلًا وَتَوْصُلًا صُمْ رَغْبَةً فِي قَوْلِ رَبِّ الْعَلَا
الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أُجْزِي بِهِ

يَا فَوْزَ مَنْ لِلصَّوْمِ قَامَ بِحَقِّهِ وَأَتَى بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ وَصِدْقِهِ
وَمِنْ الْجَحِيمِ نَجَا وَفَازَ بِعِثْقِهِ فَاللَّهُ قَالَ عَنِ الصَّيَامِ لِحَلْقِهِ
الصَّوْمُ لِي وَأَنَا الَّذِي أُجْزِي بِهِ

إِخْوَانِي: مَا أَحْسَنَ حَالَ مَنْ خَلَعَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ خَلَعَ الْقُبُولِ، وَمَا أَنْعَمَ
بَالَ مَنْ بَلَغَهُ الْمَقْصُودَ وَالْمَسْئُولَ. وَمَا أَشْقَى مَنْ رَدَّ عَلَيْهِ صِيَامَهُ، وَأَحْصَى

عَلَيْهِ فَيُصَحِّهُ وَأَثَامُهُ، وَمَضَتْ فِي الْبِطَالَةِ شُهُورُهُ وَأَعْوَامُهُ، وَآثَرَ شَهْوَةٌ نَفْسِهِ عَلَى خِدْمَةِ رَبِّهِ، إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ سَاعَاتُهُ وَأَيَّامُهُ.

إِخْوَانِي: أَمَا أَنْ لِيذِي السَّفَرِ أَنْ يُعَدَّ لَهُ مِنْ صَالِحِ الزَّادِ؟ أَمَا أَنْ لِيذِي الْمَعَاصِي أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ الْمَعَادِ؟

وَيَحْكُ، مَا يَنْفَعُكَ غَدًا أَهْلٌ وَلَا أَوْلَادٌ؛ فَإِلَى مَتَى هَذِهِ الْغَفْلَةُ وَهَذَا الرُّقَادُ؟

قَالَ خَلِيلُ الْمَضْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: كُنَّا قَدْ أَيْقَنَّا بِالْمَوْتِ، وَمَا نَرَى لَهُ مُسْتَعِدًّا، وَكُنَّا قَدْ أَيْقَنَ بِالْجَنَّةِ، وَمَا نَرَى لَهَا عَامِلًا، وَكُنَّا قَدْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ، وَمَا نَرَى لَهَا خَائِفًا؛ فَعَلَامَ تُعَرَّجُونَ، وَمَا عَسَيْتُمْ تَنْتَظِرُونَ؟ الْمَوْتُ أَوَّلُ وَارِدٍ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِمَّا بِخَيْرٍ أَوْ بِشَرٍّ؛ فَيَا إِخْوَتَاهُ، سِيرُوا إِلَى رَبِّكُمْ سِيرًا جَمِيلًا.

يَا هَذَا، إِلَى كَمْ تَضْحَكُ وَنَوَادِبُ الْحِمَامِ تَبْكِي عَلَيْكَ أَسْفًا، غَيْرُكَ يَا مَحْرُومٌ عَلَى الْجَادَّةِ وَأَنْتَ مِنَ الْبِعَادِ عَلَى شَفَا، سَتَبْكِي زَمَانَ الْوِصَالِ وَمَا صَفَا.

أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تُصَالِحَ مَوْلَاكَ أَمَا كَفَى؟ تَحْضُرُ الْمَسَاجِدَ بِجِسْمِكَ وَقَلْبِكَ عَنِ الْحُضُورِ غَائِبٌ.

وَيَحْكُ تَمَلُّاً بِظَنِّكَ مِنَ الْحَرَامِ وَتَظَلُّبُ مِنَ الْوَهَابِ الْمَوَاهِبِ، وَهَذَا بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ وَالْبَوَابُ يُنَادِي: «هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟».

فَبَادِرْ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ الْبَابُ، وَتُرِيدُ رَدَّ الْجَوَابِ فَلَا تُجَابُ.

قِيلَ: مَكَثَ بَشَرٌ الْحَافِي خَمْسِينَ سَنَةً يَسْتَهِي هَرِيسَةً؛ فَفُتِحَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ بَذَرُهُمْ، فَمَضَى إِلَى السُّوقِ لِيَشْتَرِيَ بِهَا. فَسَمِعَ الْهَرَّاسَ يُنَادِي: مَاذَا خُبَيْ لِلصُّوَامِ؟ فَرَجَعَ بَاكِيًا وَلَمْ يَشْتَرِ شَيْئًا. فَبَقِيَ مُدَّةً تَطَالِبُهُ نَفْسُهُ بِهَا؛

فَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ ثَانِيًا لِيَشْتَرِيَ بِهَا، وَإِذَا الْهَرَّاسُ يُنَادِي: بَقِيَ الْقَلِيلُ. فَبَكَى وَرَجَعَ، وَعَاهَدَ اللَّهَ أَلَّا يَذُوقَهَا.

وَقَالَ صَالِحُ الْمُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كَانَ عَطَاءُ السَّلَمِيِّ رَحْمَةً لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ قَدْ اجْتَهِدَ حَتَّى انْقَطَعَ؛ فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: إِنِّي مُكْرِمُكَ بِكَرَامَةٍ، فَلَا تَرُدَّ كَرَامَتِي؛ فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ بِشَرِبَةٍ مِنْ سَوِيقٍ مَعَ وَلَدِي، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى يَشْرِبَهَا. فَجَاءَ فَقَالَ: قَدْ شَرِبَهَا: فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِمِثْلِهَا. فَجَاءَ فَقَالَ: مَا شَرِبَهَا فَاتَيْتُهُ فَلُمْتُهُ، وَقُلْتُ: رَدَدْتَ عَلَيَّ كَرَامَتِي، وَهَذَا يُقْوِيكَ عَلَى الْعِبَادَةِ، فَقَالَ: يَا صَالِحُ، لَقَدْ شَرِبْتُهَا أَوَّلَ يَوْمٍ، وَاجْتَهِدْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَلَمْ أَقْدِرْ، كُلَّمَا هَمَمْتُ بِشَرِبِهَا ذَكَرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وَطَعَامًا ذَا عُصَةِ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا فِي وَادٍ وَأَنْتَ فِي وَادٍ.

فَلِلَّهِ دَرُّ تِلْكَ الْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ، وَأَنْوَارُهَا فِي ظِلَامِ الدُّجَى ظَاهِرَةٌ، رَفَضَتْ حِلْيَةَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَتْ فَاحِشَةً، وَبَاتَتْ عُيُونُهَا - وَالنَّاسُ نِيَامٌ - سَاهِرَةً، يَنْدُبُونَ عَلَى الذُّنُوبِ وَإِنْ كَانَتْ نَادِرَةً. كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ يَا بَائِعَ الْآخِرَةِ؟ شَيْبٌ وَعَيْبٌ أَمْثَالُ سَائِرَةٍ، أَمَلٌ مَعَ هَرَمٍ هَذِهِ نَادِرَةٌ.

فَلِلَّهِ دَرُّ نَفُوسٍ تَرَكَتِ الْحَاضِرَةَ، وَاسْتَعَدَّتْ لِأَفْزَاعِ الْآخِرَةِ؛ فَتَرَكَتِ الشَّهَوَاتِ وَهِيَ عَلَيْهَا قَادِرَةٌ.

فَيَا إِخْوَانِي، اغْتَنِمُوا زَمَنَ الْأَرْبَاحِ، فَأَيَّامَ الْمَوَاسِمِ مَعْدُودَةً. وَانْتَهَرُوا الْفُرْصَةَ، فَأَوْقَاتِ الْفَضَائِلِ مَشْهُودَةً.

هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ لَا قِيمَةَ لَهُ فَيْيَاعُ، وَلَا يُسْتَدْرَكُ مِنْهُ مَا صَاعَ.

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْأَجْتِهَادِ قَبْلَ غَلْقِ الْبَابِ، وَالتَّهَوُّصِ إِلَى الْأَسْبَابِ قَبْلَ طَيِّ الْكِتَابِ.

فَهَذَا شَهْرُ عِمَارَةِ الْمِحْرَابِ. هَذَا شَهْرُ تِلَاوَةِ الْكِتَابِ، وَوُقُوفِ الْمُتَّقِينَ عَلَى الْبَابِ، وَإِفَاضَةِ الْمَوْلَى عَلَى الْعَامِلِينَ جَزِيلِ الثَّوَابِ.

هَذَا شَهْرٌ تُمَلَأُ فِيهِ الْمَسَاجِدُ، وَيَخْشَعُ فِيهِ الرَّائِعُ وَالسَّاجِدُ، وَيَنْهَضُ إِلَى
الْحَيَرَاتِ كُلِّ قَاعِدٍ. فَجِدُّوا فِي بَقِيَّتِهِ وَاجْتَهِدُوا، فَإِنَّهُ عَلَيْكُمْ شَاهِدٌ.

عَدَا تُوقَى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا
إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا
يَا هَذَا، إِنَّمَا أَنْتَ ضَيْفٌ أَصْبَحْتَ فِي مَنْزِلِكَ، وَمَا فِي يَدِكَ وَدِيعَةٌ
عِنْدَكَ، يُوشِكُ لِلضَّيْفِ أَنْ يَرْتَحِلَ، وَلِلْوَدِيعَةِ أَنْ تُرَدَّ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مَطَايَاهُ، سَارَتْ بِهِ وَإِنْ لَمْ
يَسِرْ:

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَيَّامُنَا تُظَوِّى وَهْنٌ مَرَّاحِلُ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّئُهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاعِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ الثَّقَى فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ وَهْنٌ قَلَائِلُ

إِخْوَانِي: أَهْلُ الْقُبُورِ قَدْ أُسِرُوا، وَأَكْثَرُ الْقَوْمِ فِي تِجَارَتِهِمْ قَدْ خَسِرُوا،
مُرُوا عَلَى الْقَوْمِ وَاعْتَبِرُوا، وَتَفَكَّرُوا فِي أَحْوَالِهِمْ وَانْتَظِرُوا، يَتَمَنَّوْنَ الْعُودَ
وَهِيَهَاتَ، وَيَسْأَلُونَ الْبِدَارَ وَقَدْ فَاتَ.

فَيَا مُظْلَقًا اذْكُرْ قُبُودَهُمْ، وَيَا مُتَحَرِّكًا قَدْ عَرَفْتَ هُمُودَهُمْ، خَلَصَ نَفْسَكَ
مِنْ أَسْرِ الذُّنُوبِ، وَتَاهَبْ فَإِنَّكَ مَظْلُوبٌ، وَتَذَكَّرْ بِقَلْبِكَ يَوْمَ ثَقُلَبِ الْقُلُوبِ،
قَبْلَ أَنْ يُمْسِكَ اللِّسَانُ، وَيَتَحَيَّرَ الْإِنْسَانُ وَيَزُولَ الْعِرْفَانُ، وَتُنْشَرَ الْأَكْفَانُ،
وَتَفَارِقَ الْإِخْوَانُ، وَتُنْقَلَ إِلَى الْأَمْوَاتِ، وَتُصَفَّ عَلَيْكَ اللَّبَنَاتُ.

فَيَا هَذَا، تَاهَبْ لِسُؤَالِ مِنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، فَهَنَّاكَ يَقْوَى الشَّهِيْقُ وَالزَّفِيرُ، وَيَبْقَى
الْعَبْدُ مَرَهُونًا هُنَاكَ أَسِيرًا، إِلَى أَنْ يَقُومَ غُرْبَانَا حَسِيرًا؛ فَحِينَئِذٍ تَنْتَشِرُ الْكَوَاكِبُ
وَتَنْتَشِرُ الْمَصَائِبُ، وَتَنْسُدُ الْمَذَاهِبُ، وَتَبِينُ الْعَجَائِبُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ.

قَالَ بَعْضُهُمْ وَأَفَادَ:

مَثَلُ لِقَلْبِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
قَدْ كُورَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَضْعَفَتْ حَرًّا عَلَى رَأْسِ الْعِبَادِ تَفُورُ
وَإِذَا الْجِبَالُ تَقَلَّعَتْ بِأُصُولِهَا فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ
وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَغْرُورُ
وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُورُ
وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَى الْقِيَامَةِ أُخْضِرَتْ وَتَقُولُ لِلْأَمْلَاقِ: أَيْنَ نَسِيرُ؟
فَيُقَالُ: سِيرُوا تَشْهَدُونَ فَضَائِحًا وَعَجَائِبًا قَدْ أُخْضِرَتْ وَأُمُورُ
وَإِذَا الْجَنِينُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ خَوْفَ الْحِسَابِ، وَقَلْبُهُ مَذْعُورُ
هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ كَيْفَ الْمُقِيمِ عَلَى الذُّنُوبِ دُهورُ؟

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿٧﴾ وَلَا نَسَارَ لَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿٩﴾.

فِي هَذَا مَدْحٌ لِأَهْلِ التَّهَجُّدِ وَفِي فَضْلِهِ؛ فَمِنْ فَضَائِلِهِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يُحِبُّ أَهْلَهُ، وَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، وَيَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُمْ.

وَمِنْ فَضَائِلِ التَّهَجُّدِ: مُوَاطَاةُ الْقَلْبِ لِللِّسَانِ، وَفِي اللَّيْلِ سَاعَةُ الْإِجَابَةِ،
وَنُزُولُ الرَّبِّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ: أَنْ يَكُونَ لَكَ بِاللَّيْلِ حَظٌّ مِنَ التَّهَجُّدِ لَا سِيَّمَا فِي
هَذِهِ اللَّيَالِي الْعَظِيمَةِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ
الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ
اللَّيْلِ».

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهَ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْلَمَ مَعَكَ؟ قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ، قُلْتُ: هَلْ مِنْ سَاعَةٍ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُخْرَى؟ قَالَ: نَعَمْ! جَوْفُ اللَّيْلِ الْأَوْسَطِ».

وَهَذَا التَّرْغِيبُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي اللَّيَالِي الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ أُولَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ١١٥﴾.

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُرَاعِيَ هَذَا الْفَضْلَ مُدَّةَ عُمْرِهِ، بَلْ يَنْفُلْ عَلَيْهِ هَذِهِ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَةَ الشَّرِيفَةَ، الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَطْعًا أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِيهَا كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحَةِ كَمَا قَدَّمْنَا، وَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْتَمِسُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى».

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «هِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فِي سَبْعٍ يَمْضِينَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقِينَ».

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «مَا أَنَا بِمُتَمَسِّهَا - لِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِلَّا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: الْتَمِسُوهَا فِي سَبْعٍ يَبْقِينَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقِينَ، أَوْ خَمْسٍ يَبْقِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ يَبْقِينَ، أَوْ آخِرَ لَيْلَةٍ».

وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ يُصَلِّي فِي الْعَشْرِينَ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ كَصَلَاتِهِ فِي سَائِرِ السَّنَةِ؛ فَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ اجْتَهَدَ.

وَفِي الْمُسْنَدِ وَكِتَابِ النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا: أَفِي رَمَضَانَ هِيَ، أَمْ فِي غَيْرِهِ؟ فَقَالَ لِي: بَلْ هِيَ فِي رَمَضَانَ. قُلْتُ: تَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا، فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ، أَمْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قُلْتُ:

فِي أَيِّ رَمَضَانَ هِيَ؟ قَالَ: التَّمِسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ، لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ. ثُمَّ حَدَّثَ، فَاهْتَبَلْتُ عَقْلَتَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْسَمْتُ بِحَقِّي إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي فِي أَيِّ الْعَشْرِ هِيَ؟ فَعَضِبَ عَلَيَّ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ مُنْذُ صَحِبْتُهُ، وَقَالَ: التَّمِسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ، لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْأَغْتِسَالُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْعَشْرِ. وَكَذَا يُسْتَحَبُّ التَّطَيُّبُ. وَلُبْسُ أَفْخَرِ الثِّيَابِ، وَتَطْيِيبُ الْمَسَاجِدِ فِي اللَّيَالِي الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ وَثَابِتِ الْبَنَانِيِّ وَحُمَيْدِ الطَّوِيلِ وَتَمِيمِ الدَّارِيِّ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ أَفْخَرَ الثِّيَابِ وَيَتَطَيَّبُونَ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُطَيَّبُونَ الْمَسَاجِدَ بِالنُّضُوحِ وَالِدُّخْنَةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

وَأَمَّا الْأَغْتِسَالُ فَرُويَ مِنْ حَدِيثٍ عَلَيَّ عليه السلام: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله كَانَ يَغْتَسِلُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ كُلَّ لَيْلَةٍ، حَتَّى فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ».

وَرَوَى ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: «أَنَّهُ قَامَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ؛ فَاغْتَسَلَ صلى الله عليه وآله وَبَقِيَتْ فَضْلَةٌ فَاغْتَسَلَ بِهَا حُذَيْفَةُ وَسَتَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله».

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَغْتَسِلُوا كُلَّ لَيْلَةٍ فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ.

وَكَانَ النَّخَعِيُّ: يَغْتَسِلُ فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ كُلَّ لَيْلَةٍ.

وَرُويَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ، وَلَبَسَ حُلَّةً - إِزَارًا أَوْ رِدَاءً - فَإِذَا أَصْبَحَ طَوَاهُمَا».

وَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ حُبَيْشٍ بِالْأَغْتِسَالِ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَكْمُلُ تَزْيِينُ الظَّاهِرِ إِلَّا بِتَزْيِينِ الْبَاطِنِ: بِالتَّوْبَةِ وَبِالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ، وَتَطْهِيرِهِ مِنْ أَذْنَابِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ زِينَةَ الظَّاهِرِ مَعَ خَرَابِ الْبَاطِنِ لَا تُغْنِي شَيْئًا كَمَا قِيلَ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَحَيْرُ خِصَالِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيَا
إِخْوَانِي: جَدُّوا وَاجْتَهِدُوا؛ فَمَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَبَادِرُوا
بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ الرَّحِيلِ. فَوَا أَسَفًا أَنْ تَأْتِيَ غَدًا وَأَنْتَ حَقِيرٌ ذَلِيلٌ.

فَلِلَّهِ دُرٌّ مَنْ عَمِلَ وَبَادَرَ شُهُرَهُ وَسِينَهُ، وَتَدَرَّعَ بِالْحَيَاءِ وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ
وَعَمِلَ لِيَوْمٍ فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً.

فَهَذَا عِبَادَ اللَّهِ شَهْرُكُمْ قَدْ أَخَذَ فِي النَّقْصِ وَالْإِنْصِرَامِ؛ فَخُذُوا أَنْتُمْ فِي
الْاجْتِهَادِ وَالْاهْتِمَامِ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ التَّمَامُ، وَمَنْ كَانَ قَرِطَ
فَلْيَخْتِمْهُ بِالْحُسْنَى، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ، وَاسْتَدْرِكُوا مِنْهُ بَقِيَّةَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

أَلَا وَإِنَّ شَهْرًا عَظَّمَهُ الرَّحْمَنُ وَأَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ لَحَقِيقٌ بِالْإِكْرَامِ
وَالْأَحْتِرَامِ، وَجَدِيرٌ أَنْ يُصَانَ عَنْ فِعْلِ الْقَبَائِحِ وَالْمَآثِمِ وَالْإِجْرَامِ.

رُويَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللَّهُ
إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ - يَعْنِي لِلصَّلَاةِ - وَالْقَوْمُ إِذَا صُفُّوا لِلصَّلَاةِ، وَالْقَوْمُ
إِذَا صُفُّوا لِلْقِتَالِ».

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ
دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلُكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَغْفِرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاجٌ
عَنِ الْإِثْمِ».

وَأَعْلَمُ - وَفَقَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ لِبَطَاعَتِهِ - أَنَّ مَنْ أَرَادَ قِيَامَ اللَّيْلِ خُصُوصًا فِي
هَذِهِ اللَّيَالِي الْعَظِيمَةِ الشَّرِيفَةِ، فَلَا يُكْثِرُ الْأَكْلَ وَلَا الشُّرْبَ، وَلَا يُتَعَبُ أَعْضَاءَهُ
فِي النَّهَارِ بِالْكَدِّ وَالْعَمَلِ، وَلَيْسْتَعِنَ بِالْقِيلُولَةِ، وَأَنْ يَحْرِصَ عَلَى الْإِخْلَاصِ
وِإِرَادَةِ وَجْهِ اللَّهِ، رَاجِعًا ثَوَابَهُ خَائِفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَأَنْ يَسْتَحْضِرَ عَظَمَةَ مَنْ يَقُومُ
بَيْنَ يَدَيْهِ.

فَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي الْجَدِّ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عليه السلام: «إِذَا ذَكَرْتَنِي فَادْكُرْنِي وَأَعْصَاؤُكَ تَنْتَفِضُ، وَإِذَا دَعَوْتَنِي فَاجْعَلْ لِسَانَكَ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِكَ، وَإِذَا قُمْتَ بَيْنَ يَدَيَّ فَقُمْ مَقَامَ الذَّلِيلِ الْحَقِيرِ، وَدُمْ نَفْسَكَ، فَهِيَ أَوْلَى بِالذِّمِّ وَنَاجِي حِينَ تُنَاجِيَنِي بِقَلْبٍ وَجِلٍّ وَلِسَانٍ صَادِقٍ».

وَكَانَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مَنْ لَا يَنَامُ فِي اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ الْوَعِيدِ.
كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ يَقُولُ لَهُ ابْنَتُهُ: يَا أَبَتَاهُ، النَّاسُ يَنَامُونَ وَلَا أَرَاكَ تَنَامُ؟ قَالَ: يَا بَنِيَّ إِنَّ أَبَاكَ يَخَافُ السَّيِّئَاتِ.

وَكَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كَانَتْهُ حَبَّةٌ عَلَى مِقْلَى ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ جَهَنَّمَ لَا تَدْعُنِي أَنَامُ.

وَكَانَ زَمْعَةُ الْعَابِدِ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ يَقُومُ فَيُصَلِّي طَوِيلًا، فَإِذَا كَانَ السَّحَرُ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُعْرُسُونَ، أَكُلَّ هَذَا اللَّيْلِ تَرَفُّدُونَ؟ أَلَا تَقُومُونَ فَتَرْحَلُونَ؟ فَيُسْمَعُ مَنْ هُنَا بَاكٍ، وَمَنْ هُنَا دَاعٍ، وَمَنْ هُنَا مُتَوَضِّئٌ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى.

وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ وَهُوَ يَبْكِي فَقُلْتُ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، وَلِمَ لَا أَبْكِي، وَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ وَنَامَتِ الْعُيُونُ وَخَلَا كُلُّ حَبِيبٍ بِحَبِيبِهِ، وَافْتَرَشَ أَهْلُ الْمَحَبَّةِ أَقْدَامَهُمْ، وَجَرَتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، وَقَطَرَتْ فِي مَحَارِبِهِمْ - أَشْرَفَ الْجَلِيلُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَتَادَى: يَا جِبْرِيلُ بَعْثِنِي مَنْ تَلَذَّذَ بِكَلَامِي، فَلِمَ لَا تُتَادِي فِيهِمْ: مَا هَذَا الْبُكَاءُ؟ هَلْ رَأَيْتُمْ حَبِيبًا يُعَذِّبُ أَحْبَابَهُ؟ أَمْ كَيْفَ يَجْمَلُ بِي أَنْ أُعَذِّبَ قَوْمًا إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ تَمَلَّقُوا لِي؟ فَبِي حَلَفْتُ إِذَا وَرَدُوا عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا أَكْشِفَنَّ لَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ حَتَّى يُنْظَرُوا إِلَيَّ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِمْ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ أَيْضًا: سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ: بَيْنَمَا أَنَا

سَاجِدٌ ذَهَبَ بِي النَّوْمُ. فَإِذَا أَنَا بِحَوْرَاءَ قَدْ رَكَضَتْنِي بِرِجْلَيْهَا، وَقَالَتْ: حَبِيبِي
أَتَرَقُدُ وَالْمَلِكُ يَقْظَانُ يَنْظُرُ إِلَى الْمُتَهَجِّدِينَ فِي تَهَجُّدِهِمْ؟ بُوْسًا لِعَيْنٍ أَثَرْتُ لَدَّةَ
نَوْمَةٍ عَلَى لَدَّةِ مُنَاجَاةِ الْعَزِيزِ. فَقُمُ فَقَدْ دَنَا الْفِرَاقُ وَلَقِيَ الْمُحِبُّونَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا، فَمَا هَذَا الرُّقَادُ؟ حَبِيبِي وَفَرَّةَ عَيْنِي، أَتَرَقُدُ عَيْنَاكَ وَأَنَا أُرَبِّي لَكَ فِي
الْحُدُورِ؟ فَوُثِّبْتُ فِرْعَا وَقَدْ عَرِقتُ اسْتِحْيَاءَ مَنْ تَوْبِخُهَا إِيَّايَ، وَإِنَّ حَلَاوَةَ
مَنْطِقِهَا لَفِي سَمْعِي وَقَلْبِي.

لَوْلَا قِيَامُ تِلْكَ الْأَقْدَامِ، مَنْ كَانَ يُؤَدِّي حَقَّ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟» فَمَا لَكَ
أَيُّهَا الْمَعْرُورُ مَشْغُوفًا بِالْمَنَامِ، وَلَا تَرْفَعُ إِلَى الْمَلِكِ الْمَسَائِلَ.

لِلَّهِ دُرُّ أَقْوَامٍ هَجَرُوا لَدِيدَ الْمَنَامِ، وَتَنَصَّلُوا لِمَا نَصَبُوا لَهُ الْأَقْدَامَ،
وَانْتَصَبُوا لِلنَّصَبِ فِي الظَّلَامِ، يَظْلُبُونَ نَصِيبًا مِنَ الْإِنْعَامِ، إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ
سَهَرُوا، وَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ اعْتَبَرُوا. وَإِذَا نَظَرُوا فِي عُيُوبِهِمْ اسْتَعَفَرُوا، وَإِذَا
تَفَكَّرُوا فِي ذُنُوبِهِمْ بَكَوْا وَانْكَسَرُوا.

لَوْ رَأَيْتَهُمْ فِي اللَّيْلِ بَيْنَ سَاجِدٍ وَرَاجِعٍ، وَذَلِيلٍ مَحْمُولٍ وَمُتَوَاضِعٍ،
وَمُنْكَسٍ الظَّرْفِ مِنَ الْخَوْفِ خَاشِعٍ، فَإِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ حَنَّ الْجَارِعُ ﴿تَتَجَافَى
جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

نَفْسُهُمْ بِالْمَحَبَّةِ عَلِقَتْ، وَقُلُوبُهُمْ مِنَ الْأَشْوَاقِ قَلِقَتْ، وَأَبْدَانُهُمْ لِلْخِدْمَةِ
خُلِقَتْ، يَقُومُونَ بِاللَّيْلِ إِذَا انْطَبَقَتْ أَجْفَانُ الْهَاجِعِ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ
الْمَضَاجِعِ﴾.

يُبَادِرُونَ بِالْعَمَلِ الْأَجَلَ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي سَدِّ الْحَلَلِ، وَيَعْتَزُّونَ مِنْ
مَاضِي الزَّلَلِ، وَاللَّمْعُ لَهُمْ شَافِعٌ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

أَتُعْرِضُ عَنَّا وَالْجَنَابُ فَسِيحٌ وَتَهْرُبُ مِنَّا إِنْ ذَا لَقِيبِخُ
وَيَبْدُو لَنَا مِنْ نَحْوِكَ الصَّدُّ وَالْجَفَا وَمِنْ نَحْوِنَا وَدُّ لَدَيْكَ صَحِيحُ
وَنَدْعُوكَ لِلْحُسْنَى وَنَمْنَحُكَ الرِّضَا وَأَنْتَ لِأَسْبَابِ الْبِعَادِ جَمُوحُ

وَكَمْ مَرَّةً جَاءَتْكَ مِنَّا رَسَائِلُ وَفِيهَا خِطَابٌ لَوْ سَمِعْتَ فَصِيحُ

لَوْ ذَاقَ الْغَافِلُ السَّهَرَ فِي الظَّلَامِ، أَوْ سَمِعَ الْجَاهِلُ حُسْنَ الصَّالِحِينَ عِنْدَ الْقِيَامِ، وَقَدْ نَصَبُوا الْأَقْدَامَ، وَهَمُّهُمْ تَجْرِي إِلَى الْقِيَامِ، وَتَلَذُّوْا بِأَشْرَفِ الذِّكْرِ وَأَحْلَى الْكَلَامِ، وَقَدْ جَهَّزُوا مَطَايَا الشُّوقِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَسَرَتْ قَوَافِلُهُمْ وَأَهْلُ الْعَقْلَةِ نِيَامُ، وَشَكَّوْا بِالْأَسْحَارِ إِلَى مَوْلَاهُمْ مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْعَرَامِ، وَوَجَدُوا مِنَ لَذَّةِ الْأَنْسِ مَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْأَوْهَامِ، فَإِذَا أَسْفَرَ النَّهَارُ تَلَقَّوْهُ بِالصِّيَامِ، وَصَابَرُوا الْهَوَاجِرَ بِهَجْرِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ، وَتَدَرَّعُوا دُرُوعَ التَّقَى خَوْفًا مِنَ الزَّلَلِ وَالْآثَامِ، فَبِهِمْ يُسَامِحُ الْعَصَاةَ وَيَضْفَحُ عَنِ الْإِجْرَامِ، وَإِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ طَابَ كَأْسُ الْحِمَامِ، وَإِذَا دُفِنُوا بِبُقْعَةٍ افْتَحَرَتْ بِتِلْكَ الْعِظَامِ، فَعَلَى الدُّنْيَا مِنْ بَعْدِهِمُ السَّلَامُ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ ❷ وَيَا الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ يَعْجُونَ، فَسُبْحَانَ مَنْ طَهَّرَهُمْ مِنَ الْأَذْنَسِ، وَاصْطَفَاهُمْ لِخِدْمَتِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، وَسَقَاهُمْ مِنْ شَرَابِ حُبِّهِ أَطْيَبَ كَاسٍ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ آدَهَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

قُمْ اللَّيْلُ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ	إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعُمُرُ يَنْفَدُ؟
أَرَاكَ بِطُولِ اللَّيْلِ - وَيَحْكُ - نَائِمًا	وَعَيْرُكَ فِي مُحَرَابِهِ يَتَهَجَّدُ
وَلَوْ عَلِمَ الْبَطَالُ مَا نَالَ زَاهِدُ	مِنَ الْأَجْرِ وَالْإِحْسَانِ مَا كَانَ يَرْقُدُ
فَصَامَ وَقَامَ اللَّيْلَ وَالنَّاسُ نَوْمُ	وَيَخْلُو بِرَبِّ وَاحِدٍ مُتَفَرِّدُ
بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَرَغْبَةٍ	وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ذَا الْعَرْشِ يُعْبَدُ
وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَدْوِمُ لِأَهْلِهَا	لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ حَيًّا مُخَلَّدُ
أَتَرْقُدُ يَا مَغْرُورُ وَالنَّارُ تُوقَدُ	فَلَا حَرَّهَا يُطْفَأُ وَلَا الْجَمْرُ يُخَمَدُ؟
فَيَا رَاكِبَ الْعِصْيَانِ وَيَحْكُ خَلَّهَا	فَتُحْشَرُ عَظَشَانَا وَوَجْهُكَ أَسْوَدُ
فَكَمْ بَيْنَ مَشْغُولٍ بِطَاعَةِ رَبِّهِ	وَأَخْرُ بِالذَّنْبِ الثَّقِيلِ مُقَيَّدُ
فَهَذَا سَعِيدٌ فِي الْجَنَانِ مُنْعَمٌ	وَهَذَا شَقِيٌّ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدُ

كَأَنِّي بِنَفْسِي فِي الْقِيَامَةِ وَقِفْتُ وَقَدْ فَاضَ دَمْعِي وَالْمَفَاصِلُ تَرَعَدُ
 وَقَدْ نُصِبَ الْمِيزَانُ لِلْفَضْلِ وَالْقَضَا وَقَدْ قَامَ خَيْرُ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدُ
 يَا مَنْ يَرْجُو مَقَامَ الصَّالِحِينَ، وَهُوَ مُقِيمٌ مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيُؤْمَلُ مَنَازِلَ
 الْمُقَرَّبِينَ، وَهُوَ يَنْزِلُ مَعَ الْمُذْنِبِينَ، دَعِ هَذَا وَارْفَعْ يَدَيْكَ مَعَ التَّائِبِينَ. الصَّدَقُ
 الصَّدَقُ، فِيهِ تَسْلَمُ. الْجِدُّ الْجِدُّ، فِيهِ تَنَعَّمُ. الْبِدَارُ الْبِدَارُ فِيمَا بَقِيَ قَبْلَ أَنْ
 تَنْدَمَ؛ هَذَا هُوَ الدَّوَاءُ إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

إِلَهِي، وَصَلَ الْعَارِفُونَ بِالْمَعْرِفَةِ إِلَيْكَ، وَقَامَ الْمُتَهَجِّدُونَ لِلْخِدْمَةِ بَيْنَ
 يَدَيْكَ.

إِلَهِي، وَقَفَ السَّائِلُونَ بِبَابِكَ، وَلَاذَ الْمُحْتَاجُونَ بِجَنَابِكَ، وَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُ
 الْمُحِبِّينَ فِي طِلَابِكَ، وَقَارَ الْقَائِمُونَ بِلَذِيذِ خِطَابِكَ، وَرَبِحَ الْعَامِلُونَ فِي ثَوَابِكَ
 فَأَنْتَ الَّذِي خَضَعَ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ هَيْبَةِ جَلَالِكَ، وَخَشَعَ الْمُتَجَبَّرُونَ لِسَطْوَةِ
 جَمَالِكَ.

إِلَهِي، نَدِمَ الْمَفْرُطُونَ عَلَى تَقْصِيرِهِمْ فِي خِدْمَتِكَ، وَخَجَلَ الْعَاصُونَ حَيَاءً
 مِنْ مُرَاقَبَتِكَ، وَأَطْرَقَ الْمُذْنِبُونَ مِنْ جَلَالِ هَيْبَتِكَ.

إِلَهِي، أَفْضَ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ جُودِكَ الْعَمِيمِ، وَنَعْمْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ
 الْكَرِيمِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ، رءُوفٌ رَحِيمٌ، وَاعْفِرْ
 لَنَا أَجْمَعِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْبَابُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي فَضْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْعَظِيمَةِ وَالْحَثِّ عَلَى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ فِيهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَ أَحِبَّتِهِ مِنْ سِرِّ مَحَبَّتِهِ سُورًا، وَكَسَا وَجُوهَهُمْ
 حِينَ اسْتَغْلَوْا بِخِدْمَتِهِ بِهَجَّةٍ وَنُورًا، وَتَوَجَّهَهُمُ بِنَيْجَانِ الْبَهَاءِ وَكَتَبَ لَهُمْ بِالْوَلَاءِ
 مَنُشُورًا، وَهَدَاهُمْ إِلَى طَرِيقِ مَعْرِفَتِهِ، فَدَامُوا عَلَى خِدْمَتِهِ، وَمَا غَيَّرُوا تَغْيِيرًا.

أَطْلَعَ عَلَى سَرَائِرِهِمْ، وَتَجَلَّى عَلَى ضَمَائِرِهِمْ، فَصَفَّى خُلَاصَةَ جَوَاهِرِهِمْ،
وَزَادَهُمْ هُدًى وَتَبْصِيرًا. وَرَوَّقَ لَهُمُ الشَّرَابَ، وَرَفَعَ لَهُمُ الْحِجَابَ. وَقَالَ:
مَرَحَبًا بِالْأَخْبَابِ، لَا تَخْشَوْا الْيَوْمَ حُزْنَ وَلَا تَكْذِيرًا.

فَمِنْهُمْ مَنْ تَرَنَّحَ وَطَرِبَ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَاحَ بِالسِّرِّ إِذَا غَلِبَ. وَمِنْهُمْ مَنْ
نُذِبَ إِلَى الْحَضْرَةِ وَطَلِبَ. فَنَاهِيكَ مِنْ سَاقِ سَقَاهُمْ وَأَذَارَ سُورُوا ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ
يَشْرُونَ مِنْ كَافٍ كَانَ مِرَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾.

فَهُمْ قَائِمُونَ فِي خِدْمَتِهِ، مُتَلَذِّذُونَ فِي حَضْرَتِهِ، مُتَقَلِّبُونَ فِي نِعْمَتِهِ، قَدْ
أَغَاثَ مِنْهُمْ مَلُوفًا وَجَبَرَ كَسِيرًا ﴿يُوفُونَ بِالَّذِينَ نَفَاوْنَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

أَخْلَاقُهُمُ الْقُنُوعُ، وَشِعَارُهُمُ الْخُشُوعُ، وَأَفْعَالُهُمُ السُّجُودُ وَالرُّكُوعُ،
وَيَطُوبُونَ الضُّلُوعَ عَلَى الْجُوعِ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ سَائِلًا وَفَقِيرًا ﴿وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

قَدْ غَضُّوا الْأَبْصَارَ، وَأَخْرَسُوا الْأَفْوَاهَ، وَعَفَّرُوا الْوُجُوهَ وَالْحِجَابَ، وَقَالُوا
لِفَقَرَائِهِمْ قَوْلًا مَيْسُورًا: ﴿إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزْلَةً وَلَا شُكُورًا ﴿١١﴾﴾.

قَدْ شَرِبُوا مِنْ شَرَابِ حُبِّهِ كُثُوسًا، وَاسْتَجَلُّوا مِنْ أَنْوَارِ مُشَاهَدَتِهِ شُمُوسًا،
وَبَرَزَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِزِينَتِهَا عُرُوسًا، فَقَالُوا: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

ذَلِكَ يَوْمٌ يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ، يُحِيرُ مِنْ هَوْلِهِ كُلَّ قَوْمٍ، وَيَطِيرُ مِنْ شِدَّتِهِ مَنْ
الْعُيُونِ النَّوْمُ ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

قَدْ كَابَدُوا قِيَامَ اللَّيْلِ وَصِيَامَ النَّهَارِ، فَقَارُوا بِجَوَارِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ،
وَتَغَشَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْأَنْوَارِ؛ فِي جَنَاطٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ؛ تَخْدُمُهُمُ
الْمَلَائِكَةُ فِيهَا مَسَاءً وَبُكُورًا ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مِنْ نُورٍ﴾.

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَلْحَقُهُمْ حَسْرَةٌ وَلَا نَدَامَةٌ.
يَسْتَبْشِرُونَ بَعْدَ طُولِ سَفَرِهِمْ بِالسَّلَامَةِ. وَيَسْكُنُونَ عُرْفًا وَقُصُورًا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ

فِي الْجَنَّةِ تَهْنِئَةً لَهُمْ وَتَبَشِيرًا: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ ٣١. فُسُبْحَانَ مَنْ أَقَامَهُمْ فِي الْخَلَوَاتِ، وَلَذَذَهُمْ بِالْمُنَاجَاةِ. إِذْ قَامُوا فِي الدُّجَى يَتَضَرَّعُونَ، وَبِالْبُكَاءِ وَالِدُّعَاءِ يَعْجُونَ، فَأَحْضَرَهُمُ اللَّهُ فِي حَضْرَةِ قُدْسِهِ، وَتَوَلَّاهُمْ بِنَفْسِهِ، وَسَقَاهُمْ بِكَأْسِ أَنْسِهِ شَرَابًا طَهُورًا، وَنَادَاهُمْ: يَا عِبَادِي وَأَحِبَّائِي، طَالَمَا وَقَفْتُمْ بِيَابِي، وَلَذَنْتُمْ بِجَنَابِي، وَكَانَ كُلُّ مِنْكُمْ عَلَى مُصَابِي صُبُورًا، لَا بُؤْسَ لَكُمْ دَارَ النَّعِيمِ، وَلَا مُتَعَتَّكُمْ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْكَرِيمِ، وَلَا جَعَلَنَّا جَزَاءَكُمْ جَزَاءً مُؤَفُورًا.

أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ الْإِنْعَامِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا أَنْ يَجْعَلَ ذَنْبِي مَغْفُورًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْأَنَامِ. دَاعِيًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ. صَاحِبُ اللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ. نَبِيٌّ جَعَلَهُ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، وَأَعَادَ بِهِ ظِلَامَ الشُّرْكِ مَقْهُورًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَمُبَرِّمِ كَلَامِهِ الْبَلِيعِ الْوَجِيزِ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ بِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ دُعَاءَ دَاعٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ عَنْهُ شَيْءٌ. بَلْ هُوَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ قَرِيبُ الْإِجَابَةِ. فَفِيهِ التَّرْغِيبُ فِي الدُّعَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَضِيعُ لَدَيْهِ تَعَالَى.

فَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَتْخِي أَنْ يَنْسُطَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ يَسْأَلُهُ فِيهِمَا خَيْرًا فَيُرُدَّهُمَا خَائِبَتَيْنِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ «أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَبَ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ إِذَا دَعَوْهُمْ أَنِ يَدْعُونِي فَدَعُونِي اسْتَجَبْتُ لَهُمْ».

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ: «أَرْبَعُ خِصَالٍ: وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لِي، وَوَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَوَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِي. فَأَمَّا الَّتِي لِي: لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ عَلَيَّ: فَمَا عَمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ جَزَيْتُكَ بِهِ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ: فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَيَّ الإِجَابَةُ؛ وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلْقِي، فَارْضَ لَهُمْ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ».

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنِ يَدْعُوهُ وَيَتَّقُوهُ وَيُطِيعُوهُ. وَقَدْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ، وَحَثَّ عَلَى دُعَائِهِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ، فَهُوَ أَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. لَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا يَتَّبَرُّمُ بِالْحَاجِ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَلَا تُغِيضُ يَمِينُهُ كَثْرَةُ التَّفَقَّاتِ.

وَلِهَذَا يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَيَفْرَحُ بِتَوْبَةِ التَّائِبِ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ أَشَدَّ مِنْ فَرَحِ الْفَاقِدِ لِزَوَاجِلَتِهِ الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، وَقَدْ ضَلَّتْ عَنْهُ فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ، إِذَا أَيْسَ مِنْهَا ثُمَّ وَجَدَهَا.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ ﷻ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي؛ وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكَسُونِي أَكْسِكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ لَكُمْ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا

ضُرِّي فَتَضَرُّوْنِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنِّي عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِالِدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ بِالْإِجَابَةِ، وَقَدْ يَدْعُو الْإِنْسَانُ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُ، وَيُذْمَنُ بِالْإِلْحَاحِ وَلَا تُقْضَى حَاجَتُهُ. وَهَذَا إِنَّمَا أَتَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَمِنْ الْحُجُبِ الْمَانِعَةِ مِنْ قَبُولِ الدُّعَاءِ، وَذَلِكَ لِأُمُورٍ:

مِنْهَا: أَكُلُّ الْحَرَامِ وَلِبَاسُهُ، فَإِنَّ هَذَا يَمْنَعُ قَبُولَ الدُّعَاءِ كَمَا فِي حَدِيثِ صَاحِبِ السَّفَرِ: «رُبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ؛ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ؛ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ؛ وَغُذِّي بِالْحَرَامِ؛ فَأَنْتَى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

وَقَالَ ﷺ لِسَعْدِ حِينَ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ؛ فَقَالَ: يَا سَعْدُ؛ أَطْبَبَ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللَّقْمَةَ مِنَ الْحَرَامِ فِي جَوْفِهِ مَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا؛ وَإِنَّمَا عَبْدٌ نَبَتْ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتِ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ».

وَمِنْهَا غَفْلَةُ الْقَلْبِ. أَنْ يَدْعُو اللَّهَ وَقَلْبُهُ غَافِلٌ. فَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اذْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

وَمِنْهَا: أَنْ يَدْعُو بِإِثْمٍ وَقَطِيعَةٍ رَحِمَ.

وَمِنْهَا: أَنْ يَسْتَعْجَلَ الْإِجَابَةَ وَيَتَحَسَّرَ. يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ فَلَمْ أَرَهُ
يُسْتَجَابُ لِي. وَقَدْ يَخْتَارُ اللَّهُ لَهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَدِلَّةُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.
وَلِلدُّعَاءِ آدَابٌ. وَلِلْإِجَابَةِ أَسْبَابٌ.

فَمِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ: أَنْ يَرُضِدَ بِهِ الْأَوْقَاتَ الْفَضِيلَةَ كَهَذِهِ اللَّيْلَةِ. وَكَوَقْتِ
السَّحْرِ، وَآخِرِ سَاعَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

وَمِنْهَا: أَنْ يُثْنِيَ عَلَى اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ. وَيُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ فِي آخِرِهِ.
وَمِنْهَا: الْإِكْسِيرُ الْأَعْظَمُ، وَهُوَ أَكْلُ الْحَلَالِ. وَحُضُورُ الْقَلْبِ وَأَنْ
يَدْعُو اللَّهَ وَهُوَ صَائِمٌ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْفِطْرِ.

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ فِي السُّجُودِ. فَإِنَّ الْعَبْدَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ
سَاجِدٌ.

وَمِنْهَا: إِظْهَارُ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالْمَسْكَنَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ
الْأَعْلَى، وَيَدْعُوهُ رَاجِعًا قَبُولَ دُعَائِهِ، خَائِفًا مِنْ شَوْمِ ذَنْبِهِ، قَدْ انْطَرَحَ لِبَابِ
مَوْلَاهُ وَعَفَّرَ خَدَّهُ بِعَتَبَةِ بَابِهِ، وَانْكَسَرَ قَلْبُهُ وَافْتَقَرَ لِرَبِّهِ، جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ
أَسْمَاؤُهُ، فَمَا أَقْرَبَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ، وَمَا أَسْرَعَ الْعِظْفِ مِنَ السَّيِّدِ عَلَى عَبْدِهِ
إِذَا رَأَاهُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، وَمَا أَقْرَبَ الْجَبْرِ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ الْمَكْسُورِ. وَأَحَبُّ
الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَلْبٌ قَدْ انْكَسَرَ لِأَجْلِهِ، فَهُوَ نَاكِسُ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيِ
رَبِّهِ، لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَيَاءً وَخَجَلًا مِنَ اللَّهِ.

قِيلَ لِبَعْضِ الْعَارِفِينَ: أَيْسَجُدُ الْقَلْبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَسْجُدُ سَجْدَةً لَا يَرْفَعُ
رَأْسَهُ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ اللَّقَاءِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ وَثَّقَتْ بِعَفْوِهِ هَفَوَاتُ الْمُذْنِبِينَ فَوَسَّعَهَا، وَعَكَفَتْ بِكَرَمِهِ آمَالُ
الْمُحْسِنِينَ، فَمَا قَطَعَ طَمَعَهَا. وَخَرَقَتْ السَّبْعَ الطَّبَاقَ دَعَوَاتُ التَّائِبِينَ وَالسَّائِلِينَ
فَسَمِعَهَا، يَجُودُ عَلَى عَبْدِهِ بِالنَّوَالِ قَبْلَ السَّوَالِ وَيُعْطِي سَائِلَهُ وَمُؤْمَلَهُ فَوْقَ مَا
تَعَلَّقَتْ بِهِ مِنْهُمْ الْأَمَالُ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَلَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُهُ عَدَدَ الْأَمْوَاجِ
وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ وَالرَّمَالِ. بَابُهُ الْكَرِيمُ مَنَاحُ الْأَمَالِ وَمَحَطُّ الْأَوْزَارِ، وَسَمَاءُ

عَطَايَاهُ لَا تَقْلُعُ عَنِ الْغَيْثِ بَلْ هِيَ مِدْرَارٌ، وَيَمِيشُهُ مَلَأَى لَا تُغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

وَفِي الْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ
شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أَقْطَعُهُمْ مِنْ
رَحْمَتِي: إِنْ تَابُوا إِلَيَّ فَأَنَا حَبِيبُهُمْ، فَإِنِّي أَحِبُّ التَّوَابِينَ، وَأَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ،
وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَأَنَا طَبِيبُهُمْ، أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ لِأُطَهِّرَهُمْ مِنَ الْمَعَائِبِ».

فَتَبَارَكَ مَنْ لَا يُلْقَى وَصَايَاهُ إِلَّا الصَّابِرُونَ؛ وَلَا يَفُوزُ بِعَطَايَاهُ إِلَّا
الشَّاكِرُونَ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَيْهِ إِلَّا الْهَالِكُونَ، وَلَا يَشْقَى بِعَذَابِهِ إِلَّا الْمُتَمَرِّدُونَ.

فَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْمُتَمَرِّدُ أَنْ يَأْخُذَكَ عَلَى غِرَّةٍ، فَإِنَّهُ غَيُورٌ، وَبُشْرَاكَ أَيُّهَا النَّائِبُ
بِمَغْفِرَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، فَإِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ.

بِبَابِكَ رَبِّي قَدْ أَنْحَتُ رَكَائِبِي
فَإِنْ جُدْتَ بِالْفَضْلِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَإِنْ أَبْعَدْتَنِي عَنْ حِمَاكَ خَطِئْتَنِي
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي وَإِنْ شَفَّهُ الضَّنَا
فَزِعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيَّمِينَ ضَارِعًا
فَلَمْ أَخْشَ حُجَّابًا وَلَمْ أَخْشَ مَنَعَةً
كَرِيمًا يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
يَقُولُ لَهُ لَبَّيْكَ عَبْدِي دَاعِيَا
فَمَا ضَاقَ عَفْوِي عَنْ جَرِيمَةِ خَاطِي
إِذَا مِتُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْكَ وَحَسْرَةٍ

وَمَا لِي، مَنْ أَرْجُوهُ يَا خَيْرَ وَاهِبٍ؟
فَيَا نَجَحَ آمَالِي وَنَيْلَ رَغَائِبِي
فَيَا خَيْبَةَ الْمَسْعَى وَضِيعَةَ جَانِبِي
يَمِيلُ إِلَى مَوْلَى سِوَاكَ وَصَاحِبِ
مُذَلًّا، أُنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَائِبِ
نَهَارًا وَلَيْلًا فِي الدُّجَى وَالْغِيَاهِبِ
وَإِنْ كُنْتُ خَطَاءً كَثِيرَ الْمَعَائِبِ
وَمَا أَحَدٌ يَرْجُو نَوَالِي بِخَائِبِ
عَلَيْكَ، فَمَا بُلُغْتُ فِيكَ مَا رَبِّي

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾.

يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي يُفْصَلُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ مِنْ أَمْرِ السَّنَةِ، فَيَكْتُبُ مَا يَكُونُ فِيهَا: مِنْ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ، وَرِزْقٍ وَقَحْطٍ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ، عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ.

وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى».

إِخْوَانِي، أَيَّنَ الْحَبِيبُ وَالْخَلِيلُ؟ وَدَعَا، أَيَّنَ الرَّفِيقُ؟ رَحَلَ عَنْكُمْ وَدَعَا، أَأَبْقَى الْمَوْتُ لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ مَظْمَعًا؟ أَخَذَ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ مَعًا، صَاحَ بِالْوَالِدِ وَالْوَلَدِ فَاسْرِعَا. جُزْ عَلَى الْقَوْمِ تَرِ الْقَوْمَ حُشْعًا.

أَيَّنَ مَنْ فَسَحَ لِنَفْسِهِ فِي الزَّلَلِ؟ أَيَّنَ مَنْ خَانَهَا بِقَبِيحِ الْعَمَلِ؟ بَيْنَمَا هُوَ يَغْمُرُ رَبَاعَهَا، وَقَدْ اشْتَرَاهَا وَمَا بَاعَهَا، يَخْفِرُ فِيهَا الْأَنْهَارَ، وَيَغْرِسُ فِيهَا الْأَشْجَارَ، وَالْمَمَالِيكَ تَدُورُ حَوْلَ الدَّارِ، وَالتُّخُوتُ تُمَلَأُ وَالصَّنَادِيقُ، وَرُكُنُ الْعِزِّ فِي الدُّنْيَا وَثِيقٌ، وَالْمَالُ يُجْمَعُ فَوْقَ الْمَالِ، وَالْخَيْلُ تُرْفَلُ فِي الْجِلَالِ، وَالْمَرَائِبُ فِي الْحَلِيَةِ تُصَاغُ، وَقَدْ ضُمَّتِ الصَّحَّةُ إِلَى الْفِرَاقِ، ثُمَّ سَاعَدَ سَاعِدُ الشَّبَابِ، كَفَّ الْهَوَى عَلَى الْأَسْتِلَابِ.

صَاحَتْ بَيْنَ الْبَيْنِ، أَغْرَبَهُ الْبَيْنِ، فَمَزَقَتْ الْعَيْنَ، وَأَسْخَنَتْ الْعَيْنَ. تَالَلَهُ لَقَدْ اسْتُلِبَ صَاحِبُ الْقَصْرِ، بِكَفِّ الْأَسْرِ، فَصَارَ بِالْقَهْرِ، أُحْدُوَّةَ الدَّهْرِ، وَلَقَدْ كَانَ فِي غَايَةِ الْمُنَى فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ.

فَوَاعَجَبًا لِحَنَّةٍ صَارَتْ كَالصَّرِيمِ بَعْدَ الزَّهْرِ.

يَا مَشْغُولًا بِمَا لَدَيْهِ، عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ.

يَا غَافِلًا عَنِ الْمَوْتِ وَقَدْ دَنَا إِلَيْهِ، يَا سَاعِيًا إِلَى مَا يَضُرُّهُ بِقَدَمَيْهِ، كَمْ عَايَنَ مَيِّتًا وَاعْتَبَرَ بِعَيْنَيْهِ، أَيَنْفَعُهُ يَوْمَ الرَّحِيلِ دَمْعٌ عَلَا عَلَى خَدَيْهِ؟

إِخْوَانِي، اجْتَهِدُوا هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي مَحْوِ ذُنُوبِكُمْ، وَاسْتَغِيثُوا إِلَى مَوْلَاكُمْ

مِنْ غُيُوبِكُمْ. هَذِهِ لِيَالِي الْإِنَابَةِ. فِيهَا تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْإِجَابَةِ. أَيْنَ اللَّائِذُ بِالْجَنَابِ؟ أَيْنَ الْمُعْتَزِّضُ بِالْبَابِ؟ أَيْنَ الْبَاكِي عَلَى مَا جَنَى؟ أَيْنَ الْمُسْتَعِدُّ لِأَمْرِ قَدْ دَنَا؟

أَلَا رَبُّ فَرِحَ بِمَا يُؤْتِي، قَدْ خَرَجَ اسْمُهُ فِي الْمَوْتَى. أَلَا رَبُّ غَافِلٌ عَنْ تَدَبُّرِ أَمْرِهِ، قَدْ انْقَضَتْ عُرَى عُمْرِهِ.

أَلَا رَبُّ مُعْرِضٌ عَنْ سَبِيلِ رُشْدِهِ، قَدْ آنَ أَوَانُ شَقِّ لَحْدِهِ. أَلَا رَبُّ رَافِلٌ فِي نَوْبِ شَبَابِهِ، قَدْ أَرَفَ فِرَاقُهُ لِأَحْبَابِهِ. أَلَا رَبُّ مُقِيمٌ عَلَى جَهْلِهِ، قَدْ قَرُبَ رَحِيلُهُ عَنْ أَهْلِهِ.

أَلَا رَبُّ مَشْغُولٌ بِجَمْعِ مَالِهِ، قَدْ حَانَتْ حَبِيبَةُ أَمَالِهِ. أَلَا رَبُّ سَاعٍ فِي جَمْعِ حُطَايِهِ، قَدْ دَنَا تَشَتُّ عِظَامِهِ. أَلَا رَبُّ مُجِدِّ فِي تَحْصِيلِ لَدَّاتِهِ، قَدْ آنَ خَرَابُ ذَاتِهِ.

أَيْنَ مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ الْأَيَّامِ فِي مَنَازِلِهِ، مَشْغُولًا بِشَهَوَاتِهِ، مَغْرُورًا بِعَاجِلِهِ؟ أَمَا أَصَابَ مَقَاتِلُهُ سَهْمُ مَقَاتِلِهِ، أَمَا ظَهَرَتْ خَسَارَتُهُ عِنْدَ حِسَابِ مُعَامِلِهِ؟

أَيْنَ الْمُعْتَزِّدُ مِمَّا جَنَاهُ، فَقَدْ اِطَّلَعَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ؟ أَيْنَ الْبَاكِي عَلَى تَقْصِيرِهِ قَبْلَ تَحْسُرِهِ فِي مَصِيرِهِ؟

إِخْوَانِي، هَذِهِ لَيْلَةُ أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَالْخَيْرُ فِيهَا جَزِيلٌ عَمِيمٌ، وَكَفَى وَصْفُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾.

فِيهَا تُقَسَّمُ الْأَجَالُ وَالْأَعْمَارُ، فِيهَا يُكْتَبُ الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ. كَمْ جَامِعٍ دِينَارًا إِلَى دِينَارٍ، وَأَكْفَانُهُ عِنْدَ الْقُصَّارِ، وَهُوَ يَعْمُرُ الدَّارَ عِمَارَةً مُقِيمٍ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝﴾.

كَمْ مُؤَمِّلٍ أَمَلًا خَابَ، كَمْ مَنْقُولٍ عَلَى دَمٍّ وَعَابٍ. يَا هَذَا، مَضَى زَمَانُ

الشَّبَابِ، يَا مَنْ كَبَرَ عَلَى الزَّلَالِ وَشَابَ؛ قَدْ اسْتَشَنَّ الْأَدِيمُ ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ❶ .

يَا سَمِئَ السَّرِّ وَالْعَلَنِ؛ يَا جَارِيًا عَلَى أَقْبَحِ سَنَنِ؛ يَا نَاسِيًا لِحَاقٍ مَنِ ظَنَنْ؛
يَا سَلِيمًا فِي الْجِسْمِ وَالْبَدَنِ، لَكِنَّهُ سَلِيمٌ ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ❶ .

إِخْوَانِي، إِلَى كَمْ مَعَ الْبَلَايَا، إِلَى مَتَى تَأْمُنُونَ الرِّزَايَا؟ أَيْنَ الْأَسْتِعْدَادُ لِلْمَنَايَا؟
اعْتَذِرُوا اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَطَايَا، فَالْمَوْلَى كَرِيمٌ ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ❶ .

أَقْبِلُوا بِالْقُلُوبِ اللَّيْلَةَ إِلَيْهِ، وَقِفُوا بِالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ لَدَيْهِ، وَتَعَلَّقُوا
بِجُودِهِ تَعْوِيلًا عَلَيْهِ، وَانْكَسِرُوا بِالذُّلِّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنَّهُ رَحِيمٌ ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ❶ .

مُذُّو أُنَامِلِ الرَّجَاءِ إِلَى بَابِهِ، وَاتَّبِعُوا الْبُكَاءَ طَرِيقَ أَحْبَابِهِ، وَتَعَرَّضُوا
لِلَّيْلَةِ لِجَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَاحْذَرُوا مِنْ سَطَوْتِهِ وَعِقَابِهِ، فَعِقَابُهُ أَلِيمٌ ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ❶ .

بَيْنَ أَيْدِيكُمْ يَوْمٌ لَا كَأَلْيَامٍ، يَنْتَبِهُ فِيهِ كُلُّ مَنْ غَفَلَ وَنَامَ، وَتَزْفِرُ جَهَنَّمُ
عَلَى أَهْلِ الْأَنَامِ، فَيَجْثُو الْخَلِيلُ وَالْكَلِيمُ ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ❶ .

قُومُوا بِنَا إِلَى مَظْلُومِنَا، قِفُوا بِنَا عَلَى بَابِ مَحْبُوبِنَا، هَلُمُّوا نَسْتَعِثْ مِنْ
ذُنُوبِنَا، لَعَلَّهُ يَهْبُثَ عَلَى قُلُوبِنَا مِنَ الْعَفْوِ نَسِيمٌ ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ❶ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَبَنَاهُ، وَاللِّسَانَ وَأَجْرَاهُ، يَا مَنْ لَا يُحَيِّبُ مَنْ
دَعَاهُ، هَبْ لِكُلِّ مَنَّا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَا رَجَاهُ، وَبَلِّغْهُ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ مَنَاهُ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ،
الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ، الْأَحَبِّ إِلَيْكَ، الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أُجِبْتَ، وَإِذَا اسْتُرْجِمْتَ بِهِ
رَحِمْتَ، وَإِذَا اسْتُفْرِجْتَ بِهِ فُرِّجَتْ، أَنْ تَجْعَلَنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ الْمَقْبُولِينَ.
وَالِإِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِكَ سَابِقِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَجْمَعِينَ، وَفَرِّجْ كُرْبَ

الْمَكْرُوبِينَ، وَأَفْضِ الدِّينَ عَنِ الْمَدِينِينَ، وَاجْبُرْ كَسَرَ الْمُنْكَسِرِينَ، وَتَطَوَّلْ
بِفَضْلِكَ عَلَى الْمُقْصَرِينَ، وَأَوْسِعْ رَحْمَتَكَ عَلَى كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ اشْفِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَرْضَانَا، وَارْحَمْ بِفَضْلِكَ مَوْتَانَا، وَأَصْلِحْ
أُمُورَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا؛ وَاغْفِرْ لِمَنْ دَلَّنَا إِلَى طَرِيقِ الْهِدَايَةِ؛ وَأَنْقِذْنَا مِنَ الْغَوَايَةِ؛
وَجَازِهِ عَنَّا خَيْرًا يَا كَرِيمُ؛ وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الْفَضْلُ السَّابِعُ

وَفِيهِ فَضْلٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْكَمَ الْأُمُورَ وَقَدَّرَهَا؛ وَقَدَّرَ الْأَشْيَاءَ وَدَبَّرَهَا؛ وَدَبَّرَ
الْمَوْجُودَاتِ وَصَوَّرَهَا؛ وَصَوَّرَ الْخَلِيقَةَ وَأَظْهَرَهَا؛ وَأَظْهَرَ الْأَسْرَارَ وَطَهَّرَهَا؛
وَطَهَّرَ الْقُلُوبَ وَنَوَّرَهَا؛ وَنَوَّرَ الْكَوَاكِبَ وَسَيَّرَهَا؛ وَسَيَّرَ الْأَفْلاكَ وَسَخَّرَهَا؛
وَسَخَّرَ الرِّيَّاحَ وَنَشَرَهَا؛ وَنَشَرَ السُّحُبَ وَأَمْطَرَهَا؛ وَشَرَّفَ شَهْرَ رَمَضَانَ عَلَى
جَمِيعِ الشُّهُورِ، وَخَصَّ لَيْلِيَهُ بِالْفَضْلِ الْمَشْهُورِ، وَبِتَوْفِيرِ الْأُجُورِ شَهْرَهَا،
خَصَّهَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَفَضَّلَهَا وَعَظَّمَ قَدْرَهَا.

فُسَبِّحَانَ مَنْ أَطْلَعَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى الذُّنُوبِ فَعَفَرَهَا؛ وَعَلَى
الْغُيُوبِ فَسَتَرَهَا.

أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي نَشَرَهَا وَأَعَزَّرَهَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ شَهَادَةً نَافِعَةً لِمَنْ عِنْدَهُ
ادَّخَرَهَا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ الَّذِي آيَدَ اللَّهُ بِهِ الشَّرِيعَةَ
وَنَصَّرَهَا، وَهَدَى بِهِ الْأُمَّةَ إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ وَبَصَّرَهَا. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ الَّتِي بَرَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الرَّجْسِ وَظَهَّرَهَا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ۞ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ» .

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: بَيْتُ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَفِي تَسْمِيَّتِهَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ خَمْسَةٌ وَجُوهٌ .

أَحَدُهَا: أَنَّ الْقَدَرَ هُوَ الْعِظَمَةُ، وَهِيَ لَيْلَةٌ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ .

الثَّانِي: أَنَّهُ الضِّيقُ، فَهِيَ لَيْلَةٌ تَضِيقُ فِيهَا الْأَرْضُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ .

الثَّالِثُ: أَنَّ الْقَدَرَ هُوَ الْحُكْمُ، فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ تُقَدَّرُ فِيهَا .

الرَّابِعُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَدَرٌ، يَصِيرُ بِمُرَاعَاتِهَا ذَا قَدَرٍ .

الخَامِسُ: أَنَّهُ نَزَلَ فِيهَا كِتَابُ ذُو قَدَرٍ، وَمَلَائِكَةُ ذُو قَدَرٍ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ .

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَمَلَ السَّلَاحَ أَلْفَ شَهْرٍ عَلَى عَاتِقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَعَجِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِذَلِكَ، وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي أُمَّتِهِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَقَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، الَّتِي حَمَلَ الْإِسْرَائِيلِيُّ فِيهَا السَّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قِيَامُهَا وَالْعَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ .

وَقِيلَ قَوْلُ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ فِيَمَا مَضَى لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ:

عَابِدُ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى أَلْفَ شَهْرٍ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ كَانُوا يَعْبُدُونَ فِيهَا.

وَقِيلَ قَوْلُ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَرَى أَعْمَارَ مَنْ مَضَى قَبْلُ، فَرَأَى أَعْمَارَ أُمَّتِهِ أَقْصَرَ أَعْمَارِ الْأُمَمِ قَبْلُ، فَقَالَ: «لَوْ طَالَتْ أَعْمَارُ أُمَّتِي لَعَمِلُوا مِثْلَ مَا عَمِلُوا، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» الَّتِي كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا مَنْ كَانَ قَبْلَ أُمَّتِهِ.

وَقِيلَ: إِنَّ الْأَلْفَ شَهْرٍ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «الْمَلَكُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنَ الْحَصَى».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالرُّوحُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ.

أَحَدُهَا: أَنَّهُ جِبْرِيلُ. قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٨١) وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ نَزَلَ جِبْرِيلُ فِي كَبْكَبَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يُصَلُّونَ وَيُسَلِّمُونَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ قَائِمٍ أَوْ قَاعِدٍ يَذْكُرُ اللَّهَ تعالى».

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الرُّوحَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَرَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَنْزِلُونَ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ مَلَكٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا ذِينَ بَيْنَهُمْ مِنْ كُلِّ أَمَةٍ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: تَنْزِيلُ بِكُلِّ أَمْرِ قَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ السَّنَةَ إِلَى قَابِلٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٥) أَيُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ. وَفِي مَعْنَى السَّلَامِ قَوْلَانِ.

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَا يَحْدُثُ فِيهَا دَاءٌ، وَلَا يُرْسَلُ فِيهَا شَيْطَانٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَعْنَى السَّلَامِ: الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ.

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ، وَأَنَّهَا بَاقِيَةٌ لَمْ تَرْفَعْ عَلَى الصَّحِيحِ، وَأَنَّهَا فِي رَمَضَانَ، وَأَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْهُ، وَلَكِنْ اخْتَلَفَ فِي تَعْيِينِهَا، فَتَذَكَّرْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ مَا تيسَّرَ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا بَعْضَ الْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ.

فَدَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا لَيْلَةٌ إِحْدَى وَعِشْرِينَ. وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ قَالَ: أَرَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ الْقَدْرِ، ثُمَّ أَنْسِيَهَا. وَقَالَ: أُرَانِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَوَالَّذِي أَكْرَمَهُ، لَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي بِنَا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَإِنْ جَبَّهَتْهُ وَأَرَبَتْهُ أَنْفَهُ لَفِي الْمَاءِ وَالطِّينِ.

وَدَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا لَيْلَةٌ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَفِيهَا قَوْلٌ لِلشَّافِعِيِّ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «إِنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ وَعَلَى جَبَّهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ» وَقَدْ تَقَدَّمَ أُدْلَةٌ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ.

وَدَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ.

كَانَ حُمَيْدٌ وَأَيُّوبُ وَثَابِتٌ يَغْتَسِلُونَ فِي لَيْلَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، وَيَقُولُ أَيُّوبُ: «لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ».

وَدَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا لَيْلَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْتَمِسُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى».

وَدَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، قُلْتُ: وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَهُوَ

مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ. وَيَذُلُّ عَلَيْهِ: مَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّهُ كَانَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَسْتَنِي، وَكَذَا زُرُّ بْنُ حُبَيْشٍ وَعَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا وَهِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ».

وَرَوَى عَنْ قَتَادَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّهْمِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زُرًّا عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَقَالَ: «كَانَ عُمَرُ وَحَدِيثُهُ وَأَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَشْكُونَ أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ».

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ - أَوْ قَالَ: تَحَرَّوْهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ - يَعْنِي - لَيْلَةُ الْقَدْرِ».

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ أَنَّهَا اللَّيْلَةُ السَّابِعَةُ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ» وَهَذَا قَوْلُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ.

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ يَشُقُّ عَلَيَّ الْقِيَامُ، فَمُرْنِي بِلَيْلَةٍ يُوفِّقُنِي اللَّهُ فِيهَا لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالسَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ» وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرَطِ الْبُخَارِيِّ.

وَمِمَّا يَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا: قِيَامُ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ، حَتَّى خَشَوْا أَنْ يَفُوتَهُمُ السُّحُورُ.

وَيَذُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَهْلَهُ وَجَمَعَ النَّاسَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ» وَهَذَا كُلُّهُ يَذُلُّ عَلَى تَأْكِيدِهَا عَلَى سَائِرِ لَيَالِي الْعَشْرِ.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي كِتَابِهِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ وَعَاصِمٍ: أَنَّهُمَا سَمِعَا عِكْرِمَةَ يَقُولُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَأَجْمَعُوا أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ لِعُمَرَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ - أَوْ إِنِّي لَا أَظُنُّ - أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ؟ قَالَ عُمَرُ: وَأَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ؟ قُلْتُ: سَابِعَةُ تَمْضِي، أَوْ سَابِعَةُ تَبْقَى مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ، فَقَالَ عُمَرُ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَسَبْعَ أَرْضِينَ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنَّ الدَّهْرَ يَدُورُ عَلَى سَبْعٍ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ سَبْعٍ، وَيَأْكُلُ مِنْ سَبْعٍ، وَيَسْجُدُ عَلَى سَبْعٍ، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ سَبْعٌ، وَرَمِي الْجِمَارِ سَبْعٌ. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَقَدْ فَطِنْتَ لِأَمْرِ مَا فَطِنْتُ لَهُ».

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ التَّرَدُّدُ فِي: «سَابِعَةُ تَبْقَى أَوْ سَابِعَةُ تَمْضِي».

وَقَدْ رُوِيَ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ذَكَرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَمَعَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، فَتَكَلَّمَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِمَا سَمِعَ عَنْهَا وَابْنُ عَبَّاسٍ سَاكِتٌ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ سَاكِتٌ لَا تَتَكَلَّمُ؟ تَكَلَّمْ وَلَا تَمْنَعَكَ الْحَدَاثَةُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَثَرٌ يُحِبُّ الْوِثَرَ، وَإِنَّهُ جَعَلَ أَيَّامَ الدُّنْيَا تَدُورُ عَلَى سَبْعٍ، وَخَلَقَ أَرْزَاقَنَا مِنْ سَبْعٍ، وَجَعَلَ فَوْقَنَا سَبْعًا، وَجَعَلَ تَحْتَنَا سَبْعًا، وَجَعَلَ الْبَحَارَ سَبْعًا، وَجَعَلَ مَا يَقَعُ فِي السُّجُودِ مِنْ أَعْضَائِنَا سَبْعًا، وَحَرَّمَ مِنْ نِكَاحِ الْأَقْرَبِينَ سَبْعًا، وَقَسَمَ الْمَوَارِثَ بَيْنَهُمْ عَلَى سَبْعٍ، وَأَعْطَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ الْمِثْلَانِي سَبْعًا، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَرَمِي الْجِمَارِ سَبْعًا، فَأَظُنُّهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ فِي لَيْلَةٍ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَعَجَّبَ عُمَرُ، وَقَالَ: يَا قَوْمِ مَنْ كَانَ يَرَوِي هَذَا كِرَويَةً ابْنِ عَبَّاسٍ؟».

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ رَجَعَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ الْآيَاتِ وَالْعَلَامَاتِ الَّتِي رُئِيتُ فِيهَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَمَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ إِبْجَابَةِ الدَّعَوَاتِ.

كَانَ أَبِي بِنُ كَعْبٍ رضي الله عنه يَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ صَبِيحَتَهَا لَا شُعَاعَ لَهَا.

وَكَانَ عَبْدُهُ بِنُ أَبِي لُبَابَةَ يَقُولُ: هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ بِأَشْيَاءَ قَدْ جَرَّبَهَا وَبِالنُّجُومِ. خَرَّجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

وَرُويَ عَنْ عَبْدِةٍ أَيْضًا: «أَنَّهُ ذَاقَ مَاءَ الْبَحْرِ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، فَإِذَا هُوَ عَذْبٌ» رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَرُويَ أَنَّهُ طَافَ بَعْضُ السَّلَفِ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَرَأَى الْمَلَائِكَةَ فِي الْهَوَى طَائِفِينَ فَوْقَ رُءُوسِ النَّاسِ.

وَرَوَى أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الشَّيْخِ الْأَضْبَهَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ حَمَادِ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَالَ: كُنْتُ بِالسَّوَادِ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ جَعَلْتُ أَنْظُرُ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَنْظُرُ؟ فَقُلْتُ: إِلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ، قَالَ: فَنَمْ فَسَاحِرِبْكَ. فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ جَاءَ وَأَخَذَ بِيَدِي، فَذَهَبَ بِي إِلَى النَّخْلِ، فَإِذَا النَّخْلُ وَاضِعٌ سَعْفُهُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: لَسْنَا نَرَى هَذَا فِي السَّنَةِ كُلِّهَا إِلَّا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ.

وَذَكَرَ أَبُو مُوسَى أَيْضًا: أَنَّ رَجُلًا مُقْعَدًا دَعَا اللَّهَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، فَأُطْلِقَ.

وَعَنِ امْرَأَةٍ مُقْعَدَةٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَتْ اللَّهَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، فَأُطْلِقَتْ.

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَانَ أَخْرَسَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَدَعَا اللَّهَ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ فَأُطْلِقَ لِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ.

وَذَكَرَ الْوَزِيرُ أَبُو الْمُظَفَّرِ بِنُ هُبَيْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ رَأَى لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ - وَكَانَ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ - بَابًا فِي السَّمَاءِ مَفْتُوحًا سَامِيًّا الْكُعْبَةِ. قَالَ:

فَطَنَّتْهُ حِيَالُ الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، قَالَ: وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى التَّفَتْ إِلَى الْمَشْرِقِ
لَاَنْظُرَ طُلُوعَ الْفَجْرِ، ثُمَّ التَّفَتْ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْهُ غَابَ.

وَبِهَذَا قَدْ اسْتَدَلَّ مَنْ رَجَعَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فِي الْإِفْرَادِ.

وَقَدْ اسْتَنْبَطَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ مِنْ
مَوَاضِعِينَ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي سُورَةِ الْقَدْرِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعٍ
مِنْهَا، وَلَيْلَةَ الْقَدْرِ حُرُوفُهَا تِسْعٌ، وَالتَّسْعُ إِذَا ضُرِبَتْ فِي ثَلَاثَةِ فَهِيَ سَبْعٌ
وَعِشْرُونَ.

الثَّانِي: أَنَّهُ قَالَ: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ فَكَلِمَةُ «هِيَ» السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ مِنَ
السُّورَةِ، فَإِنَّ كَلِمَاتِهَا كُلَّهَا ثَلَاثُونَ كَلِمَةً.

وَقَالَ زُرَّ بْنُ حُبَيْشٍ: أَمَرَكُمُ بِالْأَغْتِسَالِ فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ: «إِنَّهَا لَيْلَةُ
سَبْعٍ وَعَشْرِينَ؟ قَالَ: بَلَى، أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهَا لَيْلَةُ صَبِيحَتِهَا تَطْلُعُ
الشَّمْسُ لَيْسَ لَهَا شَعَاعٌ. فَعَدَدْنَا وَحَفِظْنَا، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهَا فِي
رَمَضَانَ وَأَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يُخْبِرَكُمْ فَتَتَكَلَّمُوا» هَذَا حَدِيثٌ
حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَتَى لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ فَقَالَ: مَنْ يَذْكُرُ مِنْكُمْ
لَيْلَةَ الصُّهْبَاوَاتِ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: أَنَا، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَإِنْ فِي
يَدَيَّ لَتَمْرَاتٍ أَتَسَحَّرُ بِهِنَّ مُسْتَتِرًا بِمَوْخِرَةِ رَحْلِي، مِنَ الْفَجْرِ وَذَلِكَ حِينَ طَلَعَ
الْقَمَرُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ.

وَزَادَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ فِي مُسْنَدِهِ: «وَذَلِكَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ».

فَتَبَيَّنَ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ مَزِيَّةُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَتَأَكُّدُهَا عَلَى غَيْرِهَا.

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا لَيْلَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ.

وَاسْتَدَلَّ بِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ». وَهَذَا دَلِيلٌ عَامٌّ فِي كُلِّ الْأَوْتَارِ. وَيَعُمُّ لَيْلَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ.

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا فِي لَيَالِي الْعَشْرِ كُلِّهَا أَشْفَاعِهَا وَأَوْتَارِهَا.

وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ.

وَرَوَى مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا» ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا.

وَعَنِ الْحَسَنِ وَمَالِكٍ: أَنَّهَا تُطْلَبُ فِي جَمِيعِ لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، أَشْفَاعِهِ وَأَوْتَارِهِ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَرَجَّحَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّهَا تُطْلَبُ فِي جَمِيعِ لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، أَشْفَاعِهَا وَأَوْتَارِهَا.

فَيُوجِبُ ذَلِكَ الْأَجْتِهَادَ فِي جَمِيعِ لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ وَإِحْيَائِهَا، فَإِنْ عَجَزَ فَلْيَقُمْ أَفْرَادَهَا، فَإِنْ عَجَزَ فَلْيَقُمْ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ فَإِنَّهَا أَرْجَى قَطْعًا مِنْ غَيْرِهَا، كَمَا قَدَّمْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

كُلُّ الشُّهُورِ وَسَائِرِ الْأَعْوَامِ	هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفَتْ عَلَى
عَنْهُ الذُّنُوبِ وَسَائِرِ الْأَثَامِ	مَنْ قَامَهَا يَمْحُو إِلَهُ بِفَضْلِهِ
وَقَضَى الْقَضَاءَ وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ	فِيهَا تَجَلَّى الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَتَجَابَ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ	فَادْعُوهُ وَاطْلُبْهُ لِكَيْ تُعْطَى الْمُنَى
وَيَجُودَ بِالْغُفْرَانِ لِلصُّوَامِ	فَاللَّهُ يَرْزُقُنَا الْقَبُولَ بِفَضْلِهِ
وَيُمِيتُنَا حَقًّا عَلَى الْإِسْلَامِ	وَيُذِيقُنَا فِيهَا حَلَاوَةَ عَفْوِهِ

فَصْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَمْدٌ ۝﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾ .

اعْلَمُ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ شَرِيفَةٌ، فِيهَا يَتَجَلَّى رَبُّ الْأَرْبَابِ، وَيُجْزَلُ لِلْعَالَمِينَ بِطَاعَتِهِ الثَّوَابُ، وَيُسْمَعُ فِيهَا الدُّعَاءُ وَيُسْتَجَابُ، فِيهَا تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِأَمْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فِيهَا تَنَالُ الْأَنْوَارُ، وَيُكْنِزُ الْمَلَائِكَةُ لِلصَّائِمِينَ مِنَ الْأَسْتِغْفَارِ، وَالْحِكْمَةُ فِي نَزُولِ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ: أَنَّ الْمُلُوكَ وَالسَّادَاتِ لَا يُحِبُّونَ أَنْ يَدْخُلَ دَارَهُمْ أَحَدٌ حَتَّى يُزَيِّنُوا دَارَهُمْ بِالْفُرْشِ وَالْبُسْطِ، وَيُزَيِّنُوا عِيْدَهُمْ؛ فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَمَرَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِالنُّزُولِ إِلَى الْأَرْضِ كَأَنَّ الْعِبَادَ زَيَّنُوا أَنْفُسَهُمْ بِالطَّاعَاتِ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ، وَزَيَّنُوا مَسَاجِدَهُمْ بِالْقَنَادِيلِ وَالْمَصَابِيحِ، فَيَاهِي اللَّهُ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْتُمْ طَعَنْتُمْ فِي بَنِي آدَمَ، وَقُلْتُمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فَقُلْتُ لَكُمْ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَذْهَبُوا إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَتَّى تَرَوْهُمْ قَائِمِينَ سَاجِدِينَ رَاكِعِينَ، لَتَعْلَمُوا أَنِّي اخْتَرْتُهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ. فَيَا إِخْوَانِي: اللَّهُ اللَّهُ فِي الْأَجْتِهَادِ لِتَرْضُوا رَبَّكُمْ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِمِثْلِهِ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَغْفُو عَنْهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةً: مُدْمِنَ خَمْرٍ، وَعَاقًا لِوَالِدَيْهِ، وَمُشَاجِنًا، وَقَاطِعَ رَحِمٍ».

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: الدُّعَاءُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ. قَالَ:
وَإِذَا كَانَ يَقْرَأُ وَيَدْعُو، وَيَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ.
وَمُرَادُهُ: أَنَّ كَثْرَةَ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ الَّتِي لَا يَكْثُرُ فِيهَا الدُّعَاءُ،
وَإِنْ قَرَأَ وَدَعَا كَانَ أَوْلَى وَأَحْسَنَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْقِيَامِ وَالْقِرَاءَةِ مَا كَانَ عَلَى تَدْبِيرٍ وَدُعَاءٍ وَتَفَكُّرٍ وَتَرْتِيلٍ
كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّهُ: «كَانَ يَنْهَجِدُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ وَيَقْرَأُ
قِرَاءَةً مُرْتَلَّةً مُتْرَسَلًا» وَهُوَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَكْمَلُهَا فِي لَيَالِي الْعَشْرِ وَغَيْرِهَا.
قَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لَيْلَةُ الْقَدْرِ نَهَارُهَا كُلِّلُهَا.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ اجْتِهَادُهُ فِي نَهَارِ لَيْلَةِ
الْقَدْرِ كاجْتِهَادِهِ فِي لَيْلِهَا. وَهَذَا يَقْتَضِي اسْتِحْبَابَ الاجْتِهَادِ فِي جَمِيعِ زَمَانِ
الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ: لَيْلِهَا وَنَهَارِهَا. قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.
وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ كُفِّرَتْ عَنْهُ كَبَائِرُ الذُّنُوبِ
وَصَغَائِرُهَا.

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَتَى يَقْبَلُ مَنْ رَدُّ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟».
وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ: «إِنْ وَافَيْتُ لَيْلَةَ
الْقَدْرِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي».
وَاعْلَمْ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الدُّعَاءُ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ، وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
خَاصَّةً.

فَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ بَعْضَ الْأَدْعِيَةِ النَّافِعَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى:
رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ فِي السُّجُودِ:
«سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي، وَأَمَنَ بِكَ فُؤَادِي. هَذِهِ يَدَيَّ وَمَا جَنَيْتُ بِهَا عَلَى
نَفْسِي، يَا عَظِيمُ يُرْجَى لِكُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ، يَا عَظِيمُ اغْفِرِ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ. أَقُولُ

كَمَا قَالَ دَاوُدُ: أَعْمُرْ وَجْهِي بِالثَّرَابِ لِسَيِّدِي. وَحَقَّ لَهُ أَنْ يَسْجُدَ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ - ثُمَّ رَفَعَ وَدَعَا ثُمَّ سَجَدَ - وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ مُعَاقِبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

وَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتُلْهُمَ بِهَا شَعْبِي، وَتُصْلِحَ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتَرْكِي بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهَمْنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أَلْفَتِي، وَتَعْصِمْنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ. اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيْمَانًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ بِالْعِزِّ وَقَالَ بِهِ. سُبْحَانَ الَّذِي لَيْسَ الْمَجْدُ وَتَكَرَّمَ بِهِ. سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْيِخُ إِلَّا لَهُ. سُبْحَانَ الَّذِي الْفَضْلُ وَالنَّعْمُ بِيَدِهِ. سُبْحَانَ ذِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ. سُبْحَانَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

وَكَانَ يَقُولُ فِي الرُّكُوعِ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي وَعَصَنِي».

وَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ، وَغَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ».

وَكَانَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

وَمِمَّا يُرْجَى لِسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا قَدِيمُ يَا فَرْدُ يَا وَتَرُ يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ.

وَمِمَّا يُرْجَى أَيْضًا: يَا دَوْدُ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ. يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

وَمِمَّا يُرْجَى أَيْضًا: يَا حَلِيمُ يَا عَظِيمُ، يَا غَفَّارُ يَا سَتَّارُ، يَا فَهَّارُ يَا
جَبَّارُ، يَا نُورُ يَا حَقُّ يَا مُبِينُ.

وَمِمَّا يُرْجَى أَيْضًا: يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ، يَا مُعِزُّ يَا مُدِلُّ، يَا خَافِضُ يَا
رَافِعُ، يَا ضَارُّ يَا نَافِعُ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. الْحَنَانُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللَّهُ؟ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ
الْأَعْظَمِ؟ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ».

وَقِيلَ: إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ: «يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي
الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ،
أَمَا إِنِّي لَا أَحْسِنُ ذَنْدَنَكَ وَلَا ذَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا نُذْنِدُنْ»
وَالْأَذْيَةُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَالْمَقْصُودُ التَّنْبِيهُ عَنِ الْغَفْلَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الرَّبِّ تَفْضِيلُ وَفِي فَضَائِلِهَا قَدْ جَاءَ تَنْزِيلُ
فَجَدَّ فِيهَا عَلَى خَيْرِ تَنَالٍ بِهِ أَجْرًا فَلِلْخَيْرِ عِنْدَ الرَّبِّ تَفْضِيلُ
وَاحْرِضْ عَلَى فِعْلِ أَعْمَالٍ تُسَرُّ بِهَا يَوْمَ الْمَعَادِ، وَلَا يَغُرُّكَ تَأْمِيلُ
فَكَمْ رَأَيْنَا صَحِيحَ الْجِسْمِ ذَا أَمَلٍ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ لَمْ يَبْلُهُ تَنْوِيلُ
فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ وَاحْذَرْ مِنْ عُقُوبَتِهِ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ تَوْبِيخٌ وَتَنْكِيلُ
وَلَا تَغُرَّتْكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى أَبَاطِيلُ

إِخْوَانِي: لَيْلَةُ الْقَدْرِ يُفْتَحُ فِيهَا الْبَابُ، وَتُقَرَّبُ الْأَحْبَابُ، وَيُسْمَعُ
الْخُطَابُ، وَيُرَدُّ الْجَوَابُ، وَيُكْتَبُ لِلْعَامِلِينَ فِيهَا جَزِيلُ الْأَجْرِ وَالْثَوَابِ. هِيَ
لَيْلَةٌ تَتَلَقَّى فِيهَا الرُّؤُودُ، وَيَحْصُلُ لَهُمُ الْمَقْصُودُ، مِنَ الْقُبُولِ وَالْفَوْزِ وَالسُّعُودِ،
أَتَرَى يُؤَلِّمُكَ أَيُّهَا الْمَطْرُودُ؟ هَذِهِ أَوْقَاتٌ يَرْبِحُ فِيهَا مَنْ فَهَمَ وَدَرَى، وَيَصِلُ إِلَى

مُرَادِهِ كُلُّ مَنْ جَدَّ وَسَرَى، وَيُفَكُّ فِيهَا الْعَانِي وَتُطَلَّقُ الْأَسْرَى، تَقْدَمُ الْقَوْمُ
وَأَنْتَ رَاجِعٌ إِلَى وَرَا، أَوْ لَيْسَ كُلُّ هَذَا قَدْ جَرَى وَكَأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ؟
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾.

يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِلْعَابِدِينَ أَشْهَدِي، يَا أَقْدَامَ الْقَانِتِينَ ارْكُعِي لِرَبِّكَ
وَاسْجُدِي، يَا أَلْسِنَةَ السَّائِلِينَ حَدِّي، وَفِي الْمَسْأَلَةِ مِنْ رَبِّكَ اجْتَهِدِي.

إِخْوَانِي: انظُرُوا إِلَى مَا خَصَّكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ، وَحَبَاكُم بِهِ
مِنَ الْعَطَايَا الْجِسَامِ، وَشَرَّفَكُم بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَرَسُولِ الْهُدَى، وَأَنْقَذَكُم بِبَرَكَتِهِ مِنَ
الرَّدَى، فَاسْتَدْرِكُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَوَاسِمَ الْعُمْرِ، فَحَادِي الْمَوْتِ بِالرَّحِيلِ قَدْ
حَدَا. وَاعْتَنِمُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ؟ فَلَعَلَّ أَنْ تُكْتَبُوا فِي دِيْوَانِ السُّعْدَاءِ، فَإِنَّهَا لَيْلَةٌ
تَفُوقُ لَيَالِي الدَّهْرِ، وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَا دَعَا اللَّهُ فِيهَا دَاعٍ إِلَّا أَجَابَهُ.
وَبَلَغَهُ أَمَلًا وَمَقْصِدًا، وَلَا سَأَلَهُ سَائِلٌ إِلَّا أَعْطَاهُ سُؤْلَهُ، وَجَادَ عَلَيْهِ بِالْفَضْلِ
وَالنَّدَى، فَيَا فَوْزَ مَنْ أَحْيَاهَا، وَيَا سَعَادَةَ مَنْ رَأَاهَا، لَقَدْ نَالَ فَخْرًا وَسُودَدًا.

وَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ الْإِسْنَادِ: أَنَّهَا تُلْتَمَسُ فِي الْأَفْرَادِ، فَاطْلُبُوهَا فِي
هَذِهِ الْأَعْدَادِ، تَنْظُرُوا بِحُسْنِ الْقَبُولِ وَنَيْلِ الْمُرَادِ، وَأَرْجَاهَا السَّابِعَةُ مِنَ الْعَشْرِ
﴿سَلِّمْ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾.

هِيَ لَيْلَةٌ يَجُودُ فِيهَا الرَّبُّ عَلَى الْعِبَادِ، وَيَقْضِي فِيهَا الْقَضَاءَ بِمَا شَاءَ
وَأَرَادَ، تُكْتَبُ فِيهَا الْأَجَالُ وَالْأَرْزَاقُ، وَهِيَ أَفْضَلُ اللَّيَالِي فِي حَقِّنَا عَلَى
الْإِطْلَاقِ، فَاعْتَنِمُوهَا فَإِنَّهَا عَظِيمَةُ الْقَدْرِ ﴿سَلِّمْ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾.

يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ قُمْ لِلَّهِ مُجْتَهِدًا وَانْهَضْ كَمَا نَهَضْتَ مِنْ قَبْلِكَ السُّعْدَا
فِي لَيَالِي الرِّضَا جَاءَتْ وَأَنْتَ عَلَى فِعْلِ الْقَبِيحِ مُصِرٌّ مَا جَلَوْتَ صَدَى
قُمْ فَاعْتَنِمْ لَيْلَةَ تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا وَمِثْلَهَا لَمْ يَكُنْ فِي فَضْلِهَا أَبَدًا
طُوبَى لِمَنْ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ أَدْرَكَهَا وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَبْغِيهِ مُجْتَهِدًا
فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ قَالَ خَالِقُنَا (مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) هَنِئْنَا مَنْ لَهَا شَهْدَا

فِيهَا الْقُرْآنُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْزَلَهُ
فِيهَا تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِمَنْ
وَيَنْزِلُ الرُّوحُ فِيهَا وَالْمَلَائِكُ مِنْ
يَا قُوزَ عَبْدٍ رَأَاهَا إِنَّهُ رَجُلٌ
وَقَارَ بِالْأَمْنِ وَالْعُفْرَانِ مُعْتَبِطًا
فَاظْلُبْ مِنَ اللَّهِ إِنَّ وَافَيْتَهَا سَحَرًا
وَابِكِ وَنَحْ وَتَضَرَّعْ فِي الدُّجَى أَسْفَا
بِعِلْمِهِ، وَبِهَذَا النَّصِّ قَدْ وَرَدَا
يَرَى مِنَ الْكُشْفِ مَنْ يُعْطَى بِهَا مَدَدًا
عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ، لَنْ تُحْصِيَ لَهُمْ عَدَدًا
قَدْ عَاشَ فِي الدَّهْرِ عَيْشًا دَائِمًا رَغَدًا
وَنَالَ مَا يَرْتَجِي مِنْ رَبِّهِ أَبَدًا
جَنَاتٍ عَذْنٍ تَكُنْ مِنْ جُمْلَةِ السَّعْدَا
وَقُلْ: إِلَهِي تَفَضَّلْ بِالْجَمِيلِ عَدَا

عِبَادَ اللَّهِ: مَتَى يُغْفَرُ لِمَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي رَمَضَانَ؟ مَتَى يُقْبَلُ مَنْ رُدَّ فِي
لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعُفْرَانِ؟ مَتَى يُزْلَفُ مَنْ رُمِيَ بِالْإِبْعَادِ وَالْهَجْرَانِ؟
مَتَى يُشْفَى قَلْبُ لَمْ تُشْفِهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ؟ يَا لَهَا خَسَارَةٌ لَا تُشْبِهُ الْخُسْرَانَ! أَنْ
تَرَى الْمُحْسِنِينَ قَدْ حَظُّوا بِالْقُرْبِ وَالزُّلْفَى وَالرِّضْوَانَ. وَأُزْلِفَتْ لَهُمُ الْجَنَّاتُ
وَالْيُسُوسُ التَّيْجَانُ، وَأُعْطُوا الْمُلْكَ وَالْخُلْدَ وَأُدْخِلُوا عَلَى الرَّحْمَنِ، وَقَدْ رُمِيَ
بِالظُّرْدِ وَالْإِبْعَادِ وَالْجِرْمَانِ، تُغَلُّ وَتُجْرُ إِلَى النَّيْرَانِ، أَتَرَى قَلْبَكَ هَذَا نَائِمًا أَمْ
يَقْظَانِ، ثُمَّ عَلَى أَقْدَامِ الدَّلِّ وَقَتِ السَّحَرِ، فَلِلرَّحْمَةِ مَعَ السَّحَرِ شَانٌ، وَنَادِ فِي
نَادِ الدَّلِّ: يَا صَاحِبَ الْإِحْسَانِ، فَمَا حِيلَةٌ مَنْ طُرِدَ عَنِ الْبَابِ، مَا يَصْنَعُ مَنْ
قُطِعَ عَنِ الْأَحْبَابِ؟ مَا وَسِيلَةٌ مَنْ حَقَّ عَلَيْهِ جُكْمُ الْكِتَابِ؟ فَمَا يُزْعِجُهُ التَّعْنِيفُ
وَالْعِتَابُ؟ يَا خَيِّتَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَوْلَاهُ نَاصِرُهُ، يَا شَقَاوَةَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْعِدُهُ
وَجَابِرُهُ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسَبِيلِ الطَّاعَةِ، وَثَبَّتْنَا عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَا
تَجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَأَضَاعَهُ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ، وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ
الْأَخْيَارِ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْعِبَادَ فَضْلُهُ وَنَعْمَاؤُهُ، وَوَسَّعَ الْبَرِّيَّةَ جُودُهُ وَعَظَاؤُهُ،

نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ الْعُقَاءِ مِنَ النَّيرانِ، وَتَجُودَ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ
وَالْعُفْرَانِ، وَتَتُوبَ عَلَيْنَا تَوْبَةً تَجْلُو أُنُورَهَا ظُلْمَةَ الْإِسَاءَةِ وَالْعِصْيَانِ، يَا عَظِيمُ
يَا مَنَّانُ.

اللَّهُمَّ وَخَفِّ الْعَذَابَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ، وَأَفِضْ عَلَيْهِمْ مِنْ
بَحْرِ جُودِكَ يَا غَفُورُ، وَاغْفِرْ لِلْأَحْيَاءِ وَبَسِّرْ لَهُمُ الْأُمُورَ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْحَثِّ عَلَى اغْتِنَامِ الْأَوْقَاتِ الْمُهْمَلَةِ قَبْلَ فَوَاتِهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْغَفُورِ الَّذِي سَتَرَ بِسْتَرِهِ وَأَجْمَلَ. الشُّكُورِ الَّذِي عَمَّمَ بِبِرِّهِ
وَأَجَزَلَ. الرَّحِيمِ الَّذِي أَتَمَّ إِحْسَانَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَكْمَلَ. الَّذِي يَكْفِي بِحُسْنِ
تَأْيِيدِهِ مَنْ عَلَى كَرَمِهِ عَوَّلَ. الْوَاحِدُ الْأَحَدُ. الْقُدُّوسُ الصَّمَدُ. الْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ
شَيْءٍ كَمَا هُوَ الْأَوَّلُ. الْمُتَفَرِّدُ بِالْبَهَاءِ وَالْجَلَالِ، وَالْعَزَّ وَالْكَمَالِ، فَلَا يَنْقُصُ
عِزُّهُ وَلَا يَتَحَوَّلُ. الْقَاضِي بِمَا شَاءَ عَلَى مَنْ شَاءَ، وَالْمُتَوَحِّدُ فِي الْمُلْكِ
وَالْقَضَاءِ، فَلَا يَتَغَيَّرُ حُكْمُهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ. لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَى،
وَقَدْ خَابَ مَنْ أَلْحَدَ فِي أَسْمَائِهِ وَعَظَلَ. هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الْمُتَوَحِّدُ بِالْإِخْتِرَاعِ
وَالْإِبْجَادِ، وَالْمُنَزَّهَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْمَقْدَسُ عَنِ الْأَغْيَارِ وَالْأَضْدَادِ،
وَالْكَرِيمُ الَّذِي عَلَى كَثْرَةِ الْعَطَاءِ لَا يَنْخَلُ. الْحَلِيمُ الَّذِي يُمِهُلُ الْعَاصِيَ إِذَا رَأَهُ
يَعْصَاهُ بِنِعْمِهِ فَيُسَبِّلُ عَلَيْهِ سِتْرَهُ وَيَمُعَاقِبْتَهُ لَا يَعْجَلُ، الْحَكْمُ حُكْمُهُ، وَالْأَمْرُ
أَمْرُهُ، وَالْمُلْكُ مُلْكُهُ، فَلَا عَمَّا يُدَبَّرُ يُسْأَلُ.

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ وَفَقَّ مَنْ شَاءَ لِيُخْدَمْتَهُ، وَأَهْلَ أَقْوَامًا لِطَاعَتِهِ، وَتَفَضَّلَ
عَلَى الْمُتَّقِينَ وَجَادَ وَتَطَوَّلَ، وَأَبْعَدَ الْمَطْرُودِينَ عَنْ بَابِهِ، وَعَذَّبَهُمْ بِأَلِيمِ حِجَابِهِ،

وَمَنْ أْبْعَدَهُ مَوْلَاهُ فَحَقَّ لَهُ بِالذَّلِّ أَنْ يَتَسَرَّبَلَ، فَيَا أَيُّهَا الْعَاصِي أَقْبِلْ عَلَى مَوْلَاكَ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ مَنْ إِلَيْهِ يُقْبَلُ، وَلَا زِمَ قَرَعَ الْبَابِ فَإِلَى أَيْنَ عَنْهُ تَذَهَبُ؟ وَلَا تَلْتَفِتْ عَنْهُ إِلَى سِوَاهُ فَمَا دُونَهُ مَطْلَبٌ، وَتَضَرَّعُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاكَ بِقَلْبٍ حَزِينٍ وَالِدَمْعِ مُرْسَلٍ.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَقْبَلَ بِجُودِهِ وَبِرِّهِ عَلَى مَنْ تَابَ مِنَ الْآثَامِ، وَرَأَى ذِلَّةَ الْمُسِيءِ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ، فَعَامَلَهُ بِرَأْفَتِهِ، وَتَجَاوَزَ عَنْهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَهْمَلَ، وَجَعَلَ لِلْقُبُولِ وَالْفَضْلِ أَوْقَاتًا لِيَتَذَارَكَ الْمُقْصِرُ مَا ضَيَّعَ وَأَهْمَلَ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ الْإِنْعَامِ وَجَادَ وَتَفَضَّلَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَلَيْهِ اعْتِمَادِي وَالْمُعْوَلُ، شَهَادَةُ عَبْدٍ خَضَعَ لِهَيْبَتِهِ وَتَذَلَّلَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ وَأَكْرَمُ مُرْسَلٍ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَسَقَ لَيْلٌ أَلِيلُ، وَمَا ذَرَّ نَجْمٌ وَمَا أَقْلَ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (٥٤).

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا لِعِبَادِهِ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى التَّوْبَةِ، أَي: ارْجِعُوا إِلَيْهِ وَأَطِيعُوهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا، أَمَرَهُمْ بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَالْمُبَادَرَةِ قَبْلَ حُلُولِ النِّقْمَةِ، إِمَّا فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ.

فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَذَارَكَ أَوْقَاتَ رَمَضَانَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيُبَادِرَ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَالِ، وَقَبْلَ الرَّحِيلِ إِلَى الْقُبُورِ وَالْآثِقَالِ، قَبْلَ غَلْقِ الْبَابِ، وَطَيِّ الْكِتَابِ، وَانْقِطَاعِ الْأَسْبَابِ، قَبْلَ هُجُومِ الْمَوْتِ، وَحُلُولِ الْفُوتِ، وَمَنْ تَذَكَّرَ الْقَبْرَ وَأَنَّ مَالَهُ إِلَيْهِ، وَمَوْرِدَهُ عَلَيْهِ. وَلَا بُدَّ مِنْ مُجَاوَرَةِ

الْأَمْوَاتِ، وَالْإِنْتِقَالَ مِنَ الدِّيَارِ الْعَامِرَاتِ، إِلَى حُفْرِ صَيِّقَةِ مُظْلِمَاتٍ، وَيَكُونُ فِيهَا مُقِيمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ لِعَالَمِ الْخَفِيَّاتِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَثَاقِيلُ الذَّرَاتِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ - إِذَا تَذَكَّرَ هَذَا - أَنْ يَنْظُرَ فِي خَلَاصِهِ، وَيَتَأَهَّبَ لِسَفَرِهِ وَيُعِدَّ عُدَّةَ لِفَكِّهِ وَاسْتِخْلَاصِهِ. فَوَاحِشَتَاهُ لِعَبْدٍ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا مُفْلِسًا وَلَمْ يَكْتَسِبْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ مَا عَجَزَ عَنْ حَمْلِهِ. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

أَيَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ بِالسَّقَمِ مُخْبِرًا
فَحُذْ أَهْبَةً فِي الزَّادِ؛ فَالْمَوْتُ كَائِنٌ
فَمَا دَارُكُمْ هُذِي بِدَارِ إِقَامَةٍ
أَمَّا جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ: (وَتَزَوَّدُوا)
فَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاحِلُ
وَمَنْ سَارَ نَحْوَ الدَّارِ سِتِّينَ حِجَّةً
وَمَنْ كَانَ عِزْرَائِيلَ كَافِلَ رُوحِهِ
وَمَنْ رُوحُهُ فِي الْجِسْمِ كَانَتْ وَدِيعَةً
فَبَادِرْ هُجُومَ الْمَوْتِ فِي كَسْبِ مَا بِهِ
بِأَنَّكَ تَتَلَوُ الْقَوْمَ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
فَمَا مِنْهُ مَنْجَى لَا وَلَا مَنْجِدِي
وَلَكِنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَتَزَوُّدٍ
فَمَا عُذْرُ مَنْ وَافَاهُ غَيْرَ مُزَوَّدٍ؟
تُقَرَّبُ مِنْ دَارِ اللِّقَاءِ كُلِّ مُبْعَدٍ
فَقَدْ حَانَ مِنْهُ الْمُلتَقَى وَكَأَنَّ قَدِ
إِذَا فَاتَهُ فِي الْيَوْمِ لَمْ يَنْجُ فِي غَدٍ
فَهَيْهَاتَ أَمِنْ يُرْتَجَى مِنْ مُرَدِّ
تَفُورُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاجْهَدِ

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ لَهُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه شَيعَ جَنَازَةً مِنْ أَهْلِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَوَعَّظَهُمْ، وَذَكَرَهُمُ الدُّنْيَا وَذَمَّهَا، وَذَكَرَ أَهْلَهَا وَتَنَعَّمَهُمْ فِيهَا، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ بَعْدَهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ. وَكَانَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا مَرَرْتَ بِهِمْ فَنَادِهِمْ إِنَّ كُنْتُ مُنَادِيًا، وَادْعُهُمْ إِنَّ كُنْتُ دَاعِيًا، وَمُرَّ بِعَسْكَرِهِمْ، وَانْظُرْ إِلَى تَقَارُبِ مَنَازِلِهِمْ، سَلِّ غَنِيَّهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ غِنَاهُ، وَسَلِّ فَقِيرَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ فَقْرِهِ، وَسَلِّ عَنِ اللِّسَانِ الَّذِي بِهِ يَتَكَلَّمُونَ، وَعَنِ الْأَعْيُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا إِلَى اللَّذَاتِ يَنْظُرُونَ، وَسَلِّهِمْ عَنِ الْجُلُودِ الرَّقِيقَةِ وَالْوُجُوهِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَجْسَادِ النَّاعِمَةِ مَا صَنَعَ بِهَا الدِّيدَانُ؟ مَحَتِ الْأَلْوَانَ وَأَكَلَتِ اللَّحْمَانَ، وَعَفَتِ الْوُجُوهُ، وَمَحَتِ الْمَحَاسِنَ، وَكَرَّتِ الْفَقَا، وَأَبَانَتِ الْأَعْضَاءُ،

وَحَرَجَتِ الْأَشْلَاءُ، وَأَيْنَ حُجَابُهُمْ وَقِيَانُهُمْ؟ وَأَيْنَ خَدْمُهُمْ وَعَبِيدُهُمْ؟ وَجَمَعُهُمْ وَكُنُوزُهُمْ؟ وَاللَّهِ مَا زَوَّدُوهُمْ فَرْشًا، وَلَا وَضَعُوا هُنَاكَ مِسْكًا، وَلَا غَرَسُوا لَهُمْ شَجَرًا، وَلَا أَنْزَلُوهُمْ مِنَ اللَّحْدِ قَرَارًا، أَلَيْسُوا فِي الْخَلَوَاتِ؟ أَلَيْسَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ؟ أَلَيْسُوا فِي مَذْلِهِمَةِ ظُلَمَاءٍ؟ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَمَلِ، وَفَارَقُوا الْأَجَبَةَ. وَكَمْ نَاعِمٍ وَنَاعِمَةٍ أَصْبَحُوا وَجُوهُهُمْ بِالْيَبَةِ؛ وَأَجْسَادُهُمْ عَنْ أَغْنَائِهِمْ بَائِثَةٌ، وَأَوْصَالُهُمْ مُتَفَرِّقَةٌ، وَقَدْ سَالَتِ الْحُدُقُ عَلَى الْوَجَنَاتِ، وَامْتَلَأَتِ الْأَقْوَاهُ صَدِيدًا، وَدَبَّتْ دَوَابُّ الْأَرْضِ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَفَرَّقَتِ أَعْضَاؤُهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا وَاللَّهِ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى عَادَتِ الْعِظَامُ رَمِيمًا، قَدْ فَارَقُوا الْحَدَائِقَ، وَصَارُوا بَعْدَ السَّعَةِ فِي الْمَضَائِقِ، وَقَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاؤُهُمْ، وَتَرَدَّدَتْ فِي الطَّرِيقِ أَبْنَاؤُهُمْ، وَتَوَزَّعَتِ الْقَرَابَاتُ دِيَارَهُمْ وَمِيرَاثُهُمْ. فَمِنْهُمْ وَاللَّهِ الْمُوسِعَ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَالْعُضُ النَّاطِرُ فِيهِ، وَالْمُتَنَعِّمُ بِلَذَّتِهِ.

يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ عَدَا. مَا الَّذِي غَرَّكَ مِنَ الدُّنْيَا؟ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَبْقَى لَهَا أَوْ تَبْقَى لَكَ؟ أَيْنَ دَارُكَ الْفَيْحَاءِ وَنَهْرُكَ الْمُطَرِّدُ؟ وَأَيْنَ ثَمَرُكَ الْيَابِغَةِ؟ وَأَيْنَ رِقَاقُ ثِيَابِكَ؟ وَأَيْنَ طَبِيْعِكَ؟ وَأَيْنَ بُحُورِكَ؟ وَأَيْنَ كِسُوتِكَ لِصَيْفِكَ وَشِتَائِكَ؟ أَمَا وَاللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ، فَمَا يُدْفَعُ عَنْهُ، وَخَلَا وَهُوَ يَرْشُحُ عَرَفًا وَيَتَلَمَّظُ عَطَشًا. يَتَقَلَّبُ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَغَمَرَاتِهِ، جَاءَ الْأَمْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَجَاءَ غَالِبُ الْقَدْرِ وَالْقَضَاءِ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، يَا مُغْمَضُ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَغَاسِلُهُ، يَا مُكْفَنُ الْأَمِيَّتِ وَحَامِلُهُ، يَا مُحَلِّيَّهُ فِي الْقَبْرِ رَاجِعًا عَنْهُ. لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كُنْتُ عَلَى خُسُوفَةِ الثَّرَى؟ لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ جَنِّيِكَ بَدَا الْبَلَى. يَا مُجَاوِرَ الْهَلَكَى صِرْتُ فِي مَحَلَّةِ الْمَوْتَى، لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يُلْقَانِي بِهِ مَلِكُ الْمَوْتِ عِنْدَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا يَأْتِينِي بِهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّي. ثُمَّ انْصَرَفَ، فَمَا عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا جُمُعَةٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

يَا وَاقِفًا يَسْأَلُ الْقُبُورَ أَفْقُ فَأَهْلُكَ الْيَوْمَ عَنْكَ قَدْ شُغِلُوا
قَدْ هَالَهُمْ مُنْكَرٌ وَصَاحِبُهُ وَخَوْفُ مَا قَدَّمُوا وَمَا عَمِلُوا

رَهَائِنُ لِلثَّرَى عَلَى مَدَرٍ يُسْمَعُ لِلدُّودِ بَيْنَهُمْ زَجَلُ
سَرَى الْبِلَى فِي جُسُومِهِمْ فَجَرَتْ دَمَا وَقِيحًا، وَسَالَتْ الْمُقْلُ
يَنْتَظِرُونَ النُّشُورَ إِذَا وَقَفَ الْأَمْلاكَ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَالرُّسُلُ
يَوْمًا تَرَى الصُّحُفَ فِيهِ طَائِرَةٌ وَكُلُّ قَلْبٍ لَهُ مِنْ هَوْلِهِ وَجَلُ
قَدْ دَنَتْ الشَّمْسُ مِنْ رُءُوسِهِمْ وَالنَّارُ قَدْ بَرَزَتْ لَهَا شُعْلُ
وَأُزْلِفَتْ جَنَّةُ النَّعِيمِ، فَيَا طُوبَى لِقَوْمٍ بِرَبْعِهَا نَزَلُوا
أَكْوَابُهُمْ عَسَجْدٌ يُطَافُ بِهَا وَالْخَمْرُ وَالسَّلَسِيلُ وَالْعَسَلُ
وَالْحُورُ تَلْقَاهُمْ، وَقَدْ رُفِعَتْ عَنِ الْوُجُوهِ الْأَسْتَارُ وَالْكُلَلُ

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾
إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ
دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١٤

رُويَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ -
الآية، أَنَّ الْمَكَانَ الْبَعِيدَ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَتَى بِجَهَنَّمَ نَقَادَ
بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ يُمَسِّكُ بِكُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَلَوْ تُرِكَتْ لَأَتَتْ عَلَى
كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، ثُمَّ تَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى قَطْرَةٌ مِنْ دَمْعٍ إِلَّا بَدَرَتْ، ثُمَّ تَزْفِرُ الثَّانِيَةَ
فَتَقَطِّعُ الْقُلُوبَ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَتَبْلُغُ اللَّهَوَاتِ وَالْحَنَاجِرَ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَجْرُ إِلَى النَّارِ، فَتَشْهَقُ إِلَيْهِ شَهَقَةً
الْبُغْلَةَ إِلَى الشَّعِيرِ، ثُمَّ تَزْفِرُ زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا خَافَ».

وَرُويَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: إِذَا سُيِّرَتِ الْجِبَالُ، فَسَمِعَتْ حَسِيسَ النَّارِ
وَتَغَيُّظَهَا، وَزَفِيرَهَا وَشَهيقَهَا. صَرَخَتِ الْجِبَالُ كَمَا تَصْرُخُ النِّسَاءُ، ثُمَّ يَرْجِعُ
أَوَائِلَهَا عَلَى أَوَاخِرِهَا يَدُقُّ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ يُضَيَّقُ عَلَيْهِمْ فِي النَّارِ حَتَّى إِنْ مِنْهُمْ مَنْ يُجْعَلُ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ يُقَذَّفُ فِي الْجَحِيمِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْعَلُ فِي تَنْوِيرٍ ضَيِّقٍ وَيُطَبَّقُ عَلَيْهِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ - يَغْنِي مُكَتَفِينَ - دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أَيْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَالْحَسْرَةِ وَالْخَيِّبَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَعَدَّ لِمَنْ تَمَرَّدَ عَلَيْهِ وَكَفَرَ بِهِ السَّعِيرَ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ الْحَارُّ الَّذِي لَا يُطَاقُ.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ لِجَهَنَّمَ عَيْنَيْنِ: وَلَمَّا سُئِلَ ﷺ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: «أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يَبِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾؟».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ أَيْحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِينَ يَأْمُرُونَ أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ قَتَادَةُ حِينَ بَلَغَهُ: بَلَى وَعِزَّةَ رَبِّنَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوِيَ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَتْ زَوْجَةُ الْفَرَزْدَقِ حَضَرَ جَنَازَتَهَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ. فَقَالَ لِلْفَرَزْدَقِ: مَا أَعَدَدْتَ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً، فَلَمَّا دُفِنَتْ أَنْشَأَ يَقُولُ:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي	أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتَهَابًا وَأَضْيَقًا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ	عَنِيْفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقًا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى	إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ مُوثَقًا
يُسَاقُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا	سَرَابِيلَ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرَّقًا
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ	يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَرُّقًا

رَوِيَ عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ غَضَبَانٌ فَيَقُولُ: خُذُوهُ، فَيَأْخُذُهُ مِائَةُ أَلْفِ مَلَكٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَيَجْمَعُونَ بَيْنَ نَاصِيَتَيْهِ وَقَدَمَيْهِ غَضَبًا لِعُصْبِ اللَّهِ، فَيَسْجُونَهُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَالْتَّارُ

أَشَدُّ عَلَيْهِ غَضَبًا مِنْ غَضَبِهِمْ سَبْعِينَ ضِعْفًا. قَالَ: فَيَسْتَعِثُّ بِشَرِيَّةٍ، فَيُسْقَى شَرِبَةً يَسْقُطُ مِنْهَا لَحْمُهُ وَعَصَبُهُ، ثُمَّ يُرْكَسُ فِي النَّارِ، فَوَيْلٌ لَهُ مِنَ النَّارِ».

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: حَدَّثْتُ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: «أَنَّهُ يَتَفَتَّتُ فِي أَيْدِيهِمْ إِذَا أَخَذُوهُ فَيَقُولُ: أَلَا تَرْحَمُونِي؟ فَيَقُولُونَ: كَيْفَ نَرْحَمُكَ وَلَمْ يَرْحَمَكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؟».

وَأَعْلَمُ أَنَّ ذِكْرَ جَهَنَّمَ أَطَارَ نَوْمَ الْخَائِفِينَ، وَنَصَبَ أَقْدَامَ الْمُتَهَجِّدِينَ، وَأَسْبَلَ عِبْرَاتِ الْمُشْفِقِينَ، وَأَنْحَلَ أَبْدَانَ الْعَارِفِينَ، وَنَغَّصَ عَيْشَ الصَّالِحِينَ. فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَضْطَرِبُ وَيَتَغَيَّرُ حَالُهُ عِنْدَ ذِكْرِهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَهُ الضَّحْكُ خَوْفُ جَهَنَّمَ، كَمَا قَالَ الْحَجَّاجُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: «بَلَّغْنِي أَنَّكَ لَمْ تَضْحَكْ قَطُّ. قَالَ: كَيْفَ أَضْحَكُ وَجَهَنَّمَ قَدْ سَعُرَتْ، وَالْأَغْلَالُ قَدْ نُصِبَتْ وَالزَّبَانِيَةُ قَدْ أُعِدَّتْ؟».

وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَهُ النَّوْمَ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ أَحْدَثَ لَهُ الْمَرَضَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ مِنْ ذِكْرِهَا وَنُقِلَ إِلَى قَبْرِه.

وَقَدْ رَوَيْ أَنَّ سَبَبَ عِلَّةِ دَاوُدَ الطَّائِي: أَنَّهُ مَرَّ بِأَيَّةٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ فَكَرَّرَهَا مِرَارًا فِي لَيْلَتِهِ، فَأَصْبَحَ مَرِيضًا، فَوَجَدُوهُ وَقَدْ مَاتَ وَرَأْسُهُ عَلَى لَبَنَةٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

فَوَاعَجَبَا لِلْهُؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ، كَأَنَّ النَّارَ مَا خُلِقَتْ إِلَّا لَهُمْ، وَكَأَنَّا قَدْ أُعْطِينَا أَمَانًا.

لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَهْلَ الشَّقَا سِيقُوا إِلَى النَّارِ وَقَدْ أُحْرِقُوا
شَرَابُهُمُ الْمُهْلُ فِي قَعْرِهَا إِذْ خَالَفُوا الرُّسُلَ وَمَا قَدَّمُوا

تَقُولُ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمُو فِي لَجَجِ الْمُهْلِ وَقَدْ أُعْرِقُوا:
 قَدْ كُنْتُمْ حُذِرْتُمْ حَرَهَا لَكِنْ مِنَ النَّيْرَانِ لَمْ تَفْرَقُوا
 وَجِيءَ بِالنَّيْرَانِ مَرْمُومَةً شَرَارُهَا مِنْ حَوْلِهَا مُحَدَّقُوا
 وَقِيلَ لِلنَّيْرَانِ: أَنْ أَحْرِقِي وَقِيلَ لِلْحُرَّانِ: أَنْ أَطْبِقُوا

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ لَيْثٍ عَنْ طَلْحَةَ قَالَ: انْطَلَقَ رَجُلٌ ذَاتَ يَوْمٍ
 فَتَرَخَ ثِيَابَهُ وَتَمَرَّغَ فِي الرَّمْضَاءِ وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: ذُوقِي. نَارَ جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا،
 حِقْفَةً بِاللَّيْلِ بَطَالَةً بِالنَّهَارِ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ
 فَأَتَاهُ فَقَالَ: غَلَبَتْنِي نَفْسِي. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَلَمْ يَكُنْ بَدْ مِنْ الَّذِي صَنَعْتَ؟
 لَقَدْ فُتِحَتْ لَكَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلَقَدْ بَاهَى اللَّهُ بِكَ الْمَلَائِكَةَ.

وَبَكَى الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِي فِي
 النَّارِ وَلَا يُبَالِي.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادٍ لَهُ: «أَنَّ صَالِحًا الْمُرِّيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَوْمًا فِي
 مَجْلِسِهِ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ، فَقَرَأَ عِنْدَهُ قَارِئٌ: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْبَعَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
 لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (٣١) فَذَكَرَ صَالِحُ
 النَّارَ وَحَالِ الْعُصَاةِ فِيهَا، وَصِفَةَ سَيَاقِفِهِمْ إِلَيْهَا، وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ، وَبَكَى النَّاسُ.
 فَقَامَ فَتَى كَانَ حَاضِرًا فِي مَجْلِسِهِ وَكَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: أَكُلُّ هَذَا فِي
 الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ صَالِحٌ: نَعَمْ وَمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ. لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ فِي
 النَّارِ حَتَّى تَنْقَطِعَ أَصْوَاتُهُمْ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا كَهَيْئَةِ الْأَنْبِيَةِ مِنَ الْمَرِيضِ
 الْمُذْنَفِ. فَصَاحَ الْفَتَى أَيَا لِلَّهِ: وَاعْفَلْتَاهُ عَنْ نَفْسِي أَيَّامَ الْحَيَاةِ. وَأَسْفَاهُ عَلَى
 تَفْرِيطِي فِي طَاعَتِكَ يَا سَيِّدَاهُ، وَأَسْفَاهُ عَلَى تَضْيِيعِ عُمْرِي فِي دَارِ الدُّنْيَا ثُمَّ
 اسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ وَعَاهَدَ اللَّهَ عَلَى تَوْبَةٍ نَصُوحٍ. وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَبَكَى حَتَّى
 غَشِيَ عَلَيْهِ فَحَمِلَ مِنَ الْمَجْلِسِ صَرِيعًا. فَمَكَثَ صَالِحٌ وَأَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ أَيَّامًا
 ثُمَّ مَاتَ فَحَضَرَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَكَانَ صَالِحٌ يَذْكُرُهُ فِي مَجْلِسِهِ كَثِيرًا، وَيَقُولُ:

وَابْأَبِي قَتِيلَ الْقُرْآنِ. وَابْأَبِي قَتِيلَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَحْزَانِ، فَرَأَهُ رَجُلٌ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: عَمَّيْتُ بَرَكَتَهُ مَجْلِسِ صَالِحٍ فَدَخَلْتُ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ».

فَيَا مَنْ يَسْمَعُ بِذِكْرِ النَّارِ حَتَّى كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهَا عَيْنَانَا، وَكَيْسُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُوجِبَةِ لِدُخُولِهَا قَدْ كَانَ مَلَانَا. وَيَحْكُ، أَفِيكَ جَلْدٌ عَلَيْهَا، أَمْ أُعْطِيتَ أَمَانًا؟ مَا هَذَا الْأَمْلُ وَالرَّحِيلُ تَدَانِي، يَا مُقْبِلًا عَلَى لَذَاتِهِ فِي غِيهِ قَدْ عَامَ، يَا مَنْ تُتْلَى أَوْصَافُ جَهَنَّمَ وَيُشَاهِدُ تَنَفُّسَهَا كُلَّ عَامٍ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى مَا يَقْتَضِي دُخُولَهَا مِنَ الْآثَامِ، وَلَا يَزْعَوِي إِنْ خُوفَ بِالْوَعِظِ وَالْكَلامِ. سَيُؤْتَى بِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ تَقَادُ بِالْأَلْفِ زِمَامٍ، وَتَزْفِرُ عَلَى أَهْلِ الْفُجُورِ وَالْآثَامِ، وَيَنْدُمُ الْمُفْرِطُ نَدَامَةً لَا تَخْطُرُ عَلَى الْأَوْهَامِ. فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّطْفَ بِنَا وَالصَّفْحَ عَنِ الْإِجْرَامِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

اللَّهُمَّ يَا قَرِيبًا لِمَنْ دَعَا، وَيَا مُغِيثًا لِمَنْ لَادَ بِحِمَاهُ، وَيَا مُعِيدًا مَنْ اسْتَعَاذَ بِهِ وَاسْتَكْفَاهُ. نَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنَا مِنَ النَّارِ، وَمِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ، وَتُدْخِلَنَا دَارَ الْأَتْقِيَاءِ وَالْأَبْرَارِ. إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ الْغَفَّارُ.

اللَّهُمَّ أَجْرْنَا مِنْ عَذَابِكَ، وَآمِنْ خَوْفَنَا مِنْ عِقَابِكَ، وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَحْبَابِكَ، وَانْقُلْنَا مِنَ التَّفْرِيطِ وَالْعَفْلَةِ إِلَى فَسِيحِ جَنَابِكَ، وَلَا تَطْرُدْنَا يَا مَوْلَانَا عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ حِجَابِكَ، فَهَا نَحْنُ بِبَابِكَ أَنْخُنَا، وَبِعَفْوِكَ تَعَلَّقْنَا، وَمِنْ عَذَابِكَ اسْتَجْرْنَا، وَبِرَحْمَتِكَ طَمِعْنَا. فَحَقِّقْ رَجَاءَنَا، وَاقْبَلْ دُعَاءَنَا، وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الفصل الثالث

وفيه فصل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِقُدْرَتِهِ، وَأَدَارَ دَوَائِرَ الْأَفْلاكِ، وَبَسَطَ الْأَرْضَ بِمَشِيئَتِهِ، وَمَهَّدَهَا لِلْسَّلَاقِ، وَسَخَّرَ الْفُلُكَ وَدَبَّرَ الْأَمْلاكَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ

الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ. وَقَدَّرَ الْهَلَاكَ وَالنَّجَاةَ. الْقَدِيمُ الْخَلَاقُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَالْعِزُّ وَالْقَهْرُ. وَعَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. وَوَهَبَ لَهُ الْعَقْلَ الْكَامِلَ وَالْفَهْمَ وَالْإِدْرَاكَ. الْغَنِيُّ عَنِ الْعِبَادِ يَأْمُرُهُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ. وَلَا يَرْضَى لَهُمُ الْكُفْرَ وَالْإِشْرَاكَ. الَّذِي لَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ وَلَا يَضُرُّهُ الْعُصْيَانُ. وَإِنَّمَا يَأْمُرُكَ أَتْيَا الْعَاصِيَ بِطَاعَتِهِ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ يَنْهَاكَ؛ لِيُرِيكَ بَعَيْنٍ يَقِينِكَ وَيُبَيِّنَ لَكَ أَمْرَ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ. فَرَاقِبُهُ وَاتَّقِهِ. وَاحْذَرِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، أَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ تَعَالَيْتَ وَجَلَّ ثَنَاكَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ تَوَحَّدَ بِالْمُلْكِ وَتَعَالَى عَنِ الْإِشْرَاكِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ. وَسَيِّدُ الْأَصْفِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَازُوا بِغَايَةِ الْمُنَى وَالْإِدْرَاكَ، صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمٍ تَشْفَقُ السَّمَاءُ وَتَنْزِلُ الْأَمْلاَكُ. وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَابْنُ مَاجَهَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ - يَعْنِي مَا دُونَ الْفَاحِشَةِ فَلَا أَذْرِي مَا بَلَغَ غَيْرَ أَنَّهُ دُونَ الزُّنَا - فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ﴾ الْآيَةُ.

وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ: «أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ﴾ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾» قَالَ الرَّجُلُ: أَلَيْ هَذِهِ؟ قَالَ: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي.

وَاعْلَمْ أَنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ لَهَا فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَأَنَّهَا تُكَفِّرُ الذُّنُوبَ مَعَ التَّوْبَةِ
وَتَبْسُطُ فِي الرِّزْقِ، وَهِيَ سَبَبٌ إِلَى مُنَاجَاةِ الْإِلَهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَهِيَ السَّبَبُ
الْمَوْصِلُ إِلَى رِضَاهُ وَجَنَّتِهِ فِي جَمِيعِ لَيَالِي السَّنَةِ كُلِّهَا؛ فَكَيْفَ بِهِذِهِ اللَّيَالِي
الْعَظِيمَةِ الْمَشْرِقَةِ؟ فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْمُؤَفَّقُ أَنْ تُدَارِكَ بِقِيَّتِهَا.
فَيَا مَنْ صَحِيفَتُهُ بِالذُّنُوبِ قَدْ جُعَتْ، وَمَوَازِينُهُ بِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ قَدْ خَفَّتْ.
أَمَا رَأَيْتَ أَكْثَمًا عَنْ مَطَامِعِهَا كُفَّتْ؟ أَمَا عَايَنْتَ أَبْدَانَ الْمُتَرَفِّينَ وَقَدْ أَدْرَجَتْ فِي
الْأَكْفَانِ وَلُفَّتْ؟

مَتَى تَهْبُ بِكَ فِي بَحْرِ الْوَجْدِ رِيحُ الْخَوْفِ وَالرَّجَا؟ مَتَى تَكُونُ فِي اللَّيْلِ
قَائِمًا إِذَا سَجَى؟ مَتَى تُشَارِكُ الْقَائِمِينَ فِي ظُلْمِ الدُّجَى؟ عَجَبًا لِمَنْ رَأَى فِعْلَ
الْمَوْتِ بِصَحْبِهِ، وَنَسِيَ جَزَاءَهُ عَلَى جُزْمِهِ وَذَنْبِهِ، وَنَامَ غَافِلًا عَلَى جَنْبِهِ:
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لِمَا عَقَلُوا وَنَامُوا
لَقَدْ خُلِقُوا لِيَوْمٍ لَوْ رَأَتْهُ
مَمَاتُ ثُمَّ نَشَرُّ ثُمَّ حَشَرُ
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلْتُ أَنَاسُ
وَنَحْنُ إِذَا أُمِرْنَا أَوْ نُهِينَا
لِمَا خُلِقُوا لِمَا عَقَلُوا وَنَامُوا
عُيُونُ قُلُوبِهِمْ سَاحُوا وَهَامُوا
وَتَوْبِيخُ وَأَهْوَالُ عِظَامُ
فَصَلُّوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيْقَاطَ نِيَامُ

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ عِلَامَاتٍ وَأَنْوَارًا؛ فَمِنْ عِلَامَاتِهَا: أَنَّ الْكَوَكِبَ لَا
يُرْمَى بِهَا وَأَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَطْلُعُ مُسْتَوِيَّةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةً
الْبَدْرِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ.

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَطْلُعُ مَعَ الشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ
إِلَّا لَيْلَةَ الْقَدْرِ. وَذَلِكَ أَنَّهَا تَطْلُعُ لَا شُعَاعَ لَهَا».

وَيُرْوَى عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُصِيبَ فِيهَا
أَحَدًا بِخَبَلٍ أَوْ دَاءٍ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْفَسَادِ وَلَا يَنْفُذَ فِيهَا سِحْرُ سَاحِرٍ.
وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا لَكِنْ فِيهِ ضَعْفٌ: أَنَّهَا لَا تَسْرِي
نُجُومَهَا وَلَا تَنْبُحُ كِلَابُهَا.

وَأَمَّا النُّورُ الَّذِي يُشَاهَدُ فِيهَا فَاخْتَلَفُوا فِيهِ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ ذَلِكَ النُّورَ الَّذِي يُشَاهَدُ فِيهَا مِثْلُ خَيْمَةٍ عَظِيمَةٍ .

وَاخْتَلَفُوا أَيْضًا مِنْ أَيْنَ نُزُولُ هَذَا النُّورِ ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ مِنْ نُورِ شَجَرَةِ طُوبَى .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ مِنْ نُورِ الرَّحْمَةِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ مِنْ نُورِ أَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ ، قُلْتُ : لَا تَنَافِي بَيْنَ هَذِهِ

الْأَقْوَالِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مِنْ نُورِ الطَّاعَاتِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مِنْ نُورِ أَسْرَارِ الْعَارِفِينَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مِنْ نُورِ الْهَيْبَةِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْلَةٌ مَرُغُوبَةٌ وَهِيَ أَفْضَلُ لَيَالِي الدَّهْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ - يَغْنِي ابْنُ

عَمَرَ - لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ؛ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا» .

صَلَّى كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِوُضُوءِ الْعِشَاءِ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَمِنْهُمْ

مَنْ صَلَّى كَذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

قَالَ بَعْضُهُمْ : أَنَا مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا أَحْزَنَنِي إِلَّا طُلُوعُ الْفَجْرِ .

وَقَالَ ثَابِتٌ : كَابَدْتُ قِيَامَ اللَّيْلِ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَتَمَتَّعْتُ بِهِ عِشْرِينَ سَنَةً

أُخْرَى .

يَا مَنْ عَلَيْهِ نُذُرُ الْمَوْتِ تَدُورُ . وَهُوَ مُسْتَأْنَسٌ فِي الْمَنَازِلِ وَالْدُّورِ . لَا بُدَّ

أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّورِ وَالْقُصُورِ . عَلَى الرَّغْمِ مِنْكَ وَالْقُصُورِ . لَا بُدَّ مِنَ الرَّحِيلِ

إِلَى دَارِ الْقُبُورِ ، وَالتَّحَلِّيَ عَمَّا أَنْتَ بِهِ مَغْرُورٌ ، وَالْبَلِيَّةُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ عَلَى

الْغَفَلَاتِ وَالْفُتُورِ. غَرَّكَ وَاللَّهِ الْعُرُورُ بِفُنُونِ الْخَدَاعِ وَالْعُرُورِ. يَا مُظْلِمَ الْقَلْبِ
وَمَا فِي الْقَلْبِ نُورٌ. الْبَاطِنُ خَرَابٌ وَالظَّاهِرُ مَعْمُورٌ. إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَوَاطِنِ لَا
إِلَى الظُّهُورِ. لَوْ تَفَكَّرْتَ فِي الْقَبْرِ الْمَحْفُورِ. وَمَا فِيهِ مِنَ الدَّوَاهِي وَالْأُمُورِ.
كَانَتْ عَيْنُ الْعَيْنِ مِنْكَ تَفُورُ. يَا مَنْ يَجُولُ فِي الْمَعَاصِي قَلْبُهُ وَهْمُهُ. يَا مُعْتَقِدًا
صِحَّتَهُ فِيمَا هُوَ سَقَمُهُ. يَا مَنْ كُلَّمَا زَادَ عُمُرُهُ زَادَ إِثْمُهُ. يَا طَوِيلَ الْأَمَلِ وَقَدْ
دَقَّ عَظْمُهُ. أَمَا وَعَظُّكَ الزَّمَانُ وَزَجَرَكَ مُلِمُّهُ؟ يَا لَدِيغِ الْأَمَلِ قَدْ بَالَعَ فِيهِ سُمُّهُ.
يَا قَلِيلَ الْعَبْرِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ اللَّحْدَ عَمَّا قَلِيلٍ يَضُمُّهُ. كَيْفَ نَعِظُ مَنْ لَا يَعِظُهُ قَلْبُهُ
وَفَهْمُهُ؟ كَيْفَ نُوقِظُ مَنْ قَدْ نَامَ قَلْبُهُ لَا عَيْنُهُ وَجِسْمُهُ؟

قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ
فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَحْرُومٌ كَبْلَتِكَ خَطِيئَتِكَ. وَقِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا نَسْتَطِيعُ قِيَامَ
اللَّيْلِ. قَالَ: قَيَّدْتُكُمْ خَطَايَاكُمْ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: خَرَجْتُ حَاجًّا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ،
فَبَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ بِاللَّيْلِ وَكَانَتْ لَيْلَةُ قَمَرَاءَ، إِذَا أَنَا بِصَوْتِ
حَزِينٍ فَاتَّبَعْتُ الصَّوْتَ فَإِذَا أَنَا بِشَابٍّ حَسَنِ الْوَجْهِ ظَرِيفِ السَّمَائِلِ، عَلَيْهِ أَثَرُ
الْخَيْرِ وَلَهُ ذَوَابَتَانِ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ
نَامَتِ الْعُيُونُ، وَغَارَتِ النُّجُومُ، وَأَنْتَ مَلِكٌ حَيٌّ قَيُّومٌ، إِلَهِي أَغْلَقْتَ الْمُلُوكُ
أَبْوَابَهَا، وَقَامَتِ عَلَيْهَا خُرَانُهَا، وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ. وَهَا أَنَا سَائِلٌ بِبَابِكَ
مُذْنِبٌ مُسْكِينٌ، جِئْتُ أُنْتَظِرُ رَحْمَتَكَ يَا كَرِيمُ، ثُمَّ أُنْسَأُ يَقُولُ:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ	يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوَى مَعَ السَّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفَدَكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا	وَأَنْتَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنَمْ
أَدْعُوكَ رَبَّ حَزِينًا رَاجِيًا فَرَجًا	فَارْحَمْ بُكَائِي إِلَهَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
أَنْتَ الْغَفُورُ فَجُدْ لِي مِنْكَ مَغْفِرَةً	وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِفَضْلِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يَرْجُوهُ غَيْرُ تَقِي	فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالنِّعَمِ؟

قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ
أَطَعْتُكَ بِمِثْنِكَ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ، وَعَصَيْتُكَ بِجَهْلِي فَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ، فَبِإِظْهَارِ
مِثْنِكَ عَلَيَّ وَإِقَامَةِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبِي وَلَا تَحْرِمَنِي رُؤْيَا
جَدِّي وَفَرَّةَ عَيْنِي حَبِيبِكَ وَصَفِيكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَكَانَ يُرَدِّدُ الْأَبْيَاتَ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مَعْشِيًا
عَلَيْهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَإِذَا هُوَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَرَفَعْتُ رَأْسَهُ فِي
حِجْرِي وَبَكَيْتُ لِبُكَائِهِ فَقَطَّرَتْ قَطْرَتَانِ مِنْ دُمُوعِي عَلَى خَدِّهِ فَأَفَاقَ فَقَالَ: مَنْ
هَذَا الَّذِي شَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَوْلَايَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا الْأَصْمَعِيُّ؛ فَمَا هَذَا الْبُكَاءُ؟
وَمَا هَذَا الْجَزَعُ؟ وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، أَلَيْسَ اللَّهُ ﷻ
قَالَ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»؟
فَاسْتَوَى جَالِسًا. وَقَالَ: يَا أَصْمَعِيُّ هَيْهَاتَ! إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ
وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَخَلَقَ النَّارَ لِمَنْ عَصَاهُ وَإِنْ كَانَ حُرًّا قُرَشِيًّا. أَمَا
سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: «فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَتَسَاءَلُونَ»؟ قَالَ: فَتَرَكْتُهُ عَلَى حَالِهِ وَمَضَيْتُ.

الَلَّيْلُ مِنْهَلٌ يَرِدُّهُ أَهْلُ الْإِرَادَةِ كُلُّهُمْ، وَيَحْتَلِفُونَ فِيمَا يَرِدُونَ وَيُرِيدُونَ. قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرَبُهُمْ، فَالْمُحِبُّ مُتَلَذِّذٌ لِمُنَاجَاةِ مَحْبُوبِهِ، وَالْخَائِفُ يَتَضَرَّعُ
لِطَلَبِ الْعَفْوِ وَيَبْكِي عَلَى ذُنُوبِهِ، وَالرَّاجِي يُلِحُّ فِي سُؤَالِ مَطْلُوبِهِ، وَالْعَافِلُ
الْمُسْكِينُ أَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَهُ فِي جِرْمَانِهِ وَفَوَاتِ نَصِيْبِهِ.

إِخْوَانِي: مَاذَا فَاتَهُ مَنْ فَاتَهُ قِيَامُ اللَّيْلِ؟ لَقَدْ حَصَلَ أَهْلُ الْعَفْلَةِ وَالنُّومِ
عَلَى الْجِرْمَانِ وَالْوَيْلِ، أَمَا لَكُمْ هِمَّةٌ تُنَافِسُونَ الْحَسَنَ وَسُفْيَانَ وَفُضَيْلَ؟ أَمَا
سَمِعْتُمْ قَوْلَ سَرِيٍّ: رَأَيْتُ الْفَوَائِدَ تَرُدُّ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ؟

عِبَادَ اللَّهِ: هَذِهِ الْأَيَّامُ مَطَايَا، أَيْنَ الْعُدَّةُ قَبْلَ الْمَنَآيَا؟ أَيْنَ الْأَنْفَةُ مِنْ دَارِ
الْأَذْيَا؟ أَيْنَ الْعَزَائِمُ؟ أَرْضَيْتُمْ بِالْذَّنَايَا؟ إِنَّ بَلِيَّةَ الْهَوَى لَا تُشْبِهُ الْبَلَايَا، وَإِنَّ

خَطِيئَةُ الْأَحْرَارِ لَا كَالْخَطَايَا، يَا مَسْئُورِينَ سَتَظْهَرُ الْحَقَايَا، سَرِيَّةُ الْمَوْتِ لَا
تُشْبِهُ السَّرَايَا، قَضِيَّةُ الزَّمَانِ لَا تُشْبِهُ الْقَضَايَا، مَلِكُ الْمَوْتِ لَا يَقْبَلُ الْهَدَايَا،
أَيُّهَا الشَّابُّ سَتَسْأَلُ عَنْ شَبَابِكَ، أَيُّهَا الْكَهْلُ تَأْهَبُ لِعِتَابِكَ، أَيُّهَا الشَّيْخُ تَدَبَّرْ
أَمْرَكَ قَبْلَ سَدِّ بَابِكَ.

يَا مَرِيضَ الْقَلْبِ قِفْ بِبَابِ الطَّبِيبِ، يَا مَنْحُوسَ الْحِطِّ اشْكُ فَوَاتِ
النَّصِيبِ، لُذْ بِالْجَنَابِ ذَلِيلًا، وَقِفْ عَلَى الْبَابِ طَوِيلًا، وَاتَّخِذْ فِي بَقِيَّةِ هَذِهِ
الْعُسْرِ سَبِيلًا، اجْعَلْ جَنَابَ التَّوْبَةِ مَقِيلًا، وَاجْتَهِدْ فِي الْخَيْرِ تَجِدْ ثَوَابًا جَزِيلًا،
وَاسْتَدْرِكِ الشَّهْرَ قَبْلَ رَجِيلِهِ - وَأَنْتَ بِدَاءِ التَّفْرِيطِ - عَلِيلًا، قُلْ فِي الْأَسْحَارِ:
أَنَا تَائِبٌ، وَقَدْ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ أَطْلُبُ الْمَوَاهِبَ، وَنَادِ فِي الدُّجَى قَدْ قَدِمَ الْعَاثِبُ،
قَالَ:

اغْفُ عَنِّي وَأَقِلْ لِي عَثْرَتِي يَا غِيَاثَا لِمُلِمَّاتِ الزَّمَنِ
لَا تُعَاقِبْنِي فَقَدْ عَاقَبَنِي نَدَمٌ أَقْلَقَ رُوحِي فِي الْبَدَنِ
إِنْ تُؤَاخِذْنِي فَمَنْ ذَا أَرْتَجِي وَإِذَا لَمْ تَغْفُ عَن ذَنْبِي فَمَنْ؟

إِخْوَانِي: أَيْنَ مَنْ أَدْرَكَ مَقَامَاتِ الْمَقْبُولِينَ، أَيْنَ مَنْ حَتَّ مَطَايَاهُ خَلْفَ
الْمُسْمَرِينَ؟ أَيْنَ الْمُتَأَهَّبُ لِأَفْزَاعِ يَوْمِ الدِّينِ؟ أَيْنَ الْمُتَنَصِّفُ بِصِفَاتِ أَهْلِ الْيَقِينِ؟
فَلِلَّهِ دُرُّ نَفُوسٍ تَطَهَّرَتْ مِنْ أَدْنَسِ هَوَاهَا، وَتَدَرَّعَتْ لِبَاسِ الصَّبْرِ عَنْ عَاجِلِ
دُنْيَاهَا، وَشَغَلَهَا مَا رَأَى الْقَلْبُ عَمَّا رَأَتْ عَيْنَاهَا، سَهَرَتْ تَطْلُبُ رِضَى الْمَوْلَى
فَرَضِي عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، وَرُمَتْ نَجَائِبُ الْأَسْحَارِ فَسَاقَهَا حَادِيِ الْاسْتِغْفَارِ إِذْ
عَنَاهَا، وَقَطَعَتْ بَيْنَاءَ الْجِدِّ بِآلَةِ الْمُسْتَعِدِّ فَبَلَغَتْ مَنَاهَا. شِعْر:

يَا رَبَّ عَبْدُكَ قَدْ أَتَاكَ مَاكَ وَقَدْ أَسَاءَ وَقَدْ هَفَا
يَكْفِيهِ مِنْكَ حَيَاؤُهُ مِنْ سُوءٍ مَا قَدْ أَسْلَفَا
حَمَلَ الذُّنُوبَ عَلَى الذُّنُ حُوبِ الْمُؤِيقَاتِ وَأَسْرَفَا
وَقَدْ اسْتَجَارَ بِذَيْلِ عَفْوِ بَوِكَ مِنْ عِقَابِكَ مُلْحَفَا

رَبِّ اغْفِرْ عَنْهُ وَعَافِهِ فَلَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ عَافَا

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُتَّقِينَ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفَرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَنَا عَذَابَ النَّارِ ۖ﴾ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۖ﴾ (١٧).

الْأَسْحَارُ: هِيَ أَوَاخِرُ اللَّيْلِ، وَقَدْ امْتَدَحَ اللَّهُ الْمُصَلِّينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ فِيهَا وَهِيَ مِنْ أَوْقَاتِ قَبُولِ الدُّعَاءِ. كَمَا رُوِيَ أَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا سَوَّفَ لِنَبِيِّهِ بِالْأَسْتِغْفَارِ لَهُمْ أُخْرَاهُ إِلَى وَقْتِ السَّحَرِ.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» وَتَقَدَّمَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَسْلَفَ الصَّالِحَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ كَانُوا يُدَاوِمُونَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، لِأَنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ لَهَا فَضْلٌ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ وَلَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الشَّرِيفَةِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالْأَسْتِغْفَارِ فِي السَّحَرِ، لِأَنَّهُ مَظْنَةُ الْإِجَابَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ نُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَلِلدُّعَاءِ آدَابٌ، مِنْهَا: أَنْ يَرُضِدَ بِهِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ كَهَذِهِ اللَّيَالِي، وَأَوْقَاتِ الْأَسْحَارِ، وَأَرْجَى مَا يَكُونُ لِلْإِجَابَةِ فِي السُّجُودِ.

وَيُسْتَرْطُ لِرَجَاءِ الْإِجَابَةِ، الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُسْتَرْطُ أَيْضًا حُضُورُ الْقَلْبِ وَرَغْبَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَخَوْفُهُ مِنْ عِقَابِهِ، وَخُشُوعُهُ فِي صَلَاتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مَأْكُلُهُ مِنْ حَلَالٍ، وَلَا يَسْتَعْجِلَ الْإِجَابَةَ، فَرُبَّمَا كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ فِي التَّأْخِيرِ، وَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ مُبَادِرًا بِالْأَعْمَالِ، مُجْتَنِبًا لِلتَّقْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ، وَأَنْ يُعَدَّ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ خَبِيَّةِ الْأَمَالِ.

قَالَ رَجُلٌ لِدَاوُدَ الطَّائِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ عَرَفْتَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْقَرَابَةِ فَأَوْصِنِي، فَبَكَى دَاوُدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: يَا أَخِي، إِنَّمَا اللَّيْلُ مَرَّاجِلٌ يَنْزِلُهَا النَّاسُ مَرَحَلَةً مَرَحَلَةً حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهِمْ إِلَى آخِرِ سَفَرِهِمْ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ زَادًا لِسَفَرِكَ فَافْعَلْ، فَإِنَّ انْقِطَاعَ السَّفَرِ عَنْ قَرِيبٍ، وَالْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَتَزَوَّدْ لِسَفَرِكَ، وَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مِنْ أَمْرِكَ، فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَعَثَكَ. إِنِّي لَأَقُولُ لَكَ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَشَدَّ تَضَيُّعًا مِنِّي لِذَلِكَ.

وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ: دَخَلْتُ الْكُوفَةَ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي ظُلْمَةٍ إِذْ سَمِعْتُ بُكَاءَ رَجُلٍ بِصَوْتِ شَجِيٍّ مِنْ دَاخِلِ الدَّارِ، وَهُوَ يَقُولُ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِكَ مُخَالَفَتَكَ، وَلَكِنْ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، وَعَلَبَتْني شِفَوْتِي، وَعَرَّنِي سِتْرَكَ الْمُرْخَى عَلَيَّ، فَالآنَ مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ عَذَابِكَ، وَبِحَبْلِ مَنْ أَعْتَصِمُ إِنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي؟ وَادْنُوبَاهُ، وَاعْوَنَاهُ، يَا اللَّهُ.

قَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ: فَأَبْكَانِي كَلَامُهُ، فَوَقَفْتُ فَقَرَأْتُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٥١﴾ فَسَمِعْتُ لِلرَّجُلِ اضْطِرَابًا شَدِيدًا وَصِيحًا، فَوَقَفْتُ حَتَّى انْقَطَعَ صَوْتُهُ وَمَضَيْتُ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ إِلَى الدَّارِ فَوَجَدْتُ الرَّجُلَ قَدْ مَاتَ وَالنَّاسُ فِي تَجْهِيزِهِ، وَعَجُوزٌ تَبْكِي. فَسَأَلْتُهَا عَنْ أَمْرِ الْمَيِّتِ، وَلَمْ تَكُنْ عَرَفْتَنِي، فَقَالَتْ: هَذَا رَجُلٌ لَا جَزَاءَ اللَّهُ خَيْرًا، مَرَّ بِابْنِي الْبَارِحَةَ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَتَلَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَتَفَطَّرَتْ مَرَارَتُهُ فَوْقَ مَيِّتًا.

فَيَا أَيُّهَا الْمَسْغُورُ طُولَ اللَّيْلِ فِي الْمَنَامِ، وَطُولَ النَّهَارِ فِي جَمْعِ الْحُطَامِ، أَتَرْضَى بِمُشَارَكَةِ الْأَنْعَامِ؟ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَحَثَّهُ عَلَى الْمُسَابَقَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِغْتِنَامِ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٢٠﴾؟ وَأَلْفُ شَهْرٍ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ. قِيلَ: يَغْنِي أَنْ الرَّحْمَةَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَكْثَرُ مِنَ الرَّحْمَةِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ.

وَالصَّحِيحُ مَا تَقَدَّمَ: أَنَّ الرَّحْمَةَ عَلَى الْعُصَاةِ وَالْمُذْنِبِينَ فِي اللَّيْلَةِ وَحَدَهَا
مِثْلُ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِمْ فِي أَلْفِ شَهْرٍ. وَقَوْلُهُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ، قِيلَ: إِنَّهَا لَيْلَةٌ لَهَا قَدْرٌ
وَجَاهٌ وَمَنْزِلَةٌ وَشَرَفٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقِيلَ: تُقَدَّرُ فِيهَا الْأَرْزَاقُ وَالْآجَالُ، وَالْأَمْرَاضُ وَالْمَصَائِبُ، وَالْبَلَايَا
وَالْعَافِيَةُ، وَالْفَرَحُ وَالْأُشْرُورُ، وَالرَّبْحُ وَالْخُسْرَانُ، وَالْعِزُّ وَالذُّلُّ، وَالْخَفْضُ
وَالرَّفْعُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَمَا يَكُونُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ عَامٍ قَابِلٍ، وَهُوَ
الصَّحِيحُ كَمَا تَقَدَّمَ تَأْيِيدُهُ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ.

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا
كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ سُكَّانُ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَجِبْرِيلُ
مَعَهُمْ ﷺ؛ وَمَعَهُمْ أَرْبَعَةُ أَلْوِيَةٍ، فَيَنْصَبُ لَوَاءٌ مِنْهَا عَلَى قَبْرِي وَلَوَاءٌ مِنْهَا عَلَى
طُورِ سَيْنَاءَ، وَلَوَاءٌ مِنْهَا عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَلَوَاءٌ مِنْهَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتِ
الْمَقْدِسِ، وَلَا يَدْعُ بَيْتًا فِيهِ مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِلَّا دَخَلَهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، يَقُولُ: يَا
مُؤْمِنُ يَا مُؤْمِنَةُ، السَّلَامُ يُقَرِّتُكَ السَّلَامُ. فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، فَأَوَّلُ مَنْ يَصْعَدُ
جِبْرِيلُ ﷺ حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَعْلَى بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَبْسُطُ
جَنَاحَهُ، فَيَقُومُ جِبْرِيلُ ﷺ يَدْعُو مَلَكًا مَلَكًا فَيَصْعَدُونَ فَيَجْتَمِعُ نُورُ الْمَلَائِكَةِ
وَنُورُ جَنَاحِ جِبْرِيلَ ﷺ، فَتُصْبِحُ الشَّمْسُ بَيَضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا.

فَيَقُومُ جِبْرِيلُ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يُؤْمِنُهُمْ
ذَلِكَ فِي دُعَاءٍ وَاسْتِعْفَارٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. فَإِذَا أَمْسَوْا دَخَلُوا سَمَاءَ الدُّنْيَا.
فَتَقُولُ لَهُمْ مَلَائِكَةُ سَمَاءِ الدُّنْيَا: مَرْحَبًا بِأَشْرَافِنَا وَسَادَاتِنَا مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُمْ؟
فَيَقُولُونَ: أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَقُولُونَ: مَا صَنَعَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى فِي حَوَائِجِهِمْ؟ فَيَقُولُونَ: غَفَرَ لِصَالِحِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَفَعَ صَالِحَهُمْ
فِي ظَالِحِهِمْ، فَيَصِيحُونَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، شُكْرًا
لِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُونَهُمْ عَنْ رَجُلٍ رَجُلٍ، وَامْرَأَةٍ امْرَأَةٍ.

فَيَقُولُونَ: مَا فَعَلَ فَلَانٌ مَا فَعَلْتَ فَلَانَةُ؟ فَيَقُولُونَ: وَجَدْنَا فَلَانًا عَامَ الْأَوَّلِ مُبْتَدِعًا، وَوَجَدْنَاهُ هَذَا الْعَامَ مُتَعَبِّدًا، فَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ. وَوَجَدْنَا فَلَانًا عَامَ الْأَوَّلِ مُتَعَبِّدًا وَوَجَدْنَاهُ هَذَا الْعَامَ مُبْتَدِعًا، فَيَكْفُونَ عَنِ الْاسْتِغْفَارِ لَهُ، وَوَجَدْنَا فَلَانًا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، وَوَجَدْنَا فَلَانًا رَاكِعًا، وَوَجَدْنَا فَلَانًا سَاجِدًا، وَوَجَدْنَا فَلَانًا تَالِيًا لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَجَدْنَا فَلَانًا بَاكِيًا، فَيَدْعُونَ لَهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ.

ثُمَّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَلَهُمْ فِي كُلِّ سَمَاءٍ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ فِي دُعَاءٍ وَاسْتِغْفَارٍ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى مَكَانِهِمْ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَتَقُولُ لَهُمْ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى: أَيْنَ غِبْتُمْ هَذِهِ الْأَيَّامَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا عِنْدَ نَزُولِ الرَّحْمَةِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَقُولُ لَهُمْ: مَا صَنَعَ الرَّبُّ بِهِمْ؟ فَيَقُولُونَ: غَفَرَ لِمُحْسِنِيهِمْ وَشَفَّعَهُ فِي مُسِيئِهِمْ، قَالَ: فَتَهْتَرُ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَتُسَبِّحُ عَلَى اللَّهِ ﷻ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُمَّةً مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَسْمَعُهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى وَهِيَ مُطَلَّةٌ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: يَا سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، لِمَ اهْتَرَزْتَ؟ فَتَقُولُ: أَخْبَرَنِي سُكَّانِي عَنْ جِبْرِيلَ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَفَرَ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَفَّعَ مُحْسِنَهُمْ فِي مُسِيئِهِمْ. فَتَصِيحُ جَنَّةُ الْمَأْوَى بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالنَّثَاءِ وَالشُّكْرِ، لِمَا أَعْطَى اللَّهُ أُمَّةً مُحَمَّدٍ ﷺ. فَتَسْمَعُهَا جَنَّةُ النَّعِيمِ وَهِيَ مُطَلَّةٌ عَلَيْهَا فَتَقُولُ: يَا جَنَّةَ الْمَأْوَى، لِمَ صَحْتَ؟ فَتَقُولُ: أَخْبَرَنِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى عَنْ سُكَّانِهَا عَنْ جِبْرِيلَ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَفَرَ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَفَّعَ مُحْسِنَهُمْ فِي مُسِيئِهِمْ فَتَصِيحُ جَنَّةُ النَّعِيمِ، فَتَسْمَعُهَا جَنَّةُ عَدْنٍ، ثُمَّ يَسْمَعُ جَنَّةُ عَدْنٍ الْكُرْسِيُّ فَيَقُولُ الْكُرْسِيُّ كَذَلِكَ، ثُمَّ يَسْمَعُ الْكُرْسِيُّ الْعَرْشَ، فَيَقُولُ: يَا كُرْسِيُّ لِمَ صَحْتَ؟ فَيَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَنَّةُ عَدْنٍ عَنْ جَنَّةِ النَّعِيمِ عَنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى، عَنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عَنْ سُكَّانِهَا عَنْ جِبْرِيلَ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَفَرَ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَفَّعَ مُحْسِنَهُمْ فِي مُسِيئِهِمْ.

قَالَ: فَيَهْتَرُ الْعَرْشُ طَرَبًا وَيَصِيحُ، فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ: لِمَ صَحْتَ

- وَهُوَ أَعْلَمُ - فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَخْبَرَنِي الْكُرْسِيُّ عَنْ جَنَّةِ عَدْنٍ، عَنْ جَنَّةِ النَّعِيمِ، عَنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى، عَنْ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، عَنْ سُكَّانِهَا، عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ عَفَرْتَ لَأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَفَعْتَ مُحْسِنَهُمْ فِي مُسَيِّئِهِمْ، وَصَالِحَهُمْ فِي ظَالِحِهِمْ. فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: صَدَقَ جِبْرِيلُ، وَصَدَقَ سُكَّانُ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وَصَدَقَتْ سِدْرَةُ الْمُنتَهَى، وَصَدَقَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَى، وَصَدَقَتْ جَنَّةُ النَّعِيمِ، وَصَدَقَتْ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَصَدَقَ الْكُرْسِيُّ وَصَدَقْتَ يَا عَزِيزِي. أَعَدَدْتُ لَأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

وَاعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَقِفْ عَلَى مَنْ خَرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ لِأَذْكُرَهُ. لَكِنْ رَأَيْتُهُ فِي غَيْرِ كِتَابٍ مُجَرَّدًا عَمَّنْ خَرَجَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ نَحْوَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ، وَلَهُ شَوَاهِدُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

إِخْوَانِي، كَيْفَ يَظْمَنُنْ إِلَى الدُّنْيَا مَنْ رَأَى سُرْعَةَ الْإِنْتِقَالِ، وَكَيْفَ يَظْمَعُ فِي الْمَقَامِ مَنْ يَرَى تَقَلُّبَ الْأَحْوَالِ؟ تَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَهِيَ خَيَالٌ، وَتَحْمِلُونَ أَوْزَارَهَا وَهِيَ ثِقَالٌ، وَتَتَعَلَّلُونَ بِالتَّسْوِيفِ وَالْأَمَالِ، وَتُبَارِزُونَ بِالْمَعَاصِي ذَا الْجَلَالِ، أَمَا أَنْذَرَكُم مَّنْ رَحَلَ مِنَ الْأَحْبَابِ بِالْإِرْتِحَالِ؟ فَجِدُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهَ مَا دُمْتُمْ فِي زَمَنِ الْإِمْهَالِ، وَاسْتَذِرْكُوا بَقِيَّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَدْ عَزَمَ عَلَى الْإِرْتِحَالِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا ثَلَاثُ لَيَالٍ. كَانَ وَاللَّهِ مَوْسِمًا لِقَسَمِ الْعَنَائِمِ، وَمَيْدَانَ مُسَابَقَةِ الْخَيْرَاتِ لِأَهْلِ الْعَزَائِمِ.

إِخْوَانِي، كَيْفَ لَا يُبْكِي عَلَى فِرَاقِ هَذَا الشَّهْرِ؟ وَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا خَصَّكُمْ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ، فَاجْتَهِدُوا فِي بَقِيَّةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَعَسَى تُؤَافُونَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ. فَتَمُوزُوا مِنَ الْإِلَهِ بِالْعُقْرَانِ وَوَافِرِ الْأَجْرِ.

شِعْر:

قُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَارْفَعْ شِكَايَةَ إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَقَلْبُكَ خَاشِعٌ

وَقُلْ: يَا رَعُوفًا بِالْعِبَادِ وَمُحْسِنًا
فَكُنْ رَاحِمًا فَقْرِي وَذُلِّي وَحَالَتِي
وَوَفِّرْ نَصِيبِي مِنْ عَطَايَاكَ سَيِّدِي
أَغِثْ يَا عَظِيمَ الطَّوْلِ عَبْدًا مُحَازِرًا
بِبَابِكَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِكَ خَاضِعٌ
فَعَفُوكَ مَأْمُولٌ وَفَضْلُكَ أَوْسَعُ
فَمَا زِلْتَ تُعْطِي مَنْ لِبَابِكَ قَارِعُ
وَيَرْجُوكَ فِي الْعُقْرَانِ بِالْعَفْوِ طَامِعُ

لِلَّهِ دُرُّ أَقْوَامٍ أَقْدَامُهُمْ فِي الدُّجَى قَائِمَةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ سَاهِرَةٌ لَا نَائِمَةٌ،
وَقُلُوبُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ عَازِمَةٌ، وَهَذِهِ أَفْعَالُ النُّفُوسِ الْحَازِمَةِ، فَوَجَبَتْ لَهُمْ نَجَاةٌ
قَطْعِيَّةٌ جَازِمَةٌ، وَجُوهٌ لَهُمْ طَالَمَا غَسَلَتْهَا الدُّمُوعُ، وَجُوهٌ طَالَمَا أَذَلَّهَا الْخُشُوعُ،
وَجُوهٌ ظَهَرَ عَلَيْهَا الْاضْغِرَارُ مِنَ الْجُوعِ، وَجُوهٌ إِذَا عَنَتْ أَدْعَنْتْ وَذَلَّتْ، وَجُوهٌ
أَلْفَتِ السُّجُودَ فَمَا مَلَّتْ، وَجُوهٌ تَوَجَّهَتْ إِلَيْنَا وَعَنْ غَيْرِنَا تَوَلَّتْ، سَهَرُهُمْ إِلَى
الصَّبَاحِ قَدْ أَثَّرَ فِي الْوُجُوهِ الصَّبَاحُ، وَافْتِنَا عَنْهُمْ بِالْخُبْرِ الْفَقَارِ وَالْمَاءِ الْفَرَّاحِ،
قَدْ عَمِلَ فِي الْأَجْسَامِ وَالْأَشْبَاحِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ اجْتِرَاحِ الْجَنَاحِ، قَدْ صَيَّرَهُمْ
كَمَقْضُوصِ الْجَنَاحِ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ فِي الْخُدُودِ، كَالْمِيَاءِ فِي الْأَخْدُودِ، وَتَعْمَلُ
نَارُ الْحَذَرِ فِي الْكُبُودِ، فَيَتَمَتَّوْنَ عَدَمَ الْوُجُودِ، فَهُمْ بَيْنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ،
يَتَفَكَّرُونَ فِي السَّابِقَةِ، وَيَحْذَرُونَ مِنَ الْآلِاقَةِ، كَأَنَّ السُّيُوفَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ
بَارِقَةٌ، طَالَمَا أَطَالُوا الْبُكَاءَ فِي اللَّيْلِ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ كَجَرِيِّ السَّيْلِ، وَاعْلَمْ
أَنَّ مَا يُكَالُ لِلْعَبْدِ عَلَى قَدْرِ الْكَيْلِ، جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ وَهُمْ قِيَامٌ، وَجَاءَ النَّهَارُ
وَهُمْ صِيَامٌ، وَتَوَرَّعُوا عَنْ قَوْلِ الزُّورِ فِي الْكَلَامِ، فَيَا حُسْنَهُمْ وَحُسْنَ الْخِتَامِ.

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ، وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ. وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْفَرَارِ، وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَمَغْفِرَتِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ.

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمَقْبُولِينَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْفَضِيلِ. وَخُصَّنَا فِيهِ بِالْأَجْرِ
الْوَافِرِ وَالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ، وَاعْفِرْ لَنَا فِيهِ كُلَّ ذَنْبٍ عَظِيمٍ، وَخَفِّفْ ظُهُورَنَا مِنْ كُلِّ
وِزْرِ ثَقِيلٍ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا فِيهِ يَسِيرَ أَعْمَالِنَا فَإِنَّكَ تَقْبَلُ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ، وَأَجِرْنَا فِيهِ
مِنْ عَذَابِكَ وَأَكْرِمْنَا بِسَيِّئِ عَادَاتِكَ عَلَى كُلِّ حَسَنِ جَمِيلٍ. وَاحْشُرْنَا تَحْتَ لَوَاءِ

مَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ. بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

البَابُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ فِي وَدَاعِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَوَحِّدِ بِالْبَقَاءِ وَالْكِبْرِيَاءِ. وَالْعِزِّ وَالْجَلَالِ وَالْبَهَاءِ. وَالْمُتَفَرِّدِ
بِالْإِنْشَاءِ وَالْإِبْجَادِ. الْمُتَعَالِي بِعِزِّهِ وَقَهْرِهِ عَنِ الْأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ وَالْأَضْدَادِ.
الْمُتَنَزِّهِ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ. الْغَنِيِّ الَّذِي
كُلُّ غَنِيٍّ إِلَيْهِ فَقِيرٌ. وَكُلُّ عَسِيرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، وَالْبَاقِي مُلْكُهُ عَلَى الْآبَادِ. قَسَمَ
خَلْقَهُ إِلَى شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ. وَمَقْبُولٍ وَطَرِيدٍ. فَلَا مَعَاصِيَهُمْ تَنْقُصُ مُلْكُهُ وَلَا
طَاعَتُهُمْ تَزِيدُ، فَلَهُ الْمُلْكُ التَّامُّ بِخَلْقِهِ وَالْإِنْفِرَادِ، رَافِعُ السَّبْعِ السُّدَادِ،
وَجَاعِلُهَا عَالِيَةً بِغَيْرِ عِمَادٍ، وَمُزَيِّنُهَا بِكُلِّ كَوْكَبٍ نِيرٍ وَقَادٍ، وَوَضَعَ الْأَرْضَ
لِلْمِهَادِ، وَثَبَّتَهَا بِسَوَامِيخِ الْأَطْوَادِ، وَمُبْدِعُ الْمَطْلُوبِ وَالْمُرَادِ. الْكَرِيمُ الَّذِي مَنْ
أَقْبَلَ إِلَيْهِ تَلَقَّاهُ، وَمَنْ لَادَ بِحِمَاهُ حَمَاهُ وَوَقَاهُ. وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَأَوَاهُ،
وَبَابُهُ مَحَطُّ الرُّكَّابِ وَمُنَاحُ الْعِبَادِ. خَزَائِنُهُ مَلَأَى فَلَا تُغِيضُهَا النِّفَقَاتُ. سَمِعُهُ
قَدْ وَسِعَ جَمِيعَ الْأَصْوَاتِ. وَبَصَرُهُ قَدْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ الْمَرْتَبَاتِ. وَفِي مِيدَانِ حُبِّهِ
مُسَابَقَةُ الرُّهَادِ. يُحِبُّ السَّائِلِينَ وَيُنِيلُ الطَّالِبِينَ. وَعِنْدَهُ مَطَالِبُ الدَّاعِينَ وَمَالَ
الْقَصَادِ.

فَسُبْحَانَهُ مَنْ إِلَهٌ يَسْمَعُ أَيْنَ الْمُذْنِبِينَ فِي حَنَادِسِ الظَّلَامِ، وَلَا تَخْتَلِفُ
عَلَيْهِ اللُّغَاتُ بِأَيِّ كَلَامٍ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ وَالْأَحْكَامُ، وَيَعْلَمُ سِرَّ الْقَلْبِ
وَبَاطِنَ الْإِعْتِقَادِ، أَسْبَلُ ذَيْلِ سِتْرِهِ عَلَى الْعَاصِينَ، وَجَادَ عَلَى السَّائِلِينَ، فَرَادَهُمْ
فَوْقَ الْمُرَادِ، وَعَمَرَ الْخَلْقَ بِإِحْسَانِهِ، وَأَعْظَاهُمْ مِنْ كَرَمِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَلَمْ يَخَفْ
مِنَ النِّقْصِ وَالنَّفَادِ.

أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَم كَثِيرَةِ التَّعَادِدِ، وَأَشْكُرُهُ وَكُلَّمَا شُكِرَ زَادَ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا انْقِضَاءَ لِمُلْكِهِ وَلَا
نَفَادَ، شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا النِّجَاةَ مِنْ هَوْلِ يَوْمٍ يُشِيبُ هَوْلُهُ الْأَوْلَادَ.
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى، وَخُلَاصَةُ الْعِبَادِ. صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، صَلَاةً تَتَعَاقَبُ إِلَى قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَخُرُوجِ الْأَمْوَاتِ
لِيَوْمِ التَّنَادِ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١١﴾﴾
أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ هُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا
ابْنَةَ الصَّدِيقِ. وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا
يُقْبَلَ مِنْهُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ.

كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَهْتَمُّونَ لِقَبُولِ الْعَمَلِ بَعْدَ آدَائِهِ.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ: أَدْرَكْتُهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ،
فَإِذَا فَعَلُوهُ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الْهَمُّ: أَيْقَبَلُ مِنْهُمْ أَمْ لَا؟ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴿٢٦﴾﴾ فَمِنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ،
وَيَعْفُو عَمَّا سَلَفَ مِنْهُ وَلَا يَتَعَاطَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ، وَيَسْتَجِيبُ دُعَاءَ الدَّاعِينَ
وَيَسْمَعُ أُنِينَ الْمُذْنِبِينَ، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُلِحَّ عَلَى اللَّهِ بِالْإِسْتِغْفَارِ وَالْأَسْتِغْفَارِ؛ فَإِنَّ
الْإِسْتِغْفَارَ خِتَامُ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا، فَيُخْتِمُ بِهِ الصَّلَاةُ وَالْحَجُّ وَقِيَامُ اللَّيْلِ، وَيُخْتِمُ
بِهِ الْمَجَالِسُ، وَشَهْرُ رَمَضَانَ تَكْثُرُ فِيهِ أَسْبَابُ الْغُفْرَانِ، فَمِنْ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ
فِيهِ: صِيَامُهُ وَقِيَامُهُ وَقِيَامُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَدْ قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ:
إِنَّهُ يُرْجَى بِهِ مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ كَبَائِرِهَا وَصَغَائِرِهَا، وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْكَبَائِرَ لَا
بَدْءَ لَهَا مِنْ تَوْبَةٍ نَصُوحٍ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ: تَفْطِيرُ الصَّوَامِ وَالتَّخْفِيفُ عَنِ الْمَمْلُوكِ، كَمَا أَفَادَهُ حَدِيثُ سَلْمَانَ الْمَرْفُوعِ.

وَمِنْهَا: الذِّكْرُ؛ فَفِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ: «ذَاكِرُ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ».

وَمِنْهَا: الِاسْتِغْفَارُ، وَالِاسْتِغْفَارُ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ، وَدُعَاءُ الصَّائِمِ مُسْتَجَابٌ فِي صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ، وَلِهَذَا كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه، إِذَا أَفْطَرَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ اغْفِرْ لِي».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَرْفُوعِ، فِي فَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ: «وَيُغْفَرُ فِيهِ إِلَّا لِمَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: يَأْبَى أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ.

وَمِنْهَا: اسْتِغْفَارُ الْمَلَائِكَةِ لِلصَّائِمِينَ حَتَّى يُفْطَرُوا كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْآتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَلَمَّا كَثُرَتْ أَسْبَابُ الْمَغْفِرَةِ فِي رَمَضَانَ كَانَ الَّذِي تَفَوُّتُهُ الْمَغْفِرَةُ فِيهِ مَحْرُومًا غَايَةَ الْحِرْمَانِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: آمِينَ. آمِينَ. آمِينَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ. فَقُلْتَ: آمِينَ. آمِينَ. آمِينَ، فَقَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ. قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتَ: آمِينَ. وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبْرَهُمَا فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ؛ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتَ: آمِينَ. وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتَ آمِينَ» رَوَاهُ ابْنُ جِبَّانَ.

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «كَانَ يُقَالُ: مَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي رَمَضَانَ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ
فِيمَا سِوَاهُ».

عِبَادَ اللَّهِ: مَاذَا فَاتَهُ مَنْ فَاتَهُ خَيْرُ رَمَضَانَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ أَدْرَكَهُ
فِيهِ الْحِرْمَانُ؟ كَمْ بَيْنَ مَنْ حَظَّهُ فِيهِ الْقَبُولُ وَالْعُفْرَانُ؟ وَبَيْنَ مَنْ كَانَ حَظُّهُ فِيهِ
الْخَبِيَّةَ وَالْحُسْرَانَ؟ رَبِّ قَائِمِ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ الشَّهْرِ. وَصَائِمِ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ
الْجُوعِ وَالْعَطَشِ.

مَا أَصْنَعُ؟ هَكَذَا الْمَقْدُورُ الْجَبْرُ لِغَيْرِي وَأَنَا الْمَكْسُورُ
أَسِيرُ ذَنْبٍ مُقَيَّدٌ مَهْجُورٌ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يُغَيِّرَ الْمَقْدُورُ
مَتَى يُغْفَرُ لِمَنْ لَا يُغْفَرُ لَهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ مَتَى يُقْبَلُ مَنْ رُدَّ فِي لَيْلَةِ
الْقَدْرِ؟ مَتَى يُعْتَقَ مَنْ لَمْ يُعْتَقَ فِي آخِرِهِ مِنَ النَّيْرَانِ؟ مَتَى يَرْبُحَ مَنْ كَانَ حَظُّهُ
فِيهِ الْخَبِيَّةَ وَالْحُسْرَانَ؟ فَوَا أَسَفًا لِهَذَا الْغُبْنِ أَنْ تَرَى الْمُجْتَهِدِينَ قَدْ بَادَرُوا
الْأَوْقَاتِ، وَاجْتَهَدُوا فِي الطَّاعَاتِ، وَضَوَّعَتْ لَهُمُ الْحَسَنَاتُ. وَأَنْتَ مُكِبٌّ
عَلَى الْغَفَلَاتِ، وَمُنْهَمَكٌ فِي الْبَطَالَاتِ. أَمَا يَأْنِي لَكَ أَيُّهَا الْمِسْكِينُ أَنْ تَتُوبَ؟
أَمَا يَأْنِي لَكَ أَنْ تُقْلِعَ عَنِ الْمَعَاصِي وَتَتُوبَ. وَتَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَ بِمَا بَقِيَ مِنْ
إِصْلَاحِ الْعُيُوبِ؟

سَارَ الْقَوْمُ وَالشَّقَاءُ يُفْعِدُنِي حَازُوا الْقُرْبَ وَالْجَفَاءُ يُبْعِدُنِي
حَسْبِي حَسْبِي إِلَى مَتَى تَطْرُدُنِي أَعْدَائِي دَائِي وَكُلُّهُمْ يَقْصِدُنِي
فَيَا هَذَا، تَذَارَكَ مَوَاسِمَ الْعُفْرَانِ، وَاجْتَهَدَ فِي بَقِيَّةِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَعَلَّكَ
لَا تُدْرِكُهُ فِي الزَّمَانِ الثَّانِي، نَكْسِ الرَّأْسَ تَنْكِيسَ نَدْمَانَ، وَقِفْ عَلَى بَابِ
الْمَوْلَى وَقُلْ: يَا صَاحِبَ الْإِحْسَانِ. عَبْدُكَ الضَّعِيفُ أَسِيرُ الْعُضْيَانِ، وَحَلِيفُ
الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ. قَدْ انْطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاسْتَكَانَ، يَسْتَقِيلُكَ مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْعُضْيَانِ؛ فَأَنْتَ الْمَعْرُوفُ بِالْفَضْلِ وَالْأَمْتِنَانِ.

رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «وَالَّذِي

بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، إِنَّ لِلَّهِ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَرَسَخٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، أَجْرَى اللَّهُ لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرَضِ الْإِصْبَعِ بِمَاءٍ عَذْبٍ يَسْتَنْقِعُ مِنْ أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَشَجَرَةً رُْمَانٍ كُلَّ يَوْمٍ يَخْرُجُ لَهُ مِنْهَا رُْمَانَةٌ. فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ فَأَصَابَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَانَةَ فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ فَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ سَاجِدًا وَلَا يَجْعَلَ لِلْأَرْضِ وَلَا لَشَيْءٍ عَلَى جَسَدِهِ سَبِيلًا حَتَّى يَبْعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ. فَفَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُ. قَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا وَعَرَجْنَا وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فِي السُّجُودِ.

قَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: فَنَجِدُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: حَاسِبُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ. فَيُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَتِهِ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ. فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ، فَيُجَرُّ إِلَى النَّارِ، فَيُنَادِي: يَا رَبِّ بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: رُدُّوهُ. فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَيَقُولُ: عَبْدِي مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَكَانَ ذَلِكَ بِعَمَلِكَ أَوْ بِرَحْمَتِي؟ فَيَقُولُ: بَلْ بِرَحْمَتِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ قَوَّاهُ عَلَى عِبَادَتِي خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ فِي وَسْطِ اللَّجَّةِ وَأَخْرَجَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَالِحِ وَأَخْرَجَ لَكَ رُْمَانَةً فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَإِنَّمَا تَخْرُجُ فِي السَّنَةِ مَرَّةً؟ وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ سَاجِدًا فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ. قَالَ: فَكُلُّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِي، وَبِرَحْمَتِي أَدْخِلَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ.

فَيَا إِخْوَانِي: لِمَ لَا يُرْجَى الْعَفْوُ مِنْ رَبَّنَا؟ وَكَيْفَ لَا يُطْمَعُ فِي جَلْمِهِ؟ وَفِي الصَّحِيحِ: «أَنَّهُ بِعَبْدِهِ أَرْحَمُ مِنْ أُمِّهِ».

فَيَا أَيُّهَا الْعَاصِي - وَكُنَّا كَذَلِكَ - لَا تَقْطَعْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِسُوءِ أَعْمَالِكَ .
فَكَمْ يُعْتَقُ مِنَ النَّارِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ أَمْثَالِكَ . فَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَوْلَاكَ وَتُبْ إِلَيْهِ
فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ .

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنِ الَّذِي يَرْجُو وَيَدْعُو الْمُذْنِبُ

فَضْلٌ

يَتَعَيَّنُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ خَائِفًا مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَأَلَّا يَأْمَنَ مَكْرَ اللَّهِ،
فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ،
وَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَهَلْ
تَخْشَى؟ قَالَ: وَمَا يُؤْمِنُنِي يَا عَائِشَةُ وَقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ
الرَّحْمَنِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلْبَهُ» .

وَلَقَدْ بَكَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ: أَكَلُ
هَذَا خَوْفًا مِنَ الذُّنُوبِ؟ فَأَخَذَ تِبْنَةً مِنَ الْأَرْضِ، وَقَالَ: الذُّنُوبُ أَهْوَنُ مِنْ هَذِهِ
وَلِنَّمَا أَبْكِي خَوْفًا مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ .

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْفِقْهِ أَنْ يَخَافَ الرَّجُلُ أَنْ تَخْدَعَهُ ذُنُوبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ،
فَتَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَاتِمَةِ الْحُسْنَى . وَقَدْ جَرَى ذَلِكَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُحْتَضِرِينَ .

قَالَ فِي طَهَارَةِ الْقُلُوبِ: وَالْمُكَلَّفُونَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: قَوْمٌ خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِيَخْدُمَتِهِ وَجَنَّتِهِ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ،
وَالْأَوْلِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ
أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ لَذَّةُ الطَّاعَةِ، وَعِزُّ
الْقَنَاعَةِ . فَفَارَزُوا بِعِزِّ الدَّارَيْنِ، وَنَالُوا شَرَفَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، فَطُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ
مَآبٍ .

الْقِسْمُ الثَّانِي: قَوْمٌ خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِجَنَّتِهِ دُونَ خِدْمَتِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ

عَاشُوا كُفَّارًا، ثُمَّ خَتَمَ لَهُمُ بِالْإِيمَانِ، أَوْ فَرَطُوا مُدَّةَ حَيَاتِهِمْ وَانْهَمَكُوا فِي الْعِصْيَانِ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْخَاتِمَةِ فَمَاتُوا عَلَى حَالَةِ التَّوْبَةِ وَالْإِحْسَانِ، كَسَحَرَةِ فِرْعَوْنَ وَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا عَلَى مَا قِيلَ، آمَنُوا بِاللَّهِ وَقَتَلُوا مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ فَدَخَلُوا الْجَنَّةَ، كَانُوا أَوَّلَ النَّهَارِ يَخْلِفُونَ ﴿يَعْرِىَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ثُمَّ بَعْدَ سَاعَةٍ قَالُوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَكَ خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾ ﴿٧٣﴾.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: قَوْمٌ خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَا لِيَخْدَمْتِهِ، وَلَا لِيَجَنَّتِهِ، وَهُمْ الْكُفَّارُ الَّذِينَ يُمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ، حُرِّمُوا نَعِيمَ الْإِيمَانِ، وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مُخَلَّدُونَ فِي الْعَذَابِ وَالْهَوَانِ.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: قَوْمٌ خَلَقَهُمُ اللَّهُ لِيَخْدَمْتِهِ دُونَ جَنَّتِهِ، وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا عَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ مَكَرَ بِهِمْ فَطَرِدُوا عَنْ بَابِهِ، وَمَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ مَكْرِهِ، وَنَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ.

يُرَوَّى أَنَّهُ كَانَ بِمِصْرَ رَجُلٌ يَلْزُمُ الْمَسْجِدَ لِلْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ فِيهِ، وَعَلَيْهِ بَهَاءُ الطَّاعَةِ وَنُورُ الْعِبَادَةِ، فَرَقِيَ يَوْمًا الْمَنَارَةَ عَلَى عَادَتِهِ لِلْأَذَانِ. وَكَانَ تَحْتَ الْمَنَارَةِ دَارٌ لِنَصْرَانِيٍّ، فَاطَّلَعَ فِيهَا فَرَأَى ابْنَتَهُ صَاحِبِ الدَّارِ فَافْتَتَنَ بِهَا، فَتَرَكَ الْأَذَانَ وَنَزَلَ إِلَيْهَا وَدَخَلَ الدَّارَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: مَا شَأْنُكَ وَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُكَ. قَالَتْ: لِمَذَا؟ قَالَ: قَدْ سَلَبْتُ لُبِّي وَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَلْبِي. قَالَتْ: لَا أَجِيبُكَ إِلَى رَبِيبَةٍ أَبَدًا، قَالَ: أَتَزَوَّجُكَ، قَالَتْ: أَنْتَ مُسْلِمٌ، وَأَنَا نَصْرَانِيَّةٌ، وَأَبِي لَا يُزَوِّجُنِي مِنْكَ. قَالَ: أَتَنْصَرُّ، قَالَتْ: إِنْ فَعَلْتُ أَفْعَلُ؛ فَتَنْصَرُّ الرَّجُلُ لِيَتَزَوَّجَهَا وَأَقَامَ مَعَهُمْ فِي الدَّارِ. فَلَمَّا كَانَ أَثْنَاءَ الْيَوْمِ رَقِيَ إِلَى سَطْحِ كَانَ فِي الدَّارِ فَسَقَطَ مِنْهُ فَمَاتَ فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا وَفَاتَهُ دِينُهُ. فَنَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَصَّةُ بَرَصِيصَا الْعَابِدِ مَعْرُوفَةٌ. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ طَرُقٍ وَذَلِكَ: أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ فِي صَوْمَعَةٍ عَابِدًا مُجْتَهِدًا؛ فَرَأَى امْرَأَةً تَرْعَى غَنَمًا وَتَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ؛ فَزَيَّنَهَا لَهُ الشَّيْطَانُ. وَقَالَ لَهُ: تَزْنِي بِهَا ثُمَّ تَتُوبُ؟ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ وَقَعَلَ الْفَاحِشَةَ، قَالَ لَهُ: عَارٌّ عَلَيْكَ وَتَفْضُحُكَ الْمَرْأَةُ، وَلَكِنْ أَقْتُلْهَا فَإِنَّكَ مُصَدِّقٌ فَقَتَلَهَا، وَدَفَنَهَا فِي مَوْضِعٍ، فَأَتَى الشَّيْطَانُ أَهْلَهَا، فَقَالَ: إِنَّهُ زَنَى بِأَخْتِكُمْ وَإِنَّهُ خَشِيَ الْعَارَ وَقَتَلَهَا فِي مَوْضِعٍ كَذَا. فَذَهَبُوا إِلَيْهِ وَوَجَدُوا الْأَمْرَ كَمَا ذَكَرَ لَهُمْ، فَأَنْزَلُوا الْعَابِدَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَاسْتَعَدُّوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَصَلَبَهُ الْمَلِكُ عَلَى جَذَعٍ فَأَتَى إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، وَقَالَ لَهُ: اسْجُدْ لِي سَجْدَةً وَأَنَا أُخَلِّصُكَ كَمَا أَوْفَعْتُكَ، فَأَوْمَأَ بِالسُّجُودِ فَكَفَرَ وَقُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ. دَعَاهُ أَوَّلًا إِلَى الزَّنا، ثُمَّ إِلَى الْقَتْلِ، ثُمَّ إِلَى الْكُفْرِ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ مَكْرِهِ وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالثَّبَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِلَى يَوْمِ نَلْقَاهُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

رُويَ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: «بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ إِنْ تَابُوا قَبِلْتُ مِنْهُمْ، وَحَذِّرِ الصَّادِقِينَ إِنْ وَضَعْتُ عَذْلِي عَلَيْهِمْ عَذَّبْتُهُمْ».

فَيَا إِخْوَانِي، تَذَارَكُوا مَوَاسِمَ الْخَيْرَاتِ، وَنَافِسُوا فِي الْأَعْمَالِ مَا دُمْتُمْ فِي أَيَّامِ الْحَيَاةِ.

كَانَ رَجُلٌ يَبِيعُ الثَّلَجَ فَبَقِيَ عِنْدَهُ شَيْءٌ كَاسِدٌ؛ فَجَعَلَ يُنَادِي وَيَقُولُ: ارْحَمُوا مَنْ يَذُوبُ رَأْسُ مَالِهِ.

إِخْوَانِي، بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ غَلْقِ الْبَابِ، وَسَلُّوا مَوَلَاكُمْ قَبُولَ الْمَتَابِ، وَلُزُومَ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَلَا زِمُوا الْعُكُوفَ عَلَى الْبَابِ، وَأَكْبُوا عَلَى تِلَاوَةِ الْكِتَابِ. فَهَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ قُرْبَ رَحِيلِهِ، وَأَزِفَ تَحْوِيلُهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلُهُ.

فَاسْتَدِرُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِقِيَّةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَقُومُوا بِمَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ

وَاجِبِ الْإِكْرَامِ؛ فَإِنَّ شَهْرَكُمْ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ بَعْدَ الْمَقَامِ، كَانَ فَخْرًا
لِلْمُؤَافِقِينَ، وَرَوْضَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَفُرْصَةً لِلْعَامِلِينَ، فَكُونُوا لَهُ مُؤَدِّعِينَ، وَلِلْعَبَرَاتِ
عَلَى فِرَاقِهِ مُسْبِلِينَ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُ غَيْرُ لَيْلَتَيْنِ، وَقَدْ صَارَ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنِ، قُلُوبُ
الْمُتَّقِينَ إِلَى هَذَا الشَّهْرِ تَحَنُّنٌ، وَمِنْ أَلَمِ فِرَاقِهِ تَنُّنٌ.

دَهَاكَ الْفِرَاقُ فَمَا تَصْنَعُ أَتَضِيرُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْنَعُ؟
إِذَا كُنْتَ تَبْكِي وَهُمْ جِيرَةٌ فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا؟

اللَّهُمَّ يَا مَنْ ظَهَرَتْ مَعْرِفَتُهُ لِلْقُلُوبِ، وَيَا مَنْ هُوَ الْمَرْجُو فِي الْأُمُورِ
وَالْمَطْلُوبُ، نَسَأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا، وَتُؤَمِّنُ بِهَا مَرْهُوبَنَا،
وَتَكْشِفُ بِهَا كُرُوبَنَا، وَتُحَصِّنُ بِهَا فُرُوجَنَا، وَتُنِيلُ بِهَا مَطْلُوبَنَا، وَتَجْمَعُ بِهَا
شَمْلَنَا، وَتَجْبُرُ بِهَا كَسْرَنَا، وَتَلِمُ بِهَا شَعْنَنَا، إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ عِبَادًا غَرَّهُمْ طُولُ إِمْهَالِكَ، وَأَطْمَعَهُمْ دَوَامُ إِفْضَالِكَ، وَمَدُّوا
أَيْدِيَهُمْ إِلَى كَرَمِ نَوَالِكَ، وَتَيَقَّنُوا أَنْ لَا غِنَى لَهُمْ عَنْ سُؤَالِكَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبًا قَطَعْتَنَا عَنْ بَابِكَ، وَجُدْ عَلَيْنَا وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ
لأَحْبَابِكَ فَأَنْتَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ. وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الفصل التاسع

وفيه فضل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَمَّتْ كَلِمَتُهُ، فَلَا يَرُدُّ حُكْمُ قَاضِيهَا، وَعَلَتْ سُلْطَنَتُهُ،
فَجَلَّ تَعَالِيهَا، وَدَامَتْ أَرْزَلَتُهُ، فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهَا؟ تَوَحَّدَهُ الْكَائِنَاتُ وَتَوَاجِيهَا،
وَالسَّمَوَاتُ وَدَرَارِيهَا. قَدَّرَ الْأَعْوَامَ، وَالشُّهُورَ وَالْأَيَّامَ وَلِيَالِيهَا، وَجَعَلَ وَاسِطَةً
عَقْدِ الْأَيَّامِ أَيَّامًا اخْتَارَهَا بَارِيهَا، وَفَضَّلَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَجَعَلَهُ مُعْظَمًا فِيهَا،
وَأَنْزَلَ فِيهِ السُّورَ وَمَثَانِيهَا، وَفَتَحَ فِيهِ بَابَ الْعِزَّةِ وَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَاتٍ جَلَّتْ عَنْ

كَلَامٍ يُحَاكِهَا. فَقَالَ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ الْآيَاتِ وَمَبَانِيهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ تَفْضِيلًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، إِذْ لَا أُمَّةَ تُبَاهِيهَا.

يَا غَافِلًا وَلِيَالِي الصُّومِ قَدْ ذَهَبَتْ زَادَتْ خَطَايَاكَ قِفْ بِالْبَابِ وَابْكِيهَا
وَاعْنَمَ بَقِيَّةَ هَذَا الشَّهْرِ تَحْظُ، فَمَا غَرَسْتَهُ مِنْ ثِمَارِ الْخَيْرِ تَجْنِيهَا
وَتُبَّ لَعَلَّكَ تَحْظَى بِالْقُبُولِ عَسَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ بِالتَّقْوَى أَمَانِيهَا
وَقُلْ: إِلَهِي، أَنَا الْعَبْدُ الذَّلِيلُ وَقَدْ أَتَيْتُ أَرْجُو أَجُورًا فَازَ رَاجِيهَا
فَلَا تَكِلْنِي إِلَى عِلْمِي وَلَا عَمَلِي وَاعْفِرْ ذُنُوبِي، فَإِنِّي غَارِقٌ فِيهَا
أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي هُوَ مُؤَلِّمٌ وَمُسْدِيهَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّ وَقَاضِيهَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُرْسَلُ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ قَبْلَ دَانِيهَا وَقَاضِيهَا. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الْأَنْفُسُ الْعَامِلَةُ تُعْطَى أَمَانِيهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٠٥﴾.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ تَسْعُ وَعِشْرِينَ» وَبِهِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ.

وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَنَا بِمُلْتَمِسِهَا لِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ. فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: التَّمَسُّوْهَا فِي تِسْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ خَمْسٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ ثَلَاثٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ. قَالَ: فَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ يُصَلِّي فِي الْعِشْرِينَ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ

كَصَلَاتِهِ فِي سَائِرِ السَّنَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ اجْتَهِدَ حَدِيثَ حَسَنٍ صَحِيحٍ. وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْتِقُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ مِنَ النَّارِ كَمَا أَعْتَقَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ الصَّحِيحَةِ: «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعْتِقُ كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْإِفْطَارِ أَلْفَ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ، وَيُعْتِقُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلَّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ».

فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْعَامِلُ الْمُجْتَهِدُ أَنْ تَجْتَهِدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لَعَلَّكَ أَنْ تُكْتَبَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَتَقَاءِ، وَأَنْ تَجْتَهِدَ فِي إِتْمَامِ الْعَمَلِ وَإِكْمَالِهِ وَإِتْقَانِهِ؛ فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَجْتَهِدُونَ فِي إِتْمَامِ الْعَمَلِ وَإِكْمَالِهِ وَإِتْقَانِهِ، ثُمَّ يَهْتَمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقُبُولِهِ، وَيَخَافُونَ مِنْ رَدِّهِ.

رُويَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانُوا لِقَبُولِ الْعَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكُمْ بِالْعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾؟

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: «لَأَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

إِخْوَانِي، هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْأَنْصِرَافِ وَالْأَنْصِرَامِ، وَنَوَى الثَّقَلَةَ عَنْكُمْ وَالرَّحِيلَ بَعْدَ الْمَقَامِ. وَهُوَ شَاهِدٌ لَكُمْ أَوْ عَلَيْكُمْ بِمَا أَوْدَعْتُمُوهُ عِنْدَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ.

إِخْوَانِي، أَمَا هَذِهِ لِيَالِي الْقَدْرِ أَيَّامُ الْقَبُولِ؟ فَلِمَ يَغْتَرُّ الْمُفْرِطُ فِيهَا بِالْأَحْلَامِ؟ أَمَا هَذِهِ لِيَالِي الْفَضْلِ وَلِيَالِي الْقَبُولِ؟ فَإِلَى مَتَى أَنْتَ مَشْغُولٌ عَنْهَا بِطِيبِ الْمَنَامِ؟ انْهَضْ وَدَاوِ سِقَامَكَ يَا ذَا السَّقَامِ. هَذِهِ لِيَالِي الْمَغْفِرَةِ فَاْمُحْ قَبِيحَ آثَامِكَ فِي سَالِفِ الْأَعْوَامِ. لَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ قَدْرَ مَوَاسِمِ الْإِنْعَامِ، مَا نِمْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَقَاتَكَ الْأَغْتِنَامُ.

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَعَدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «أَمِينَ أَمِينَ آمِينَ - فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ - إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَهُ شَهْرُ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ. قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»؛ فَفِي رَمَضَانَ تُضَاعَفُ الْأَعْمَالُ، وَتُحِطُّ الثَّقَالُ، وَيُعْتِقُ الْجَبَّارُ الْمُسْتَوْجِبِينَ بِسَعَةِ الْإِفْضَالِ.

وَرَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَتُحْتُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَلَا يُغْلَقُ مِنْهَا بَابٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَلَيْسَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي فِي لَيْلَةٍ فِيهِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةَ حَسَنَةٍ بِكُلِّ سَجْدَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ، لَهَا سِتُّونَ أَلْفَ بَابٍ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهَا قَصْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مُوشَّحٍ بِيَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ، فَإِذَا صَامَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، مِنْ صَلَاةِ الْعَدَاةِ إِلَى أَنْ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ سَجْدَةٍ يَسْجُدُهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، بَلِيلٌ أَوْ نَهَارٌ، شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا خَمْسِمِائَةَ عَامٍ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

إِخْوَانِي، هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرُ الصَّيَامِ وَالْقِيَامِ، طَالَمَا عَمَرْتَ بِهِ الْقُلُوبَ وَدَرَسْتَ بِهِ مَعَالِمَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَقَدْ كَانَ لَكُمْ نِعَمُ الضَّيْفِ فَهَلْ أَضَعْتُمْ حَقَّهُ أَوْ قُمْتُمْ بِمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ؟ فَلَعَلَّ الْمُسَوِّفَ بِالتَّوْبَةِ فِيهِ لَا يُدْرِكُهُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ؛ وَالْمُعْتَرِ بِالْإِمْهَالِ لَا تُمَهِّلُهُ الْمُنُونُ إِلَى اسْتِكْمَالِ التَّامِ؛ فَيَنْدَمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَيَتَأَسَّفَ عَلَى التَّفْرِيطِ إِذَا زَلَّتْ بِهِ فِي الْقِيَامَةِ الْأَقْدَامُ. فَاسْتَدْرِكُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَا قَدْ مَضَى بِمَا بَقِيَ، فَإِنَّمَا الدُّنْيَا كَمِثْلِ الْمَنَامِ، وَحَصِّلُوا التَّوْبَةَ فِي بَقِيَّةِ شَهْرِكُمْ، فَقَدْ دَنَا ارْتِحَالُ شَهْرِ الصَّيَامِ، فَالْسَّعِيدُ مَنْ بَادَرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَغْتِنَامِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ جَعَلَهَا بَعْفَةً كِإِعْدَامِ. وَكَيْفَ لَا يُدْرِكُ الْخَيْرَ مَنْ قَامَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ سَلَامٌ؟

إِخْوَانِي: إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ قَرُبَ رَحِيلُهُ، وَأَرَفَ تَحْوِيلُهُ، وَهُوَ ذَاهِبٌ عَنْكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ، وَشَاهِدٌ عَلَيْكُمْ غَدًا بِأَعْمَالِكُمْ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا قَدْ أَوْدَعْتُمُوهُ؟ وَبِأَيِّ الْأَعْمَالِ وَدَّعْتُمُوهُ؟ أَتَرَاهُ يَرْحَلُ حَامِدًا صَنِيعَكُمْ، أَوْ ذَامًا تَضْيِيعَكُمْ؟ مَا كَانَ أَعْظَمَ سَاعَاتِهِ، وَمَا أَحْلَى طَاعَاتِهِ. كَانَتْ لِيَالِيهِ عُتَقَاءٌ وَمُبَاهَاةٌ، وَأَسْحَارُهُ أَوْقَاتُ خِدْمَةٍ وَمُنَاجَاةٍ، وَنَهَارُهُ زَمَانُ قُرْبَةٍ وَمُصَافَاةٍ، وَسَاعَاتُهُ أَحْيَانُ اجْتِهَادٍ وَمُعَانَاةٍ، فَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ هَذِهِ اللَّيْلَةُ أَوْ هَاتَيْنِ اللَّيْلَتَيْنِ بِالْأَفْعَالِ الرَّكِيَّةِ، قَبْلَ فَوَاتِ الْبَرِّ وَنُزُولِ الْبَرِّيَّةِ.

إِخْوَانِي، كَمْ مِنْ أَنَاسٍ صَلَّوْا مَعَكُمْ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ التَّرَاوِيحِ، وَأَوْقَدُوا فِي الْمَسَاجِدِ - طَلَبًا لِلْأَجْرِ - الْمَصَابِيحَ، اقْتَضَمَهُمْ قَبْلَ إِتْمَامِهِ الصَّائِدُ فَفُهِرُوا، وَأَسْرَتَهُمُ الْمَصَائِدُ فَأُسِرُوا، وَلَمْ يَنْفَعَهُمُ الْمَالُ وَالْأَمَالُ لَمَّا قُبِرُوا. أَذَارَتْ عَلَيْهِمُ الْمَنُونُ رَحَاهَا، وَأَحَلَّتْ وُجُوهُهُمْ بِالشَّرَى فَمَحَاهَا، فَأَعْدَمَتْهُمْ صَوْمًا وَفَطْرًا، وَزَوَّدَتْهُمْ مِنَ الْخُنُوطِ عِطْرًا، وَهَذِهِ حَالُكَ يَا مَنْ لَا يَعْقِلُ أَمْرًا.

فَلِلَّهِ دُرُّ أَقْوَامٍ صَامُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَقَامُوا فِي الْخَلَوَاتِ، يُرْتَلُونَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا، فَلَوْ رَأَيْتَهُمْ وَقَتَ السَّحْرِ، هَذَا يَبْكِي وَيُعَدُّ، وَهَذَا يَقْرَأُ وَيُرَدِّدُ، وَهَذَا قَدْ التَّخَفَ بِأَحْزَانِهِ، وَهَذَا يَبْكِي فَيُمِطُّ مِنْ أَجْفَانِهِ سُبُورًا.

إِخْوَانِي، أَيْنَ مَنْ كَانَ إِذَا صَامَ صَانَ الصِّيَامَ؛ وَإِذَا قَامَ اسْتَقَامَ فِي الْقِيَامِ، أَحْسَنُوا الْإِسْلَامَ ثُمَّ رَحَلُوا بِسَلَامٍ، مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ إِذَا صَامَ افْتَحَرَ بِصِيَامِهِ وَطَالَ، وَإِذَا قَامَ أُعْجِبَ بِقِيَامِهِ وَقَالَ.

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارِ الْوَاعِظِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي آخِرِ جُمُعَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَذَكَرَ فَضْلَهُ وَفَضْلَ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِ لِمَنْ أَخْلَصَ الْأَعْمَالَ، فَكَأَنَّهُ يَقْدَحُ زَنْدَ وَعِظِهِ عَلَى صُمْ الْأَخْجَارِ. لَا وَاللَّهِ وَإِنَّ مِنَ الْأَخْجَارِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، فَمَا تَحَرَّكَ فِي مَجْلِسِهِ بَالِكٌ، وَلَا شَكَا عِظَمَ ذَنْبِهِ شَاكٌ. فَلَمَّا رَأَى جُمُودَ مَجْلِسِهِ

قَالَ: يَا قَوْمُ! أَلَا بَالِكِ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ عُيُوبِهِ، أَلَا رَاغِبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي غُفْرَانِ ذُنُوبِهِ؟ أَمَّا هَذَا شَهْرُ التَّوْبَةِ وَالْغُفْرَانِ؟ أَمَّا هَذَا مَعْدِنُ الْعَفْوِ وَالرَّضْوَانِ؟ أَمَّا فِيهِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَانِ؟ أَمَّا فِيهِ تُغْلَقُ أَبْوَابُ النَّيرانِ؟ أَمَّا فِيهِ يُصَفَّدُ كُلُّ مَارِدِ شَيْطَانٍ؟ أَمَّا فِيهِ تُفَرَّقُ خَلْعُ الْإِحْسَانِ؟ أَمَّا فِيهِ يَتَجَلَّى الْمَلِكُ الدِّيَانُ؟ أَمَّا فِيهِ يُعْتَقُ كُلُّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْإِفْطَارِ أَلْفُ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ؟ فَمَا لَكُمْ عَنْ تَوَابِهِ ضَالُونَ؟ وَفِي ثِيَابِ الْمُخَالَفَةِ رَافِلُونَ؟ ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

إِذَا وَجَدَ الْإِنْسَانُ لِلْخَيْرِ فُرْصَةً وَلَمْ يَغْتَنِمْهَا فَهُوَ لَا شَكَّ عَاجِزٌ وَهَلْ مِثْلُ هَذَا الشَّهْرِ لِلْعَفْوِ مَوْسِمٌ وَلَكِنْ فَأَيْنَ الْعَامِلُ الْمُتَنَاهِزُ قَالَ: فَهَاجِ الْمَجْلِسُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ، وَقَامَ إِلَيْهِ شَابٌّ وَهُوَ بَالِكِ عَلَى ذُنُوبِهِ حَزِينٌ كَثِيبٌ.

وَقَالَ: يَا سَيِّدِي، أَتَرَاهُ يَقْبَلُ صِيَامِي؟ أَوْ يَكْتُبُ مَعَ الْقَائِمِينَ قِيَامِي؟ بَعْدَ أَنْ جَرَى مِنِّي مَا كَانَ، مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعُضْيَانِ، فَقَدْ انْقَضَى عُمْرِي فِي كَسْبِ الْمَعَاصِي، وَعَقَلْتُ بِشِقْوَتِي عَنْ يَوْمِ الْأَخْذِ بِالنَّوَاصِي؟

فَقَالَ لَهُ مَنْصُورٌ: يَا وَلَدِي ثُبْ إِلَيْهِ، فَقَدْ قَالَ فِي مُحْكَمِ الْكِتَابِ: ﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ ثُمَّ أَمَرَ مَنْصُورٌ الْقَارِئَ فَقَرَأَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ فَصَرَخَ الشَّابُّ وَقَالَ: وَاطْرَبَاهُ، وَاشَوْقَاهُ إِلَى مَنْ لَمْ يَزَلْ إِحْسَانُهُ وَاصِلًا إِلَيَّ، وَذَيْلُ حِلْمِهِ مُسْبَلًا عَلَيَّ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَزِيدُ فِي الْعُضْيَانِ، وَلَا أَرْجِعُ عَنْ طَرِيقِ الْعَيِّ وَالْخِذْلَانِ، وَهَلْ يَكُونُ مِثْلُ هَذَا الْوَقْتِ قَدْ صَفَا، وَالْحَبِيبُ قَدْ تَجَاوَزَ وَعَفَا؟ ثُمَّ صَرَخَ وَوَقَعَ مَيِّتًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

رُوحٌ دَعَاهَا لِلْوِصَالِ حَبِيبُهَا فَسَعَتْ إِلَيْهِ تُطِيعُهُ وَتُجِيبُهُ
يَا مُدْعِي صِدْقِ الْمَحَبَّةِ، هَكَذَا فَعَلُ الْحَبِيبِ إِذَا دَعَاهُ حَبِيبُهُ
عِبَادَ اللَّهِ، مَتَى يَصْلُحُ مَنْ لَا يَصْلُحُ فِي رَمَضَانَ، مَتَى يَصِحُّ مَنْ كَانَ فِيهِ

مِنْ دَاءِ الْجَهَالَةِ وَالْعَقْلَةِ مَرْضَانِ ؟ كُلُّ مَا لَا يُثْمِرُ مِنَ الْأَشْجَارِ فِي أَوَانِ
الْإِثْمَارِ، فَإِنَّهُ يُقَطَّعُ ثُمَّ يُوقَدُ فِي النَّارِ، مَنْ فَرَطَ فِي الزَّرْعِ وَقَتَ الْبَذَارِ، لَمْ
يَحْصُدْ يَوْمَ الْحَصَادِ غَيْرَ النَّدَمِ وَالْخَسَارِ.

تَرَحَّلَ الشَّهْرُ وَالْهَفَاءُ وَأَنْصَرَمَا وَاخْتَصَّ بِالْفَوْزِ فِي الْجَنَاتِ مَنْ خَدَمَا
وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمُسْكِينُ مُنْكَسِرًا مِثْلِي، فَيَا وَيَحَهُ يَا عِظَمَ مَا حُرِمَا
مَنْ فَاتَهُ الزَّرْعُ فِي وَقْتِ الْبَذَارِ فَمَا تَرَاهُ يَحْصُدُ إِلَّا الْهَمَّ وَالنَّدَمَا
طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ التَّقْوَى بِضَاعَتَهُ فِي شَهْرِهِ وَبِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمَا

فَضْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٢﴾.

هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا
وَرَجَعَ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ مَهْمَا كَانَتْ، فَإِنَّ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ لِمَنْ تَابَ
وَأَنَابَ.

فَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ
مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ،
لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ
أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا
مَغْفِرَةً».

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ،
هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ سَوْلَهُ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ دُعَاءَهُ».

وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا رَبَّهُ وَهُوَ يُجِيبُهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ:

يَا جَبْرِيلُ، لَا تَعْجَلْ بِقَضَاءِ حَاجَةِ عَبْدِي، فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ.

فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَلَّا يَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَهْمَا ارْتَكَبَ مِنَ الذُّنُوبِ، إِذَا تَابَ مِنْهَا وَأَنَابَ، وَأَنْ يُلِحَّ عَلَى اللَّهِ بِالدَّعَاءِ وَيَطْمَعَ فِي الْإِجَابَةِ. وَمَنْ أَدْمَنَ قَرَعَ الْبَابَ يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ، وَرَبَّمَا إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذَنْبِهِ وَدَخَلَ عَلَى مَوْلَاهُ مِنْ بَابِ الذُّلِّ وَالْاِفْتِقَارِ وَالْانْكِسَارِ، وَرُؤْيَا عَيْبِ النَّفْسِ، خَاضِعًا ذَلِيلًا، مُسْتَغْطَفًا لِرَبِّهِ، وَاضِعًا خَدَّهُ عَلَى عَتَبَةِ الْعُبُودِيَّةِ - يَكُونُ هَذَا الذَّنْبُ خَيْرًا لَهُ، لِأَنَّهُ أَوْرَثَهُ مُطَالَعَةَ عَيْبِ النَّفْسِ، وَالذُّخُولَ عَلَى مَوْلَاهُ مِنْ بَابِ الْاِفْتِقَارِ وَالْإِفْلَاسِ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ يَدْخُلُ بِهَا النَّارَ. قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ: يَعْمَلُ الذَّنْبَ فَلَا يَزَالُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ خَائِفًا مِنْهُ مُشْفِقًا وَجَلًّا، بَاكِيًا نَادِمًا، مُسْتَحْيِيًا مِنْ رَبِّهِ، مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الذَّنْبُ خَيْرًا لَهُ مِنْ طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ، بِمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَلَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا عَلَى رَبِّهِ، وَيَتَكَبَّرُ بِهَا، وَيُعْجَبُ بِنَفْسِهِ، فَيُورِثُهُ ذَلِكَ مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ.

قَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَنَارِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: «أَيُّوْمُلُ غَيْرِي لِلشَّدَائِدِ، وَالشَّدَائِدُ بِيَدِي، أَنَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ؟ وَتُرْجَى غَيْرِي وَيُطْرَقُ بَابُهُ بِالْبُكَرَاتِ، وَيَبْدُو مَفَاتِيحُ الْخَزَائِنِ، وَبَابِي مَفْتُوحٌ لِمَنْ دَعَانِي؟ مَنْ ذَا الَّذِي أَمَلَنِي لِنَائِبَةٍ فَقَطَعْتُ بِهِ؟ أَوْ مَنْ ذَا الَّذِي رَجَانِي لِعَظِيمٍ فَقَطَعْتُ بِهِ؟ أَوْ مَنْ ذَا الَّذِي طَرَقَ بَابِي فَلَمْ أَفْتَحْهُ لَهُ؟ أَنَا غَايَةُ الْأَمَالِ، فَكَيْفَ تَنْقَطِعُ الْأَمَالُ دُونِي؟ أَبْخِيلُ أَنَا فَيَسْخُلْنِي عَبْدِي؟ أَلَيْسَتْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَالْكَرَمُ وَالْفَضْلُ كُلُّهُ لِي، فَمَا يَمْنَعُ الْمُؤْمِلِينَ أَنْ يُؤْمِلُونِي؟ لَوْ جَمَعْتُ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ أَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا أَعْطَيْتُ الْجَمِيعَ، وَبَلَغْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمَلَهُ لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي عُضْوَ ذَرَّةٍ، كَيْفَ يَنْقُصُ مُلْكُ أَنَا قِيَمُهُ؟ فَيَا بُؤْسًا لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِي، وَيَا بُؤْسًا لِمَنْ عَصَانِي وَتَوَثَّبَ عَلَى مَحَارِمِي».

فَسُبْحَانَ مَنْ تَعَرَّفَ إِلَى خَلْقِهِ بِجَمِيعِ التَّصَرُّفَاتِ، وَدَلَّلَهُمْ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الدَّلَالَاتِ. فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اخْتَصَّ نَوْعَ الْإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ بِأَنْ كَرَّمَهُ وَفَضَّلَهُ وَشَرَّفَهُ، وَخَلَقَهُ لِنَفْسِهِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ، وَسَخَّرَ لَهُ مَا فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ وَمَا بَيْنَهُمَا حَتَّى مَلَائِكَتُهُ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ قُرْبِهِ اسْتَخْدَمَهُمْ لَهُ، وَجَعَلَهُمْ حَفَظَةً لَهُ فِي مَنَامِهِ وَيَقْظَتِهِ وَطَعْنِهِ وَإِقَامَتِهِ.

فَيَتَحَبَّبُ إِلَى عَبْدِهِ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُ، وَالْعَبْدُ يَتَبَعَّضُ إِلَيْهِ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ فَقِيرٌ إِلَيْهِ.

خَيْرُهُ إِلَيْهِ نَازِلٌ، وَشَرُّهُ إِلَيْهِ صَاعِدٌ، وَيَعْصِيهِ بِنِعَمِهِ، وَرَبُّهُ يَسْتُرُ عَلَيْهِ بِحِلْمِهِ، فَيَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ حَيْثُ لَا يَسْتَحْيِي الْعَبْدُ مِنْهُ، وَيَسْتُرُهُ حَيْثُ لَا يَسْتُرُ نَفْسَهُ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَالْبَحْرُ يَسْتَأْذِنُ رَبَّهُ أَنْ يُغْرِقَ ابْنَ آدَمَ، وَالْمَلَائِكَةُ تَسْتَأْذِنُهُ أَنْ تَعَاجِلَهُ وَتُهْلِكَهُ، وَكَذَلِكَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: دَعُوا عَبْدِي، فَأَنَا أَعْلَمُ بِهِ إِذْ أَنْشَأْتُهُ مِنَ الْأَرْضِ. إِنْ كَانَ عَبْدُكُمْ فَشَأْنُكُمْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدِي فَمَنِي إِلَى عَبْدِي. وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، إِنْ أَتَانِي لَيْلًا قَبْلَتُهُ، وَإِنْ أَتَانِي نَهَارًا قَبْلَتُهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ مَشَى إِلَيَّ هَرَوَلْتُ إِلَيْهِ، وَإِنْ اسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُ لَهُ، وَإِنْ اسْتَقَالَنِي أَقْلَتُهُ، وَإِنْ تَابَ إِلَيَّ تُبْتُ عَلَيْهِ. مَنْ أَعْظَمَ مِنِّي جُودًا وَكَرَمًا وَأَنَا الْجَوَادُ الْكَرِيمُ؟ عَيْدِي يَسْتَوْنَ يُبَارِزُونَنِي بِالْعَظَائِمِ وَأَنَا أَكَلُوهُمْ فِي مَضَاجِعِهِمْ وَأَحْرَسُهُمْ عَلَى فِرَاشِهِمْ، مَنْ أَقْبَلَ إِلَيَّ تَلَقَّيْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَمَنْ تَرَكَ لِأَجَلِي أَعْطَيْتُهُ فَوْقَ الْمَزِيدِ، وَمَنْ تَصَرَّفَ بِحَوْلِي وَقُوَّتِي أَلَنْتُ لَهُ الْحَدِيدَ، وَمَنْ أَرَادَ مُرَادِي أَرَدْتُ مَا يُرِيدُ».

فَكَيْفَ لَا تُحِبُّ الْقُلُوبُ بُكُلِّيَّتِهَا مَنْ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَصْرِفُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا هُوَ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَأَيُّ

إِحْسَانٍ أَعْظَمَ مِنْ إِحْسَانِ مَنْ يُبَارِزُهُ الْعَبْدُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ يَمُدُّهُ بِنِعَمِهِ، وَيُعَامِلُهُ بِالْطَّافَةِ وَيُسَبِّلُ عَلَيْهِ سِتْرَهُ؟

فَهُوَ أَجْوَدُ الْأَجَوْدِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَجَلَمُهُ عَقُوبَتَهُ، وَعَفْوُهُ مُوَاحَدَتَهُ، أَحَقُّ مَنْ ذَكَرَ، وَأَحَقُّ مَنْ شُكِرَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَكْرَمُ مَنْ قُصِدَ، وَأَزَافُ مَنْ مَلَكَ، يَشْكُرُ عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ، وَيَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ، لَا يَسْأَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغْلِطُهُ كَثْرَةُ الْمَسَائِلِ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْحَاحِ الْمُلْحِنِ، بَلْ يُحِبُّ الْمُلْحِنَ فِي الدُّعَاءِ، وَيُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَيَغْضَبُ إِذَا لَمْ يُسْأَلَ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٢١ يَفْرُجُ هَمًّا، وَيَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيُغْنِي فَقِيرًا، وَيَجْبِرُ كَسِيرًا، وَيُسَبِّحُ جَائِعًا، وَيُعَافِي مُبْتَلَى، وَيَقْبَلُ تَائِبًا وَيُغِيثُ لَهْفَانًا، وَيَنْصُرُ مَظْلُومًا، وَيَقْصِمُ جَبَّارًا، كُلُّ غَنِيٍّ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ جَبَّارٍ إِلَيْهِ ذَلِيلٌ كَسِيرٌ، وَكُلُّ عَسِيرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، يُقِيلُ الْعَثَرَاتِ، وَيَسْتُرُ عَوْرَاتِ، وَيُؤَمِّنُ رُوعَاتِ، وَيُجِيبُ الدُّعَوَاتِ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، عَلَى كَثْرَةِ الْحَاجَاتِ، وَتَفْتَنُ الْمَسْئُولَاتِ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وَكُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ إِلَّا مُلْكُهُ، وَكُلُّ ظِلٍّ قَالِصٌ إِلَّا ظِلُّهُ، وَكُلُّ فَضْلٍ مُنْقَطِعٌ إِلَّا فَضْلُهُ، يُطَاعُ فَيُشْكَرُ، وَبِنِعْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ أُطِيعَ، وَيُعْصَى فَيَتَجَاوَزُ وَيَغْفِرُ، وَحَقُّهُ أَضْيَعُ. فَكُلُّ مَنْ تُجِبُهُ مِنَ الْخَلْقِ أَوْ يُجِبُكَ أَوْ تُعَامِلُهُ وَيُعَامِلُكَ، إِنَّمَا يُرِيدُكَ لِنَفْسِهِ وَغَرَضِهِ مِنْكَ، وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرِيدُكَ لَكَ؛ وَيُعَامِلُكَ لَتَرْبَحَ عَلَيْهِ لَا لِيَرْبَحَ عَلَيْكَ، كَمَا فِي الْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ: «عَبْدِي، كُلُّ يُرِيدُكَ لِنَفْسِهِ، وَأَنَا أُرِيدُكَ لَكَ».

فَهُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، وَأَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ مِنْ فَرَحِ الْفَاقِدِ لِرَاحِلَتِهِ الَّتِي ضَلَّتْ عَنْهُ فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا وَأَيَقَنَ بِالْهَلَاكِ، فَنَامَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ إِذَا هِيَ عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخُطَامِهَا، قَالَ لَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ فَرَحِ هَذَا الْوَاجِدِ لِرَاحِلَتِهِ فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْهَا، ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَفْوٌ؛ فَالْعَفْوُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْتِقَامِ.

رَحِيمٌ؛ وَالرَّحْمَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، فَإِذَا تَعَرَّضَ عَبْدُهُ لِعُصْبِهِ وَارْتَكَبَ مَسَاحِطَهُ وَهُوَ قَدْ خَلَقَهُ لِنَفْسِهِ وَأَعَدَّ لَهُ أَنْوَاعَ كِرَامَتِهِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَجَعَلَهُ مَحَلًّا مَعْرِفَتِهِ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لانتِقَامِهِ وَعُقُوبَتِهِ وَأَحَلَّ بِنَفْسِهِ الْعُقُوبَةَ وَاسْتَدْعَاهَا.

فَبَيْنَمَا هُوَ حَبِيبُهُ الْمُقَرَّبُ الْمَخْصُوصُ بِالْكَرَامَةِ، إِذْ انْقَلَبَ أَبَقًا شَارِدًا، رَادًّا لِكِرَامَتِهِ، مَاثِلًا عَنْهُ إِلَى عَدُوِّهِ مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ.

فَبَيْنَمَا ذَلِكَ الْحَبِيبُ مَعَ الْعَدُوِّ فِي طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ نَاسِيًا لِسَيِّدِهِ، مِنْهُمْكَا فِي مُوَافَقَةِ عَدُوِّهِ، إِذْ عَرَضَتْ لَهُ فِكْرَةٌ، فَتَذَكَّرَ بِرَّ سَيِّدِهِ وَعَظْفَهُ وَجُودَهُ وَكَرَمَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، وَأَنَّ مَصِيرَهُ إِلَيْهِ، وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُقَدِّمْ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ قُدِّمَ بِهِ عَلَيْهِ عَلَى أَسْوَأِ الْأَحْوَالِ، فَقَرَّرَ إِلَى سَيِّدِهِ مِنْ بَلَدِ عَدُوِّهِ وَجَدَّ فِي الْهَرَبِ إِلَيْهِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَابِهِ، فَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى عَتَبَةِ بَابِهِ، وَتَوَسَّدَ ثَرَى أَعْتَابِهِ، مُتَذَلِّلًا مُتَضَرِّعًا، بَاكِيًا آسِفًا، يَسْتَرْجِمُهُ وَيَسْتَغْفِرُهُ وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ فَعَلِمَ سَيِّدُهُ مَا فِي قَلْبِهِ، فَعَادَ مَكَانَ الْغَضَبِ عَلَيْهِ رِضًا مِنْهُ، وَمَكَانَ الشَّدَّةِ عَلَيْهِ رَحْمَةً بِهِ، وَأَبْدَلَهُ بِالْعُقُوبَةِ عَفْوًا، وَبِالْمُؤَاخَذَةِ حِلْمًا، فَكَيْفَ يَكُونُ فَرْحُ سَيِّدِهِ بِهِ وَقَدْ عَادَ إِلَيْهِ حَبِيبُهُ وَوَلِيُّهُ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا؟

وَهَذَا مَوْضِعُ الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنْ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ شُرُودٌ وَإِبَاقٌ عَنْ سَيِّدِهِ، فَرَأَى فِي بَعْضِ السَّككِ بَابًا قَدْ فُتِحَ وَخَرَجَ مِنْهُ صَبِيٌّ يَسْتَغِيثُ وَيَبْكِي وَأُمُّهُ خَلْفَهُ تَطْرُدُهُ، حَتَّى خَرَجَ فَأَغْلَقَتِ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَدَخَلَتْ، فَذَهَبَ الصَّبِيُّ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ وَقَفَ مُفَكِّرًا، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ مَأْوَى غَيْرَ الْبَيْتِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ وَلَا مَنْ يُؤْوِيهِ غَيْرَ وَالِدَتِهِ، فَرَجَعَ مَكْسُورَ الْقَلْبِ حَزِينًا فَوَجَدَ الْبَابَ مُغْلَقًا، فَتَوَسَّدَهُ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ؛ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ: يَا أُمَّاهُ، مَنْ يُؤْوِينِي إِذَا طَرَدْتَنِي؟ وَمَنْ يُقَرِّبُنِي إِذَا أَبْعَدْتَنِي؟ فَتَنَظَّرَتْ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فَوَجَدَتْ وَلَدَهَا تَجْرِي الدَّمُوعُ عَلَى خَدَّيْهِ مُتَمَعِّكًا فِي الثَّرَابِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ لَمْ تَمْلِكْ أَنْ رَمَتْ بِنَفْسِهَا عَلَيْهِ وَالتَزَمَتْهُ تَقْبَلُهُ وَتَبْكِي،

وَتَقُولُ: يَا وَلَدِي وَيَا قُرَّةَ عَيْنِي أَيْنَ تَذْهَبُ عَنِّي؟ وَمَنْ يُؤْوِيكَ سِوَايَ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تُخَالِفْنِي وَلَا تَحْمِلْنِي بِمَعْصِيَتِكَ لِي عَلَى خِلَافِ مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَكَ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْكَ، وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ لَكَ؟ ثُمَّ أَخَذَتْهُ وَدَخَلَتْ.

فَتَأْمَلُ قَوْلَ الْأُمِّ: لَا تَحْمِلْنِي بِمَعْصِيَتِكَ لِي عَلَى خِلَافِ مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ، ثُمَّ تَأْمَلُ قَوْلَهُ ﷺ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا» وَأَيْنَ تَقَعُ رَحْمَةُ الْوَالِدَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؟

فَيَا إِخْوَانِي، ارْغَبُوا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، وَوَدِّعُوا شَهْرَ رَمَضَانَ فَقَدْ عَزَمَ عَلَى الذَّهَابِ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ الْبَابُ. فَهَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ، وَحَانَ مِنْهُ التَّحْوِيلُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا كَضَيْفِ طَارِقٍ، أَوْ حَبِيبٍ عَمَّا قَلِيلٍ مُفَارِقٍ، فَأَكْثِرُوا فِي بَقِيَّتِهِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَزُودُوهُ، وَشَيِّعُوهُ بِالْبُكَاءِ وَالْأَسْفِ وَوَدَّعُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ بَعْدَ الْمُقَامِ، وَقَدْ آنَ مِنْهُ تَشْتُّ النَّظَامِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فِيهِ فَعَلَيْهِ بِالتَّمَامِ، وَمَنْ كَانَ فَرَطَ فَلْيُخْتِمِ بِالْحُسْنَى، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ، فَاعْتَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ هَاتَيْنِ اللَّيْلَتَيْنِ وَاسْتَوْدِعُوهُ عَمَلًا صَالِحًا يَشْهَدَ لَكُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَوَدَّعُوهُ عِنْدَ فِرَاقِهِ بِأَرْكَى تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ.

سَلَامٌ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ أَمَانٌ مِنَ الرَّحْمَنِ كُلُّ أَمَانٍ لِيَنْ فَنِيَتْ أَيَّامُكَ الْغُرُّ بَغْتَةً فَمَا الْحُزْنُ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ بِقَانٍ

إِخْوَانِي، مَضَى شَهْرُ رَمَضَانَ، وَكَأَنَّهُ مَا كَانَ، وَشَهِدَ عَلَى الْمُسِيِّءِ بِالْإِسَاءَةِ وَالْمُحْسِنِ بِالْإِحْسَانِ، وَحَصَلَ كُلُّ مَا قُسِمَ لَهُ مِنْ رِيحٍ أَوْ خُسْرَانٍ، فَيَا حَسْرَةَ الْمُفَرِّطِ لَقَدْ أَضَاعَ الزَّمَانَ، وَيَا خَبِيئَةَ الْمُسِيِّءِ كَأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْمَوْتِ الْأَمَانَ. أَعْلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ يُمَهِّلُهُ إِلَى رَمَضَانَ ثَانٍ؟

عِبَادَ اللَّهِ، هَذَا شَهْرُكُمْ قَدْ انْتَصَبَ لَكُمْ مُودَّعًا، وَسَارَ مُسَارِعًا، فَأَيْنَ
الْبُكَاءُ لِرَحِيلِهِ؟ وَأَيْنَ الِاسْتِذْرَاكَ لِقَلِيلِهِ؟ وَأَيْنَ الْاِقْتِدَاءُ بِفَاعِلِ الْخَيْرِ وَدَلِيلِهِ؟ فَلِلَّهِ
دَرُهُ مَا كَانَ أَطْيَبَ زَمَانَهُ فِي صَوْمٍ وَسَهَرٍ، وَمَا كَانَ أَصْفَى أَوْقَاتِهِ، مِنْ آفَاتٍ
وَكَدَرٍ، وَمَا كَانَ أَلَذَّ الْاِشْتِعَالِ فِيهِ بِالْآيَاتِ وَالسُّورِ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ قَامَ بِوَاجِبَاتِهِ وَسُنَنِهِ؟ وَمَنْ اجْتَهَدَ فِي عِمَارَةِ زَمَنِهِ؟
وَمَنْ الَّذِي تَخَلَّصَ مِنْ آفَاتِ الصَّوْمِ وَفَتَنِهِ؟

إِخْوَانِي، رَاحَةُ الْغَرِيبِ عَنِ الدِّيَارِ فِي الْبُكَاءِ وَالضَّرَاعَةِ.

إِخْوَانِي، كَيْفَ مَنْ نَسِيَ أَهْلَهُ وَإِخْوَانَهُ وَأَتْبَاعَهُ؟

إِخْوَانِي، سَوَدَتْ وَجُوهَنَا الزَّلَّاتُ، فَمَتَى تُبَيِّضُ بِالطَّلَاعَاتِ؟

إِخْوَانِي، أَكْثَرُوا مِنَ التَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وَقُولُوا بِرَفِيعِ
الْأَصْوَاتِ: إِلَهَنَا لَا تَحْرِمْنَا مِنْ نَبِيِّكَ الشَّفَاعَةِ، وَاجْعَلِ التَّقْوَى لَنَا أَرْبَحَ
بِضَاعَةٍ، وَأَمِنْ خَوْفَنَا يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ.

إِخْوَانِي، مُدُّوا أَيْدِيَ الذُّلِّ وَالْاِفْتِقَارِ، وَأَسْئِلُوا مِنْ عُيُونِكُمْ دَمْعَهَا
الْمِذْرَارَ، وَنَادُوا بِرَفِيعِ الْأَصْوَاتِ بِالسَّرِّ وَالْجَهَارِ: عَيْدُكَ أَهْلُ الْمَعَاصِي
وَالْإِضْرَارِ، أَتَوْكَ يَرْجُونَ الْعَفْوَ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْأَوْزَارِ. وَقَدْ عَثَرْنَا فَأَقِلْ عَثَرَتَنَا
مِنَ النَّارِ.

إِلَهْنَا، شَفِيعُنَا إِلَيْكَ الذُّلُّ وَالْاِنْكِسَارُ، وَالنَّدَمُ وَالرُّجُوعُ وَالْذُّمُوعُ الْغِزَارُ.

إِلَهْنَا، إِنْ كَانَتْ ذُنُوبُنَا قَدْ أَخَافَتْنَا مِنْ عِقَابِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِكَ قَدْ
أَظْمَعَنَا فِي ثَوَابِكَ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بِذَلِكَ؟ وَإِنْ عَذَّبْتَ فَمَنْ أَعْدَلُ
مِنْكَ هُنَالِكَ؟

إِلَهِي، إِنْ كُنْتُ لَا تَقْبَلُ إِلَّا مِنَ الْمُخْلِصِينَ، فَمَنْ لِلْعَامِلِينَ الْمُخْلِطِينَ؟
وَإِنْ كُنْتُ لَا تَرْحَمُ إِلَّا الْمُجْتَهِدِينَ، فَمَنْ لِأَهْلِ التَّقْرِيطِ وَالْمُقْصِرِينَ؟ وَإِنْ كُنْتُ
لَا تُكْرِمُ إِلَّا الْمُحْسِنِينَ، فَمَنْ لِلْغَافِلِ الْمُسْكِينِ؟

إِلَهِي، فَأَفِضْ عَلَى الْجَمِيعِ مِنْ بَحْرِ فَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ، وَجَلَّلْنَا مِنْ عَظَايَاكَ وَامْتِنَانِكَ، وَشَفِّعِ الْمُحْسِنَ بِالْمُسِيئِينَ. وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

البَابُ الثَّلَاثُونَ

فِي خَاتِمَةِ الشَّهْرِ نَسَأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْكِبَرِيَاءِ وَالْكَمَالِ، وَتَوَحَّدَ بِالْبَقَاءِ وَالْعِزِّ الَّذِي لَا نَفَادَ لَهُ وَلَا زَوَالَ، وَتَعَالَى بِعِزَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَتَنَزَّهَ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَرَاءِ وَالْأَشْكَالِ، الْمَلِكِ الَّذِي يُؤَلِّي وَيَعْزِلُ، وَيَأْخُذُ وَيُمَهِّلُ، وَعَمَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ بِالْفَضْلِ وَالنَّوَالِ. الْجَبَّارُ الَّذِي خَضَعَ كُلُّ مُتَجَبِّرٍ لِعَظِيمِ هَيْبَتِهِ. وَقَهَرَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ بِسُلْطَانِ سَطَوَاتِهِ. وَالْمُظْلِعُ عَلَى ظَاهِرِ الْعَبْدِ وَسَرِيرَتِهِ ﴿وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ وَالْبَاقِي فَلَا يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْأَزْمَانِ وَالْأَحْوَالِ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَالْحُكْمُ وَالْقَهْرُ، وَلَهُ الرُّجُوعُ يَوْمَ الْحَشْرِ. عَالِمُ السِّرِّ وَالْجَهْرِ، وَقَاصِمُ الْجَبَابِرَةِ بِالْعِزِّ وَالْقَهْرِ، وَمُذِلُّ مَنْ اعْتَزَّ بِغَيْرِهِ غَايَةَ الْإِذْلَالِ. قَبْلَ مِنْ عِبَادِهِ الْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ، وَأَزَاحَ عَنْهُمْ الْعِلَلَ. وَتَفَضَّلَ عَلَى مَنْ شَاءَ بِلَذَّةِ الْوَصْلِ وَالْإِقْبَالِ. الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَإِلَيْهِ الرُّجُوعُ وَالْمُنْتَهَى، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ذُو الْكَرَمِ وَالْجَلَالِ. تُسَبِّحُهُ الْكَائِنَاتُ، وَتُحَمِّدُهُ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَإِلَيْهِ تُرْفَعُ السُّؤَالَاتُ، وَبَابُهُ مَحْطُّ الرُّكَابِ وَغَايَةُ الْأَمَالِ. جَلَّ عَنِ الشَّيْبِ وَالنَّظِيرِ، وَتَقَدَّسَ عَنِ الشَّرِيكِ وَالظَّاهِرِ، وَتَعَالَى عَنِ الْأَعْوَانِ وَتَنَزَّهَ عَنِ الْأَمْثَالِ.

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ أَتَمَّ عَلَى عِبَادِهِ النُّعْمَةَ، وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَضَمَّنَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَهُ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَجَادَ عَلَى عِبَادِهِ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ.

أَحْمَدُهُ وَاشْكُرُهُ عَلَى أَنْ هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِالصَّيَامِ وَالْقِيَامِ،
وَأَتَمَّ عَلَيْنَا نِعْمَهُ الْجِزَالَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِأَكْمَلِ شَرِيعَةٍ وَأَشْرَفِ خِصَالٍ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً تَجَدَّدُ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لَمَّا كَانَتِ الْمَغْفِرَةُ وَالْعِتْقُ كُلُّ مِنْهُمَا
مُرْتَبًا عَلَى صِيَامِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ. أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ بِتَكْبِيرِهِ
وَشُكْرِهِ فَقَالَ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ فَشُكْرُ مَنْ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِتَوْفِيقِهِمْ لِلصَّيَامِ، وَإِعَانَتِهِمْ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتِهِ
لَهُمْ بِهِ وَعِتْقِهِمْ مِنَ النَّارِ - أَنْ يَذْكُرُوهُ وَيَشْكُرُوهُ وَيَتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ.

وَقَدْ فَسَّرَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ بِأَنْ يُطَاعَ فَلَا
يُعْصَى، وَيَذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ.

فَيَا أَرْبَابَ الذُّنُوبِ الْعَظِيمَةِ! الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْكَرِيمَةِ،
فَمَا مِنْهَا عَوْضٌ وَلَا لَهَا قِيمَةٌ، فَمَنْ يُعْتَقُ فِيهَا مِنَ النَّارِ فَقَدْ فَازَ بِالْجَائِزَةِ
الْعَظِيمَةِ، وَالْمِنْحَةِ الْجَسِيمَةِ.

يَا مَنْ أَعْتَقَهُ مَوْلَاهُ مِنَ النَّارِ، إِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ بَعْدَ أَنْ صِرْتَ حُرًّا إِلَى رِقِّ
الْأَوْزَارِ، أَيْبَعْدُكَ مَوْلَاكَ مِنَ النَّارِ وَتَتَقَرَّبُ إِلَيْهَا؟ وَيُنْقِذُكَ مِنْهَا وَأَنْتَ تُوقِعُ
نَفْسَكَ فِيهَا وَلَا تَحِيدُ عَنْهَا؟ يَنْبَغِي لِمَنْ يَرْجُو الْعِتْقَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ النَّارِ
أَنْ يَأْتِيَ بِأَسْبَابِ تَوْجِبِ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، وَهِيَ مُتَيَسِّرَةٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ.

وَكَانَ أَبُو قِلَابَةَ يُعْتَقُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ جَارِيَةً حَسَنَاءَ مُزَيْنَةَ يَرْجُو بِعِتْقِهَا
الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ.

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ الْمَرْفُوعِ الَّذِي فِي صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ عِتْقًا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ حَقَّقَ فِيهِ عَنْ مَمْلُوكِهِ كَانَ لَهُ عِتْقًا مِنَ النَّارِ».

وَفِيهِ أَيْضًا: «فَاسْتَكَثَرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَضَلْتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمُ، وَخَضَلْتَيْنِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الْخَضَلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمُ: فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارُ، وَأَمَّا اللَّتَانِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَسْتَعِيدُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ». فَهَذِهِ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ كُلٌّ مِنْهَا سَبَبُ الْعِتْقِ وَالْمَغْفَرَةِ.

فَأَمَّا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وَتَمْحُوهَا مَحْوًا، وَلَا تُبْقِي ذَنْبًا وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ وَهِيَ تَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ الَّذِي يُوجِبُ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ. وَمَنْ أَتَى بِهَا أَرْبَعَ مَرَارٍ حِينَ يُضِيحُ وَحِينَ يُمَسِي أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ.

وَأَمَّا كَلِمَةُ الْاسْتِغْفَارِ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَغْفَرَةِ، فَإِنَّ الْاسْتِغْفَارَ دُعَاءَ بِالْمَغْفَرَةِ، وَدُعَاءُ الصَّائِمِ مُسْتَجَابٌ فِي حَالِ صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ. وَقَدْ سَبَقَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَرْفُوعُ: «وَيُغْفَرُ فِيهِ - يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ - إِلَّا لِمَنْ أَبَى قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَمَنْ أَبَى؟ قَالَ: مَنْ أَبَى أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ ﷻ».

قَالَ الْحَسَنُ: أَكْثَرُوا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَذُرُونَ مَتَى تَتَرَلَّى الرَّحْمَةَ.

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، عَوِّذْ لِسَانَكَ الْاسْتِغْفَارَ، فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهِنَّ سَائِلًا، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾.

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، وَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ.

وَالِاسْتِغْفَارُ خِتَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا، فَيُخْتَمُ بِهِ الصَّلَاةُ وَالْحَجُّ وَقِيَامُ

الَّيْلِ، وَيُخْتَمُ بِهِ الْمَجَالِسُ، فَإِنْ كَانَتْ ذِكْرًا كَانَ كَالطَّائِعِ عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ لَعْنًا كَانَ كَفَّارَةً لَهَا، فَكَذَلِكَ يَتَّبِعِي أَنْ يُخْتَمَ صِيَامَ رَمَضَانَ بِالاسْتِغْفَارِ.

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأَنْصَارِ يَأْمُرُهُمْ بِخْتِمِ رَمَضَانَ بِالاسْتِغْفَارِ، وَصَدَقَةَ الْفِطْرِ، فَإِنَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ طَهْرَةٌ لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَالِاسْتِغْفَارُ يَرْفَعُ مَا تَخَرَّقَ مِنَ الصَّيَامِ بِاللَّغْوِ وَالرَّفَثِ.

وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ: إِنَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ لِلصَّائِمِ كَسَجْدَتِي السَّهْرِ لِلصَّلَاةِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي كِتَابِهِ: قُولُوا كَمَا قَالَ أَبُوكُمْ آدَمُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقولوا كَمَا قَالَ نُوحٌ ﷺ: ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقولوا كَمَا قَالَ مُوسَى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾.

وقولوا كَمَا قَالَ ذُو النُّونِ ﷺ: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وَاعْلَمْ أَنَّ صَدَقَةَ الْفِطْرِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حُرٍّ، ذَكَرٍ وَأُنْثَى، كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ.

وَتَجِبُ عَلَى السَّيِّدِ عَنْ عَبْدِهِ؛ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ فَاضِلَةً عَنْ قُوَّتِهِ وَقُوَّتِ مَنْ يُمَوَّنُهُ يَوْمَ الْعِيدِ وَلَيْلَتُهُ، وَهِيَ صَاعٌ مِنْ بُرٍّ، أَوْ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعٌ مِنْ زَبِيبٍ، أَوْ صَاعٌ مِنْ أَقِيطٍ، فَلَا يُجْزَى غَيْرُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْخَمْسَةِ إِلَّا إِذَا عُذِمَتْ، فَإِنَّهُ يُجْزَى كُلَّ حَبٍّ وَتَمْرٍ يُقْتَاتُ، وَلَا يُجْزَى الرَّدْيُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا أَلِيتَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُخْرِجُوا فِيهِ﴾ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ أَهْدَى لِمُخْرِجِ الرَّدْيِ مِثْلَ الرَّدْيِ الَّذِي أَخْرَجَهُ صَدَقَةً لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا حَيَاءٌ وَإِعْمَاضًا.

وَمَصْرِفُهَا مَصْرِفُ الرِّكَاتِ، فَتُدْفَعُ الْفُطْرَةُ^(١) إِلَى الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الرِّكَاتِ. وَيُسْتَحَبُّ إِخْرَاجُهَا عَنِ الْجَنِينِ الَّذِي فِي الْبَطْنِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَكْفِي مَنْ يُمُونُهُ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ بِنَفْسِهِ ثُمَّ بِزَوْجَتِهِ ثُمَّ بِرَقِيقِهِ ثُمَّ أُمِّهِ ثُمَّ أَبِيهِ ثُمَّ وَلَدِهِ، ثُمَّ الْأَقْرَبِ فَلَا أَقْرَبَ فِي الْمِيرَاثِ. وَيَجُوزُ تَقْدِيمُهَا قَبْلَ الْعِيدِ يَوْمَ أَوْ بَيَوْمَيْنِ. وَالْأَفْضَلُ إِخْرَاجُهَا يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ. وَتَجِبُ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ، فَمَا كَانَ بَعْدَ الْغُرُوبِ فَلَا يَجِبُ لَهُ فُطْرَةٌ.

فَهَذَا بَعْضُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِقَبُولِ الصَّيَامِ وَالرَّاقِعَةِ لِخُرُوقِهِ. وَنَسَأُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِفَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يَرْضَى بِهِ عَنَّا إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

فَصْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُنْصَرًّا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝﴾.

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ يَحْضُرُ لِلْعَبْدِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَإِذَا رَأَى الْحَسَنَ مِنْ أَعْمَالِهِ سَرَّهُ ذَلِكَ وَأَفْرَحَهُ، وَإِذَا رَأَى الْقَبِيحَ سَاءَهُ وَأَحْزَنَهُ وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا أَمَدٌ بَعِيدٌ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

إِنَّمَا يَتَبَيَّنُ رِبْحُ الْعَامِلِينَ يَوْمَ الْمَعَادِ، وَفِيهِ تَظْهَرُ آثَارُ الْقُرْبِ وَالْبَعَادِ، فَمَنْ عَمِلَ خَيْرًا وَجَدَ جَزَاءَهُ مُحْضَرًا، وَمَنْ عَمِلَ سُوءًا لَقِيَ فِي كِتَابِهِ مُسْطَرًّا.

هَذَا الَّذِي أَرْعَجَ قُلُوبَ الْخَائِفِينَ، وَأَسْهَرَ عُيُونَ الْعَابِدِينَ، وَقَرَّحَ أَجْفَانَ الْحَاشِعِينَ، وَحَيَّرَ أَفْهَامَ الْعَارِفِينَ، وَأَدَلَّ أَعْنَاقَ الْمُتَجَبِّرِينَ.

(١) الفطرة: بضم الفاء، وليست لحناً، بل اسم لصدقة الفطر كما ذكره الفقهاء. قاله في المبدع اهـ. كاتبه.

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: بَيْنَمَا أَسِيرُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ - جِبَالِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ - إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا، وَإِذَا بِرَجُلٍ قَائِمٍ بَيْنَ شَجَرَتَيْنِ يُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ الْآيَةَ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى صَاحَ وَوَقَعَ مَغْشِيًا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ بَعْدَ سَاعَةٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَقَامِ الْكَذَّابِينَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبَطَّالِينَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ إِعْرَاضِ الْغَافِلِينَ، خَشَعَتْ لَكَ قُلُوبُ الْخَائِفِينَ، وَإِلَيْكَ رُفِعَتْ أَعْمَالُ الْمُقْصِرِينَ، وَلِعَظَمَتِكَ ذَلَّتْ رِقَابُ الْعَارِفِينَ. ثُمَّ نَفَضَ يَدَيْهِ وَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ عَلَيْكَ يَا دُنْيَا بِأَبْنَاءِ جَنْسِكَ، وَاللَّاهِينَ فِي نِعْمَتِكَ، إِلَيَّ مُحِبِّكَ أَذْهَبِي، وَإِيَّاهُمْ فَاخْذَعِي.

قَالَ: فَتَادَيْتُهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَنَا مُنْذُ الْيَوْمِ مُنْتَظَرٌ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِي.

فَقَالَ: كَيْفَ يَتَفَرَّغُ مَنْ يُبَادِرُ الْأَوْقَاتَ وَتُبَادِرُهُ، وَيَخَافُ سَبْقَهَا بِالْمَوْتِ عَلَى نَفْسِهِ، أَمْ كَيْفَ يَتَفَرَّغُ مَنْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ، وَبَقِيَتْ آثَامُهُ؟ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَيْدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾، ثُمَّ صَاحَ صَوْتًا أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى وَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: قَدْ خَرَجَتْ رُوحُهُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَإِذَا هُوَ يَضْطَرِبُ، ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ أَنَا وَخَاطِرِي؟ هَبْ لِي إِسَاءَتِي بِفَضْلِكَ، وَجَلِّلْنِي بِسِتْرِكَ وَاعْفُ عَن ذُنُوبِي بِكَرَمٍ وَجْهِكَ.

فَقُلْتُ لَهُ: بِالَّذِي تَرْجُوهُ إِلَّا مَا كَلَّمْتَنِي.

فَقَالَ: عَلَيْكَ بِكَلَامٍ مَنْ يَنْفَعُكَ كَلَامُهُ، وَدَعْ كَلَامَ مَنْ أَوْفَقْتَهُ آثَامُهُ. إِنِّي لَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَأَنِّي أَجَاهِدُ إِبْلِيسَ وَيُجَاهِدُنِي فَلَمْ يَجِدْ عَوْنًا عَلَيَّ لِيُخْرِجَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ إِلَّا بِكَ. إِلَيْكَ عَنِّي فَقَدْ شَعَلْتَنِي، وَمَالَتْ إِلَيَّ حَدِيثُكَ شُعْبَةً مِنْ قَلْبِي.

قَالَ: فَانْصَرَفْتُ وَتَرَكْتُهُ.

فَلِلَّهِ دُرٌّ أَقْوَامٍ بَادَرُوا الْأَوْقَاتَ، وَأَخَذُوا نَصِيحَتَهُمْ فِيهَا مِنَ الطَّاعَاتِ. -
فَيَا إِخْوَانِي، هَذِهِ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، شَهْرِ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ،

وَمَوْسِمِ الْعَتَقِ مِنَ النَّيرَانِ، فَاجْتَهِدُوا فِي بَاقِيهِ، وَتَلَاَفُوا تَفْرِيطَكُمْ مَا أَمَكَنْ تَلَاَفِيهِ. فَمَتَى يُغْفَرُ لِمَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِيهِ، وَمَتَى يُصْلِحُ مَنْ صَعِبَ عَلَيْهِ إِذْرَاكَ قَارِطِهِ وَأَقَامَ عَلَى تَمَادِيهِ؟ لَقَدْ كَانَ مُنَبِّهَا لِذَوِي الْعَقَلَاتِ وَالنُّسِيَانِ، مَوْسِمًا لِمُضَاعَفَةِ الْأَعْمَالِ وَالْغُفْرَانِ وَمَخْصُوصًا لِفَضِيلَةِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ. وَفَتْ إِفَاضَاتِ الْكَرَمِ مِنَ الْمَوْلَى وَالْإِحْسَانِ، لَيْلُهُ مَعْمُورٌ بِالْقِيَامِ، وَنَهَارُهُ مَصُونٌ بِالصِّيَامِ. فَكَيْفَ لَا تَجْرِي دُمُوعُ الْمُؤْمِنِ عَلَى فَقْدِ رَمَضَانَ وَهُوَ لَا يَذْرِي، أَحْظَى بِالْقَبُولِ وَالْغُفْرَانِ؟ أَمْ رُمِيَ بِالطَّرْدِ وَالْحِرْمَانِ؟ ثُمَّ لَا يَشْعُرُ أَهْوَى يَذْرُكُهُ فِي الزَّمَانِ الثَّانِ؟

فَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَرَعَى رَمَضَانَ كَأَنَّهُ حَبِيبٌ زَارَ بَعْدَ طُولِ بَعَادٍ، وَطَيفُ حَيَالٍ أَلَمَ فِي طِيبِ سُهَادٍ. فَقَدْ شَعَلَهُ أَنْسُهُ بِحَبِيبِهِ عَنِ الْأَنَامِ، فَهُوَ يَتَمَنَّى لَوْ كَانَ رَمَضَانُ عَلَى الدَّوَامِ، قَدْ هَجَرَ فِيهِ لَذِيذُ الْمَنَامِ، وَلَزِمَ الْوُقُوفَ فِي حِنْدِسِ الظَّلَامِ.

وَأَخْرُ: يَرَى رَمَضَانَ مَوْسِمًا لِنَيْلِ الشَّهَوَاتِ، وَيَعُدُّ أَيَّامَهُ اسْتِعْجَالًا لِأَوْقَاتِ الْبَطَالَاتِ.

وَأَخْرُ: قَدْ فَرَطَ فِي الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَقَصَرَ عَنِ الْإِجَابَةِ وَالْأُوبَةِ، فَازْدَادَ بِرَمَضَانَ وَرَرًا عَلَى وَرَرِهِ، وَاكْتَسَبَ بِأَيَّامِهِ خُسْرًا عَلَى خُسْرِهِ، وَلَمْ يَتَزَوَّدْ مِنْهُ لِيَوْمِ حُسْرِهِ، وَرَضِيَ بِإِبْعَادِهِ وَهَجْرِهِ، وَالسَّعِيدُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ يَتَذَكَّرُ الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، وَيَطْلُبُ مِنْ مَوْلَاهُ الْمَزِيدَ، فَهُوَ يَوْمٌ يَتَفَضَّلُ فِيهِ الْمَلِكُ الْمَجِيدُ، وَيَعْتَقُ الْإِمَاءَ وَالْعَبِيدَ.

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ لَا يَجْرِي لِلْمُؤْمِنِ عَلَى فِرَاقِ هَذَا الشَّهْرِ دُمُوعٌ، وَهُوَ لَا يَذْرِي هَلْ بَقِيَ لَهُ فِي عُمرِهِ رُجُوعٌ؟

تَذَكَّرْتُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلَيَالِيَا خَلَتْ، فَجَرَى مِنْ ذِكْرِهِنَّ دُمُوعٌ
أَلَا هَلْ لَهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ عَوْدَةٌ وَهَلْ لِي إِلَى يَوْمِ الْوِصَالِ رُجُوعٌ؟
وَهَلْ بَعْدَ إِغْرَاضِ الْحَبِيبِ تَوَاضُلٌ وَهَلْ لِبُدُورٍ قَدْ أَفْلَنَ طُلُوعٌ؟

أَيْنَ حُرْقُ الْمُجْتَهِدِينَ فِي نَهَارِهِ؟ أَيْنَ قَلْقُ الْمُتَهَجِّدِينَ فِي أَسْحَارِهِ؟ فَكَيْفَ
حَالُ مَنْ خَسِرَ فِي لَيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ؟ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْمُفْرَطُ فِيهِ بُكَاءُهُ وَقَدْ عَظُمَتْ فِيهِ
مُصِيبَتُهُ وَجَلَّ عَزَاؤُهُ؟ كَمْ نَصِاحَ الْمُسْكِينِ فَمَا قَبِلَ النُّصَحَ؟ كَمْ دُعَى إِلَى
الْمُصَالَحَةِ فَمَا أَجَابَ الصُّلْحَ؟ كَمْ شَاهَدَ الْوَاصِلِينَ فِيهِ وَهُوَ مُتَبَاعِدٌ؟ كَمْ مَرَّتْ
بِهِ زُمَرُ السَّائِرِينَ وَهُوَ قَاعِدٌ، حَتَّى إِذَا ضَاقَ بِهِ الْوَقْتُ وَخَافَ الْمَقْتِ نَدِمَ عَلَى
التَّفْرِيطِ حَيْثُ لَا يَنْتَفِعُ النَّدَمُ، وَطَلَبَ الاسْتِذْرَاكَ فِي وَقْتِ الْعَدَمِ:

أَتَشْرَكَ مَنْ تُحِبُّ وَأَنْتَ جَارُ وَتَظْلُبُهُمْ وَقَدْ بَعْدَ الْمَزَارِ
وَتَبْكِي بَعْدَ نَائِيهِمْ اشْتِيَاقًا وَتَسْأَلُ فِي الْمَنَازِلِ أَيْنَ سَارُوا
تَرَكْتَ سُؤَالَهُمْ وَهُمْ حُضُورٌ وَتَرْجُو أَنْ تُخْبِرَكَ الدِّيَارُ
فَنَفْسُكَ لَمْ، وَلَا تَلِمِ الْمَطَايَا وَمَتَّ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اعْتِذَارُ

إِخْوَانِي: لَقَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ وَمَا أَطْعَمْتُمْ، وَكُتِبَتْ عَلَيْكُمْ فِيهِ آثَامُهُ وَمَا
أَضَعْتُمْ، وَكَانَتْكُمْ بِالْمُسْمَرِينَ فِيهِ وَقَدْ وَصَلُوا وَانْقَطَعْتُمْ، أَتَرَى مَا هَذَا التَّوْبِيخُ
لَكُمْ أَوْ مَا سَمِعْتُمْ؟

إِخْوَانِي: هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ مُوسِمُ الْقَبُولِ وَالْغُفْرَانِ، قَدْ بَقِيَ مِنْهُ لَيْلَةٌ
وَاحِدَةٌ، وَاقْتَسَمَ الْعَامِلُونَ فَوَائِدَهُ، بَقِيَ مِنْ أَيَّامِهِ يَوْمٌ، وَكَأَنَّهُ طَيْفٌ زَارَ فِي
النُّومِ، فَلَقَدْ كَانَ لِلْمُتَّقِينَ رَوْضَةٌ وَأُنْسًا، وَلِلْغَافِلِينَ قَيْدًا وَحَبْسًا. كَانَ نُزْهَةً
لِلْأَبْرَارِ، وَقَيْدًا لِلْأَشْرَارِ. فَطُوبَى لِمَنْ حَلَّ فِيهِ عُقْدَةُ الْإِصْرَارِ، وَحَلَّ فِي رَوْضَةِ
التَّقْوَى فِي مَنْزِلِ الْاِفْتِقَارِ، وَخَتَمَ شَهْرَهُ بِالاسْتِغْفَارِ، لَعَلَّهُ يَرْفُو حَلَلَ التَّفْصِيرِ
وَيَمْحُو الْأَوْزَارَ، قَالَ:

أَيُّ شَهْرٍ قَدْ تَوَلَّى يَا عِبَادَ اللَّهِ عَنَّا
حَقٌّ أَنْ نَبْكِي عَلَيْهِ بِدِمَاءِ لَوْ عَقَلْنَا
كَيْفَ لَا نَبْكِي بِشَهْرِ مَرًّا بِالْغَفْلَةِ عَنَّا
ثُمَّ لَا نَعْلَمُ أَنَّا قَدْ قُبِلْنَا أَوْ طُرِدْنَا

لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هُوَ الْمَـ خَرُومٌ وَالْمَظْرُودُ مِنَّا؟
وَمَنْ الْمَقْبُولُ مِمَّنْ صَامَ مِنَّا فَيُهَنَّا
كَانَ هَذَا الشَّهْرُ نُورًا بَيْنَنَا يُزْهَرُ حُسْنًا
فَاَجْعَلِ اللَّهُمَّ عُقْبَا هَ لَنَا نُورًا وَحُسْنًا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ، وَعَلَتْ قُدْرَتُهُ عَلَى جَمِيعِ الْمَقْدُورَاتِ، وَجَلَّتْ إِرَادَتُهُ أَنْ يُخَالَفَهَا شَيْءٌ مِنَ الْكَائِنَاتِ. نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَبِمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلَائِقِ وَقَهْرِكَ، اغْفِرْ لَنَا كَبَائِرَ الذُّنُوبِ وَالصَّغَائِرِ، وَاسْتُرْ عَلَيْنَا فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ، وَهَبْ لَنَا مُوبِقَاتِ الْجَرَائِرِ، وَسَامِحْنَا عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ نَطَقَتْ بِهِ الْأَلْسُنُ وَأَكْنَتُهُ الضَّمَائِرُ، فَهَا نَحْنُ عَيْدُكَ الْخَاضِعُونَ لِهَيْبَتِكَ، الْمُتَذَلِّلُونَ لِعِزِّكَ وَعَظَمَتِكَ، الرَّاجُونَ لِحَمِيلِ رَحْمَتِكَ، أَمَرْتَنَا فَفَرَطْنَا وَلَمْ تَقْطَعْ عَنَّا نِعْمَكَ، وَنَهَيْتَنَا فَعَصَيْنَا وَلَمْ تَحْرِمْنا كَرَمَكَ.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ. وَوَفَّقْنَا لِلْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالِاشْتِعَالِ بِخِدْمَتِكَ، وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا فَأَنْتَ الْبَادِيُ بِالْإِحْسَانِ قَبْلَ تَوَجُّهِ السَّائِلِينَ. وَأَنْتَ الْجَوَادُ بِالْعَطَاءِ قَبْلَ طَلَبِ الرَّاعِبِينَ. فَأَتِمِّمْ عَلَيْنَا إِحْسَانَكَ كَمَا بَدَأْتَنَا، وَأَسْبِلْ عَلَيْنَا عَفْوَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا، وَاغْفِرْ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الفصل العاشر

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنِيلِ الطَّلِبَاتِ، وَمُجْزِلِ الْهَبَاتِ، وَمُضَاعِفِ الْحَسَنَاتِ، وَغَافِرِ السَّيِّئَاتِ، وَمُعْتِقِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الرُّقَابِ الْمُوبِقَاتِ. الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ، الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ، وَعَنِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ لَا يَتَحَوَّلُ، الَّذِي لَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، وَلَا تَسْتَبِيهِ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْحَاحِ دَوِي الْحَاجَاتِ.

الْمُتَفَرِّدُ بِالْإِنْشَاءِ وَالْإِبْدَاعِ، وَغَافِرُ الْخَطَايَا بَعْدَ النَّدَمِ وَالْإِقْلَاعِ، الَّذِي أَوْجَدَ الْخَلِيقَةَ مِنْ عَدَمٍ وَأَنْشَأَهَا، وَقَامَ بِأَرْزَاقِهَا وَكَفَّاهَا، وَأَبَانَ لَهَا طَرِيقَ رُشْدِهَا وَهَدَاهَا، وَمَنْ بَفَضْلِهِ عَلَى خُلَاصَةِ اضْطِفَافِهَا، وَلِقُرْبِهِ وَخِدْمَتِهِ ارْتَضَاهَا، فَهِيَ فِي مَرَاضِيهِ تَذَابُّ وَبِطَاعَاتِهِ تَتَبَاهَى. وَحَكَمَ بِالطَّرْدِ عَلَى فِرْقَةٍ سِوَاهَا، فَهِيَ فِي مَيَادِينِ الْعَفَلَاتِ تَلْعَبُ وَبِالشَّهَوَاتِ تَتَلَاهَى.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَفَاضَ عَلَى مَنْ شَاءَ خِلْعَ الْكَرَامَاتِ، وَعَمَرَ أَوْقَاتَهُمْ بِالطَّاعَاتِ. عَزَّ رَبًّا وَجَلَّ مَلِكًا وَتَعَالَى إِلَهًا مُتَفَرِّدًا بِالْكَمَالَاتِ، يُرِي عِزَّتَهُ ثُمَّ يُبْدِي لُطْفَهُ، وَالْعَبْدُ عَنْ هَذَا الشَّانِ فِي الْعَفَلَاتِ.

أَحْمَدُهُ حَمْدًا أَنَالَ بِهِ عُلوَّ الدَّرَجَاتِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنْ إِثْمَامِ هَذِهِ اللَّيَالِي الْمَفْضَلَاتِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهٌ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَاتُ، شَهَادَةٌ أَرْجُو بِهَا الْفِكَاكَ مِنْ نَارِ بَعِيدَةِ الدَّرَكَاتِ. وَأَوَّمِلُ مِنْ كَرَمِهِ فَسِيحَ الْجَنَّاتِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الْمُعْجَزَاتِ، وَالْهَادِي إِلَى سُبُلِ الْخَيْرَاتِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْفَضَائِلِ وَالْكَرَامَاتِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ رَيْكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَيْكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

رُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ غَيْرُهُمْ: خُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطَرُوا. وَيُزَيَّنُ اللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ وَيَقُولُ: يَوْشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمْ الْمُتُونَةُ وَالْأَذَى وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ. وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُونَ فِيهِ إِلَّا مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ. وَيُغْفَرُ

لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوقَى أَجْرُهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ».

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ أَلْفَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، أَعْتَقَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَعْدَ مَا أَعْتَقَ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ، ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ».

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مُرْسَلًا عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ ﷻ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ سِتِّمِائَةَ أَلْفِ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ. فَإِذَا كَانَ آخِرُ لَيْلَةٍ أَعْتَقَ اللَّهُ بَعْدَ مَنْ مَضَى».

فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ السُّؤَالِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِدُعَاءِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، لِيَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ هَؤُلَاءِ الْعَتَقَاءِ، وَأَنْ يُحَسِّنَ الْعَمَلَ، وَيَجِدَّ وَيَجْتَهِدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. فَإِنْ كَانَ قَدْ عَمِلَ فِيمَا مَضَى صَالِحًا كَانَ ذَلِكَ لَهُ خِتَامًا، فَيَكُونُ خِتَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِنْ كَانَ مُفَرِّطًا مِثْلِي فَلْيَتَنَدَّمْ وَلْيَتَأَسَفْ عَلَى فِعْلِهِ وَيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ تَعَالَى، فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَيَرْحَمَهُ، وَيَجْعَلَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَتَقَاءِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسَانِهِ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وَرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي جَعْفَرٍ - مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ - مُرْسَلًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَلَيْهِ رَمَضَانُ صَحِيحًا مُسْلِمًا صَامَ نَهَارَهُ وَصَلَّى وَرَدًا مِنْ لَيْلِهِ، وَغَضَّ بَصَرَهُ وَحَفِظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ، وَحَافِظَ عَلَى صَلَاتِهِ فِي الْجَمَاعَةِ وَبَكَرَ إِلَى الْجُمُعَةِ، فَقَدْ صَامَ الشَّهْرَ، وَاسْتَكْمَلَ الْأَجْرَ، وَأَذْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَفَازَ بِجَائِزَةِ الرَّبِّ ﷻ». قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: جَائِزَةُ الرَّبِّ لَا تُشْبِهُ جَوَائِزَ الْأَمْوَاءِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: صُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَلَا قُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ» قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: فَلَا أَذْرِي، أَكْرَهُ التَّزْكِيَةَ أَمْ لَا بَدَّ مِنَ الْعَفْلَةِ؟

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَمَتَى يُغْفَرُ لَهُ؟» مَتَى يُقْبَلُ مَنْ رُدَّ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ مَتَى يَصْلُحُ مَنْ لَا يَصْلُحُ فِي رَمَضَانَ؟

قَالَ كَعْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ إِذَا أَفْطَرَ بَعْدَ رَمَضَانَ أَلَّا يَعِصِيَ اللَّهَ، دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا حِسَابٍ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ إِذَا أَفْطَرَ بَعْدَ رَمَضَانَ عَصَى رَبَّهُ، فَصِيَامُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ.

مَا أَصْنَعُ؟ هَكَذَا جَرَى الْمَقْدُورُ الْجَبَرُ لِعَيْرِي! وَأَنَا الْمَكْسُورُ أَسِيرُ ذَنْبٍ مُقَيَّدٌ مَهْجُورٌ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يُغَيِّرَ الْمَقْدُورُ؟

رَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يُنَادِي فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: «يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذَا الْمَقْبُولُ فَتُهْنِيهِ؟ وَمَنْ هَذَا الْمَخْرُومُ فَتُعْزِيهِ؟ أَيُّهَا الْمَقْبُولُ هِنِيئًا لَكَ، أَيُّهَا الْمَرْدُودُ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَكَ».

لَيْتَ شِعْرِي مَنْ فِيهِ يُقْبَلُ مِنَّا فَيُهْنِنَا، يَا خَيْبَةَ الْمَرْدُودِ مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ بِغَيْرِ قُبُولٍ أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ بِخِزْيٍ شَدِيدٍ وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مِضْمَارًا لِخَلْقِهِ، يَسْتَبِقُونَ فِيهِ بِطَاعَاتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ، فَسَبَقَ قَوْمٌ فَقَارُوا، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا».

وَقَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّلَاةُ مِكَيَالٌ، فَمَنْ وَفَّى وَفَّى لَهُ وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قِيلَ فِي الْمُطَفِّفِينَ، فَالْصِّيَامُ وَسَائِرُ الْأَعْمَالِ عَلَى هَذَا الْمُنْوَالِ، فَمَنْ وَقَّاهَا فَهُوَ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤَفِّينَ، وَمَنْ طَفَّفَ فِيهَا فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ».

إِخْوَانِي: أَيُّ صِيَامٍ لِمَنْ ظَلَّ يَأْكُلُ لُحُومَ الْأَنْعَامِ؟ وَأَيُّ قِيَامٍ لِمَنْ جَسَدُهُ مَعَ التَّاعِينَ وَقَلْبُهُ مَعَ النَّيَامِ؟ أَيُّ صَدَقَةٍ لِمَنْ يَتَصَدَّقُ مِنْ مَالٍ خَبِيثٍ حَرَامٍ؟ أَيُّ صَلَاةٍ لِمَنْ يَعُدُّ الرُّكْعَاتِ، وَقَلْبُهُ غَافِلٌ عَنْ تَذَكُّرِ الْآيَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ، يُعَجِّلُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، وَرَبِّمَا سَابَقَ الْإِمَامُ؟

فَيَا أَرْبَابَ الْجِدِّ، هَذِهِ أَوْقَاتُ الْاهْتِمَامِ، وَيَا أَهْلَ الصَّدَقِ فِي الطَّلَبِ
هَذِهِ أَوْقَاتُ الْاِغْتِنَامِ، وَيَا ذَوِي الْعَزَائِمِ، قَدْ دُعِيتُمْ إِلَى مَوَائِدِ الْإِكْرَامِ، مَا
الَّذِي تَنْتَظِرُونَ وَقَدْ دَنَا الْخِتَامُ، وَقَدْ تَصَرَّمَتْ أَيَّامُهُ وَانْطَوَى النِّظَامُ؟

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كَانُوا - يَغْنِي السَّلَفُ الصَّالِح - يَدْعُونَ اللَّهَ سِتَّةَ
أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ، فَإِذَا بَلَغَهُمْ وَعَمِلُوا فِيهِ عَمَلًا، دَعَوْا اللَّهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ
أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمْ، فَكُلُّ رَمَانِهِمْ رَمَضَانُ.

فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُلِحَّ عَلَى اللَّهِ فِي دُعَائِهِ لِقَبُولِ أَعْمَالِهِ، وَيَخْتِمَ شَهْرَ
رَمَضَانَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالذِّكْرِ، وَسُؤَالِ الْجَنَّةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ النَّارِ، كَمَا
أَمَرَ بِذَلِكَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ، وَكَمَا ثَبَتَ عَنِ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ أَنَّهُ قَالَ:
«اسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ» فَمِنْهَا سُؤَالُ الْجَنَّةِ وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنَ النَّارِ، وَهِيَ
مِنْ أَهَمِّ الدُّعَاءِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا نُدْنِدُنٌ». وَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ
الْحَوْلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: مَا عَرَضْتُ لِي دَعْوَةٌ إِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى
الِاسْتِعَاذَةِ مِنَ النَّارِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «تَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ
يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَمَنْ أَصَابَتْهُ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا
أَبَدًا»، وَمِنْ أَعْظَمِ نَفَحَاتِهِ مُضَادَفَةُ سَاعَةِ الْإِجَابَةِ، يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا الْجَنَّةَ
وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، فَيُجَابُ سُؤَالُهُ فَيَقُوزُ بِسَعَادَةِ الْأَبَدِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، وَقَالَ ﷺ:
﴿لَا يَسْتَوِي أَحَبُّ النَّارِ وَأَحَبُّ الْجَنَّةِ أَحَبُّ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾.

فَهَيِّئَا لِمَنْ فَازَ بِدَارِ السَّلَامِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ مَالُهُ إِلَى الْجَحِيمِ وَالْآلَامِ.

لَيْسَ السَّعِيدُ الَّذِي دُنِيَاهُ تُسْعِدُهُ إِنَّ السَّعِيدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ
فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، وَدَعُّوا شَهْرَكُمْ بِالزُّقَرَاتِ، وَأَسِيلُوا لِفِرَاقِهِ الْعَبَرَاتِ،
وَاسْتَوْدِعُوهُ عَمَلًا صَالِحًا يَشْهَدُ لَكُمْ بِهِ عِنْدَ عَالِمِ الْخَفِيَّاتِ. أَلَا إِنَّ شَهْرَ
رَمَضَانَ قَدْ دَنَا رَحِيلُهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلُهُ.

إِخْوَانِي: هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ قَدْ قُوضَتْ خِيَامُهُ، وَتَشَتَّتَ نِظَامُهُ، وَتَصَرَّمَتْ لَيَالِيهِ وَأَيَّامُهُ، فَابْكُوا عَلَيْهِ بِالْأَحْزَانِ وَوَدِّعُوهُ، وَأَجْرُوا لِأَجْلِ فِرَاقِهِ الدُّمُوعَ وَشَيْعُوهُ، فَكَمْ مِنْ صَائِمٍ لَا يَصُومُ غَيْرَهُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَا يَقُومُ بَعْدَهُ أَبَدًا.

فَيَا هَذَا وَدِّعْ شَهْرَكَ بِإِرْسَالِ الْعِبَرَاتِ، لَعَلَّكَ تُقَالُ مِنَ الْعَثَرَاتِ، وَشَيْعَ بَقِيَّةِ شَهْرِكَ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، لَعَلَّكَ أَنْ يَحْصَلَ لَكَ الْقَبُولُ وَالْإِجَابَةُ.

وَأَذْكُرْ لِمَنْ بَانَ مِنْ خِلٍّ وَمِنْ جَارٍ	دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالْدَّارِ
عَلَى فِرَاقِ لَيَالٍ ذَاتِ أَنْوَارٍ	وَأَذِرِ الدُّمُوعَ نَحِيبًا وَابْكِ مِنْ أَسْفٍ
إِلَّا لِتَمَجِّصِ آثَامٍ وَأَوْزَارٍ	عَلَى لَيَالٍ لِشَهْرِ الصَّوْمِ مَا جُعِلَتْ
وَأَسْمَعْ غَرِيبَ أَحَادِيثٍ وَأَخْبَارٍ	يَا لَا يَمِي فِي الْبُكَاءِ زِدْنِي بِهِ كَلْفًا
مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا الْقَائِمُ الْقَارِي	مَا كَانَ أَحْسَنَنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
فِيهَا الْمَصَابِيحُ تَزْهُو مِثْلَ أَزْهَارٍ	وَفِي التَّرَاوِيحِ لِلرَّاحَاتِ جَامِعَةٌ
حَقًّا عَلَى كُلِّ شَهْرٍ ذَاتِ أَسْرَارٍ	شَهْرٌ بِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفَتْ
بِإِذْنِ رَبِّ غَمُورٍ خَالِقِ بَارِي	تَنْزِلُ الرُّوحُ وَالْأَمْلاكُ قَاطِبَةً
أَشْفَوْا عَلَى جُرْفٍ مِنْ حِصَّةِ النَّارِ	شَهْرٌ بِهِ يُعْتَقُ اللَّهُ الْعُصَاةَ وَقَدْ
مَا قَدْ بَقِيَ فَهُوَ حَقٌّ عَنْكُمْ جَارِي	فَابْكُوا عَلَى مَا مَضَى فِي الشَّهْرِ وَاعْتَمُوا

فَلِلَّهِ دَرْ أَقْوَامٍ بَادَرُوا الزَّمَانَ، وَتَغَانَمُوا أَوْقَاتَ الْفَضَائِلِ وَالْغُفْرَانِ، وَوَدِّعُوا شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْأَشْجَانِ، وَاسْتَغْرَقُوا أَوْقَاتَهُ بِالصَّيَامِ وَالْقِيَامِ وَالتَّهَجُّدِ بِالْقُرْآنِ.

إِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي الدُّجَى وَالنَّاسُ نَائِمُونَ، وَأَهْلُ الْبَطَالَةِ فِي لَدَائِهِمْ غَافِلُونَ، كَأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُمْ، إِذَا تَذَكَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ، فَهَذَا يَبْكِي وَيَنْدُبُ، وَهَذَا يَصْرُخُ مِنْ حَرِّ الْجَوْيِ وَدُمُوعُهُ تُسَكَّبُ، وَهَذَا يَتَرَنَّمُ بِالْقُرْآنِ وَيَتَفَكَّرُ طَوِيلًا، وَهَذَا يُرَدِّدُ كَلَامَ مَوْلَاهُ وَالْقَلْبُ قَدْ انْفَطَرَ لِلَّهِ ذَلِيلًا، وَهَذَا قَدْ اتَّخَذَ الظَّلَامَ إِلَى مَوْلَاهُ سَبِيلًا، وَهَذَا يَتَفَكَّرُ فِي السَّابِقَةِ، وَهَذَا يَحْذَرُ وَيَخَافُ

مِنَ اللَّاحِقَةِ، قَدْ خَافَ مِنْ سُوءِ الْخِتَامِ وَرَاقَبَ مَوْلَى جَلِيلًا، وَهَذَا قَدْ تَدَرَّعَ الْأُخْزَانَ، وَهَذَا يَبْكِي بِالْعَوِيلِ وَالْأَشْجَانِ، وَهَذَا قَدْ اسْتَعَدَّ وَلَبَسَ الْأَكْفَانَ، لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِأَوْطَانٍ، وَأَنَّ لِكُلِّ نَازِلٍ فِيهَا رَحِيلًا. فَمَا لَنَا لَا نَتَّصِفُ بِهِؤُلَاءِ الرِّجَالِ، وَمَا بَالُ أَسْمَاعِنَا لَا تُنْصِتُ إِلَى صَحِيحِ الْمَقَالِ، أَرْضِينَا بِالْفَانِي عَنِ الْبَاقِي بَدِيلًا؟ إِذَا أَكْمَلَ الصَّائِمُونَ صِيَامَ رَمَضَانَ وَقِيَامَهُ فَقَدْ وَفَّوْا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ، وَبَقِيَ مَا لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَهُوَ الْمَغْفِرَةُ.

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ اخْتِمُوا شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْإِسْتِغْفَارِ، فَإِنَّهُ يَرْفُو خَلْلَ التَّقْصِيرِ وَيَمْنَحُو الْأَوْزَارَ.

رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «الْغِيْبَةُ تَحْرِقُ الصِّيَامَ وَالْإِسْتِغْفَارُ يُرْفَعُهُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَجِيءَ بِصَوْمٍ مُرْقِعٍ فَلْيَفْعَلْ».

وَعَنْ ابْنِ الْمَكْدَرِ فِي قَوْلِهِ رضي الله عنه: «وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِفْهَا» أَنَّ الْكَلَامَ السَّيِّئَ يَخْرِقُ هَذِهِ الْجُنَّةَ، وَالْإِسْتِغْفَارُ يُرْفَعُ مَا تَخَرَّقَ مِنْهَا.

فَصِيَامُنَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ يَحْتَاجُ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ؛ لَعَلَّهُ يُرْفَعُ مَا تَخَرَّقَ مِنْهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَنْفَعَ الْإِسْتِغْفَارِ مَا قَارَنْتَهُ التَّوْبَةُ، وَهِيَ حُلُّ عُقْدَةِ الْإِضْرَارِ. فَمَنْ اسْتَغْفَرَ بِلِسَانِهِ وَقَلْبُهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مَعْقُودٌ، وَعَزْمُهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَعَاصِي بَعْدَ الشَّهْرِ وَيَعُودَ، فَصَوْمُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ، وَبَابُ الْقَبُولِ عَنْهُ مَسْدُودٌ.

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِذَا صَلَّى صَلَاةَ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ مِنْ تَقْصِيرٍ فِيهَا، كَمَا يَسْتَغْفِرُ الْمُذْنِبُ مِنْ ذَنْبِهِ.

إِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، فَكَيْفَ حَالُ الْمُسِيئِينَ مِثْلُنَا فِي عِبَادَاتِهِمْ؟ فَقُولُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِأَجْمَعِكُمْ: يَا رَبَّنَا ارْحَمْ مَنْ حَسَنَاتُهُ كُلُّهَا سَيِّئَاتٌ، وَطَاعَاتُهُ كُلُّهَا عَفَلَاتٌ. نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ، وَنَسْأَلُهُ رِضْوَانَهُ وَالْجَنَّةَ، وَنَعُودُ بِهِ مِنْ سَخَطِهِ وَالتَّارِ.

فَيَبْغِي لَكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ أَنْ تَظْمَعَ فِي عَفْوِ اللَّهِ وَتَتَّقَ بِهِ، خُصُوصًا فِي هَذِهِ
الَّيْلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ، وَالْعَفْوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ
عُقُوبَتِكَ».

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: لَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَفْوَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ لَمْ يَبْتَلِ بِالذَّنْبِ
أَكْرَمَ النَّاسِ عَلَيْهِ، يُشِيرُ أَنَّهُ ابْتَلَى كَثِيرًا مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَحْبَابِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ
لِيُعَامِلَهُمْ بِالْعَفْوِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْعَفْوَ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: لَوْ عَلِمْتُ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
لَأَجْهَدْتُ نَفْسِي فِيهِ. فَرَأَى قَائِلًا يَقُولُ لَهُ فِي مَنَامِهِ: إِنَّكَ تُرِيدُ مَا لَا يَكُونُ.
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَغْفُو وَيَغْفِرَ، وَإِنَّمَا أَحَبُّ أَنْ يَغْفُو لِيَكُونَ الْعِبَادُ كُلُّهُمْ تَحْتَ
عَفْوِهِ وَلَا يَدُلُّ أَحَدٌ عَلَيْهِ مِنْهُمْ بِعَمَلٍ، فَاللَّهُ تَعَالَى عَفْوَ يُحِبُّ الْعَفْوَ كَرِيمٌ يُحِبُّ
الْكَرَمَ حَلِيمٌ يُحِبُّ الْحِلْمَ، لَمَّا عَرَفَ الْعَارِفُونَ بِجَلَالِهِ خَضَعُوا، وَلَمَّا سَمِعَ
الْمُذْنِبُونَ بِعَفْوِهِ طَمِعُوا، مَا نَمَّ إِلَّا عَفْوُ اللَّهِ أَوْ النَّارُ.

لَوْ لَا طَمَعُ الْمُذْنِبِينَ فِي الْعَفْوِ لَاخْتَرَفَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْيَأْسِ مِنَ الرَّحْمَةِ،
وَلَكِنْ إِذَا ذَكَرْتَ عَفْوَ اللَّهِ اسْتَرْوَحْتَ إِلَى بَرْدِ عَفْوِهِ.

كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي قَدْ عَظُمَتْ فَجَلَّتْ
عَنِ الصِّفَةِ، وَإِنَّهَا صَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ فَاعْفُ عَنِّي.

وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ: جُرْمِي عَظِيمٌ وَعَفْوُكَ كَثِيرٌ فَاجْمَعْ بَيْنَ جُرْمِي وَعَفْوِكَ يَا
كَرِيمٌ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: لَيْسَ بِعَارِفٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ غَايَةً أَمَلَهُ مِنَ اللَّهِ الْعَفْوَ،
إِنْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ لِلْمُحْسِنِينَ فَالْمُسِيءُ لَا يَيَاسُ مِنْهَا، وَإِنْ تَكُنِ الْمَغْفِرَةُ مَكْتُوبَةً
لِلْمُتَّقِينَ، فَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَنْهَا.

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي، فَلَمَّا قَرْنَتْهُ
أَلَسْتُ الَّذِي غَذَيْتَنِي وَكَفَلْتَنِي
عَسَى مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي
فَلِلَّهِ دُرُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ
فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ
وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ فِي شَبَابِهِ
فَصَارَ قَرِينَ الْهَمِّ طُولَ نَهَارِهِ
يَقُولُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي

جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ بَابِكَ سُلَّمًا
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
وَمَا زِلْتُ مَنَانًا عَلَيَّ وَمُنْعِمًا
وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَ
تَسِحُّ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَاتَمًا
وَفِيمَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا
وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا
وَيَتَّخِذُ مَوْلَاهُ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمًا
كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤْلًا وَمَغْنَمًا

وَدَاعُ شَهْرِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى بِالزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ، وَتَوَحَّدَ
بِالْبَقَاءِ فَلَا يَغْتَرِي مُلْكُهُ زَوَالٌ وَلَا إِذْبَارُ. الْعَزِيزُ الَّذِي عَنَتِ الْوُجُوهُ لِعِزَّتِهِ،
وَخَضَعَتِ الرَّقَابُ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَانْدَكَ الْجَبَلُ لِعِظَمِ هَيْبَتِهِ، وَصُعِقَتِ الْمَلَائِكَةُ
مِنْ مَخَافَتِهِ، وَانْطَفَأَتِ النَّارُ لِمَطَاعَتِهِ، وَرَعَدَتِ السَّمَاوَاتُ لِكَلِمَتِهِ، خَشْيَةً مِنْ
صَوْلَةِ عِزِّهِ بِذُلِّ وَانْكِسَارِ. الْمُرْتَدِّي بِالْكَبْرِيَاءِ الْمُتَّزِرُ بِالْعِظَمَةِ، الَّذِي اسْتَوَى فِي
عِلْمِهِ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ، الْمَلِكُ الَّذِي كَتَبَ عَلَى هَذِهِ الْخَلِيقَةِ فَنَاءَ وَزَوَالَ،
وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْبَارًا وَإِقْبَالَ، لِيَدُلَّنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ لِكُلِّ نَازِلٍ رَحِيلًا
وَإِتْقَالَ، أَهْلَ عَلَيْنَا شَهْرُ رَمَضَانَ، لِيُفِيضَ فِيهِ الْإِحْسَانُ، وَيَغْفِرَ فِيهِ الذُّنُوبَ
وَالْعِصْيَانَ، وَيُضَاعِفَ فِيهِ أَعْمَالَ، فَمَنْ رَاحَ فِيهِ صَارَ شَاهِدًا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى، وَمِنْ خَاسِرٍ فِيهِ كَانَتْ حَيَاتُهُ عَلَيْهِ وَبَالَآ.

فُسَبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ يُجِيبُ سُؤَالَ، وَيَبْلُغُ أَمَالَ، وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَالْأَوْزَارَ،
الْحَيُّ الْمَعْرُوفُ بِدَلِيلِهِ، الْهَادِي إِلَى سَبِيلِهِ الصَّادِقُ فِي قِيلِهِ، الْمَشْكُورُ عَلَى

كَبِيرِ الْإِنْعَامِ وَقَلِيلِهِ، الَّذِي تُسَبِّحُهُ الْأَصْوَاتُ إِذَا عَجَّتْ وَالسَّحَابُ إِذَا ثَجَّتْ،
وَالْمِيَاهُ إِذَا سَكَنَتْ أَوْ ارْتَجَّتْ، وَالْقُلُوبُ إِذَا صَبَرَتْ عَلَى الْبَلَايَا أَوْ ضَجَّتْ.
رَافِعُ السَّمَاءِ وَبَانِيهَا وَسَاطِحُ الْأَرْضِ وَدَاحِيهَا، وَمُثَبِّتُهَا بِالْأَطْوَادِ فِي نَوَاجِيهَا،
وَالْعَالَمُ بِمَا يَحْدُثُ فِي أَقَاصِيهَا وَأَدَانِيهَا ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا
وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

أَحْمَدُهُ عَلَى فَضْلِهِ الشَّامِلِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ الْكَامِلِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ
إِيمَانًا مُخْلِصٍ مُعَامِلٍ، وَأَعْتَرِفُ لَهُ بِنِعَمٍ لَا أَحْصِيهَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً ظَهَرَ نُورُهَا وَلَاخَ،
وَعَدَا بُرْهَانُهَا وَرَاحَ، وَأَشْرَقَ هُدَاها فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ، وَاکْتَسَبَ قَائِلُهَا
شَرَفًا وَتَبَاهَا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَالْحَقُّ دَائِرٌ، وَقَدَّمَ الصَّوَابَ
عَائِرٌ، فَقَمَعَ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ الظَّاهِرِ، وَنَسَخَ ظُلُمَاتِ الْجَهَالَةِ بِنُورِ الْعِلْمِ الزَّاهِرِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً تَمْتَدُّ عَلَى مَمَرِ الْأَزْمَانِ وَتَوَالِيهَا،
وَعَلَى أَرْوَاجِ الظَّاهِرَاتِ مِنَ الْعُيُوبِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ فِي إِخْلَاصِ الْأَعْمَالِ
وَصَفَاءِ الْقُلُوبِ، مَا تَرَدَّدَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ الطُّلُوعِ وَالْغُرُوبِ، وَاسْتَتَرَتِ النُّجُومُ
وَبَدَا بِأَدْيَاهَا.

عِبَادَ اللَّهِ، تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ، فَقَدْ دَلَّكُمْ عَلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ،
وَأَحْضَرُوا قُلُوبَكُمْ لِفَهْمِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَلَا زُمُوا طَاعَةَ رَبِّكُمْ هَذَا شَأْنُ الْعَبِيدِ،
وَاحْذَرُوا مِنْ غَضَبِهِ فَكُمْ قَصَمَ مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢)
أَيْنَ مَنْ بَنَى وَشَادَ وَطَوَّلَ، وَتَأَمَّرَ عَلَى النَّاسِ وَسَادَ فِي الْأَوَّلِ، وَظَنَّ جَهْلًا مِنْهُ
أَنَّهُ لَا يَتَحَوَّلُ؟ هَيْهَاتَ عَادَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ سَالِيًا مَا خَوَّلَ، فَسُقُوا إِذْ فَسَقُوا كَأَسَا
عَلَى إِهْلَاكِهِمْ عَوَّلَ ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٥).

فَيَا مَنْ أَنْذَرَهُ يَوْمُهُ وَأَمْسُهُ، وَحَادَثَهُ بِالْعَبْرِ قَمَرُهُ وَشَمْسُهُ، وَاسْتَلَبَ مِنْهُ

وَلَدُهُ وَأَخُوهُ وَعُرْسُهُ، وَهُوَ يَسْعَى إِلَى الْخَطَايَا مُشْمِرًا وَقَدْ دَنَا رَمْسُهُ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنَّ إِلَىٰ آلِهِ مِن جَبَلٍ أَلْوَدٍ﴾ (١١) .

أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ مَسْتُوُلُ الزَّمَانِ، مَشْهُودٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَنْطِقُ الْأَرْكَانُ،
مَحْفُوظٌ عَلَيْكَ يَوْمَ فَعَلْتَ فِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ، مُحَاسَبٌ عَلَى خَطَوَاتِ الْقَدَمِ
وَكَلِمَاتِ اللِّسَانِ: ﴿إِذْ يَنْتَلَقَى الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧) .

فَيَا مَنْ يَرَى الْعَبَرَ بِعَيْنَيْهِ، وَيَسْمَعُ الْمَوَاعِظَ بِأُذُنَيْهِ، وَالنَّذِيرُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ،
وَكَلِمَاتُهُ تُحْصَى عَلَيْهِ ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ (١٨) .

فَكَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ وَقَدْ اخْتَطَفَكَ اخْتِطَافُ الْبَرْقِ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِ عَنْكَ
بِمُلْكِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ، وَنَدِمْتَ عَلَى تَفْرِيطِكَ بَعْدَ اتِّسَاعِ الْخَرَقِ، وَتَأَسَّفْتَ عَلَى
تَرْكِ الْأُولَى، وَالْآخِرَى أَحَقُّ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (١٩) .

ثُمَّ تَرَحَّلْتَ مِنَ الْقُصُورِ إِلَى الْقُبُورِ، عَلَى حَائِلِ الْعِيدَانِ وَالظُّهُورِ، وَبَقِيتَ
وَحِيدًا عَلَى مَمَرِ الْعُصُورِ، كَالْأَسِيرِ مَحْضُورٍ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ﴾ (٢٠) .

فَحِينَئِذٍ أَعَادَ الْأَجْسَامَ مَنْ صَنَعَهَا، وَضَمَّ شَتَاتَهَا بِقُدْرَتِهِ وَجَمَعَهَا، وَنَادَى
بِنَفْخَةِ الصُّورِ فَأَسْمَعَهَا ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٢١) ﴿فَيَهْرُبُ مِنْكَ الْأَخُ
وَيَنْسَى إِخَاءَكَ، وَيُعْرِضُ عَنْكَ الصَّدِيقُ وَيَرْفُضُ وَلَاءَكَ، وَيَتَجَافَاكَ الْحَبِيبُ الْمُعَاشِرُ
صَبَاحَكَ وَمَسَاءَكَ، وَتَلْقَى مِنَ الْهَوْلِ كُلِّ مَا أَرْعَجَكَ وَسَاءَكَ، فَتَنْسَى أَوْلَادَكَ
وَتَنْسَى نِسَاءَكَ﴾ (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (٢٢) .

وَتَجْرِي دُمُوعُ الْأَسْفِ وَإِبِلًا وَرَدَاذًا، وَتَتَقَطَّعُ الْأَكْبَادُ مِنَ الْحَسَرَاتِ
أَفْلَادًا، وَيَهْبُ لَهَيْبِ النَّارِ عَلَى الْفُجَارِ فَيَجْعَلُهُمْ جُذَادًا، وَلَا يَجِدُ الْعَاصِي
مَلْجَأً وَلَا مَلَاذًا ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْدٍ﴾ .

فَيُجَازَى الْعَبْدُ بِفِعْلِهِ وَلَا يُظْلَمُ، وَيَتَحَسَّرُ الْغَافِلُ عَلَى مَا جَنَى وَيَتَنَدَّمُ،
وَتَسِيلُ الدُّمُوعُ عَلَى الْأَجْفَانِ كَأَنَّهَا جَرَتْ عَنْ دَمٍ أَوْ عِنْدَمَ، وَيَأْمُرُ الْمَوْلَى بِأَخِيذِ
الْعَصَاةِ وَيَتَقَدَّمُ ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٢٣) .

وَتَقُومُ الرِّبَايَةُ إِلَى الْفُجَارِ وَتَتَبَادَرُ، وَتُسَوِّفُهُمْ سَوْفًا عَنيفًا وَالِدَّمْعُ يَتَحَادَرُ،
وَتَتَبُّبُ النَّارُ عَلَى الْفُجَارِ وَتُثَوِّبُ اللَّيْثُ إِذَا غَضِبَ وَشَاجَرَ، فَيَذِلُّ عِنْدَ زَفِيرِهَا كُلُّ
مَنْ عَزَّ وَفَاخَرَ ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢١)﴾ .

وَيُنْصَبُ الصَّرَاطُ فِي أَصْعَبِ الْأَمَاكِينِ، وَتَنْزَعُجُ لِيُوضَعَ الْمِيزَانُ الْقُلُوبُ
السَّوَائِنُ، وَيَقَعُ الْخِصَامُ بَيْنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ فِي أَعْجَبِ الْأَمَاكِينِ ﴿قَالَ فَيَنْهَى رَبَّنَا
مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٢)﴾ .

فَيَقُولُ الْحَقُّ: قَدْ أَرَلْتُ الْمَظْلَ وَاللِّي، وَفَضَلُ هَذَا الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَانْتِصَافُ
الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ عَلَيَّ ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعْدِ (٢٣)﴾ .

أَمَا أَنْذَرْتُكُمْ فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ؟ أَمَا حَدَرْتُكُمْ عَوَاقِبَ الْمَعَاصِي
وَالْآثَامِ؟ أَمَا أَمَرْتُكُمْ بِتَجَنُّبِ الْإِجْرَامِ؟ أَمَا أَمَرْتُكُمْ بِأَخْذِ الْحَلَالِ وَاجْتِنَابِ
الْحَرَامِ؟ أَمَا وَعَدْتُكُمْ بِهَذَا الْيَوْمِ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا
بِظَلَمٍ لِلْعِيدِ (٢٤)﴾ .

فَيَا لِهَذَا الْقَوْلِ الْمَهُولِ، الَّذِي يَحَارُ فِيهِ الْعَاقِلُ وَالْجَهُولُ، وَتَشْخَصُ
الْأَبْصَارُ وَتَذْهَلُ الْعُقُولُ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٢٥)﴾ .

فَذَلِكَ يَوْمُ ثُبُورِ الْمُتَنَافِقِينَ، وَسُرُورِ الْمُوَافِقِينَ، وَسَلَامَةِ الصَّادِقِينَ، وَفُوزِ
السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ قَدْ انْطَبَقَتْ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٢٦)﴾ .

فَيَا عَثْرَةَ الْعَاصِينَ لَقَدْ صَعُبَ تَلَافِيهَا، وَيَا حَبْرَةَ الْمُخْلِصِينَ، لَقَدْ تَكَامَلَ
صَافِيهَا، إِذَا دَخَلُوا جَنَّةَ أَشْرَقَ ظَاهِرُهَا وَاسْتَنَارَ خَافِيهَا ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ (٢٧)﴾ .

فَانْظُرُوا عِبَادَ اللَّهِ فَرَقَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ بِحُضُورِ قَلْبٍ، وَاسْتَبْلُوا زَمَنَ
الصَّحَّةِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ أَيَّامًا سَلْبٍ، فَاللَّذَاتُ تَفْنَى وَيَبْقَى الْعَارُ وَالثَّلْبُ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٢٨)﴾ .

فَيَا مَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِوَعْظٍ وَلَا مَلَامٍ، يَا مَنْ قَيَّدَتْهُ الْمَعَاصِي وَالْآثَامُ، وَيَحْكُ
أَمَّا يُؤْلِمُكَ الْهَجْرَانُ، أَمَّا يُزْعِجُكَ الْإِبْعَادُ وَالْحِزْمَانُ؟ أَمَّا هَذِهِ آخِرُ لَيْلَةٍ مِنْ
شَهْرِ رَمَضَانَ؟ وَلَمْ تَبِنْ لَكَ الْأَرْبَاحُ مِنَ الْخُسْرَانِ، فَإِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا فَهَنِيئًا لَكَ
الْعُفْرَانُ، وَإِنْ كُنْتَ مَطْرُودًا فَأَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَكَ بِالْحِزْمَانِ، خَيِّتْ لَكَ إِذَا سَبَقَكَ
السَّادَةُ، وَنَجَا الْمُجْتَهِدُونَ وَأَنْتَ عَلَى الْعَادَةِ، وَشَمَّرَ السَّابِقُونَ وَأَنْتَ قَرِينُ
الْوَسَادَةِ.

يَا عَجَبًا؟ أَيْنَ تَلَهُّفُكَ عَلَى الْفِرَاقِ، وَأَيْنَ الْحَرْقُ؟ أَمَّا لَكَ هِمَّةٌ تَقُودُكَ
إِلَى سَبْقٍ مِنْ سَبْقٍ؟

اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ لَيْلَةُ الْوَدَاعِ لِشَهْرِكُمْ الَّذِي شَرَفَهُ اللَّهُ
وَعَظَّمَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ وَكَرَّمَهُ، بِالصَّيَامِ وَالْقِيَامِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَنُزُولِ الرَّحْمَةِ
عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَالرَّضْوَانِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مِصْبَاحَ الْعَامِ، وَوَاسِطَةَ النَّظَامِ، وَشَرَّفَ
قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ الْمُشْرِقَةَ بِأَنْوَارِ الصَّيَامِ وَالْقِيَامِ، أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ كِتَابَهُ، وَفَتَحَ فِيهِ
لِلتَّائِبِينَ أَبْوَابَهُ، فَلَا دَعَاءَ فِيهِ إِلَّا مَسْمُوعٌ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا مَجْمُوعٌ، وَلَا ضَرَّ إِلَّا
مُدْفُوعٌ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا مَرْفُوعٌ، الظَّافِرُ الْمَيْمُونُ مَنْ اغْتَنَّمَ أَوْقَاتَهُ، وَالْحَاسِرُ
الْمَغْبُوثُ مَنْ أَهْمَلَهُ فَقَاتَهُ.

شَهْرٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لِذُنُوبِكُمْ تَظْهِيرًا، وَلِسَيِّئَاتِكُمْ تَكْفِيرًا، وَلِمَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ
صُحْبَتُهُ ذَخِيرَةٌ وَنُورٌ، وَلِمَنْ وَفَّى بِشَرْطِهِ وَقَامَ بِحَقِّهِ فَرَحًا وَسُرُورًا.

شَهْرٌ تَوَرَّعَ فِيهِ أَهْلُ الْفُسْقِ وَالْفَسَادِ، وَازْدَادَ فِيهِ مِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ أَهْلُ
الْجِدِّ وَالْأَجْتِهَادِ.

شَهْرٌ عِمَارَاتِ الْقُلُوبِ، وَكَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ، وَاخْتِصَاصِ الْمَسَاجِدِ
بِالْأَزْدِحَامِ وَالتَّحَاشُدِ، وَهُبُوطِ الْأَمْلَاكِ، بِصِكَائِكَ الْعِتْقِ وَالْفِكَاكِ.

شَهْرٌ فِيهِ الْمَسَاجِدُ تُعَمَّرُ، وَالْمَصَابِيحُ تُزْهَرُ، وَالْآيَاتُ تُذَكَّرُ، وَالْقُلُوبُ
تُجَبَّرُ، وَالذُّنُوبُ تُغْفَرُ.

شَهْرٌ تُشْرِقُ فِيهِ الْمَسَاجِدُ بِالْأَنْوَارِ، وَتُكَثِّرُ الْمَلَائِكَةُ لِصُومِهِ مِنَ
الْأَسْتِغْفَارِ، وَيُعْتِقُ فِيهِ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْإِفْطَارِ، سِتَّمِائَةَ أَلْفٍ عَتِيقٍ مِنَ
النَّارِ، وَتَنْزِلُ فِيهِ الْبَرَكَاتُ، وَتَعْظُمُ فِيهِ الصَّدَقَاتُ، وَتُكَفَّرُ فِيهِ السَّيِّئَاتُ، وَتُقَالُ
فِيهِ الْعَثَرَاتُ، وَتُدْفَعُ فِيهِ النَّكَبَاتُ، وَتُرْفَعُ فِيهِ الدَّرَجَاتُ، وَتُرْحَمُ الْعِبَرَاتُ،
وَتُنَادِي فِيهِ الْحُورُ الْحَسَنَاتُ مِنَ الْجَنَّاتِ، هَٰئِنَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ، وَالْقَائِمِينَ وَالْقَائِمَاتِ، بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ، لَقَدْ
غَمَرَتْكُمْ الْبَرَكَاتُ، وَاسْتَبَشَّرَ بِكُمْ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَقْبُولِ مَنَّا فَتُهْنِيهِ بِحُسْنِ عَمَلِهِ، أَمْ لَيْتَ شِعْرِي مِنَ
الْمَطْرُودِ مَنَّا فَتُعْزِيهِ بِسُوءِ عَمَلِهِ.

فَيَا أَيُّهَا الْمَقْبُولُ هَٰئِنَا لَكَ بِثَوَابِ اللَّهِ ﷻ وَرِضْوَانِهِ، وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ،
وَقَبُولِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَعَفْوِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَخُلُودِهِ فِي دَارِ أَمَانِهِ.

وَيَا أَيُّهَا الْمَطْرُودُ بِإِضْرَارِهِ وَطُغْيَانِهِ، وَظُلْمِهِ وَعُدْوَانِهِ، وَغَفْلَتِهِ وَخُسْرَانِهِ،
وَتَمَادِيهِ وَعِضْيَانِهِ، لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ بِغَضَبِ اللَّهِ وَهَوَانِهِ.

فَأَيْنَ مَقْلَتُكَ الْبَاكِئَةُ؟ وَأَيْنَ دَمْعَتُكَ الْجَارِيَةُ؟

وَأَيْنَ زَفَرَتُكَ الرَّائِحَةُ الْعَادِيَةُ؟ لَأَيَّ يَوْمٍ أَخَّرْتَ تَوْبَتَكَ؟ وَلَأَيَّ عَامٍ
ادَّخَرْتَ عُذَّتَكَ؟ إِلَى عَامٍ قَابِلٍ وَحَوْلٍ حَائِلٍ؟ كَلَّا فَمَا إِلَيْكَ مُدَّةُ الْأَعْمَارِ؟ وَلَا
مَعْرِفَةُ الْمِقْدَارِ؟ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ أَمَلْ بُلُوغَهُ فَلَمْ يَبْلُغْهُ؟ وَكَمْ مِنْ مُدْرِكٍ لَهُ لَمْ
يَحْتَمِمْهُ؟ وَكَمْ مِنْ أَعَدَّ طَيْبًا لِعَيْدِهِ، جُعِلَ فِي تَلْحِيدِهِ؟ وَثِيَابًا لِتَزِينِهِ؟ صَارَتْ
لِتَكْفِينِهِ، وَمُتَأَهِّبًا لِفِطْرِهِ، صَارَ مُرْتَهَنًا فِي قَبْرِهِ، وَكَمْ مِنْ لَا يَصُومُ بَعْدَهُ سِوَاهُ،
وَهُوَ يَظْمَعُ فِي غَيْرِهِ أَنْ يَرَاهُ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى بُلُوغِ اخْتِمَائِهِ،
وَسَلُّوهُ قُبُولَ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ، وَرَاقِبُوهُ لِأَدَاءِ حُقُوقِهِ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
وَتَوَفَّقِهِ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ فَارَقْتُمْ شَهْرًا عَظِيمًا مُتَفَضِّلًا كَرِيمًا.

أَيْنَ الصَّوَامِ الْقَوَامُ، الْمُوَافِقُونَ لَكُمْ فِي سَالِفِ الْأَعْوَامِ؟

وَأَيْنَ مَنْ كَانُوا مَعَكُمْ لِيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ شَاهِدِينَ، وَفِي كُلِّ حَقٍّ لِلَّهِ
مُعَامِلِينَ، مِنَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَالْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ، وَالْجِيرَةِ وَالْقَرَابَاتِ،
أَتَاهُمْ وَاللَّهُ هَادِمُ اللَّذَاتِ، وَقَاطِعُ الشَّهَوَاتِ، وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ، فَأَخْلَى مِنْهُمْ
الْمَشَاهِدَ، وَعَظَلَ مِنْهُمْ الْمَسَاجِدَ، تَرَاهُمْ فِي بُطُونِ الْأَلْحَادِ صَرَغَى، لَا يَجِدُونَ
لِمَا هُمْ فِيهِ دَفْعًا، وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، يَنْتَظِرُونَ يَوْمًا الْأُمَمُ
فِيهِ إِلَى رَبِّهِمْ تُدْعَى، وَالْخَلَائِقُ تُحْشَرُ إِلَى الْمَوْقِفِ وَتَسْعَى، وَالْفَرَائِضُ تُرْعَدُ
مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ جَمْعًا. وَالْقُلُوبُ تَتَصَدَّعُ مِنَ الْحِسَابِ صَدْعًا ﴿وَيُفْخَ فِي
الصُّورِ فَيُخْرِجُنَّهُمْ جَمْعًا﴾.

فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً مَهَّدَ فِيهِ لِنَفْسِهِ، قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِهِ، وَاشْتَغَلَ بِيَوْمِهِ عَنْ
عَدِهِ وَأَمْسِهِ، وَتَزَوَّدَ مِنْ بَقِيَّةِ زَادِهِ فِيهِ نَفَادِهِ نَفَادُ عُمْرِهِ، وَأَظْهَرَ لِفِرَاقِ شَهْرِهِ
جَزَعَهُ، وَسَلَّمَ عَلَى شَهْرِهِ وَوَدَّعَهُ.

وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ رَمَضَانَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ
وَالْقِيَامِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التَّجَاوُزِ وَالْعُفْرَانِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا شَهْرَ الْبَرَكَةِ وَالْإِحْسَانِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التَّحْفِ وَالرِّضْوَانِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْأَمَانِ، كُنْتُ لِلْعَاصِينَ حَسْبًا، وَلِلْمُتَّقِينَ أَنْسًا، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
شَهْرَ النَّسِكِ وَالتَّعَبُّدِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ وَالتَّهَجُّدِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
شَهْرَ التَّرَاوِيحِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْأَنْوَارِ وَالْمَصَابِيحِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
شَهْرَ الْمُنْتَجِرِ الرَّبِيحِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرًا يُتْرَكُ فِيهِ الْقَبِيحُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
أَنْسَ الْعَارِفِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَخْرَ الْوَاصِفِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ
الْوَامِقِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَوْضَةَ الْعَابِدِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرًا يَتَسَابَقُ فِيهِ
الْمُتَّقُونَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قُرَادٍ لِفِرَاقِكَ مَحْزُونٍ.

فَشَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الصَّفَاءِ، وَشَهْرُ الْوَفَاءِ، وَشَهْرُ الْمُعَامَلَةِ، وَشَهْرُ

الذَّاكِرِينَ، وَشَهْرُ الصَّابِرِينَ، وَشَهْرُ الصَّادِقِينَ، فَإِذَا لَمْ يُؤْثَرْ فِي إِصْلَاحِ قَلْبِكَ
وَإِفْلَاحِكَ عَنْ مَعَاصِي رَبِّكَ، وَمُجَانِبَةِ أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالْجَرَائِمِ، فَمَا الَّذِي يُؤْثَرُ
فِي قَلْبِكَ؟ فَأَيُّ خَيْرٍ يُرْجَى فِيكَ؟ وَأَيُّ بَقِيَّةٍ فِيكَ؟ وَأَيُّ فَلَاحٍ يُتَرَقَّبُ مِنْكَ،
وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ؟ بِمُضِيِّ شَهْرِ أَوَّلِهِ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ،
وَأَخِرُهُ عِثْقٌ مِنَ النَّارِ، وَلَا يَكُونُ لَكَ حَظٌّ مِنْ نَفَحَاتِ رَبِّ الْعَصَاةِ وَالْأَبْرَارِ؟
فَهَلْ كَانَ ذَلِكَ إِلَّا لِإِبْعَادِكَ مِنَ الرَّحْمَنِ، وَكَوْنِكَ مِنْ أَهْلِ الطُّغْيَانِ، وَمُوَافِقِي
الشَّيْطَانِ، وَهَجْرَانِكَ لِبَطَاعَةِ مَنْ بِيَدِهِ الضَّرَرُ وَالْإِحْسَانُ؟ فَتَنَّبَهُ يَا مُسْكِينُ لِمَا
حَلَّ بِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ رَقَدَتِكَ وَغَفْلَتِكَ، وَشَيِّعْ بَقِيَّةَ شَهْرِكَ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ،
وَالْأَسْتِغْفَارِ وَالطَّاعَةِ، لَعَلَّكَ تَكُونُ مِمَّنْ تَنَالُهُ الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ، وَوَدَّعَ شَهْرَكَ
بِإِسْبَالِ الْعَبْرَاتِ، وَابْكِ عَلَى نَفْسِكَ بِالْعَوِيلِ وَالْوَيْلِ وَالنِّيَاحَاتِ.

وَالْعَامِلُ إِنَّمَا يُوقَى أَجْرُهُ عِنْدَ فَرَاغِ عَمَلِهِ، وَقَدْ فَرَعْنَا مِنَ الْعَمَلِ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، أَمَقْبُولُ صِيَامُنَا وَقِيَامُنَا، أَمْ مَضْرُوبٌ بِهِمَا وَجُوهُنَا؟

يَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَعُودُ أَيَّامُكَ أَوْ لَا تَعُودُ؟ وَيَا لَيْتَنَا تَحَقَّقْنَا مَا تَشْهَدُ
عَلَيْنَا يَوْمَ الْوُرُودِ، وَيَا لَيْتَنَا عَلِمْنَا مِنَ الْمَقْبُولِ مِنَّا وَمِنَ الْمَطْرُودِ؟ وَهَلْ إِذَا
عَادَتْ أَيَّامُكَ فَتَنَحْنُ فِي الْوُجُودِ، وَنُنَافِسُ أَهْلَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؟ أَمْ قَدْ
انْطَبَقَتْ عَلَيْنَا اللَّحُودُ، وَمَزَقْنَا الْبِلَى وَالْدُّودُ، فَيَا أَسَفًا لِتَصَرُّمِكَ يَا شَهْرَ
السُّعُودِ.

سَلَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ كُلِّ أَوَانٍ	عَلَى خَيْرِ شَهْرِ قَدْ مَضَى وَزَمَانٍ
سَلَامٌ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ، فَإِنَّهُ	أَمَانٌ مِنَ الرَّحْمَنِ كُلِّ أَمَانٍ
لَيْنٌ كُنْتَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ مُنَوَّرًا	لِكُلِّ فُؤَادٍ مُظْلِمٍ وَجَنَانٍ
تَعَبَّدَ فِيكَ الْمُسْلِمُونَ، فَأَقْبَلُوا	عَلَى ذِكْرِ تَسْبِيحٍ وَدَرَسِ قُرْآنٍ
فَيَا أَسَفًا حُزْنَا عَلَيْكَ وَحُرْقَةً	تَزِيدُ عَلَى الْأَعْوَامِ كُلِّ أَوَانٍ
فَيَا أَيُّهَا الشَّهْرُ الْمُبَارَكُ، كُنْ لَنَا	شَفِيعًا إِلَى دِيَّانِ كُلِّ مُدَانٍ

إِذَا نَشَرَ الْأَمْوَاتَ لِلْحَشْرِ رَبَّنَا وَنَادَى الْمُنَادِي هَاتِفًا بِفُلَانٍ
وَقَالَ لَنَا الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ هَلُمُّوا إِلَيْنَا أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
هُنَالِكَ تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ كِتَابَهَا فَوَيْلٌ لِمَنْ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمَانِ
تَرَحَّلْتَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ بِصَوْمِنَا وَقَدْ كُنْتَ أَنْوَارًا بِكُلِّ مَكَانٍ
لَئِنْ فَنَيْتَ أَيَّامَكَ الزُّهْرُ بَعْتَهُ فَمَا الْحُزْنُ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ بِفَانٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، كُنْ شَاهِدًا لَنَا بِخَيْرٍ، رَعَاكَ اللَّهُ مِنْ رَمَضَانَ

فِيَا شَهْرَنَا غَيْرَ مُودِعٍ وَدَعْنَاكَ، وَغَيْرَ مَقْلَبٍ فَارُقْنَاكَ. كَانَ نَهَارُكَ صَدَقَةً
وَصِيَامًا، وَلَيْلُكَ قِرَاءَةً وَقِيَامًا، فَعَلَيْكَ مِنَّا تَحِيَّةٌ وَسَلَامًا، أَتُرَاكَ تَعُودُ بَعْدَهَا
عَلَيْنَا، أَوْ يُدْرِكُنَا الْمُنُونُ فَلَا تُؤُولُ إِلَيْنَا؟ مَصَابِيحُنَا فِيكَ مَشْهُورَةٌ، وَمَسَاجِدُنَا
فِيكَ مَعْمُورَةٌ. فَالآنَ تَنْطَفِئُ الْمَصَابِيحُ، وَتَنْقَطِعُ التَّرَاوِيحُ، وَنَرْجِعُ إِلَى الْعَادَةِ،
وَنَفَارِقُ شَهْرَ الْعِبَادَةِ.

شَهْرَ رَمَضَانَ تَرْفُقُ. دُمُوعُ الْمُحِبِّينَ تَدْفُقُ. قُلُوبُهُمْ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ تَشَقُّقُ،
عَسَى وَفَقَةً لِلْوَدَاعِ تُظْفِيءُ مِنْ نَارِ الشَّوْقِ مَا أَحْرَقَ. عَسَى سَاعَةً تَوْبَةً وَإِقْلَاعِ
تَرْفُقُ مِنَ الصِّيَامِ كُلِّ مَا تَحْرَقُ. عَسَى مُنْقَطِعٌ عَنْ رَكْبِ الْمَقْبُولِينَ يَلْحَقُ. عَسَى
أَسِيرُ الْأَوْزَارِ يُطْلَقُ. عَسَى مِنْ اسْتَوْجَبَ النَّارَ يُعْتَقُ.

عَسَى وَعَسَى مِنْ قَبْلِ وَقْتِ التَّفَرُّقِ إِلَى كُلِّ مَا نَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ نَلْتَقِي
فَيُجْبَرُ مَكْسُورٌ وَيُقْبَلُ تَائِبٌ وَيُعْتَقُ خَطَاءٌ وَيُسْعَدُ مَنْ شَقِيَ

عِبَادَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ مَنَعَ نَفْسَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْحَرَامِ، فَلَيْمَنَعَهَا،
فِيمَا بَعْدَهُ مِنَ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، فَإِنَّ إِلَهَ الشَّهْرَيْنِ وَاحِدٌ، وَهُوَ عَلَى الزَّمَانَيْنِ
مُطَّلِعٌ وَشَاهِدٌ. جَزَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَى فِرَاقِ شَهْرِ الْبَرَكَةِ، وَأَجْزَلِ أَقْسَامِنَا
وَأَقْسَامِكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ الْمُشْتَرَكَةِ، وَبَارَكَ لَنَا وَلَكُمْ فِي بَقِيَّتِهِ، وَسَلَكَ بِنَا وَبِكُمْ
طَرِيقَ هِدَايَتِهِ، بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

اللَّهُمَّ وَأَهْلَ الْقُبُورِ رَهَائِنُ ذُنُوبٍ لَا يُطْلَقُونَ، وَأَسَارَى وَحْشَةٍ لَا يُفَكُّونَ.

وَعُرْبَاءَ سَفَرٍ لَا يَنْتَظِرُونَ. مَحَتْ دَارِسَاتُ الثَّرَى مَحَاسِنَ وَجُوهِهِمْ، وَجَاوَرَتْهُمْ
الْهَوَامُ فِي مَلَا حِدِ قُبُورِهِمْ. فَهُمْ جُمُودٌ لَا يَتَكَلَّمُونَ، وَجِيرَانُ قُرْبٍ لَا
يَتَزَاوَرُونَ، وَسَكَانُ لَحْدٍ إِلَى الْحَشْرِ لَا يَطْعَنُونَ، وَفِيهِمْ مُحْسِنُونَ وَمُسيئُونَ
وَمُقَصِّرُونَ وَمُجْتَهِدُونَ.

اللَّهُمَّ فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُسْرُورًا فَرِّدْهُ كَرَامَةً وَخُبْرًا، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَلْهُوفًا
فَبَدِّلْ حُزْنَهٖ فَرَحًا وَسُرُورًا.

اللَّهُمَّ وَتَعَطَّفْ عَلَى كَافَّةِ أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ الرَّاحِلِينَ، وَالْمُقِيمِينَ
الْمُسْتَسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُبُورَهُمْ مَفَاضَ صَلَوَاتِكَ، وَمَقَارَ هَبَاتِكَ، وَطُرُقَ إِحْسَانِكَ،
وَمَجَارِي عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، حَتَّى يَكُونُوا فِي بُطُونِ الْأَلْحَادِ مُطْمَئِنِّينَ، وَبِجُودِكَ
وَكَرَمِكَ وَاثْقِينَ، وَإِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِكَ سَابِقِينَ، وَاخْصُصْ بِذَلِكَ الْآبَاءَ وَالْبَنِينَ،
وَالْإِخْوَةَ وَالْأَقْرَبِينَ، قَبْلَ أَنْ يَشْتَمِلَ الْهَدْمُ عَلَى الْبِنَاءِ، وَالْكَدْرُ عَلَى الصَّفَاءِ،
وَيَنْقُطَعَ مِنَ الْحَيَاةِ حَبْلُ الرَّجَاءِ، وَتَصِيرُ الْمَنَازِلُ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، وَقَبْلَ أَنْ
يَصِيرَ الرِّيحُ وَبِلًا، وَالْقَطَرُ سَيْلًا، وَالصُّبْحُ لَيْلًا، وَيَسْحَبَ الْمَوْتُ عَلَى أَهْلِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَيْلًا، وَقَبْلَ أَنْ يَقُولَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ: وَاشْيَبَتْهُ، وَيَقُولَ
الْكَهْلُ الْخَطِيرُ: وَاحْجَلَتْهُ، وَيَقُولَ الْمُذْنِبُ الْمُسِيءُ: وَاحْيَبَتْهُ، وَيَقُولَ الْحَدِّثُ
الصَّغِيرُ: وَاحْسَرَتْهُ. وَخَجِلُوا مِنْهُ وَأَشْفَقُوا، وَغَشِيَتْهُمْ النَّدَامَةُ وَخَتَمَ عَلَى
أَفْوَاهِهِمْ فَلَمْ يَنْطِقُوا، وَوَقَفُوا عَلَى عَمَلٍ نَكَسَ الرُّءُوسَ فَأَظْرَقُوا، وَعَايَنُوا مِنْ
الْأَهْوَالِ مَا وَدُّوا مَعَهُ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا.

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ أَنْ تَجْمَعَنَا فِي مِثْلِهِ فَبَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَإِنْ
قَضَيْتَ بِقَطْعِ أَجَالِنَا، وَمَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَأَحْسِنِ الْخِلَافَةَ عَلَى بَاقِينَا،
وَأَوْسِعِ الرَّحْمَةَ عَلَى مَاضِينَا، وَعُمِّنَا جَمِيعًا بِرَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاجْعَلِ
الْمَوْعِدَ بِحُبُوحِ جَنَّتِكَ وَرِضْوَانِكَ.

اللَّهُمَّ وَمَا قَسَمْتَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنْ عَثْقٍ وَغُفْرَانٍ. وَرَحْمَةٍ وَرِضْوَانٍ،
وَعَفْوٍ وَأَمْتِنَانٍ، وَكَرَمٍ وَإِحْسَانٍ، وَنَجَاةٍ مِنَ النَّيْرَانِ، وَخُلُودٍ فِي نَعِيمِ الْجَنَانِ،
فاجعل لنا مِنْهُ أَوْفَرَ الْحَظِّ وَأَجْزَلَ الْأَقْسَامِ، وَخُصَّنَا بِالْفَضْلِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ فَكَمَا بَلَّغْتَنَا شَهْرَ رَمَضَانَ فَاجْعَلْ عَامَهُ عَلَيْنَا مِنْ أَبْرَكِ الْأَعْوَامِ،
وَأَيَّامَهُ مِنْ أَسْعَدِ الْأَيَّامِ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا قَدَّمْنَاهُ فِيهِ مِنَ الصَّيَامِ وَالْقِيَامِ. وَاعْفُ لَنَا
مَا اقْتَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْآثَامِ، وَخَلِّصْنَا مِنْ مَظَالِمِ الْأَنَامِ، يَوْمَ لَا يُرْجَى فِيهِ سِوَاكَ
يَا عَلَّامُ.

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ، وَيَا دَافِعَ الْبَلِيَّاتِ، وَيَا كَاشِفَ الْكُرْبَاتِ، وَيَا
مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، أَعْتَقْ رِقَابَنَا وَوَالِدَيْنَا وَوَالِدِيهِمْ وَأَقْرِبَاءَنَا وَأَزْوَاجَنَا مِنَ النَّارِ،
وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّفْحَاتِ، وَارْفَعْ لَنَا بِصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَكَ الدَّرَجَاتِ، وَانْفَعْنَا
بِمَا صَرَفْتَ فِي كِتَابِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَكَفِّرْ بِتِلَاوَتِهِ عَنَّا السَّيِّئَاتِ، وَضَاعِفْ لَنَا
الْحَسَنَاتِ، وَاعْفُ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ،
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

مَجْلِسٌ فِي لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ الْفِطْرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُؤَفِّرِ الثَّوَابِ لِلْأَحْبَابِ وَمُكْمِّلِ الْأَجْرِ، وَجَاعِلِ ظَلَامِ اللَّيْلِ
نَسِيخَةَ الْفَجْرِ، الْمُحِيطِ عِلْمُهُ بِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَخَافِيَةِ الصُّدْرِ، وَمُعَلِّمِ الْإِنْسَانَ مَا
لَمْ يَعْلَمْ بِهِ وَلَمْ يَدْرِ، وَالْمُتَعَالِي عَنْ إِدْرَاكِ خَوَاطِرِ النَّفْسِ وَهَوَاجِسِ الْفِكْرِ،
وَالْمَوْلِي رِزْقَهُ فَلَمْ يَسَسِ النَّمْلَ فِي الرَّمْلِ وَالْفَرْخَ فِي الْوَكْرِ، جَلَّ أَنْ تَنَالَهُ أَيْدِي
الْحَوَادِثِ عَلَى مُرُورِ الدَّهْرِ، وَتَقْدَسَ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَاطِنُ السِّرِّ وَظَاهِرُ الْجَهْرِ،
أَخْصَى عَدَدَ الرَّمْلِ فِي الْفِيَا فِي الْفَقْرِ، وَأَبْصَرَ فَلَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ دَيْبُ الدَّرِّ فِي
النَّبْرِ، وَسَمِعَ فَلَمْ يَعْزُبْ عَنْ سَمْعِهِ دُعَاءُ الْمُضْطَرِّ، إِنْ أَسْرَّ أَوْ جَهَرَ، فَيَعْلَمُ
السِّرَّ وَأَخْفَى مِنَ السِّرِّ، وَيُعْطِي عَطَاءً لَا يُحِيطُ بِهِ كَثْرَةُ الْعَدِّ وَالْحَضَرِ، وَقَدَّرَ

الْمَقَادِيرَ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى مُعِينٍ بِالْإِعَانَةِ وَالنَّصْرِ، وَأَجْرَى الْأَقْدَارَ كَمَا شَاءَ فِي سَاعَاتِ الْعَصْرِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ - كَمَا أَرَادَ - أَسْبَابَ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَخَصَّنَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأُمَمِ بِشَهْرِ الصِّيَامِ وَالصَّبْرِ، وَغَسَلَ بِهِ ذُنُوبَ الصَّائِمِينَ كَغَسَلِ الثَّوْبِ بِمَاءِ الْفَطْرِ. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ إِذْ رَزَقَنَا إِتْمَامَهُ وَأَنَاَلَنَا عِيدَ الْفَطْرِ.

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ قَامَ بِوَاجِبِ الْحَمْدِ وَأَشْكُرُهُ وَقَدْ تَكَفَّلَ بِالْمَزِيدِ لِمَنْ شَكَرَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَفُوزُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامِ مِنَ الْقَبْرِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدَ الْبَشَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا دَارَتْ الْأَفْلَاكُ وَتَعَاقَبَ الدَّهْرُ. وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيُكْمِلُوا الْيُمَّةَ وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي لَيْلَةِ عِيدِ الْفَطْرِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ».

وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ ؓ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُهُ، وَعَنْ عُمَرَ ؓ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِزَكَاةِ الْفَطْرِ عَلَى الْحُرِّ وَالْعَبْدِ، وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ بُرٍّ، طَهْرَةً لِلصَّائِمِ وَسَبَبًا لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَرَوَى عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يُرْفَعُ إِلَّا بِزَكَاةِ الْفَطْرِ» رَوَاهُ أَبُو حَفْصٍ بْنُ شَاهِينَ فِي فَصَائِلِ رَمَضَانَ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ؓ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفَطْرِ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ».

وَقَدْ وَرَدَ التَّرْغِيبُ فِي إِحْيَاءِ لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ بِالصَّلَاةِ وَالتَّهَجُّدِ. لَكِنْ مَحَلُّ ذَلِكَ فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ. وَفَائِدَةُ إِحْيَاءِ لَيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ: أَنْ يَكُونَ خِتَامًا لِقِيَامِهِ، فَإِنْ كَانَ قِيَامًا تَامًا كَانَ خِتَامُ الْأَجْتِهَادِ اجْتِهَادًا، وَإِنْ كَانَ مُفْرَطًا فِيمَا مَضَى مِنْ قِيَامِهِ وَصِيَامِهِ كَانَ نَدْمًا عَلَى تَقْرِيطِهِ، فَلَعَلَّهُ يَذَرُكَ اللَّحَاقَ بِمَنْ أُعْتِقَ فِيهِ.

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَأْكُلَ صُبْحَ الْعِيدِ - عِيدِ الْفِطْرِ - تَمَرَاتٍ وَتَرًا، يَأْكُلُهَا قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى الْمُصَلَّى. فَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِالْإِفْطَارِ عَلَى تَمْرَةٍ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ خَمْسٍ. وَثَبَتَ فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَعْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ، وَأَنَّهُ يَأْكُلُهُنَّ وَتَرًا».

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ هَبَطَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَقْفُونَ عَلَى أَفْوَاهِ السَّكَّكِ يُنَادُونَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، يَقُولُونَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ اخْرُجُوا إِلَى رَبِّ كَرِيمٍ، يُعْطِي الْجَزِيلَ، وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ. فَإِذَا بَرَزُوا إِلَى مُصَلَّاهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم لِمَلَائِكَتِهِ: يَا مَلَائِكَتِي، مَا جَزَاءُ الْأَجِيرِ إِذَا عَمِلَ عَمَلَهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا أَنْ تُوفِّيَهُ أَجْرَهُ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ وَقِيَامِهِمْ رِضَائِي وَمَغْفِرَتِي. انْصَرِفُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِي وَرَضِيتُ عَنْكُمْ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، فِي كِتَابِ فَضَائِلِ رَمَضَانَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْجَبَانِ: اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: عِبَادِي، لِي صُمْتُمْ وَلِي قُمْتُمْ، ارْجِعُوا مَغْفُورًا لَكُمْ.

وَرَوَى عَنْ مُورِقِ الْعَجَلِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ فِي الْمُصَلَّى يَوْمَ الْفِطْرِ: يَرْجِعُ هَذَا الْيَوْمَ قَوْمٌ كَمَا وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ.

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا غَدَا مِنْ طَرِيقٍ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ أُخْرَى، يَعْنِي: إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا، لِحَدِيثِ جَابِرٍ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدِ خَالَفَ الطَّرِيقَ».

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْمُصَلَّى، فَبَعْضُهُمْ أَجَازَهُ وَرَخَّصَ فِيهِ، وَبَعْضُهُمْ مَنَعَهُ.

فَأَمَّا مَنْ أَجَازَهُ فَذَهَبَ إِلَى مَا رَوَتْ أُمُّ عَطِيَّةٌ أَنَّهَا قَالَتْ: «أُمِرْنَا أَنْ نُخْرِجَ الْحَيْضَ وَالْعَوَاتِقَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحَيْضُ فَيَشْهَدُونَ جَمَاعَةً الْمُسْلِمِينَ وَدَعْوَتَهُمْ وَيَعْتَزِّلْنَ مُصَلَّاهُمْ» وَكَذَلِكَ وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ».

وَأَمَّا مَنْ مَنَعَهُ فَذَهَبَ إِلَى مَا رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ، كَمَا صَنَعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَرَوَى عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: «أَنَّهُ كَرِهَ الْخُرُوجَ لِلنِّسَاءِ إِلَى الْمُصَلَّى يَوْمَ الْعِيدِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا. وَرَوَى أَيْضًا عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ: «أَكْرَهُ الْخُرُوجَ لِلنِّسَاءِ يَوْمَ الْعِيدِ إِلَى الْمُصَلَّى».

وَالْمَسْأَلَةُ فِيهَا تَفْصِيلٌ: فَإِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى الْمُصَلَّى تَكُونُ شَعِثَةً عَلَيْهَا أَظْمَارُهَا وَتَصُومُ بَدَنَهَا عَنْ رُؤْيَةِ الْأَجَانِبِ، وَتَأْمَنُ الْفِتْنَةَ وَالْفُسَاقَ فَإِنَّ لَهَا رُخْصَةً، لِحَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةٍ.

وَإِنْ كَانَ يَتَرَتَّبُ عَلَى خُرُوجِ النِّسَاءِ مَفَاسِدُ، أَوْ تَخْرُجُ مُتَزَيِّنَةً، أَوْ لَا تَصُومُ بَدَنَهَا عَنِ النَّظَرِ، أَوْ تَكُونُ مُتَوَسِّعَةً فِي الْكَلَامِ وَالْمَشْيِ فَإِنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الْخُرُوجِ، فَإِنْ أَبَتِ الْخُرُوجَ عَلَى مَا يَنْبَغِي، فَلَوْلِيَّهَا مَنَعُهَا، فَإِنْ أَبَتْ أَدَبَهَا ضَرْبًا، فَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَرَعِيهِ عَلَيْهَا وَ«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

وَيَجِبُ غَضُّ الْبَصَرِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ الزَّمَانِ عَمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَيَتَأَكَّدُ

غَضُّهُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ. رُوِيَ عَنْ حَسَّانَ بْنِ أَبِي سِنَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّهُ خَرَجَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَلَمَّا عَادَ قَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: كَمْ مِنْ امْرَأَةٍ حَسَنَاءَ قَدْ رَأَيْتِ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا نَظَرْتُ مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ إِلَّا فِي إِنْهَامِي إِلَى أَنْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ.

وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ مِنْ شِدَّةِ غَضِّهِ لِيَبْصِرَهُ وَإِطْرَاقِهِ يَظُنُّ النَّاسُ أَنَّهُ أَعْمَى.

وَرَوَى النُّعْمَانُ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ النَّظْرَةَ بَعْدَ النَّظْرَةِ، فَإِنَّهَا سَهْمٌ مُسْمُومٌ، تُورِثُ الشَّهْوَةَ فِي الْقَلْبِ».

وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: «النَّظْرَةُ تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ. وَكَفَى بِهَا خَطِيئَةً».

وَعَنْ أَبِي الْأَذْيَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَسْتَاذِي أَبِي بَكْرٍ الدَّقَاقِ فَمَرَّ حَدَثٌ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ. فَرَأَانِي أَسْتَاذِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لَتَجِدَنَّ غَيْبَهَا وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، فَبَقِيتُ عِشْرِينَ سَنَةً وَأَنَا أُرَاعِي ذَلِكَ الْغَيْبَ، فَنِمْتُ لَيْلَةً وَأَنَا مُتَّفَكِّرٌ فِيهِ، فَأَصْبَحْتُ وَقَدْ نَسِيتُ الْقُرْآنَ. فَهَذِهِ عُقُوبَةُ النَّظْرَةِ فَكَيْفَ بِالَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنْهَا؟

فَنَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، وَالتَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

رُؤْيَ بَعْضُ الْعَافِرِينَ لَيْلَةَ عِيدٍ فِي فَلَاةٍ يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ وَيُنْشِدُ:

بِحُرْمَةِ غُرْبَتِي كَمْ ذَا الصُّدُودُ أَلَا تَعْطِفُ عَلَيَّ؟ أَلَا تَجُودُ؟
سُرُورُ الْعِيدِ قَدْ عَمَّ النَّوَاجِي وَحُزْنِي فِي ازْدِيَادٍ لَا يَبِيدُ
فَإِنْ كُنْتُ اقْتَرَفْتُ خِلَالَ سُوءٍ فَعُذْرِي فِي الْهَوَى أَلَا أَعُودُ

فَصْلٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝﴾.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ - مِنْهُمْ عَطَاءٌ وَقَتَادَةُ وَأَبُو الْعَالِيَةِ -: إِنَّهَا فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ نَزَلَتْ، وَفِي صَلَاةِ الْعِيدِ.

قَالَ الْفَرَاءُ: سُمِّيَ الْعِيدُ عِيدًا لِعَوْدِ السُّرُورِ فِيهِ، لَكِنْ شَتَانٌ مَا بَيْنَ سُرُورِ
وَسُرُورٍ. قَوْمٌ سُرُورُهُمْ بِمَوْلَاهُمْ. وَنَعِيمُهُمْ وَقُوفُهُمْ عَلَى بِسَاطٍ نَجَوَاهُمْ ﴿قُلْ
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨) وَقَوْمٌ سُرُورُهُمْ
بِدُنْيَاهُمْ الْبَاطِلَةِ، وَنَعِيمُهُمْ بِحُظُوظِهِمُ الزَّائِلَةِ. فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ بَاتُوا لَيْلَةَ
الْعِيدِ، وَرَقَدُوا مُنْتَظِرِينَ عِيدَهُمْ مُتَأَهِّبِينَ لَهُ، فَادْكُرِ الرُّقُودَ بَيْنَ النَّفْحَتَيْنِ، وَإِذَا
رَأَيْتَ النَّاسَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْعِيدِ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ مُخْتَلِفِي
الْأَحْوَالِ، مُتَفَاوِتِي اللَّبَاسِ وَالْأَلْوَانِ كُلُّ لَهُ زِيٍّ وَحِلْيَةٍ، وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَسْرُورٌ
وَوَاحِدٌ مَغْمُومٌ، وَوَاحِدٌ رَاكِبٌ، وَآخَرُ مَاشٍ، وَوَاحِدٌ غَنِيٌّ، وَآخَرُ فَقِيرٌ، وَوَاحِدٌ
فِي فَرَجِهِ، وَآخَرُ فِي تَرَجِهِ، فَادْكُرِي تَفَاوُتَ أَهْلِ الْقِيَامَةِ، أَهْلُ الطَّاعَةِ مَسْرُورٌ،
وَأَهْلُ الْمَعْصِيَةِ مَغْمُومٌ، الْمُتَّقِي رَاكِبٌ، وَالْمُجْرِمُ الْمُشْرِكُ مُتَعَتِّرٌ مَكْبُوتٌ عَلَى
وَجْهِهِ مَسْحُوبٌ أَوْ مَاشٍ.

فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ خَرَجُوا مِنَ الدُّورِ، فَادْكُرِي خُرُوجَ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَجْدَاثِ
يَوْمَ النُّشُورِ، وَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ مُتَشَكِّلَةً أَلْوَانُهُمْ هَذَا يَتَزَيَّنُ بِأَفْخَرِ ثِيَابِهِ، وَآخَرُ
حَزِينٌ لِأَجْلِ مُصَابِهِ، وَآخَرُ يَتَعَطَّرُ بِأَطْيَبِ الرِّوَائِحِ، وَآخَرُ يُسْمِعُ فِي دَارِهِ النَّوَائِحَ،
وَهُمْ مَا بَيْنَ مَاشٍ وَرَاكِبٍ، وَمَصْحُوبٍ وَصَاحِبٍ، وَمَطْلُوبٍ وَطَالِبٍ، فَكَذَلِكَ
يَخْرُجُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاحِدٌ يَأْتِي فَرَحًا مَسْرُورًا، وَآخَرُ يَدْعُو وَيَلَا وَتُبُورًا ﴿يَوْمَ
نُخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ (٥٥) وَنُسُوقَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا ﴿﴾ (٥٦).

وَإِذَا رَأَيْتَ أَنْوَاعَ الْخَلَائِقِ إِلَى الْفَضَاءِ قَدْ بَرَزَتْ، وَالْأَعْلَامَ قَدْ نُشِرَتْ،
فَادْكُرِي نُشْرَ الْأَعْلَامِ لِلسَّعْدَاءِ، إِذَا صَارُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ.

وَإِذَا رَأَيْتَ الْخَلَائِقَ قَدْ اجْتَمَعَتْ، وَالصُّفُوفَ قَدْ اسْتَكْمَلَتْ، فَادْكُرِي وَقُوفَ
الْخَلَائِقِ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ، وَصُّفُوفِ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، يَوْمَ تَظْهَرُ فِيهِ الْأَسْرَارُ،
وَادْكُرِي بَوُوقَهُمْ هَذَا الْوُوقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الدِّيَّانِ، إِذَا شَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ
وَأَضْغَتِ الْأَذَانُ ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾.

وَإِذَا رَأَيْتَ تَفَرَّقَ النَّاسَ مِنَ الْمُصَلَّى كُلِّ يَذْهَبُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَمَأْوَاهُ، فَادْكُرْ
يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا عَنْ مَوْرِدِ الْقِيَامَةِ كُلِّ إِلَى مَحَلِّهِ وَمَثْوَاهُ، لَيْسَ الطَّيِّبُ
فِي الْعِيدَيْنِ أَنْ تَتَطَيَّبَ بِالْعُودِ، وَإِنَّمَا الطَّيِّبُ أَنْ تَتَطَيَّبَ فَلَا تَعُودُ، وَتَتَعَرَّى مِنْ
لِبَاسِ السُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، وَتَلْبَسَ ثِيَابَ الْوَرَعِ وَالْحَيَاءِ، وَتَتَطَيَّبَ بِطِيبِ الصَّدَقِ
وَالْوَفَاءِ، وَتَتَحَلَّى بِالْعِبَادَةِ، وَتَرْتَدِي بِالزَّهَادَةِ، وَتَخْرُجَ إِلَى الْمُصَلَّى خُرُوجَ وَجَلٍ
مِنَ الرَّدِّ، وَتَمْشِي مَشْيَ حَجَلٍ مِنَ الصَّدِّ، وَتَخَافَ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُكَ مَرْدُودَةً
مَعْلُومَةً، وَطَاعَاتُكَ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، وَتُكَبِّرَ تَكْبِيرَ مَنْ عَظَّمَ رَبَّهُ، وَتَصَاغَرْتَ عِنْدَهُ
نَفْسُهُ وَتَذَكَّرَ ذَنْبَهُ، وَتَقِفَ فِي الصَّلَاةِ وَقُوفَ خَاشِعٍ، وَتَرْكَعَ رُكُوعَ خَاضِعٍ،
وَتَسْجُدَ سُجُودَ طَامِعٍ، وَتَجْلِسَ لِسَمَاعِ الْخُطْبَةِ كَمَنْ أَحْضَرَ لِلْحِسَابِ، وَهُوَ
يَنْظُرُ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْخِطَابِ. وَإِلَّا فَمَا يَنْفَعُ التَّزَيُّنُ بِاللِّبَاسِ الْبَيْضِ، وَالْقَلْبُ
فِي هَمِّ الدُّنْيَا مَرِيضٌ؟ وَمَا يَفِيدُ التَّزَيُّنُ بِاللِّبَاسِ، وَلَمْ تَنْزِعْ رِدَاءَ الْإِلْبَاسِ؟

مَرَّ بَعْضُ الصَّالِحِينَ عَلَى شَبَابٍ يَلْعَبُونَ يَوْمَ الْفِطْرِ. فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ إِنْ
كَانَ صَوْمُكُمْ قَدْ قُبِلَ فَمَا هَذَا فَعَلَ الشَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ صَوْمُكُمْ لَمْ يُقْبَلْ فَمَا
هَذَا فَعَلَ الْمَحْزُونِينَ. فَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي قُلُوبِهِمْ وَتَرَكُوا لَهُوَهُمْ.

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَوْمَ عِيدِ فَوَجَدَهُ يَأْكُلُ خُبْزًا
خَشِنًا، فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَوْمَ الْعِيدِ تَأْكُلُ خُبْزًا خَشِنًا؟ فَقَالَ: الْيَوْمَ
عِيدٌ مِنْ قُبُلِ صَوْمِهِ، وَشُكْرَ سَعْيِهِ، وَغُفْرَ ذَنْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْيَوْمَ لَنَا عِيدٌ وَغَدًا
لَنَا عِيدٌ، وَكُلَّ يَوْمٍ لَا نَعْصِي اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ»:

قَالُوا: غَدًا الْعِيدُ مَاذَا أَنْتَ لَا يَسُهُ؟ فَقُلْتُ: خِلْعَةُ سَاقِ جُبَّةٍ جَرَعَا
فَقَرُّ وَصَبْرٌ هُمَا ثَوْبَانِ تَحْتَهُمَا قَلْبٌ يَرَى أُلْفَةَ الْأَعْيَادِ وَالْجُمُعَا
أُولَى الْمَلَاسِ أَنْ تَلْقَى الْحَبِيبَ بِهِ يَوْمَ الزِّيَارَةِ فِي الثَّوْبِ الَّذِي خَلَعَا
الدَّهْرُ مَا تَمَّ لِي إِنْ غَبَتْ يَا أَمَلِي وَالْعِيدُ مَا كُنْتُ لِي مَرَّةً وَمُسْتَمَعًا
لَا كُنْتُ إِنْ كَانَ لِي قَلْبٌ يَحِنُّ إِلَيَّ خِلٌ سِوَاكَ وَلَوْ قَطَّعْتَنِي قِطْعًا

وَقَعَدَ بَشْرُ الْحَافِي يَوْمَ الْعِيدِ فِي طَرَفِ النَّاسِ فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لَا تَتَوَسَّطَ
النَّاسَ فِي الصُّفُوفِ؟ فَقَالَ: هَذَا مَوْضِعُ السَّائِلِ الضَّعِيفِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ
صَاحَ: إِلَهِي جِئْنَا نَرْضِيكَ، فَيَا لَيْتَنَا لَا نَعْصِيكَ.

وَأَتَسَدَ السَّبِيلِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَيْسَ عِيدُ الْمُحِبِّ قَصْدَ الْمُصَلَّى وَانْتَظَرَ الْأَمِيرَ وَالسُّلْطَانَ
إِنَّمَا الْعِيدُ أَنْ تَكُونَ لَدَى الدِّ كَرِيمًا مُقَرَّبًا فِي أَمَانٍ
وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يُكْثِرَ الْعَجَبَ وَالضَّحْكَ فِي يَوْمِ الْعِيدِ. فَقَدْ كَانَ
بَعْضُ السَّلَفِ يَظْهَرُ عَلَيْهِ الْحُزْنُ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ. فَيَقَالُ لَهُ: إِنَّهُ يَوْمُ فَرَحٍ
وَسُرُورٍ، فَيَقُولُ: صَدَقْتُمْ. وَلَكِنِّي عَبْدٌ أَمْرِي مَوْلَايَ أَنْ أَعْمَلَ لَهُ عَمَلًا فَلَا
أَذْرِي أَتَقَبَّلُهُ مِنِّي أَمْ لَا.

وَرُوِيَ عَنْ وَهَبِ بْنِ الْوَرْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمَ الْعِيدِ فَجَعَلَ يَحْثُو التُّرَابَ
وَالرَّمَادَ عَلَى رَأْسِهِ. فَقِيلَ لَهُ: هَذَا يَوْمُ السُّرُورِ وَالزَّيْنَةِ. فَقَالَ: هَذَا يَوْمُ
السُّرُورِ لِمَنْ قَبِلَ صَوْمُهُ. وَرَأَى رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْمًا يَضْحَكُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ: إِنْ
كَانَ قَدْ قُبِلَ مِنْ هَؤُلَاءِ صِيَامُهُمْ فَمَا هَذِهِ حَالُ الشَّاكِرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قُبِلَ،
فَمَا هَذِهِ بِأَحْوَالِ الْمُفْرَطِينَ؟

وَرُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى قَالَ: رَأَيْتُ فَتْحًا الْمُوصِلِيَّ يَوْمَ عِيدٍ وَقَدْ
رَأَى عَلَى النَّاسِ الطَّيَالِسَةَ وَالْعَمَائِمَ. فَقَالَ لِي: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَمَا تَرَى ثَوْبًا يَبْلَى
وَجَسَدًا يَأْكُلُهُ الدُّودُ غَدًا؟ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ قَدْ أَنْفَقُوا خَزَائِنَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ وَبُطُونِهِمْ
وَيَقْدُمُونَ عَلَى رَبِّهِمْ مَفَالِيسَ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الْمُرُوزِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَيْهِ يَوْمَ عِيدٍ، فَوَجَدْتُ عَلَيْهِ قَمِيصًا مُرَقَّعًا وَقُدَّامَهُ قَلِيلُ خَرْوَبٍ يَمْرُضُهُ،
فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ تَأْكُلُ الْخَرْوَبَ؟ فَقَالَ لِي: لَا تَنْظُرْ إِلَى هَذَا،
وَانْظُرْ إِنْ سَأَلَنِي: مِنْ أَيْنَ لَكَ؟ أَيْ شَيْءٍ أَقُولُ؟

كَانَ السَّبِيلُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْعِيدِ يُنُوحُ وَيَصِيحُ وَيَضْرُخُ وَعَلَيْهِ
ثِيَابٌ سُودٌ وَزُرْقٌ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ نَوْحِهِ وَبُكَائِهِ؟ فَأَنْشَدَ:

تَزَيَّنَ النَّاسُ يَوْمَ الْعِيدِ لِلْعِيدِ وَقَدْ لَبِسْتُ ثِيَابَ الزُّرْقِ وَالسُّودِ
وَأَصْبَحَ النَّاسُ قَدْ سُرُّوا بِعِيدِهِمْ وَرُحْتُ فِيكَ إِلَى نَوْحٍ وَتَعْدِيدِ
فَالنَّاسُ فِي فَرَحٍ وَالْقَلْبُ فِي تَرَحٍ شَتَّانَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فِي الْعِيدِ

إِخْوَانِي: كَمْ فَرِحَ بِالْعِيدِ مَسْرُورٌ، وَهُوَ مُبْعَدٌ وَمَهْجُورٌ. فَيَا مَنْ يَفْرَحُ
بِالْعِيدِ لِتَحْسِينِ لِبَاسِهِ، وَيُوقِنُ بِالْمَوْتِ وَمَا اسْتَعَدَّ لِبَاسِهِ، وَيَغْتَرُّ بِأَقْرَانِهِ
وَجُلَّاسِهِ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أَمِنَ سُرْعَةَ اخْتِلَاسِهِ، كَيْفَ تُسَرُّ عَيْنُ مَطْرُودٍ عَنِ الصَّلَاحِ؟
كَيْفَ يَضْحَكُ سِنَّ مَرْدُودٍ عَنِ الْفَلَاحِ؟ كَيْفَ يُسَرُّ مَنْ يُصِرُّ عَلَى الْأَفْعَالِ الْقَبَاحِ؟
كَيْفَ لَا يَبْكِي مَنْ فَاتَهُ جَزِيلُ الْأَرْبَاحِ؟ النُّوحُ أَحَقُّ بِكَ مِنَ السُّرُورِ يَا مَغْرُورٌ،
وَالْحُزْنُ أَجْدَرُ بِكَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ. وَالْجِدُّ أَوْلَى بِكَ مِنَ التَّوَانِي وَالْقُصُورِ؟
كَيْفَ يُسَرُّ بِعِيدِهِ مَنْ تَابَ ثُمَّ عَادَ؟ كَيْفَ يَفْرَحُ مَنْ آثَمَهُ فِي ازْدِيَادٍ؟

فَيَا مَنْ عَزَمَ عَلَى الْمَعَاصِي فِي شَوَالٍ، الشَّهْرَ اخْتَرَمْتَ أَمْ رَبَّ الشَّهْرِ ذَا
الْجَلَالِ، وَيَحْكُ رَبُّ الشَّهْرَيْنِ وَاحِدٌ، وَهُوَ عَلَى الْأَعْمَالِ مُطَّلِعٌ شَاهِدٌ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَاتَّبَعَهُ بِسِتٍّ
مِنْ شَوَالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ» رَوَاهُ الْبَزَّازُ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ
اتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَلِلنَّسَائِيِّ: «جَعَلَ اللَّهُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَشَهْرٌ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامٌ
سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ تَمَامُ السَّنَةِ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عُمرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَاتَّبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَصُومَ هَذِهِ السَّتَّةَ لِيُحَوِّزَ هَذَا الْفَضْلَ الْكَبِيرَ، فَإِنَّ عِلَامَةَ قَبُولِ الطَّاعَةِ وَضَلُّهَا بِطَاعَةِ أُخْرَى، وَصِيَامُهَا يَدُلُّ عَلَى رَغْبَتِهِ فِي الصِّيَامِ وَأَنَّهُ لَمْ يَمَلَّهُ.

إِخْوَانِي: اعْلَمُوا أَنَّ يَوْمَ الْعِيدِ يَوْمٌ سَعِيدٌ، يَسْعَدُ فِيهِ أَنَاسٌ وَيَشْقَى فِيهِ عَبِيدٌ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ قُبِلَتْ فِيهِ أَعْمَالُهُ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ عَمَلُهُ عَلَيْهِ مَرْدُودٌ، وَبَابُ التَّوْبَةِ عَنْهُ مَسْدُودٌ، وَهُوَ يَوْمٌ يَهْتَأُ فِيهِ الْمَقْبُولُ وَيُعْزَى فِيهِ الْمَطْرُودُ، فَاجْتَنِبُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ قَبِيحَ الْأَفْعَالِ، وَاسْعَوْا فِي مَرْضَاةِ الْمَلِكِ ذِي الْجَلَالِ، عَسَى أَنْ يُنْجِيَكُمْ مِنْ رَدِيءِ الْأَعْمَالِ.

رَوَى عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ ثَلَاثَةُ أَحْبَابٍ إِلَى الْعِيدِ: فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِيمَا أُنْزِلَتْ عَلَيْنَا أَنْ نُعْتِقَ الْعَبِيدَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ فَأَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِيمَا أُنْزِلَتْ عَلَيْنَا أَلَّا نَرُدَّ الْمَسَاكِينَ، وَنَحْنُ مَسَاكِينُكَ فَلَا تَرُدَّنَا. وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِيمَا أُنْزِلَتْ عَلَيْنَا أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ قَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا، فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَرَّ تَقَفِّرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

اللَّهُمَّ أَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ، وَاخْتِمْ لَنَا شَهْرَ رَمَضَانَ بِعُفْرَانِكَ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ فَازَ بِعُرْفِ جَنَّتِكَ، وَاجْبُرْ قُلُوبَنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاکْتُبْ لَنَا بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ تَوْقِيعَ أَمَانِكَ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا مَا عَمِلْنَا، فَإِنَّا نَرْجُو قَبُولَكَ مَعَ إِحْسَانِكَ، وَتَجَاوُزَ عَنْ تَقْصِيرِنَا وَمَا اقْتَرَفْنَاهُ مِنْ عِصْيَانِكَ، وَآمِنًا مِنْ عَذَابِكَ وَبِيرَانِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَجَاؤُنَا إِذَا انْقَطَعَتِ الْأَسْبَابُ، وَفَرَجُنَا إِذَا غُلِقَتِ الْأَبْوَابُ،

وَمِنْكَ نَظْلُبُ جَزِيلَ الْأَجْرِ وَالْثَوَابِ. فَعَامِلُنَا بِعَفْوِكَ يَا حَاكِمَ الْحُكَّامِ وَأَحْسِنِ
لَنَا الْخِتَامَ، وَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ
الصَّالِحَاتُ.

قَالَ جَامِعُهُ أَنَابَهُ اللَّهُ: فَرَعْتُ مِنْ رَقْمِهِ وَتَحْرِيرِهِ، وَتَبْيِضِهِ وَتَسْطِيرِهِ،
وَأَنَا الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ، وَالْغَنِيُّ عَمَّنْ سِوَاهُ، عَبْدُهُ وَابْنُ عَبْدِهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ،
الرَّاجِي لِحُجْرَائِهِ وَمَثُوبَتِهِ، وَأَسِيرُ ذَنْبِهِ وَخَطِيئَتِهِ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُبَيْدٍ آلِ عَبْدِ
الْمُحْسَنِ، الْحَنْبَلِيِّ مَذْهَبًا، وَالسَّلَفِيِّ مُعْتَقِدًا، وَالنَّجْدِيِّ وَطَنًا. وَإِلَى هُنَا
اسْتِرَاحَ الْقَلَمُ مِنْ جَمْعِ شَوَارِدِهِ، وَنَظْمِ عُقُودِهِ وَفَرَائِدِهِ. وَلَمْ أَلْ جَهْدًا فِي
الْحِرْصِ عَلَى ضَمِّ مَا فِيهِ، وَمَا يَلِيقُ، وَمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ مِنْ كُلِّ غَالٍ وَفَيْقٍ.
وَإِلَى هُنَا وَقَفَ الْفِكْرُ عَنْ إِرسَالِهِ خَلْفَ أَوَائِدِهِ وَاسْتِرَاحَ، وَيَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرَى
عِنْدَ الصَّبَاحِ.

وَهَذَا بَعْضُ مَا يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَى جِهَةِ الْأَخْتِصَارِ، وَعَدَمِ الْإِطَالَةِ خَوْفَ
السَّامَةِ وَالْمَلَالَةِ، وَعَدَمِ الْحِفْظِ وَالْأَذْكَارِ. وَلَوْ أَخَذْنَا فِي الْبَسْطِ لَأُحْتَاجَ إِلَى
أَسْفَارٍ، وَلَكِنْ خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَأَفَادَ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْفُؤَادُ، وَبَعَثَ
الْقُلُوبَ إِلَى عُبُودِيَّةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمَا كَانَ لِمِثْلِي أَنْ يَجُولَ فِي الْمِيدَانِ،
وَيُرْخِيَ عِنَانَ فَرَسِهِ مَعَ الْفُرْسَانِ، لِأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَيْمَةِ هَذَا الشَّانِ، لِفُضُورِ
بَاعِي، وَعَدَمِ نِبَاهَتِي وَاطْلَاعِي. وَلَكِنْ تَيْسِيرُ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَمُتْلِينَ
الصُّعَابِ. فَهَآكَ كِتَابًا لَوْ سَافَرْتُ إِلَى الصُّبْحِ فِي طَلَبِهِ مَا ضَاعَتْ سَفَرْتُكَ،
وَلَوْ تَاجَرْتُ فِيهِ بِأَعْلَى الْبِضَاعَةِ لَمَا خَسِرْتُ تِجَارَتَكَ، وَقَدْ وَافَقَ الْفَرَاغُ مِنْهُ
بُكْرَةَ الْأَحَدِ رَابِعِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ١٣٥٩ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَتِسْعٍ
وَخَمْسِينَ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَيُّومِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا

مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، وَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ وَصَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَحَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ، صَاحِبِ الْآيَاتِ
وَالْبَرَاهِينِ، وَالْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَهَادِيًا إِلَى دَارِ الْمُقَرَّبِينَ، وَزَاجِرًا عَنْ
طَرِيقَةِ دَارِ الْمُعَذِّبِينَ، صَلَاةً وَسَلَامًا يَتَعَاقَبَانِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

فهرس كتاب

عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان

الموضوع	الصحيفة
ترجمة المؤلف	٥
مقدمة الكتاب	٧
فصل في تقسيم الكتاب ثلاثين بابًا على ليالي الشهر	٩
الباب الأول: في البشارة في دخول شهر رمضان والتهنئة فيه	١٢
الباب الثاني: في فضائل شهر رمضان	١٩
الباب الثالث: في فضل هذا الشهر على غيره من الشهور	٢٧
الباب الرابع: في فضل أوقاته الشريفة وما للصائم عند فطره	٣٤
الباب الخامس: في صلاة التراويح وفضل قراءة القرآن	٤٢
الباب السادس: في فضل صيام رمضان	٥٠
الباب السابع: في فضل الصيام من بين سائر الأعمال	٥٨
الباب الثامن: في فضل الصيام وعظم ثوابه وفضل التلاوة	٦٦
الباب التاسع: في آداب الصيام وفوائده	٧٤
الباب العاشر: في فضل الكرم والجود في شهر رمضان	٨٢
الباب الحادي عشر: في ذكر العشر الأوسط من رمضان وفضل الإنفاق والجود	٩٠
الباب الثاني عشر: في فضائل القرآن	٩٨
الباب الثالث عشر: في فضل تلاوة القرآن وتدبره	١٠٦
الباب الرابع عشر: في الحث على التأدب مع القرآن وآداب القراءة	١١٥
الباب الخامس عشر: في بركات شهر رمضان على هذه الأمة	١٢٣
الباب السادس عشر: في فضل الاجتهاد، لا سيما في هذا الموسم العظيم ..	١٣١
الباب السابع عشر: في أن الله تعالى فرق في صبح هذه الليلة بين الحق والباطل ..	١٤٠

١٤٨	الباب الثامن عشر: في تدبر القرآن والتحذير من الغفلة
١٥٦	الباب التاسع عشر: في الحث على فعل الطاعات وفضل آثارها وعواقبها
١٦٥	الباب العشرون: في فضل الاعتكاف ولزوم المساجد
١٧٤	الباب الحادي والعشرون: في ذكر العشر الأواخر من رمضان وفضل الاعتكاف
١٩٥	الباب الثاني والعشرون: في فضل قيام الليل
٢١٧	الباب الثالث والعشرون: في ذكر السبع الأواخر وطلب ليلة القدر وفضل الاجتهاد في الأعمال
٢٤١	الباب الرابع والعشرون: في اغتنام الأوقات الشريفة للدعاء، وفضل الله على خلقه
٢٦٣	الباب الخامس والعشرون: فيما أعد الله لأولياته من النعيم، وأن الجنة فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال
٢٨٤	الباب السادس والعشرون: في اغتنام أوقات رمضان في الطاعات، والمنافسة في سبل الخيرات
٣٠٧	الباب السابع والعشرون: في فضل هذه الليلة العظيمة، والحث على الدعاء والتضرع فيها
٣٣٢	الباب الثامن والعشرون: في الحث على اغتنام الأوقات المهمة قبل فواتها .
٣٥٣	الباب التاسع والعشرون: في وداع رمضان
٣٧٤	الباب الثلاثون: في خاتمة الشهر
٣٧٨	فصل في قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾
٣٨٢	الفصل العاشر
٣٩٠	وداع شهر رمضان